

المرجعية وأثرها في بناء الانسان

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

ودائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة

برعاية العتبة العلوية المقدسة

لسنة ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

الجزء الثالث

المحور السياسي - القسم الأول

أعداد واشراف

أ.د. عدي جواد الحجار

فهرس البحوث

ت	اسم الباحث	اسم البحث	الصفحة
١.	أ.د. علي كاظم محمد علي المصلاوي أ.د. كريمة نوماس محمد المدني	خطاب المرجعية وأثرها عند الجمهور (خطب الجمعة انموزجا)	١
٢.	أ.د. وجدان فريق عناد أ.د. ستار جبار الجابري	حركة الجهاد في فكر الشيخ محمد تقي الشيرازي / (قدس)	٢٠
٣.	أ.د. عمار علي محمد حسين الطائي	دور المرجعية الدينية في الجهاد المقدس ضد الاحتلال البريطاني للعراق من ١٩١٤ وحتى الانتداب ١٩٢٢	٣٩
٤.	أ.د. حسن كاظم أسد الخفاجي	التأصيل والتجديد في منهج الدولة الدستوري عند مرجعية النجف الدينية	٨٩
٥.	أ.م.د. محمد جواد جاسم الجزائري	مواقف السيد أبو القاسم الخوئي السياسية دراسة في نماذج	١٣٥
٦.	أ.م.د. منى حسين عبيد	دور السيد علي السيستاني (دام ظله) في تحقيق الاستقرار السياسي والامني في العراق	١٧٤
٧.	أ.م.د. سوؤد كاظم مهدي أ.م.د. وداد جابر غازي الزويني	دور المرجعية الدينية في مواجهة الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٩	١٩٧
٨.	أ.م.د. الهام فاضل عباس علي	موقف المرجعية الدينية في العراق من قضايا الامة الإسلامية الثورتان الدستوريتان العثمانية ١٩٠٨ والايروانية ١٩٠٩ انموزجا	٢٢٥

٢٧٥	(المرجعية الدينية في العراق وموقفها من الاحداث الوطنية حتى العام ١٩٢٣)	أ.م.د. صباح كريم رياح الفتلاوي أ.م.د. بشرى ناصر هاشم الساعدي	٩.
٣٣٥	مباني الجهاد الدفاعي في الفقه الإسلامي فتوى الجهاد الكفائي للسيد السيستاني إنموذجا	أ.م.د. صلاح محمد حسن شمسه	١٠.
٣٧٦	الجهاد ضد الاستعمار والطغاة عند السيد محمد كاظم اليزدي	م.د. محمد فرحان عبيد النائلي	١١.

خطاب المرجعية وأثرها عند الجمهور (خطب الجمعة انموذجا)

أ.د علي كاظم محمد علي المصلاوي أ.د. كريمة نوماس محمد المدني

جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص:

يعد مفهوم التواصل من المفاهيم اللسانية التداولية المركزية في الحياة الاجتماعية بمقتضى ما يجترحه هذا المفهوم من ابلاغ نفعي وتشكيل جمالي ضمن اليات معرفية بين أنواع الخطاب ، كما أنه يمثل مجالا للتفاعل الخطابى الفكرى بين الباث والمتلقى بتنوع السياقات الدينية والاجتماعية والسياسية والتربوية والثقافية الكبرى ، ومن هذا المنطلق تمثل خطب الجمعة خطابا مؤسسا تبليغيا تواصليا تحاور الاخر وتتفاعل معه ضمن استراتيجيات تواصلية تشد المتلقى بعقله وضميره وقد ارتأى البحث أن تكون منهجية الدراسة في ثلاثة محاور يتقدمها مدخل للتعريف بمصطلح التواصلية ، والمحور الاول تكفل بدراسة استراتيجيات التوجيهية والمحور الثانى لدراسة الاستراتيجية التضامنية أما المحور الثالث فتضمن دراسة الاستراتيجية الاقناعية وختم البحث بخاتمة لاهم النتائج

واخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المدخل:

رؤية حول فلسفة الفعل التواصلي

يعد مفهوم التواصل من المفاهيم اللسانية التداولية المركزية في الحياة الاجتماعية؛ بمقتضى ما يجترحه هذا المفهوم من إبلاغ نفعي وتشكيل جمالي ضمن آليات معرفية، بين أنواع الخطاب، كما أنه يمثل مجالا للتفاعل الخطابى الفكرى بين الباث والمتلقى بتنوع السياقات الدينية والاجتماعية والسياسية والتربوية

والثقافية، ومن هنا عُرِف التواصل بأنه: ((العملية التي يتفاعل فيها المراسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات إجتماعية معينة)).^(١)

ومن المعلوم ان اللغة لها وظيفة اجتماعية قائمة على التواصل بين أفراد المجتمع، حيث تختلف دلالاتها باختلاف السياقات والغايات المتنوعة، وقد أشار علماء اللغة والنقاد القدماء الى مكونات العملية التواصلية، واهتم علماء الأتتماع بالفعل التواصل، واكدوا على أهميته في دراسة الخطاب ومعرفة أصناف المتكلمين، وكذلك اشار النفسانيون الى مركزية الفعل التواصل وركزوا على الجوانب الشعورية والحسية والأنفعالية.

وقد اشتهر بهذه الرؤية الكاتب (يورغن هابرماس) في كتابه (نظرية الفعل التواصل)، وغايته من هذه النظرية هو الانتقال بالعقلانية من كونها ممارسة الذات الى ممارسة المجتمع، اي انتقالها من عقلانية الفرد الى عقلانية المجتمع، إذ تتجلى في كافة ممارسات الحياة اليومية.^(٢)

ولا يخفى ان هذه الرؤية تؤكد على دور اللغة في قيامها بدور المنظم المركزي القانوني في العملية التواصلية، ولذا يخضع الفعل التواصل بين المرسل والمتلقي الى عملية اسئلة واستفهام وتلقي الخبر والتأني في فهم الاشكالات وطريقة حلها كما ان الفعل التواصل هو مبدأ اتفاق بين الناس من أجل تحقيق متطلباتهم وحقوقهم الحياتية بشكل عقلائي منظم.

وتجدر الإشارة ان الفعل التواصل لا يقف عند حدود التبادل المعرفي في سياقاته الاجتماعية المختلفة، وانما يقوم بعملية التأويل وتختلف درجات التأويل باختلاف القارئ والمسؤولين والمتلقين على مختلف مستوياتهم الثقافية.^(٣)

وينبغي ان يكون الفعل التواصلي حاملا لقضايا إنسانية فيها قيم اخلاقية واجتماعية؛ لان العلاقات الانسانية في اي مجتمع هي علاقات تتصف بالصدق واحيانا بالتمثيل والخداع ولهذا اقترح هابرماس نظرية سماها ((اخلاق المحادثة)) وهي فلسفة تعتقد بأن الفعل التواصلي ينبغي ان يخضع لمعيار الأخلاق الذي يتفق عليه افراد المجتمع. (٤)

ويبدو ان الطرح الجديد في فكر هابرماس في الفعل التواصلي هو اعتماده قاعدتين اساسيتين في المحادثة هما قاعدة حرف (I) وهي التي تسمى بالقاعدة الكونية؛ لأجل خلق لغة تواصل شمولية، والقاعدة الثانية هي قاعدة (D) الديمقراطية، ومفهومها انها قاعدة تؤكد على ان افراد المجتمع شركاء متفقين على لغة تواصلية، وتؤكد على كلية وشمولية اللغة وديمقراطيتها، وتشاور الناطقين بها. (٥)

ومن هنا يخضع الفعل التواصلي بين المرسل والمتلقي الى عملية استفهام وتوقف وتآني في تلقي الخبر؛ لان الكلام يكون مبني على الأخبار او الأبهام او الأغراء وبالتالي كان من اللازم تحليل الخطاب التواصلي، وإخضاعه لميزان العقل.

كما ان هابرماس اعتبر الفعل التواصلي انه اتفاق بين الناس من أجل تحقيق متطلباتهم الحياتية بشكل عقلاني منظم تربط بينهم علاقات اجتماعية خاضعة لمقياس الصدق والكذب ولذا فهو يعد ((الفعل الكلامي التواصلي)) قيمة اجتماعية عليا تبنى وتتلور في إطار اجتماعي توافقي تداولي بين افراد المجتمع، يشكل لديهم قانونا تواصليا، ومن هذا المفهوم أسس هابرماس نظرية اجتماعية وثقافية تخص الفعل التواصلي تسمع بقيام تفكير عقلي وفقدي يتناسب مع متطلبات العصر الحاضر. (٦)

ويمكن القول ان الفعل التواصلي لا يقف عند حدود تبادل المعطيات المعرفية في السياقات الاجتماعية المتنوعة وانما يقوم بعملية التأويل، وهذا الأخير لا يتم بطريقة عفوية وانما يقوم على قواعد خاضعة للفعل وقابلة للتعايش مع المجتمع بكل افراد وطبقاته.

والفعل التواصلي يقوم على مجموعة من القواعد المنظمة التي يتفق عليها افراد المجتمع، كما دعاها (هابرماس) الى كونية الفعل التواصلي وشموليته، وليس تركيزها هنا يكون على الجوانب التركيبية والدلالية للغة، وانما ينبغي التركيز على اللغة باعتبارها مكونا اساسيا لتمرير خطابات تواصلية اجتماعية مفهومة ومتداولة بين المرسل والمتلقي بشكله الشمولي والكوني.(٧)

ويمكن الإشارة الى قضية هامة في هذا المحور ان نظرية هابرماس التواصلية، هدفها ضبط علاقة الأفراد بالآخر وإخضاع العلاقات الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية الى التداول والتحاور.

إذن هناك عوامل عديدة تتضافر جميعا في الفعل التواصلي تعمل على بيان ان اللغة تساهم فيها سياقات مختلفة لتبليغ رسالة خطابية للمتلقي من متضمنيه لأغراض تواصلية متعددة.

حيث تغدو (لغة التواصل) عاملا من عوامل الاندماج الاجتماعي حيث اللغة تصبح وسيلة تركيبية لربط العلاقات القانونية والإدارية بين مكونات المجتمع، اي ان اللغة تقوم بدور الموحدين بين افراد المجتمع بطريقتين: الأولى تزامنية بأفعال تواصلية تميز الترابطات الاجتماعية، واخرى تعاقبية من خلال افعال تواصلية ايضا تتم بها العلاقات الثقافية، وهذا يؤكد العلاقة الجدلية بين اللغة والعقل التي يؤكدها هابرماس.(٨)

وتتمثل وظائف الفعل التواصلي فيما يأتي:^(٩)

- ١- الوظيفة النفعية.
- ٢- الوظيفة التنظيمية.
- ٣- الوظيفة التمثيلية.
- ٤- الوظيفة التفاعلية.
- ٥- الوظيفة الشخصية.

وهذا الفعل التواصلي يحتاج الى استراتيجيات تخاطبية تبرزه وقد ورد في خطب الجمعة استراتيجيات اهمها الاستراتيجيات التوجيهية والتخاطبية والأقناعية.

المحور الأول: الاستراتيجية التوجيهية

وتعرف بأنها: ((الاستراتيجية التي يرغب المرسل بها بتقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض انها لصالح المخاطب أو المرسل إليه)).^(١٠)

وتجدر الإشارة الى ان القيم التوجيهية بكل مسوغاتها لا تعد أفعالا لغوية فحسب، وانما تعد من الوظائف التي تعنى بالعلاقات الشخصية بحسب تصنيف هاليداي، إذ يعد اللغة هي ((تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجيهات المرسل إليه وسلوكه)).^(١١)

وقد صنف (باخ) الأفعال التوجيهية ضمن الأصناف الأربعة التي حددها للأفعال الكلامية وهي الأفعال التقريرية أو الوصفية والتوجيهية والألتزامية، وأفعال التعبير عن المشاعر وتشمل الأفعال التوجيهية عند باخ الأصناف الآتية:^(١٢)

الطلبات: وتأتي على شكل سؤال أو تضرع أو توسل أو مناشدة أو الحاح أو دعوة أو طلب أو حث أو استدعاء أو ابتهال أو حجاج.

١- الأسئلة: وتأتي في الأمور (السؤال، الاستعلام، الاستجواب التشكك).

٢- المتطلبات: وتمثل (العرض، التكليف، الأمر، الطلب، الارشاد، المنع، التعليم، الغرض).

٣- التحريمات: وتمثل (المنع، الحظر، التحريم، التقييد).

٤- أفعال النصح: وتأتي على اشكال منها (الحث، النصح، التحذير، الاقتراح، الإنذار، التوصيات).

ومثلت الاستراتيجية التوجيهية حضورا مكثفا في خطب الجمعة ويعتبر الفعل الانجازي التوجيهي من خلال نتيجته إلزاما للمرسل إليه؛ لانه خاضع لسلطة المرسل؛ لان الأفعال التوجيهية قائمة على علاقات سلطوية بين المرسل والمرسل إليه وفي هذه الحالة هي مؤشر لنجاح هذه الأفعال.

١- الأمر:

فمن أمثلة ذلك نص خطبة للشيخ عبد المهدي الكربلائي، إذ يقول ((أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى، فإنها مفتاح سداد وذخيرة معاد، ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب ((وأيقظوا بها نومكم، واقطعوا بها يومكم، وأشعروها قلوبكم، وأرحضوا بها ذنوبكم وداووا بها أستقامكم)) هكذا أيها الأخوة والأخوات أوصانا سيد المتقين أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) بتقوى الله والتحرز عن الحرمات والمآثم)).(١٣).

وقد ذكر ضمن محاور هذه الخطبة قول للإمام السجاد(عليه السلام) في حفظ حقوق الجار ومحاسن الآداب والاخلاق الفاضلة التي ينبغي لشيعته أهل البيت(عليهم السلام) ان يتحلوا بها وتكون المعيار والميزان في المعاشرة فيما بينهم، ومن الامور الأخرى التي اشار إليها وأمرنا بالالتزام بها (كتمان الأسرار) لتكون علاقات اجتماعية وثيقة

وراقية بين افراد المجتمع، وأشار الى ان هذه الأسرار متنوعة فيها حفظ لأرواح الناس وممتلكاتهم وحقوقهم، وهذه الأسرار تارة تكون إجتماعية واخرى مالية وخرى عسكرية، واقتصادية، ومن الاخلاق الفاضلة التي يجب ان يتحلى بها الفرد المؤمن (ستر العورات) لان الأنسان معرض للخطأ، وقد يرتكب فاحشة او خطأ، فمن حقه عليك ان لا تدفع ذلك، فكلنا نقع في الخطأ، وكلنا عندنا صفات قبيحة وليس من الصحيح التحدث عن الأفراد او العوائل بكلام سلبي يشوه سمعتهم. (١٤)

ومن الخطب المهمة التي لها صداها في المجتمع العراقي لأنها تلامس الواقع بكل حيثياته، خطبة السيد احمد الصافي (دام ظله) إذ يقول فيها. (١٥)

((إخوتي الأفاضل، أبنائي الأعزاء، آبائي الأجلاء، اخواتي المؤمنات، بناتي العفيفات، أمهاتي المربيات، السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته.

أوصيكم جميعا ونفسي الغارقة في بحار الخطايا والآثام بتقوى الله تبارك وتعالى والعمل بطاعته والأبتعاد عن معصيته فانه: ((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)) وفقنا الله تبارك وتعالى للأخذ بطاعته، والابتعاد عن معصيته وألبسنا الله تعالى وإياكم لباس التقوى.

لعل من المسائل المهمة التي أولاها الشارع المقدس أهمية كبيرة هو موضوع الأسرة لأهميته من جهة، وللآثار السلبية التي تبرز في حال عدم الاعتناء بالأسرة... وقد ركز الاسلام على العلاقة الاجتماعية بشكل خاص، وهي كيف يتربى الانسان داخل الأسرة تربية اذا ما زجت الاسرة بهذا الولد الى الشارع يكون عنصرا نافعا، تأدبا بآداب الأسرة، ثم آداب المدرسة. (١٦)

اشار السيد (حفظه الله) الى مسائل اجتماعية ومنها أن الدور الأساس في نجاح المجتمع وهم (الأسرة) لاسيما الوالدان واثرهما في تربية الأولاد، ولكن ما يعيشه الواقع

الاسري من التفكك بسبب انشغال الوالدان بالدوام والعمل او بالشبكات التواصل لذلك نبه كثيرا في خطب الجمعة الى دور الاسرة في قيام مجتمع ناضج بعيدا عن المشاكل والأخفاقات وما ينتج عنه من رزق بذور لمجتمع متفسخ خلقيا واجتماعيا. ومن الأمثلة على الاستراتيجيات التوجيهية خطبة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في باب الدفاع عن المقدسات والجهاد:

((أيها الاخوة والأخوات نعرض على مسامعكم الكريمة التوجيهات الصادرة من المرجعية العليا للمقاتلين الابطال في جبهات القتال، نذكر قبلها مقدمة فنقول: (١٧) يشارك في هذه الأيام الآلاف من اخواننا وأحبتنا في القوات المسلحة ومن يساندتهم المتطوعين وأبناء العشائر في معارك ضارية لتخليص مناطق من محافظة الأنبار من سطوة الإرهاب الداعشي، وإننا إذ نكرر بالغ الثناء عليهم وعظيم الاعتراز بجهودهم والمباهاة بكل قطرة دم يبذلونها في سبيل الدفاع عن وطنهم وشعبهم ومقدساتهم، نجد من المناسب ان نذكر مقاطع من توجيهات المرجعية العليا لهم في رعاية حرمان الناس في مناطق القتال، تأكيداً لما لها من الاهمية البالغة، وأود ان اشرح بعض العبارات هنا في المقدمة ثم اذكر التوجيهات والنصائح. (١٨)

أيها الاخوة والأخوات نلاحظ في التعبير الوارد من المرجعية الدينية العليا أنها عبرت عن المقاتلين بأنها أحبة المرجعية الدينية العليا هؤلاء المقاتلون هم احباء المرجعية الدينية العليا، فقد بيّنت منزلتهم ومقامهم ثم بينت منزلة ومقام بطولاتهم وتضحياتهم فذكرت في البداية الثناء البالغ لهذه التضحيات والبطولات، ثم ترقّت في بيان منزلة هذه التضحيات والبطولات، ثم سمت بدمائهم بل بكل قطرة دم تسال من أي شهيد او جريح فعبرت بالمباهاة...

ثم هناك التوجيهات والنصائح، أيها الاخوة والأخوات سبق ان صدرت الى المقاتلين في ساحات الجهاد وجبهات القتال وهي كالآتي:

((فالله في النفوس، فلا يستحلن التعرض لها بغير ما أحله الله تعالى في حال من الاحوال، فما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة وما أعظم الحسنة بوقايتها واحيائها، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه، وان لقتل النفس البريئة آثار خطيرة في هذه الحياة وما بعدها، وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين(عليه السلام) شدة احتياطه في حروبه في هذا الأمر...))

((الله الله في حرمت عامة الناس ممن لم يقاتلوكم، لا سيما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء، حتى إذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم، فإنه لا تحل حرمت من قاتلوا غير ما كان معهم من أموالهم، وقد كان من سيرة أمير المؤمنين(عليه السلام) أنه كان ينهي عن التعرض لبيوت أهل حربه ونسائهم وذرائعهم رغم اصرار بعض من كان معه من الخوارج على استباحتها)).(١٩)

تفصح الخطبة في بنيتها الاستهلالية على مقدمات متمثلة بأوامر حجاجية بأفعال الأمر الايعازية الصريحة المباشرة لتوجيه المقاتلين في ساحات المعارك في الالتزام بطاعة الله (سبحانه وتعالى) والعمل بفرائضه وكتابه وسننه وبمخالفتها يكون الخسران.

وتبدأ العملية التخاطبية ضمن هذه الاستراتيجية في التواصل مع الذات والآخر في الالتزام بأوامر وتوجيهات المرجعية العليا في اثناء الحرب مع الطرف المعادي، وهو بالضرورة يحيل الى مجموعة اهداف منطقية يترتب عليها أمور كثيرة، وفي ذلك تعظم للدولة والوقوف على الأسس القويمة التي يتحقق بها أمن الوحدات العسكرية

بين الطرفين والناس الأبرياء بينهم ثم نلاحظ توالي أفعال الأمر الأنجازية والربط بين المقدمات والآليات الحجاجية التي سهلت وظيفة المحاجج.

المحور الثاني: الاستراتيجية التضامنية

وتعرف بإنها ((الاستراتيجية التي يحاول المرسل فيها ان يجسد درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وان يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها او تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها... والتقرب من المرسل إليه وتقريبه)). (٢٠)

وفيها يكون طرف العملية التواصلية (المرسل- المرسل إليه) من الأقران لغة لتأسيس العلاقة الودية بين طرفي الخطاب، ولتفعيل التضامن في علاقات المجتمع وكسب المحبة والتودد بينهم وبين حاكمهم وتحسين صورة راعي الرعية)).

وتتجسد الاستراتيجية التضامنية من خلال علامات لغوية معينة تشير الى رغبة المرسل في التضامن مع المرسل إليه، وتعد هذه العلامات اللغوية من الوسائل اللسانية التي يجعلها المرسل علامة لتوجيه الخطاب الى المرسل إليه من الناحية النفسية والاجتماعية وتشمل (الضمائر، الأسماء، الاعلام، الالقاب، والكنى).

ولعل الحديث عن الاستراتيجية التضامنية في خطب الجمعة يتطلب حديثاً طويلاً، فأغلب خطب الجمعة حوت استراتيجيات تضامنية ومن أبرز الأمثلة على ذلك، نص خطبة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام ظله) في ضرورة التضامن مع الشعب والحكومة معاً لبناء مستقبل آمن للعراق إذ يقول. (٢١)

((أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي، بتقوى الله تعالى، وأسمعوا لما وعظكم به، وإذا سمعتم فعوا، وإذا وعيتم فاعملوا، وإذا عملتم فأخلصوا، فإنما هي خجج الله تقام عليكم، وبيئاته تتلى وتذره تقدم، فإن اعرضتم عن سماعها

كنتم من الغافلين، وأن أصنعتموها بعد العلم بها كُتبت من الخاسرين فمن وسائل النجاح في الاختبارات والابتلاءات

الامر الأول: هو استمداد القوة من الله تعالى في مواجهة هذه الامتحانات.

الامر الثاني: هو الشعور المؤمن أن المحنة والأزمة والابتلاء الذي يمر به هو بعين الله تعالى، وهو ناظر إليه.

الامر الثالث: هو الإصلاح ومحاربة الفساد والدعوة الى الله تعالى كما اشارت الى ذلك الكثير من الآيات القرآنية، والصالح إنما يبدأ من النفس، لذلك في هذه الدعوة لأبد من ان ندعو أنفسنا، نبتدئ بأنفسنا ونحاول أن نعالج ما فيها من الفساد والانحراف، ثم نتوجه الى الآخرين وندعوهم الى الصلاح وننهاهم عن الفساد.

الامر الرابع: الابتعاد عن المعاصي واللهو والعبث والغفلة والانتقال بطاعة الله تعالى. الامر الخامس: وهو التوبة والاستغفار والدعاء والتضرع الى الله تعالى والاستعانة به في مثل هذه الأمور في مثل هذه الازمات والامتحانات والمسألة الاخيرة المهمة هي مسألة ترشيد الاستهلاك، لا حظوا النمط الاستهلاكي، والابتعاد عن النمط الانتاجي المطلوب ان نتوجه نحو الانتاج (٢٢)

من شأن هذه الاستراتيجية ان تساوي بين درجات اطرافه وان تقلص المسافات المتباعدة بين النفوس، فتؤثر في طبيعة العلاقة الاجتماعية بين الاطراف وهنا تحقق للتضامن سمته الغالبة في الاحترام والتهذيب والتودد لكسب الطرف الآخر، وقد برز هذا النوع من الخطاب التضامني في خطبة الشيخ لكافة ابناء المجتمع بمختلف شرائحهم ومستوياتهم الثقافية والمادية، وكل هذه المسائل التي تطرق إليها هي علامات اشارية تجسد درجة التضامن من التعامل الاخلاقي: ((لان للتعامل الاخلاقي الاولوية في الاستراتيجية التضامنية، وهذا ما يسميه طه عبد الرحمن بالتخلق)).

ومن امثلة الاستراتيجية التضامنية ايضا خطبة السيد أحمد الصافي (٢٣)

((مطالبة الحكومة بالعمل على كشف مخططات الارهابيين وإلقاء القبض عليهم وعلى من يدعمونهم وتقديمهم الى العدالة واتخاذ الاجراءات الضرورية لمنع وقوع هذه المآسي الفظيعة..

فقد تكررت في السنوات الماضية هذه المطالبة عقب حوادث مماثلة، ولكن تلك المطالبات لم تحقق شيئا في ظل غياب الرؤية الصحيحة لأصحاب القرار وتفشي الفساد والمحسوبيات وعدم المهنية في مختلف المفاصل، بالرغم من كل النصح المرجعي والضغط الشعبي، ولا سيما في العام المنصرم بإحداث تغير جوهري في أداء المسؤولين وقيامهم بمكافحة الفساد بصورة جدية، وتطبيق ضوابط مهنية صارمة في التعينات الحكومية ولا سيما في المواقع والمناصب المهمة كالمهام الامنية والاستخبارية)). (٢٤)

فالبعد التضامني في الخطبة تبين حرص المرجعية العليا في ضرورة تضامن الحكومة مع الالتفات الى أمور وقضايا سياسية وعسكرية وامنية هامة لبناء بلد يعاني من الارهاب والدمار والاعداء، ويتجلى هذا البعد في الاحترازاات الامنية التي ينبغي ان تقوم بها السلطات لحماية ارواح الناس الابرياء والحد من الانفجارات التي تحصد ارواح الشعب البرئ وضرورة محاسبة المتخاذلين والخونة والارهابيين.

ومن هنا تكون الاستراتيجية التضامنية تأليفا لهم بطريقة تطرح إشكالا هاما فيها أمن وصلاح بلد يعاني من الارهاب والدمار.

المحور الثالث: الاستراتيجية الاقناعية

الاستراتيجية: ((إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه)). (٢٥)

وهذه الاستراتيجية يقصد من خلالها إقناع المرسل إليه بمختلف الوسائل بوجاهة موقفه او رجاحة فكرة، أو افضلية خطاباته بحسب السياق وموضوع الحوار الدائر بين المرسل والمرسل إليه، وكذلك بحسب طبيعة العلاقة الرابطة بينهما ومسوغات الاستراتيجية الحجاجية هي كثيرة منها:

- ١- قوة تأثيرها في المرسل إليه.
 - ٢- طلب المرسل إليه لها في بعض السياقات.
 - ٣- الرغبة في تحصيل الإقناع بما عند المرسل عن افكار.
- ومن أبرز الامثلة التي ورد فيها الحجاج واضحا التي محاجج فيها العباد على اهمية الصوم وحرمة الشهر الفضيل بقول الشيخ عبد المهدي الكربلائي.(٢٦)
- ((أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تبارك وتعالى واعرفوا حق شهركم هذا والحرمات التي حرمها الله تعالى فيه، وحق كتابكم الكريم وحق نعمة الصوم عليكم، وارتفعوا بصومكم الى الغاية التي من أجلها شرع الله تعالى لكم فريضة الصوم واغتنموا هذه الفريضة لتزكية قلوبكم وتطهير نفوسكم والسمو بأخلاقكم الى ما أحبه الله تعالى لكم من مكارم الاخلاق ومحامد الصفات، واستثمروا ليالي هذا الشهر المبارك بالتوبة والإستغفار وأبكوا على انفسكم المرهونة بأعمالكم مستذكرين أحوالكم بدعاء ابي حمزة الثمالي المروي عن الإمام السجاد (عليه السلام) وبقيّة الادعية.(٢٧)
- ثم يوضح جناب الشيخ الفاضل في محاور حجاجية ما الجدوى من الصوم، ومن العطش، ومن الجوع، إذ يقول:

أريد من الصوم ان ترتبط بالآخرة وأهوالهم وما فيها من شدائد وذلك بأن نستذكر من الجوع والعطش موقفا من المواقف والأهوال الشديدة يوم القيامة، وهو أن هناك جوعا

وعطشا كبيرين في يوم القيامة، فكيف نساعد أنفسنا على ان نتغلب على ذلك الموقف؟

جاءت فريضة الصوم لكي تذكرونا وتربطنا بالآخرة حتى نستشعر الخوف والخشية من الله تعالى ونرتدع عن المعاصي أريد من الصوم ان نمزج أرائدنا ونطوعها حتى نتخلص من أسر العبودية للشهوات والغرائز والعادات السيئة أريد من الصوم ان تنبعث من قلوبنا الرحمة والعطف والحنان للفقراء والمساكين واليتامى وبقية عباد الله تعالى أريد من الصوم ان نرتقي بأخلاقنا الى مصاف الاخلاق الالهية وأخلاق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نرتقي بعلاقاتنا مع أرحامنا وبقية افراد المجتمع بما يقوي هذه الأواصر.

لذلك قيل ان الاستراتيجية الحجاجية هي عبارة عن ((حامل نصي من مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي)). (٢٨)

ومن أمثلة ذلك أيضا خطبة سماعة السيد أحمد الصافي (دام ظله) بقوله: (٢٩)

((أوصيكم جميعا أحبتي ونفسي الأمانة بالسوء بتقوى الله تبارك وتعالى واليقظة، فلقد قال إمامنا أمير المؤمنين (عليه السلام): ((فلوان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو أن الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السنن المعاندين ولكن يؤخذ من هذا ضيغ ومن ضيغ فيمزجان)). (٣٠)

أرشدنا الله تعالى وإياكم الى مناهج الهداية وسبيل الرشاد وألبسنا وإياكم لباس التقوى ان الله (تعالى) شرط على نفسه ان يمن تبارك وتعالى عليه بالمغفرة ان لا يعود في مكروهه في قوله: ((شرط أن لا أعود في مكروهك)) والمكروه كل المحرمات؛ لان هذه المحرمات ملاكها المبعوضة والكراهية، فالله تعالى اذا كره

شيئاً حرمه، والاشياء المحببة هي الاوامر، وكل شيء أمرنا به الله تعالى هو منبعث عن إرادة، ونهانا عما فيه كراهية، وقد أعطى الإمام السجاد (عليه السلام) هذا الالتزام أنه لا يعود في مكروه بعد ان يمن الله عليه التوبة على سالف ما فعل من الاعمال، وان هذه الاشياء تحتاج الى مزيد من التوفيق للإنسان.

فكلما قويت عقيدة الانسان ورسخت في نفسه زادت الوقاية من الذنوب؛ لان الانسان عندما يتأمل هذه الاسماء والصفات الالهية يرى انه مُحاط من كل جانب، والله تعالى مطلع فضلا عن الاحاطة على كل شيء، إذ لا تخفى على الله تبارك وتعالى خافية.

ثم ناقش دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): ((وأصرفني بقدرتك الى ما أحببت)) فالله تبارك وتعالى يحب اشياء ونحن نحب الله (تعالى) وهو المفترض وهذه الصفة المقابلة ما بيننا وبين الله تعالى، نسبتنا الى الله تعالى نسبة العبد الى سيده لا نسبة الصديق الى صديقه مثلاً ونسبة العبد الى الله (تعالى) نسبة المحتاج الى الغني، عندما ننسب أنفسنا الى الله تعالى نجد هذه النسبة وهي حقيقة نسبة الاشياء مع الشيء، بل مع كل الوجود، القرآن الكريم.

ثم انتقل الى المقطع الثاني: ((اللهم وعلي تبعات قد حفظتهن وتبعات قد نسيتهن)) الحفظ والنسيان منسوب لي فالله لا ينسى، بل أنا بعض التبعات أتذكرها وبعض التبعات قد مسيتها ما معنى التبعات؟ يقول الإنسان: علي التبعات حقيقة التبعة هي أثر الفعل او الظلامة التي للآخرين علي وهذه التبعات قطعاً تختلف باختلاف الفعل؛ انسان تكلم على آخرين وسمعه الآلاف كما في وسائل الاتصال الحديثة الآن هذه تبعة اراد ان يفترى ويكذب أو حسده فحاول ان يتهمه اتهامات باطله فسمعتة اعداد غفيرة، بعد ذلك اذا ندم كيف يتدارك هذه التبعات؟ وهناك تبعة

لو أن إنسانا سرق من أحد كأن يكون صانعا عند أحد أو شريكا مع أحد وضعت نفسه فسرق منه، ثم بعد ذلك تاب، هذه تبعة يتذكرها.

الخاتمة:

- ١- يمثل الفعل التواصلي قيمة اجتماعية عليا ومحور أساس لكل أنواع التواصل بين افراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم الثقافية، فهو يتبلور ويتطور في إطار اجتماعي توافقي تداولي يمثل لديهم قانونا تواصليا.
- ٢- تعد (لغة التواصل) عاملا من عوامل الاندماج الاجتماعي حيث تصبح اللغة وسيلة تركيبية لربط العلاقات الاجتماعية والإدارية بين مكونات المجتمع، وقيمة هذه اللغة التواصلية تكمن في مفهوم يسمى (التخلق أو أخلاق المحادثة) وهي فلسفة تعتقد ان الفعل التواصلي ينبغي ان يخضع لمعيار الاخلاق الذي يكون مبدأ اتفاق بين افراد المجتمع.
- ٣- تمثل (خطب الجمعة) مصدرا تأسيسيا بكل حيثياته الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسة والاقتصادية والتربوية ومنهلا عذبا لزرع القيم الخلقية والمبادئ العليا لتصحيح المسار الدينوي وصولا الى تحقيق وبناء مجتمع سليم، اذا استطاعت ان تؤثر في المتلقي لاعتماده استراتيجيات تواجه روح وعقل المخاطب.
- ٤- وقد ظهرت استراتيجيات عديدة لهذه الخطب الدينية الوعظية ومن أهمها الاستراتيجية التوجيهية فهي تمثل القيم التوجيهية بكل مسوغاتها في الحفاظ على مسوغاتها في الحفاظ على التعاليم السماوية العليا ورسالة الوحي الالهي.
- ٥- ومثلت الاستراتيجية التضامنية من أهم الاستراتيجيات الموظفة في خطب الجمعة لتفعيل التضامن في علاقات المجتمع وتحسين صورة الدولة في اعين الشعب.

٦- تمثل الاستراتيجيات الحجاجية- الاقناعية ذات فاعلة اجتماعية لانتاج المعطيات الايجابية الاقناعية لتحقيق نجاعة الغايات المبتغى تحقيقها وصولا الى الاهداف الفكرية والدينية والسياسية.

الهوامش:

- ١- التواصل وفلسفة الفعل التواصلية: عمر كوش: ٣.
- ٢- النظرية النقدية التواصلية: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت مازن لطيف علي: مقال على موقع شبكة النت، ٢٠٠٩/٧/٩.
- ٣- فلسفة الفعل التواصلية عند هابرماس: محمد أيوب، ١٦.
- ٤- نفس المصدر ١٧.
- ٥- ينظر فلسفة الفعل التواصلية عند هابرماس: ١٧.
- ٦- المصدر نفسه.
- ٧- التواصل وفلسفة الفعل التواصلية: ٦.
- ٨- المصدر نفسه.
- ٩- المصدر نفسه.
- ١٠- استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) د. عبد الهادي ظافر الشهري: ٥٣.
- ١١- الاستراتيجية وعلاقتها بالنص والخطاب: عبد الكريم جمعات: ٦٨-٨٨ ينظر (الاستراتيجيات الخطاب الحجاجي في الحديث:
- ١٢- خطب الجمعة (توثيق وتحقيق) لسنة (٢٠١٦)، المجلد الثاني عشر، ج ١، ص ٨٧.
- ١٣- خطب الجمعة/ المجلد الثاني عشر/ ج ١/ ص ٨٨.
- ١٤- خطب الجمعة/ المجلد الثاني عشر/ ج ١/ ص ٧٥-٧٦-٧٧.
- ١٥- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر، ج ١/ ص ٣١٥-٣١٦.
- ١٦- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر، ج ١/ ٣٥.
- ١٧- الاستراتيجية التخاطبية في النسبة النبوية (بحث منشور) ادريس مقبول، مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد ٥٢، سنة ٢٠١٤، ص ٥٤١.
- ١٨- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر/ ج ١، ص ٦٢-٦٣-٦٤-٦٥.
- ١٩- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر، ج ٢/ ٦٣.
- ٢٠- استراتيجيات الخطاب الحجاجي (دراسة تداولية في الرسالية الاشهارية) د. بلقاسم دفة، مجلة المخبر جامعة بسكرة، الجزائر العربية العدد ١٠، لسنة ٢٠١٤-٤٤٦.

- ٢١- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر، ج ١/ ص ٣٣٧.
- ٢٢- شرح نهج البلاغة: ٢٤٠/٣.
- ٢٣- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر، ج ٢/ ص ٧٣-٧٨.
- ٢٤- خطب الجمعة/ مج ٢/ ج ٢/ ص ٣٦.
- ٢٥- بحث الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية أدريس مقبول: ٥٥٥
- ٢٦- خطب الجمعة: المجلد الثاني عشر، ج ١/ ٣٣٦
- ٢٧- المجلد الثاني عشر/ ج ١/ ٣٣٧.
- ٢٨- عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية) لآليات التواصل والحجاج: عبد السلام عشير: ص ٥٠٥.
- ٢٩- المصدر نفسه
- ٣٠- شرح نهج البلاغة: ٢٤٠/٣
- قائمة المصادر:
- ١- التواصل وفلسفة الفعل التواصلية: عمر كوش: ٣.
- ٢- النظرية النقدية التواصلية: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت مازن لطيف علي: مقال على موقع شبكة النت، ٢٠٠٩/٧/٩.
- ٣- فلسفة الفعل التواصلية عند هابرماس: محمد أيوب.
- ٤-
- ٥- ينظر فلسفة الفعل التواصلية عند هابرماس:
- ٦- المصدر نفسه.
- ٧- التواصل وفلسفة الفعل التواصلية: ٦.
- ٨- المصدر نفسه.
- ٩- النظرية النقدية التواصلية.
- ١٠- استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) د. عبد الهادي ظافر الشهري: ٥٣.

- ١١- الاستراتيجية وعلاقتها بالنص والخطاب: عبد الكريم جمعات: ٦٨-٨٨ ينظر (الاستراتيجيات الخطاب الحجاجي في الحديث:
- ١٢- خطب الجمعة (توثيق وتحقيق) لسنة (٢٠١٦)، المجلد الثاني عشر، ج ١، ص ٨٧.
- ١٣- خطب الجمعة/ المجلد الثاني عشر/ ج ١/ ص ٨٨.
- ١٤- خطب الجمعة/ المجلد الثاني عشر/ ج ١/ ص ٧٥-٧٦-٧٧.
- ١٥- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر، ج ١/ ص ٣١٥-٣١٦.
- ١٦- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر، ج ١/ ص ٣٥.
- ١٧- الاستراتيجية التخاطبية في النسبة النبوية (بحص منشور) ادريس مقبول، مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد ٢-٥، سنة ٢٠١٤، ص ٥٤١.
- ١٨- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر/ ج ١، ص ٦٢-٦٣-٦٤-٦٥.
- ١٩- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر، ج ٢/ ٦٣.
- ٢٠- استراتيجيات الخطاب الحجاجي (دراسة تداولية في الرسالية الاشهارية د. بلقسم دفه، مجلة المخبر جامعة بسكرة، الجزائر العربية) العدد ١٠، لسنة ٢٠١٤-٤٤٦.
- ٢١- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر، ج ١/ ص ٣٣٧.
- ٢٢- شرح نهج البلاغة: ٢٤٠/٣.
- ٢٣- خطب الجمعة، المجلد الثاني عشر، ج ٢/ ص ٧٣-٧٨.

حركة الجهاد في فكر الشيخ محمد تقي الشيرازي / (قدس)

أ.د. وجدان فريق عناد / مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد
أ.د. ستار جبار الجابري / مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية / جامعة بغداد
المقدمة :

تتمتع الحوزة العلمية في النجف الأشرف بأهمية لا تضاهى، لما لهذه المؤسسة من دور علمي ومعرفي عريق، وذلك للمواصفات والخصائص التي تتمتع بها والتي يتم التأكيد عليها دائماً وهي العلم والمعرفة والتقوى والورع والصبر والإحساس بالمسؤولية ازاء قضايا الأمة، فضلاً عن الحرية في التفكير والبحث والتحقيق الذي يعبر عنه بفتح باب الاجتهاد ضمن الإطار العام والضوابط العامة التي وصفها الإسلام. وقد أفرز تاريخ الحوزة العلمية في النجف الأشرف نخبة من الرجال العظام الذين غيروا بأفعالهم وجه التاريخ، وظهروا بلحظات فارقة في تاريخ العراق المعاصر. لذلك يحتل أثر وفعل الرجال في المنعطفات المصيرية للشعوب، مكانة متميزة في سفر التاريخ، وبما يمكنها من الاستدلال على حال تلك المرحلة وأفاق التطلع للمستقبل، والشيخ "محمد تقي الشيرازي" من نمط الرجال الذين غيروا من وجه التاريخ بأفعالهم، لذلك أصبح له منزلة كبيرة في تاريخ ووجدان الشعب العراقي .

وسيركز البحث على مدة لا تزيد عن ستة أعوام من تاريخ العراق المعاصر (١٩١٤- ١٩٢٠)، وما أفرزته تلك السنوات وأحداثها من أثر عميق ومؤثر، لا يقف عند حدوده السياسية، بقدر ما كان مؤثراً في الفكر والعقيدة والتصرف ومواقف الرجال وصفحات التاريخ.

فالحديث عن آثار وأفعال الإمام محمد تقي الشيرازي لا تحيط به أوراق هذا البحث، لأن ذلك فوق قدراته، لكننا سنركز على فعلين أساسيين من أفعال الإمام، لكونهما

حققا لأنفسهما منزلة كبيرة في تاريخ العراق، وبما يمكننا من خلال استقراءهما، التطلع لآثارهما الايجابية في حياتنا، وما كرسته من حقائق ظلت حية ومتواصلة رغم تباعد السنين.

الحرب العالمية الأولى وإعلان الجهاد :

شهدت منطقة الشرق الأوسط مع بدأ تبشير إطلالة القرن العشرين، جملة من المتغيرات العميقة، التي أذنت بانحسار قوى وبروز أخرى، في ظل شكل صراعي، اتخذ أحيانا منحى عنيفا، وفي أحيان أخرى، كانت أشكاله السياسية والاقتصادية والثقافية، تعبر عن مكنونات القوة التي يملكها كلا المتنافسين، وفقا لإمكاناته وقدراته، من خلال تلمسها على الأرض بأشكال مختلفة، وبما يمكن المتنافسين من التعبير عن قدراتهم على الحسم أو التحالف أو طرح النموذج البديل. وقطعا إن ذلك التنافس الذي شهدته المنطقة مع بدايات القرن العشرين، لم يكن إلا وليد نظرة إستراتيجية عميقة، أخذت بالحسبان إمكاناتها مع ما يماثلها عند الطرف الآخر، فضلا عن تقديراتها الأساسية، وهي تقدم على الدخول في هذا التنافس، إزاء ما يمتلكه الإقليم الشرق أوسطي من ثروات مغرية وموقع إستراتيجي متميز، وأسواق تجارية كبيرة ومستهلكت، مما يمكنها أن تؤدي دورا أساسيا في لعبة القوى المتنافسة. والأکید في هذا الجانب، إن جميع القوى المتصارعة والمتنافسة والطامعة، قد قدرت حساباتها في الربح والخسارة، وهي في خضم تلك اللعبة الكبرى التي اتخذت أشكالا متعددة.

وكان العراق في حينه أحد أقاليم الدولة العثمانية، ولكون الأخيرة، قد اصطفت كأحد أطراف الصراع في الحرب العالمية الأولى، وضمن دول المحور "ألمانيا والنمسا والمجر والدولة العثمانية" المضاد لدول الحلفاء "بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وروسيا". فلم يكن من المستغرب، أن تبادر بريطانيا في بداية عملياتها العسكرية ضد

العثمانيين من خلال غزو العراق، والذي كانت طلائعه قد باشرت نشاطها في تشرين الثاني ١٩١٤، عند مدينة "الفاو" الساحلية^١. وكان هذا الإنزال، المثابة التي ابتدأت منها القوات البريطانية قتالها وزحفها المتواصل نحو الشمال حتى إعلان الهدنة عام ١٩١٨.

لقد كان الاتجاه السائد في القيادة العامة المسلحة العثمانية أن ساحة العراق تحتل مرتبة ثانوية بالقياس إلى أهمية الجبهة الروسية العثمانية، ولهذا فإنها أهملت تعزيز الساحة العراقية بالجيش المدرب ذي الكفاية، مؤكدة بذلك عن قصر نظر واضح، إذ عدت مسؤولية الحفاظ على الساحة العراقية، مناطا بقوات الدرك وحرس الحدود، مع ما ينضم لهم من القبائل^٢. دون أن نسقط من اعتبارنا أن أشكال الصراع البريطاني-العثماني قد بدأت منذ القرن السابع عشر، والذي شهد افتتاح أول مقر لشركة الهند الشرقية البريطانية في البصرة عام ١٦٢٣، والذي اتخذ مسارات متعددة، وكان قمته بحصول بريطانيا على الامتيازات والإعفاءات لمنتجاتها داخل أسواق الدولة العثمانية، مع شكل الحماية المبالغ فيها لمواطنيها، هذا غير اتساع اهتماماتها أو نشاطاتها في أمور كثيرة ومتعددة، شكلت دوما ضواغطا على القرار السياسي العثماني.

لقد تعامل المسلمون مع مفهوم الجهاد بأنه أحد الفروض والثوابت الأساسية في الإيمان بالدين الإسلامي، بل إن البعض يغالي حينما يضع هذا المفهوم بدرجة تتقدم على غيره من الفروض، تعبيرا عن الفيض الإيماني والروحي للمعاني التي يحملها. وقد كانت آخر المظاهر التطبيقية للجهاد قد اقترنت بالفتوحات الإسلامية التي عبرت عنها دول وإمبراطوريات إسلامية كثيرة، وفي أوقات متفاوتة، وإن كان ما يفصلنا عن أقرب حالة منها قرون من السنين. فضلا عن ذلك، فإن تشكيل الجيوش الحديثة

للدول الإسلامية لم يخل من مسحة دينية واضحة، الغاية منها تعبئة حماس المقاتلين ومشاعرهم للأهداف والغايات العسكرية المراد انجازها.

ولذلك فحينما باشرت القوات البريطانية بغزو العراق عام ١٩١٤ فكر قادة الدولة العثمانية في الإفادة من الإيمان والروح الإسلامية لشعوبها، وتوظيفه في خدمة الجهد العسكري للدولة، من خلال إعلان حالة الجهاد التي باتت، وفقا للتفسير الإسلامي، "فرض عين" على كل مسلم قادر على المساهمة فيه، بغض النظر عن رأيه في السلطة القائمة.

وعلى الرغم من كل الجهد الذي بذلته الدولة العثمانية في عموم أقاليمها العربية والإسلامية، لترسيخ حالة الجهاد "كفرض عين" على جميع المسلمين بعد هجوم البريطانيين عليهم في العراق، إلا إن ذلك لم يكن واضحا ومنفذا وملموسا، إلا في الإقليم العراقي، أما بقية الأقاليم، فإنهم اكتفوا بـ"الدعاء". ولذلك فإن انطباق القول بالفعل لم يكن متحققا إلا على الأرض العراقية^٤.

على الرغم من نشوب الحرب العالمية الأولى في أوائل آب عام ١٩١٤، بيد أن الدولة العثمانية لم تتخذ إجراءات مسبقة لمواجهة المخططات البريطانية لحماية مصالحها في العراق، فقد أهملت أمر الدفاع عن العراق، أو التخطيط لحالات محتملة تتطلب ذلك. فلم تضع أية خطة عسكرية مدروسة للدفاع عنه، ولم تشرع ببناء أية تحصينات دفاعية، أو تقوم بمناورات عسكرية، أو حتى تزويد المقاتلين العراقيين الذين اعتمدت عليهم بالأسلحة والمؤونة اللازمة، بل كانت تفتقر إلى وجود خرائط جغرافية خاصة بالعراق^٥.

ونتيجة لهذا الإهمال أصبح العراقيون أنفسهم في مواجهة المحتل البريطاني بالقرب من البصرة، التي تعد مركزا مهما لأمن العراق واقتصاده وثرواته الطبيعية والبشرية

. لذلك أرسل وجهاء البصرة في ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ برقيات إلى علماء الدين في النجف وكربلاء والكاظمية، يستنجدون بهم من البريطانيين الذين أحاطوا بثغر البصرة، طالبت منهم حث العشائر على التصدي للبريطانيين خوفاً على بقية مدن العراق أن يحل بها ما حل بالبصرة. وقد تليت هذه البرقيات على الناس في المساجد من قبل الخطباء، ولقيت اهتماماً واسعاً بينهم، إذ أخذ الخطباء يثيرون مشاعرهم بالخطب الحماسية، مؤكدين فيها أن البريطانيين إذا احتلوا العراق فسيهدمون مساجده وعتباته المقدسة ويحرقون القرآن وينتهكون حرمة النساء ويذبحون الأطفال والشيوخ^٦.

وما أن وطأت أقدام القوات البريطانية أرض الفاو، حتى انطلقت المرجعية الدينية لقيادة الدفاع عن البلاد، داعية العراقيين جميعاً للوقوف صفاً واحداً لمواجهة المحتل البريطاني. ولم يقتصر الدور القيادي للمرجعية على إصدار فتاوى الدفاع، وإنما المشاركة الفاعلة في جبهات القتال، إذ قاد علماء الدين جموع المتطوعين، هادفين من وراء ذلك تحقيق استقلال العراق من السيطرة البريطانية.

وبدأ علماء الدين بإصدار نداءات بوجوب الجهاد في البلاد، وفي الوقت ذاته أرسلت السلطات العثمانية من مركزها في بغداد وفوداً إلى المدن العراقية المهمة وفي مقدمتها النجف الأشرف، لتحث علماء الدين على إصدار فتاوى بالجهاد. ولعل أهم تلك الوفود الوفد الذي أرسل إلى النجف، وضم شخصيات اجتماعية ودينية ورسمية، وقد استقبل بحفاوة كبيرة، والتقى عدداً من علماء الدين، وعلى أثر ذلك عقد اجتماع كبير في جامع الهندي حضره العديد من علماء الدين والوجهاء ورؤساء العشائر، وخطب كل من السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الكريم

الجزائري والشيخ جواد الجواهري، مؤكدين وجوب مشاركة الحكومة في دفع البريطانيين عن بلاد الإسلام^٧.

وذهب الشيخ حميد الكلدار، وهو أحد أعضاء الوفد، إلى الكوفة لمقابلة المرجع الديني السيد كاظم اليزدي ومحدثه في أمر الجهاد، فوافق اليزدي على إرسال ولده السيد محمد لينوب عنه في استنهاض العشائر للجهاد^٨.

غادر النجف عدد من علماء الدين مع مؤيديهم متوجهين نحو جبهة القتال، وبدأوا ينزلون في المدن والعشائر الواقعة في طريقهم لتحريضهم على الجهاد. وكان السيد عبد الرزاق الحلو أول العلماء الذين وصلوا إلى السماوة، وكان معه تسعة من أتباعه. وبعد يومين من وصوله وردته برفقة من الوالي جاويد باشا يطلب فيها الإسراع بالمجيء إلى البصرة، فاستجاب السيد لدعوته وأمر أتباعه بالرحيل فوراً نحو البصرة. وبعد أيام من رحيله وصلت إلى السماوة قوافل المجاهدين من مناطق الشامية وأبو صخير والنجف^٩.

ولم تكن تلك الجهود والتحركات بسبب نجاح الدولة العثمانية في عرض خطابها السياسي على رعاياها، بل إن السبب الحقيقي للنجاح جاء بسبب فتاوى رجال الدين، بإجازة الجهاد كفرض عين، رغم أن كثيراً من رجال الدين لم يبرئوا الدولة العثمانية من ممارساتها العدوانية والمقيتة ضد المسلمين، لكنهم كانوا أكثر وعياً من رجال السياسة، حينما اختاروا الانحياز للحالة الإسلامية، رغم كل مرارات التجربة مع العثمانيين. ورغم وجهة النظر القائلة، بأن السلطة العثمانية، سلطة "غاصبة" من وجهة نظر المفهوم "الشيوعي" ولكن حين واجهت هذه السلطة عدواناً وغزواً أجنبياً عام ١٩١٤، فقد استبعد هذه المفهوم، وحل بديلاً عنه، الدعوة للجهاد،

والإفتاء بصوابها، والمشاركة الشخصية وبذل المال والجهد في هذه الحركة الجهادية، لحماية الثغور الإسلامية من اعتداء الكفار.

وفي تاريخ العراق الحديث لعبت الحوزة المدعومة من عشائر الجنوب والفرات الأوسط دورا سياسيا مهما لعل أبرز معالمه كان حينما برز دور علماء الدين من المسلمين الشيعة المهم في توحيد العراقيين وتحقيق الوحدة الوطنية العراقية منذ ما قبل الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤ الذي كان أهم حلقة في تلك الحقبة، فبعد أن أعلن رجال الدين في النجف الاشرف الجهاد ضد المحتلين كتبت صحيفة نجفية مقالا جاء فيه " كلما زاد أعداؤنا ، كلما اشتدت وحدتنا قوة "١٠ ، وهو ما أظهر قوة العامل الديني والقومي لدى أبناء الفرات الأوسط في الدفاع عن البلاد ضد البريطانيين^{١١}.

دور الشيخ محمد تقي الشيرازي في حركة الجهاد :

لقد كان الإمام المرجع الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي^{١٢} من رجال الدين الافداد، الذين واكبوا سير الحركات الثورية في عصورهم ووجهوا مؤيديهم لخدمة مصالح الوطن العليا، بحيث بدى الرجل أسبق من زمانه، واستثناء في حينه في فهم دور المرجعية الدينية "الشيوعية" الوطني. وبذلك فإنه التقط الجاذب والنافع والموحد في الفهم الإسلامي في معالجته أو تصديه لمثل هذه القضايا، حينما أفتى وساند ودعم حركة المجاهدين، بوجه الغزو البريطاني، متمثلا بقول الإمام علي (عليه السلام) : "ما غزى قوم بأرضهم إلا ذلوا". لأنه وجد وعن يقين ثابت أن الوقوف على الأطلال عتاب أو نواح أو كسل لغايات صغيرة، لا يجدي نفعاً، أمام هذه الافتتاحية المتعددة لأشكال من القوى الطامعة في أرضنا وخيراتنا، وخير رد عليها، يكون بالمعادل

النوعي المتمثل بالجهاد الذي وجد الشيرازي في شكل ما متحقق "فرض عين" على كل مسلم في أرض الإقليم الذي يتعرض لهذا الغزو.

لقد كان الإمام الشيرازي يجد في حركة الجهاد، سفراً إيمانياً لكل مشارك فيه، يمكنه من إعادة صقل وتهذيب النفس، بما يبعد عنها ما لحق بها من أدران، بحيث يكون جهاد النفس، متوازياً مع الجهاد الآخر، دفاعاً عن الأرض والعرض. وفتواه وفتوى غيره من العلماء، في دعم وإسناد حركة الجهاد^{١٣}، عبرت عن أفق وزمان إسلامي لا يتكرر، تصاغت معه أزمان أخرى، بدت عاجزة أن تمسك حتى بأطرافه، لأن الإمام الشيرازي والعلماء الآخرين، أرادوا الإمساك بالتاريخ، لا بال اللحظة، لأن في ذلك امتحاناً لإيمانهم قبل أن يكون امتحاناً لوطنيته، ولذلك ظلت وقائع ما حصل رغم مرور قرن كامل عليها، ذكرى عطرة لا تمحيها كل الأحداث، لأنها تعاملت مع الإسلام التكاملي، لا الإسلام المجزأ والمقسم، وفقاً لرغبات الطوائف والملل وما أكثرها.

كما كان للإمام الشيرازي دوره الأساس في تعبئة الصفوف وشد الهمم وإدامة زخم المجاهدين، بكل الوسائل والمعونات، التي تمكنهم من إدامة فعلهم الجهادي. وكان سماحته يجتهد في بلورة موقف واحد لجميع علماء المسلمين إزاء الأحداث التي تتعرض لها البلاد الإسلامية المختلفة، لاسيما في سعي البعض من الدول الاستعمارية لاحتلال أو سرقة ثرواتها^{١٤}. ولقد أفتى معظم علماء الدين ومن المذهبيين "السني والشيعة" بوجوب الجهاد لدفع الضرر عن المسلمين، حيثما تقتضيه أحكام الشريعة الإسلامية.

والإمام الشيرازي حينما أفتى للجهاد، وشاركه آخرون في ذلك، فإنه جلى الصدا الذي كان يريده البعض أن يكون دائماً، مع شكل عدواني وغير تعاوني، كأحد المميزات الأساسية لصورة ذلك الزمان بين المذاهب الإسلامية، مترفعاً بذلك عن التذرع

بأسباب أخرى، تعطل الجهد، كأن تكون الدولة "سنية" والمفتى "شيعيا" رغم ظلم وتعسف تلك الدولة على مواطنيها من الشيعة، وكان بذلك أوسع عقلا وحكمة ووطنية من قاداته السياسيين، هذا أولا، وثانيا: فإنه بفتواه، خدّم المذهب الشيعي، أيما خدمة، حينما ارتفع بمفهوم الوطنية على الطرح المذهبي، وأظنه بذلك، كان من أوائل المراجع الذي يرغبون بالفصل بين السياسة المطبقة وما تقول به الشريعة، رغم إدراكه بضرورة مشاركة رجال الدين وتصدرهم الصفوف في أوقات معينة تستوجبها الضرورات الوطنية والدينية، لكن الأكيد أن فهمه كان يؤكد على ضرورة ترك السياسة لأهلها، على أن لا تتقاطع مع ثوابت الدين الإسلامي.

وبغض النظر عن سلوك العثمانيين مع العرب، فقد عدّ الغزو البريطاني للعراق اعتداء على حوزة الإسلام، الأمر الذي يستوجب الجهاد بالنفس والمال. وهذا ما فعله علماء ومجتهدو الإسلام في العراق، حينما أصدروا الفتاوى الدينية التي تدعو للجهاد والدفاع عن أرض الإسلام، مما خلق جوا من الحماسة الدينية كانت الدولة العثمانية بحاجة إليه في ذلك الوقت^{١٥}.

وقد شهدت حقول "البرجسية" في منطقة "الشعبية" تواجد المجاهدين من طوائف العراق وقومياته كافة إيمانا منهم بضرورات المواجهة، دينيا ووطنيا، وقد قدر الكثير من الباحثين أن عدد المجاهدين في تلك الموقعة كان بحدود "١٨,٠٠٠"، ينتمي نصفهم إلى قوات إمارة المنتفق^{١٦}.

وفي هذا الجانب علينا أن نشير إلى أن العلامة "هبة الدين الشهرستاني" أحد وكلاء ومقلدي الشيرازي كان يشرف ويدعم ويحرض قبائل المنتفق على استمرار الجهاد دون توقف، رغم انسحاب الكثير من العشائر بعد معركة الشعبية التي جرت في

نيسان ١٩١٥ من الاستمرار بالجهاد، وهذا ما حدث، إذ ظل مقاتلو المنتفق دون بقية المجاهدين يقاتلون الغزاة حتى يوم الهدنة في ١١ تشرين الثاني ١٧١٩١٨.

ولدينا صور من الرسائل المتبادلة بين هبة الدين الشهرستاني وقائد قوات المجاهدين عجمي باشا السعدون بخصوص الحركات العسكرية والدعم المطلوب، وموقف بعض العشائر المنسحبة، أو تلك التي استمرت بالجهاد.

ودعما لحركة الجهاد، فقد وجه الإمام الشيرازي بصرف الحقوق الشرعية كافة لدعم حركة الجهاد وإدامة زخمها، كما أولى اهتماما بضرورة تحذير الناس من الاصطفاف مع الأجنبي، بوجه الدولة المسلمة، تحت هذه الحجة أو تلك^{١٨}.

والقراءة المتفحصية لهذه الأفعال، تدل على عمق الروح الإسلامية الصادقة والمتجذرة في نفسية الإمام الشيرازي، بحيث أجاز صرف الحقوق الشرعية للحوزة العلمية على حركة الجهاد. ولا أظن أن هناك من سبقه أو لحقه من العلماء بهذا الفعل الجريء، رغم تشابه الأحوال في أزمان أخرى، إدراكا منه بتقديم الأهم على ما عداه. كما إن تحذيراته لعموم الناس من الاصطفاف مع الأجنبي تؤشر بدلالات واضحة عن المعنى الروحي والوطني والديني لتلك الدعوة النبيلة التي تسعى إلى تقديم الإسلام وأهله بشكل تكاملي واحد أمام منافسيه أو أعدائه.

إن نتائج معركة الشعبية، التي انتهت لصالح الغزاة، جاء بسبب فارق الإمكانيات التسلحية والقوة النارية التي يملكها الطرفان، ولم يكن الأمر منطوقا في نتائجه النهائية بشجاعة الرجال. فقد قدمت القبائل العراقية، بكامل جهدها المتميز في هذا الجانب، مسنودة في ذلك بفتاوى رجال الدين وقبول وتشجيع المجتمع لما يفعلوه^{١٩}.

كما إن السياسة البريطانية التي تمكنت في وقت سابق من تأسيس ركائز دعم لها، داخل الأنشطة الأساسية والحساسة في المجتمع العراقي، قد نجحت بجهد

الاستخباري والسياسي من تنشيط الهمم والمعنويات مما دعا البعض من القبائل والعشائر للانسحاب من حركة الجهاد. بل إن البعض تطوع لقتال وتضييق الخناق على من ظل يواصل الجهاد بوجه الغزاة، كحال إمارة المنتفق التي لم تلق السلاح بوجه العدو، إلا يوم الهدنة^{٢٠}، مما قلل من حجم وزخم الفعل الجهادي بوجه القوات الغازية، وأتاح لها القدرة في بسط نفوذها على العراق عموماً.

الاحتلال وثورة العشرين :

بعد أن تمكن البريطانيون من احتلال العراق، وضعوا وعودهم التي أعلنها الجنرال مود يوم احتلاله بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ خلف ظهورهم، هادفين أن يستنسخوا تجربتهم في الهند لغرض تطبيقها في العراق، إلا إنهم واجهوا رفضاً جماهيرياً واسعاً، ساندته جملة من الفعاليات المعززة للتوجه.

تعززت الوحدة الوطنية مرة أخرى من خلال موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من الاستفتاء العام الذي قامت به إدارة الاحتلال البريطاني في العراق عام ١٩١٨، حول تأسيس حكومة وطنية فيه يكون المندوب السامي السير (بيرسي كوكس) رئيساً لها، وحينما عرض البريطانيون أشكال ذلك التوجه، اصدر المرجع الشيخ محمد تقى الحائري الشيرازي فتواه التوضيحية لعموم مسلمي العراق، إذ جاء فيها "ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين"^{٢١}.

وقد عد انتقال المرجع الشيخ الشيرازي إلى كربلاء المقدسة ضربة حقيقية للإدارة البريطانية كونه عمل على إعادة توحيد العراقيين من خلال الوحدة التي قامت بين القوميين ورجال الدين وشيوخ العشائر خلال الحقبة من أيار ١٩١٨ وحتى نيسان ١٩٢٠، إذ جرى التوقيع على مضابط من كافة الجهات العشائرية ورجال الدين

ومثقفى الفرات الأوسط على الاستقلال التام والحكم العربي^{٢٢}، وما كان ذلك ليحدث لولا نفوذ الشيخ الشيرازي وابنه محمد رضا بعد عودتهما من سامراء، إذ توضح تأثير ذلك في دور الحوزة العلمية في تحقيق الوحدة الوطنية العراقية الذي أضفى الطابع القومي للحركة وأكسبها سمات (دينية)، فكان اجتماع القوميين والإسلاميين على استقلال العراق التام وقيام الوحدة الوطنية العراقية في ظل ملك دستوري من أنجال الشريف حسين أتاح هذا البرنامج قيام وحدة وطنية عراقية^{٢٣}.

هذه الفتوى، هي من نشطت وأسندت الدعوة العراقية لانجاز هدف الاستقلال وانتخاب أمير عربي على العراق، حينما جعلت الدين والوطنية، يجريان باتجاه واحد، هدفه الأساس الوطن والمواطن. وقد عزز ذلك النشاط بإرساله رسائل لجميع قادة الدول الكبرى المجتمعين في مؤتمر فرساي لإقرار السلم العالمي عام ١٩١٩، يدعوهم لإسناد المطالب العراقية بنيل الاستقلال. كما كتب رسالة طويلة للرئيس الأمريكي "ودرو ويلسون" يذكره فيها بنقاطه الأربع عشرة، ويطلب تدخله لانجاز الاستقلال وإبعاد البريطانيين عن الإشراف على الشؤون العراقية^{٢٤}.

لقد كان الإمام الشيرازي على معرفة جيدة ومطلعة على قدرات الطرفين البريطاني والعراقي والتي تميل لصالح المحتل، ولذلك فإنه دعا العراقيين إلى سلوك النهج السلمي للمطالبة بحقوقهم "تظاهرات واعتصامات، ومؤتمرات، ومذكرات ورسائل احتجاج،... الخ" تقديرًا منه، بطرق كل أبواب العمل المتاحة في حينه^{٢٥}.

كما كان جهده متميزًا وواضحًا في بلورة وتحشيد جهد جميع العراقيين في مطالبهم بالاستقلال في أعوام ١٩١٩ و ١٩٢٠، بحيث كانت شخصيته محور التجمع لجميع الفئات في شكل نشاطها. وكان مقره في "كربلاء" بعد انتقاله لها من

سامراء، لرغبته في أن يكون قريباً من نبض الميدان، لا يخلو من أحد الموفدين من مختلف أنحاء العراق، ولعل توجيهه بانتخاب ممثلين عن الشعب لمواجهة سلطات الاحتلال، ونقل رغبات الشعب بالتححر والاستقلال، يمثل نقلة نوعية لشكل التوجه المطلوب لانجاز الاستقلال، لاسيما وأنه دعم ذلك التوجه بكتابين أساسيين، يحث الجميع على العمل بهما، وفقاً لهذا الاتجاه^{٢٦}.

إن تجاهل المحتل لرغبات الشعب، دفع الجميع لتغيير اتجاه أشكال المطالبة، وتصعيدها بما يمكنها من التأثير في شكل وصناعة القرار السياسي الخاص بالعراق، بحيث بدت أنشطة الحركة الوطنية العراقية، تؤثر في مجمل أوضاع المحتل، ولذلك ارتأت إدارته، بنفي عدداً من رجال الحركة الوطنية، خارج العراق، وكان من بينهم المرزا "محمد رضا الشيرازي" نجل الإمام الشيرازي، لكن ذلك لم يكن حادثاً يوقف نشاط الإمام في التوجه نحو تحقيق أهداف الوطنيين العراقيين الرامية للتححر والاستقلال، وطلب سماحته من قادة الرأي والعشائر، عدم ربط عودة ابنه كمعادل للأهداف الوطنية حينما يطرحها المحتل كتسوية^{٢٧}.

فضلاً عن ذلك فإن انسحاب أو تراجع بعض القيادات الدينية العراقية المؤثرة، في دعم مطالب العراقيين أو تمسكهم في الابتعاد عن إعطاء رأي واضح وصريح في ما يخص الاستقلال والنشاط السياسي. هذا الأمر دفع القيادات الميدانية في بغداد والنجف الاشرف ومناطق الفرات الأوسط، أن تودع للشيرازي زعامة الثورة روحياً، إزاء ما عرف عنه من جرأة وحزم وإقدام، لاسيما أنه ترافق مع ذلك التوجه، انتقال الزعامة المرجعية له، بعد وفاة سلفه، الشيخ "كاظم اليزدي" في نيسان ١٩١٩، مما أضفى على معسكر الاستقلاليين، الكثير من القوة والجرأة والحزم، وهما ما كانت تحتاجه الأوضاع السائدة آنذاك^{٢٨}.

لقد كان لشخصية الإمام الشيرازي الوطنية والمخلصة والأمنية والراعية لحقوق المسلمين عموماً دوراً أساسياً في وحدة المسلمين في العراق، بغض النظر عن مذاهبهم أو مللهم، وهذا ما كان واضحاً في الفعاليات التي سبقت الثورة، والتي كانت تتوشح دوماً بعلم وموافقة الشيرازي المعنوية والدينية، مما أعطاهما زخماً قوياً ومؤثراً. لقد كان سماحته يرجو حصول العراقيين على مطالبهم من خلال الاتجاهات والفعاليات السلمية، لكن فشل ذلك الاتجاه جراء تعنت البريطانيين وغرورهم، دفعه أن يكون راية الثورة وعلمها والمسند الأول والأخير لها، وصاحب الكلمة النهائية في تقاريراتها، حيثما تستوجبها الحاجة^{٢٩}.

لقد بقيت الآثار الدالة على روحية الجهاد، كامنة في نفوس جميع العراقيين الذين خبت نفوسهم إزاء عدم انطباق ما قاله الجنرال مود بأنهم "جاءوا محررين وليس محتلين" مع وقائع ما يحدث، لذلك كان الأبواب مشرعة نحو الثورة التي كانت تنتظر ملهماً لها، وهذا ما تكفل به الإمام الشيرازي حينما وضعته الأقدار، رجل الساعة المطلوب لإدارة دفعة العمل. ولم يخيب الرجل رجاء وأمل من وضعوا على عاتقه هذه المسؤولية. لأنه بعد أن فشلت الوسائل السلمية في إقناع السلطات البريطانية بتغيير موقفها تجاه مطالب العراقيين المشروعة، فقد التقط لحظة المستقبل البادية في الأفق، رغم ما يحيط بها من ضباب وأمل مؤجل، حينما أذن بالثورة، لأنها القادرة على تغيير كامل الأوضاع، أمام جيروت وغرور محتل طاغ، لا يتورع عن أي شيء في سبيل ديمومة احتلاله، بما يمكنه من نهب وسرقة ثروات وخيرات البلد، ولذلك كان رده على من استفتاه من الزعماء والرؤساء، في جواز القيام بالثورة ضد المحتل، بإصداره فتوى أجاز فيها الثورة المسلحة، سميت بالفتوى "الدفاعية" جاء نصها كالآتي: "مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب من ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية، إذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم"^{٣٠}.

وترافق مع تلك الفتوى، حادثة الرميثة (سلطان)، التي أرخت كبدائية للثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، مما قطع على المترددين كل خيارات المودعة والرجاء التي كانوا يأملونها عند الطرف البريطاني، بحيث بدا أن خيار العنف والقوة، هما الفاصل في شكل النتائج النهائية للصراع. وارى إن فتوى سماحته، بمباركة الثورة، جاءت بعد تيقنه بعدم تغير القناعات البريطانية الخاصة بموضوع الاستقلال، وهذا أمر يتعارض ورغبة عموم الناس، ويتقاطع في الوقت نفسه مع مزاجية وقناعات الإمام الشيرازي، كما إن فتواه للثورة جاءت رغم إدراكه بعدم توازن القوى عند طرفي الصراع، لكنه عبر عن صميمية وطنية خالصة ونزعة ثورة متميزة، لا تتهيب من مواجهة الصعاب والتصدي لها. كما إن فتواه هي من سيرت مسالك الثورة وأدامت زخمها للمرحلة التي امتدت بها، إذ كان لوجوده ودعمه المتواصل للثوار قوة دفع مضافة لقدراتهم على المطاولة، ولذلك، وبدون تجن على أحد أو تجاوز على حقوق الآخرين، فإننا نرى إن فتوى سماحته هي من أسست العراق الحديث، بغض النظر عما قيل سابقا ولاحقا على أحداث الثورة ونتائجها النهائية، فضلا عن ذلك، فإنه لولا تلك الفتوى لما قاتلت العشائر تلك المدة "خمسة شهور"، إذ كانت لقاءاته مع الثوار متواصلة وأساسية للعمل المشترك^{٣١}.

لقد استمر تصاعد قوة الثورة بشكل متنام، لكنها واجهت ضربة موجعة، تمثلت بوفاة ملهمها وقائدها الروحي الإمام الشيرازي في ١٣ آب ١٩٢٠، مما خلف أثرا بينا على نشاط وفاعلية الثوار، رغم إن خليفته في المرجعية شيخ الشريعة الأصفهاني سلك طريق الدعم والإسناد للثورة ومنهجها، ساعده في ذلك وجود الشيخ مهدي الخالصي أحد أبرز القيادات الحركية والثورية في تاريخ العراق المعاصر، قد حافظ على روحية العمل الثوري^{٣٢}، إلا إن آثار غياب الشيرازي كانت واضحة، لاسيما في

تحلل بعض القيادات العشائرية من وعودها التي كان وجود الإمام الشيرازي حيا، تأكيداً على التزامها. ولا أجد مبالغة، حينما أقول، إن الثورة "قبل" وفاته كانت شيئاً، و"بعد" وفاته أصبحت شيئاً آخر، رغم عدم انحرافها عن مساراتها الأساسية التي رعى نموها منذ وقت طويل.

لقد كان فعل القيادات الدينية الداعمة للثورة محل استهجان وعدم رضى وقبول من قبل السلطات البريطانية، ولذلك أبغض البريطانيون، الإمام الشيرازي لأنهم وجدوه خارج إطار تأثيراتهم، مع تباعده عن نغمة الطائفية التي يجيد البريطانيون وأعوانهم من المعتاشين عليهم العزف عليها، مع تطلعه الشديد لانجاز الاستقلال بإصرار لا يلين، ولذلك فإنه لا تجد غرابة حينما يصفه البريطانيون بكل ما هو مسيء لسماحته^{٣٣}، لكنه بزهم بكل مزاياه حين وضع معادلة القوة الوطنية كمعادل لقوة الاحتلال، مراهنا بكل طاقاته وجهوده وزخمه المعنوي والاعتباري، على القوة الوطنية، دون أن يعير للسلطة واغراءتها أي اهتمام أمام الأهداف الوطنية، وبذلك فإنه يطل على المشهد التاريخي العراقي في أي وقت، دون أن يكون من حق غيره الادعاء بذلك، لجهاديته ومبدئيته وإسهاماته الايجابية في بناء الوطن العراقي ونظرته الشمولية للإسلام التكاملي.

الخاتمة :

يعد الشيخ محمد تقي الشيرازي أحد اهم الشخصيات في تاريخ العراق المعاصر، ذلك أنه كان من أبرز زعماء حركة الجهاد التي واجهت غزو الجيوش البريطانية للعراق . ويعود له الفضل بحدثين كبيرين، لولاهما لما تشكلت الدولة العراقية الحديثة، وهما فتواه التي حرمت اختيار غير المسلم لحكم المسلمين عندما كانت الإدارة البريطانية تفكر بحكم العراق حكما مباشرا، بنظام شبيه بحكمهم في الهند. والحدث الثاني فتواه في ثورة العشرين، تلك الفتوى التي اجبت الثورة وأدامت زخمها، ذلك أنه أصبح القائد والملمه للثوار وزعماء العشائر العراقية .

الهوامش:

- ١ عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٣، بغداد ١٩٦٧، ص٦٧.
- ٢ خالد حمود السعدون، الأوضاع القبلية في ولاية البصرة ١٩٠٨-١٩١٨، شركة الربيعان، الكويت، ١٩٨٧، ص ٣٦١.
- ٣ ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ط٦، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة أركان، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٥٨.
- ٤ حميد حمد السعدون، إمارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراقي والمنطقة الإقليمية، ط١، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٩، ص ٢٥٨.
- ٥ شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ط٨، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤، ص ١٦.
- ١٧ رجاء زامل كاظم، دور المرجعية الدينية في العراق في قيادة حركات الجهاد بين عامي ١٩١٤ و١٩١٨، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد ٥٨، اذار، ٢٠١٧، ص ٣٧٥.
- ٦ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٤، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٤، ص ١٢٧.
- ٧ عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦، ص ٦٩؛ رجاء زامل كاظم، المصدر السابق، ص ٣٧٦.
- ٨ علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٢٨.
- ٩ عبد العزيز القصاب، من ذكرياتي، بيروت، ١٩٦٢، ص ١٠٨-١١٢؛ رجاء زامل كاظم، المصدر السابق، ص .

- ١٠ صحيفة العلم - وهي مجلة هبة الدين الشهرستاني - ، النجف الأشرف، السنة الثانية، العدد ٧، صادرة بتاريخ ٢٣/ تشرين الثاني/ ١٩١٤.
- ١١ عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٥-٣٦.
- ١٢ هو الميرزا محمد تقى الحائري الملقب بالشيرازي سليل الأسرة العلوية الجليلة في شیراز التي عرفت في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وهو أول من هاجر من شیراز إلى العراق قاصدا الحوزة العلمية الكبرى في العتبات المقدسة. للمزيد ينظر: عبد الحسين الصالحي، آل الشيرازي وتاريخ المرجعية العظمى، مجلة النبأ، العدد ٦٩، ٩ ذي القعدة ١٤٢٣ الموافق كانون الثاني ٢٠٠٣، ص ١٠.
- ١٣ عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ط ٢، مطبعة الشريد، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٠٧.
- ١٤ رشيد الخيون، المشروطة والمستبدة، ط ١، منشورات معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٥٧.
- ١٥ علي الوردي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٧.
- ١٦ مكي شيككة، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، ج ١، بيروت ١٩٧٠، ص ١٢٣.
- ١٧ حميد حمد السعدون، المصدر السابق، ص ٢٥٨.
- ١٨ ريد فسر، البصرة وحلم الجمهورية الخليجية، ط ١، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات دار الجمل، كولونيا (ألمانيا) - بغداد، ٢٠٠٨، ص ٢٢٠.
- ١٩ شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ط ٦، دار التضامن، بغداد، ١٩٦٧، ص ٣٧.
- ٢٠ للاستزادة حول هذا الموضوع، يراجع: المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط، بيروت، ١٩٧١؛ ارنولد تي ويلسون، بلاد ما بين النهرين بين ولاءين، ج ١، ترجمة وتعليق فؤاد جميل، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢؛ وميض عمر نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، مطبعة جامعة صلاح الدين، ١٩٨٦؛ عبد العزيز القصاب، من ذكرياتي، ط ١، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٢؛ محمد خليفة النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط ١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٦.
- ٢١ علي الوردي، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٣؛ عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، الجزء الأول، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٢٩-١٣٠.
- ٢٢ عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٣٧.
- ٢٢ وميض عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣٥٣.
- ٢٣ المصدر نفسه، ص ٣٧٣.
- ٢٤ المصدر نفسه، ص ٢٣٥.
- ٢٥ عبد الله الفياض، المصدر السابق، ص ٢٤٣.

^{٢٦} علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ط ٢، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٩١، ص ١٢٠-١٢٢.

^{٢٧} عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٨٣.

^{٢٨} علي البازركان، المصدر السابق، ص ٩٢-٩٨.

^{٢٩} علي الوردي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٣٤.

^{٣٠} عبد الله الفياض، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

(سلطان) حادثه الرميثة: اعتقل حاكم الرميثة البريطاني الشيخ "شعلان أبو الجون" شيخ عشيرة الضوالم من قبائل "بني حجيم"، بحجة تأخره بسداد الضرائب المترتبة عليه، لكن واقع الحال أن اعتقاله جاء تحسبا من تأثيره وفعاليته في ادامة زخم الثورة التي بدأت تباشرها تتضح. وقد ارسل له ابن عمه الشيخ "غثيث الحرجان" قوة اقتحامية مكونة من عشرة أفراد من أبناء العشيرة، نجحت في تحرير "أبو الجون" واطلاق سراحه، وأرخت هذه الواقعة كبداية لثورة العشرين. وقد ظلت عشائر بني حجيم تقاتل البريطانيين طوال أيام الثورة، ولم تلق سلاحها اعتباطا، إلا بعد اتفاق متبادل بين الطرفين. وكانت وقائعها في "الرارنيجة" و"العارضيات" والتي اوقعت بالبريطانيين خسائر كبيرة.

^{٣١} رشيد الخيون، المصدر السابق، ص ١٧٧.

^{٣٢} عبد الله الفياض، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

^{٣٣} علي الوردي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٥.

دور المرجعية الدينية في الجهاد المقدس ضد الاحتلال البريطاني للعراق

من ١٩١٤ وحتى الانتداب ١٩٢٢

أ.د. عمار علي محمد حسين الطائي

قسم التاريخ _ كلية التربية/جامعة القادسية

المقدمة:

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م، نجحت بريطانيا العظمى في بسط نفوذها وسيطرتها على العديد من الدول، وبالأخص الإسلامية منها، ففي العراق، تقدم الجيش البريطاني واحتل البصرة في ٥ تشرين الأول ١٩١٤ م. وكانت هذه الحملة البريطانية على العراق هي أولى عملياتها الحربية ضد الدول العثمانية. يوم كان العثمانيون حلفاء لألمانيا. وقد ضم الجيش العثماني الذي واجه الغزو البريطاني، إضافة إلى الجيش النظامي، مجاميع كبيرة من المجاهدين العراقيين بزعامة علماء الدين، الذين وجدوا أن مصلحة الإسلام والوطن الإسلامي وأبنائه توجب الوقوف مع الدولة العثمانية في مواجهة الغزو البريطاني، انطلاقاً من الرؤية الإسلامية الجامعة بينهما.

إن عملية تعبئة الجماهير المسلمة، بمختلف الطوائف في بداية التصدي لدخول الانجليز لشعر البصرة تمت من خلال الشعور الإسلامي والواجب الشرعي الذي يحتم على الفرد المسلم إتخاذ موقف الجهاد. فلم تتم التعبئة عن طريق المفاهيم الوطنية المجردة، أو عن طريق استمالة العشائر بالترغيب والترهيب، وإنما كان انقياداً تاماً للفتوى والأحكام الشرعية. فصدرت في الشهر الأول من دخول تركيا في الحرب، عن شيخ الإسلام، فتوى الجهاد باعتباره صاحب أرفع منصب ديني في الدولة العثمانية، أنه "فرض عين" على جميع المسلمين في العالم، ومن بينهم الذين يعيشون تحت حكم

بريطانيا وفرنسا وروسيا أن يتحدوا لمقاومة هذه الدول الثلاث عدوة الإسلام وأن يحاربوا حلفاءها.

لقد كانت المرجعية الشيعية ترى في جهاد الانجليز حكما قاطعا لا يمكن التخلي عنه او التردد فيه ، فلم تكن حركتها (الجهاد) منبعثة من نظرة سياسية بحتة ولا أبعاد طائفية تستوقفها او تجعلها تشك في وجوب الجهاد ضد الانجليز ، وإنما كانت النظرة شاملة وكاملة في الحفاظ على بيضة الإسلام ، بغض النظر عن السياسة الطائفية التي مورست وتمارس من قبل سلطات الدولة العثمانية. الامر الذي شكل دافعا قويا" للكتابة بشكل معمق عن دور المرجعية الدينية في الجهاد المقدس ضد الاحتلال البريطاني للعراق، وعلى هذا الاساس جاء البحث الموسوم (دور المرجعية الدينية في الجهاد المقدس ضد الاحتلال البريطاني للعراق من ١٩١٤ وحتى الانتداب ١٩٢٢)، ليسلط الاضواء على الدور الحيوي والمهم الذي لعبته المرجعية الدينية في العراق خصوصا وفي المدن الشيعية المقدسة كالنجف الاشرف وكربلاء والكاظمية وسامراء في حركة الجهاد ضد الاستعمار البريطاني البغيض بالتعاون من كافة فئات الشعب العراقي واطيافه .

تألف البحث اعلاه من مقدمة ومبحثين كان الاول عن (دور المرجعية في التصدي للاستعمار الانكليزي ومقاومته بعد احتلال البصرة عام ١٩١٤ ، بينما كان المبحث الثاني (موقف العلماء و القوى المعارضة من احداث العراق منذ بداية لثورة العشرين وحتى تأسيس الحكومة المؤقتة)، اضافة الى خاتمة باهم النتائج والاستنتاجات التي توصل اليها البحث ، فضلا" عن ثبت بالمصادر والمراجع المستخدمة في البحث.

ويبقى ماكتبناه دون الكمال باشواط كبيرة جدا لان الكمال لله سبحانه وتعالى وحده جلت قدرته وما التوفيق الا من عنده ونسأله النجاح والفلاح.

المبحث الاول

دور المرجعية في التصدي للاستعمار الانكليزي ومقاومته بعد احتلال البصرة عام

١٩١٤

تمهيد: عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤، بين دول المحور بقيادة المانيا، والحلفاء بقيادة بريطانيا، وقفت السلطة العثمانية إلى جانب ألمانيا ومحورها ضد بريطانيا وحلفائها. وهذا ما كان منتظرا حيث لم تتأخر بريطانيا عن غزو العراق مبتدئة باحتلال ميناء "الفاو"، في السادس من شهر تشرين الثاني ١٩١٤. وفي اليوم السابع من الشهر نفسه أصدر شيخ الإسلام في الاستانة، فتوى اعلن فيها: "أنه فرض عين على جميع المسلمين في العالم، ومن بينهم الذي يعيشون تحت حكم بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا، أن يتحدوا لمقاومة هذه الدول الثلاث عدوة الاسلام" (١).

لقد رافق وصول فتوى شيخ الاسلام بالجهاد، ضد الإنكليز، إلى العراق، وصول برقيات استنجاد من علماء مدينة البصرة ووجهائها الى كبار المجتهدين في النجف وكربلاء والكاظمية وغيرها من المدن الشيعية المقدسة، ومما ورد في كل برقية: "تغر البصرة، الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الاسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع" (٢). ويذكر المؤرخ انطونيوس ان شيخ الاسلام وثمانية وعشرين عالما دينيا اصدروا بيانا باذن السلطان بنشره، جاء فيه: "انا نامر بان يوزع هذا البيان على جميع الاقطار الإسلامية" وقد اهاب البيان بجميع مسلمين العالم - سواء كانوا من رعايا دول الحلفاء ام لم يكونوا - ان يطيعوا كتاب الله واما امره كما فسرته الفتوى الشريفة و ان يشتركوا في الدفاع عن الاسلام و

الاماكن المقدسة". (٣)، ولقد نسخت الفتاوى والبيانات و النداءات ملايين النسخ وزعت بطريقة او بأخرى في جميع الديار الإسلامية ، وعلى الكثير من المسلمين القاطنين في بلاد الحلفاء . لكنها لم تلق اذنا صاغية نتيجة عدم الاحساس بالمسؤولية الدينية التي تقتضيها حركه الجهاد او واجب الجهاد الذي يفرض الاسلام عينا على كافة المسلمين اينما كانوا . فالدعوة الى الجهاد كما يؤرخ الباحثون لتلك الفترة من القرن العشرين شكلت صدى في واد او نفخ ريح في شبك في كافة الاقطار الاسلامية التي وقفت: اما موقف المتفرج، او موقف المشغول لمعالجة الاستعمار الجاثم على صدره او موقف المؤازر عسكريا لجيوش الحلفاء كما حصلت في الحجاز مثلا (٤). ففي الوقت الذي كانت النجف والمدن الشيعية العراقية سنة ١٩١٤م تعبئ قواها و تجند طاقاتها، بعد اعلان المرجعية الجهاد المقدس ضد البريطانيين الذين نزلوا في منطقة الفاو في البصرة ، كان أمير مكة ، الشريف حسين بن علي - وبالاتفاق مع بريطانيا - يعبئ قواه البشرية ولاسيما قبائل الحجاز للثورة ضد العثمانيين ولكن بأموال واسلحة بريطانية، : "اجل نشبت الثورة العربية في تشرين الثاني نوفمبر ١٩١٦م ، بيد ان العرب لو كانوا قد علموا من قبل ما قد تم في المعاهدة السرية بين بريطانيا وفرنسا لما قدحوا لتورثهم زنادا ولا اضرموا لها نارا، وفي ذلك الشهر الذي شبت فيه الثورة العربية عقدت الدولتان المذكورتان معاهدة سرية اخرى هي معاهدة سايكس بيكو المشهورة ، اتفقت بموجبها اتفاقا باتا على تقسيم الاراضي العربية في الامبراطورية العثمانية" (٥).

وفي هذا السياق و حيال ما فرزته الثورة الشريفية (٦) من نتائج سلبية على العرب و المسلمين، كان لجملة من الباحثين العرب مواقف و تعليقات موضوعية . كان محورها : " لقد حملت تلك النتائج من الاثار المروعة الى حد الذي دفنت معه ، لا امال

الجامعة و حسب ، بل و امال بعث الدول العربية كذلك ، كان ما هو اصرار على اظهار امل طال انتظاره ثم ذبحه علانية دونما وراء ولا وجل (٧) .

ولعل مايؤكد هذه المواقف ووجهات النظر المطروحة من جهة، والخطأ الفادح الذي ارتكبه الشريف وأبنائه عن علم أو عن جهل، هو اعترافات الشريف نفسه بالأمر الواقع حيث يقول: "وفي الفترة بين ١٩١٦ - ١٩١٨ وهي فترة اشتراكنا في الحرب الى جانب القوات البريطانية ، لكنني، يا للأسف سرت في الطريق المعاكس تماما لشعبي ، وكنت في قرارة نفسي ، أشم رائحة المؤامرة التي كانت تنسج خيوطها في لندن وباريس وواشنطن، وأخدعهم وأخدع نفسي أيضا، ولولا ذلك لما انتصر الجنرال ادموند اللبني، ولما دخل القدس في ٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٧م منهايا الحرب ضد الاتراك" (٨).

ويعترف آرثر هنري مكماهون المعتمد البريطاني على مصر ١٩١٥ و ١٩١٦ ، الذي جرت بينه وبين الشريف رسائل عدة حول العرب والثورة العربية ضد الاتراك، بأمور هامة تتخللها رسائله ومن جملتها: الكشف عن عملية تنفيس دعوة شيخ الاسلام الى الجهاد المقدس ضد البريطانيين و خداعه في رسائله للشريف حسين حيث يقول: "كان العرب هم المفتاح السحري لأهم مشاكل الحلفاء مع تركيا : فاذا اثاروا على الاتراك عجز الاتراك عن تهديد قناة السويس، ولم يجد خليفتهم اذنا تصغي اليه عندما يعلن الجهاد المقدس" (٩). ويتابع مكماهون اعترافاته قائلا: "لم يكن هناك مفر من التعامل مع الشريف حسين في ضوء الظروف الجديدة والخضوع نسبيا لشروطه ومحاولة ارضائه ، وافضل الف مرة ان يقولوا هذا الرجل خدم الامبراطورية على ان يقولوا هذا رجل منح العرب استقلالهم" (١٠).

وعلى اي حال فقد شكل العراق استثناء مميزا يعتبر فريدا بين تلك المواقف من اي نوع وانبرى بقيادة العلماء ليتصدى للغزو الاجنبي باذلا الغالي والرخيص في سبيل انجاح مشروع طرد الغزاة الاجانب (١١).

وفي هذا السياق اكد احد معاصري تلك الفترة ان "من المؤكد اليوم ان كلمة "الجهاد" الاسلامي التي كانت تخشاهما الدول الاوربية ذات الرعايا الاسلامية الكثيرة لم تثر العاصفة المنتظرة، واذا استثنينا بعض حوادث صغيرة فإن العالم الاسلامي وقف موقف المتفرج منها، فلم تحدث هذه الدعوة التأثير الذي كان يتوقعه الترك ويتوقع مثله الانكليز، واذا كانت الدعوة الى الجهاد قد فشلت في اكثر البلاد الاسلامية (١٢).

تلقت النجف بمرجعيتها وحوزتها ومجتمعها وكذلك المدن الشيعية المقدسة فتوى شيخ الاسلام ونداء الاستغاثة الموجهة من البصرة، ومن ثم بيان شيخ الاسلام المصدر بأذن السلطان بردات فعل اعلامية، تعبوية. وقد انقسم الناس في بداية الامر، وحيال الدعوة الى الجهاد والقتال الى جانب الاتراك قسمين متفاوتين (١٣): الاول: وهم الاقلية الذين يرون عدم وجوب مساعدة تركيا والوقوف الى جانبها، نظرا لممارساتها الاستبدادية والطائفية ومن ثم العنصرية ويرون، لزوم التخلص من حكم الاتراك كونهم لا يختلفون عن الانكليز بالظلم والجور والاضطهاد .

الثاني: هم الاغلبية الذين يرون ان ساعة الجهاد الحقيقية قد ازفت، وان القتال الى جانب الاتراك ليس دفاعا عنهم

وانما ذود عن حياض الاسلام وقتال في سبيل حفظ دين الله واتباع وديار هذا الدين. بيد ان الانكليز في نظرهؤلاء ذرية الصليبيين الاوائل . واما الاتراك فهم على الاقل مسلمون وهزيمتهم تعني هزيمة الاسلام لأن السلطة العثمانية في نظرهم، هي ارث الخلافة الاسلامية وتحمل عنوانها ولو رسما ومظهرا ، فلا بد من صيانة الشكل

بعناوينه الكبرى ليظل للإسلام دأره وهيبته. وتغلب رأي الفريق القائل بوجود الجهاد والتصدي للإنكليز، وتعزيد الدولة العثمانية وقد رأى علماء النجف وكربلاء وبغداد والكاظمية، ان تعزيد الدولة العثمانية واجب لا بد منه وفاقاً لأحكام الشريعة، فأفتوا بالجهاد في سبيل الله، فنشط الناس عند ذلك لتأييد الجنود العثمانيين^(١٤). كما ان هذا الفريق كان يرى ان عدم مؤازرة الدولة العثمانية هو تدعيم للعدو واضعاف للدولة العثمانية، الذي هو اضعاف للمسلمين وان مساعدة بريطانيا لم تكن تعني، الامساعدة العدو وتدعيم اركان الاستعمار، وهذا ما حدث فعلاً، وبالضبط عند قيام ما يسمى بالثورة العربية. التي اخلت بميزان القوى وكتبت نهاية. ورسمت مسيرة التأريخ منذ ذلك الحين وحتى الان لصالح الاستعمار^(١٥).

سرى خبر الفتوى في كل مكان من العراق وطرق كل سمع، واستجاب الكثيرون في النجف وغيرها من المدن الشيعية، وكذلك قبائل الفرات لصوت النفير الذي عممه علماء النجف وكربلاء والحلة والكاظمية وغيرها. ولكن مهما يكن من امر التفاوت في الآراء والتناقض في الموقف حيال هذا الشأن المصيري، فإن خبر الفتوى بمضمونها، كإعلان الدعوة للجهاد من قبل شيخ الاسلام ومن ثم بيانه وعلاوة على نداء الاستغاثة والاستنجاد من قبل البصراويين، كل ذلك سرى في كل مكان من العراق وطرق كل سمع وفعل في النفوس فعل النار في الهشيم. من هنا كانت استجابة الكثيرين في النجف وكربلاء وسائر المدن الشيعية وبغداد وقبائل الفرات الشيعية سريعة وحاسمة. لقد اتخذت حركة الجهاد طابع النفير العام في المدن الشيعية المقدسة وبغداد ومعظم مدن ومناطق العشائر في الفرات الاوسط الجنوبي^(١٦).

دقت النجف نفير الجهاد وبدء العمل التعبوي السريع وتولى العلماء ادوارا مهمة غير الوعظ والارشاد . فقد قاموا بتسجيل المتطوعين وتنظيمهم وتحديد اوقات الانطلاق بهم الى ساحات القتال التي لم تكن تحتل التأخير او التأجيل و انسحب ذلك كله على سائر المدن الاخرى. اما قبائل الفرات الاوسط الشيعية فأنها وقفت ضد الانكليز في سنة ١٩١٤ لتبليه لدعوه الجهاد، ويقول الحاج (حسين الشعرى)، وهو شاهد عيان لمجيء السيد محمد سعيد الحبوبى (وهو من كبار المجتهدين) من النجف ممثلا للمجتهد الاكبر وداعيا العشائر للجهاد في طريقه الى الشعبية سلطان، لمحاربة الانكليز (١٧).

وفي هذا الصدد يقول احد الباحثين : " كان اهتمام الحكومة العثمانية منصبا بالدرجة الاولى على كيفية تحريض الشيعة على الانضمام الى حركه الجهاد، وكان اول ما فكر في هذا الامر، وهو ارسال وفد الى النجف. وفعلا ذهب الوفد الذي تالف في بغداد، من بعض الشخصيات البغدادية والحكومية ورجال الدين، الى النجف الاشرف، وعقد اجتماعا في جامع الهندي، حضره العلماء و الزعماء و شيوخ العشائر في الفرات الاوسط، وقد تكلم في الاجتماع جماعه من اعضاء الوفد ومن علماء الدين في النجف امثال، محمد سعيد الحبوبى، والشيخ عبد الكريم الجزائري، و الشيخ جواد صاحب الجواهر، منوهين بضرورة مشاركته الحكومة المسلمة لدفع الكفار عن بلاد المسلمين، وقبل ان ينفذ الاجتماع اعلن علماء الدين الجهاد ووجوب الدفاع عن البلاد الاسلامية " (١٨) وكان موقف السيد اليزدي المرجع الاعلى آنذاك، والذي كان من دعاة المستبدة، غير مختلف عن غيره من مواقف المجتهدين الكبار في النجف، وقد ارسل السيد اليزدي ولده محمد لينوب عنه في استنهاض العشائر للجهاد، وصعد المنبر في صحن النجف وخطب في الناس حاثا اياهم

على الدفاع عن البلاد الإسلامية، وأنه واجب على الغني العاجز بدنا، ان يجهز من ماله، الفقير القوي^(١٩). و في كربلاء، اجتمع العلماء و الوجهاء على رأسهم المجتهد الكبير السيد اسماعيل الصدر و بحضور متصرف اللواء الى صحن سيد الشهداء الامام الحسين "عليه السلام"، فتقرب السيد اسماعيل بحماس وشوق نحو المرقد المبارك. وهناك تناول سيف تاريخيا مرصعا، كان محفوظا ومعلقا في القبة المباركة، و جرده من غمده واره الى الحاضرين وقال: "خذوا هذا السيف من حضرة سيد الشهداء و قدموه الى حضرة القائد العام، ايها المسلمون هذا سيف الاسلام الصارم قد جرد من غمده، فثقوا بلطف الباري من ان النصر حليف الاسلام. وكانت المظاهرات بالغة مبلغا عظيما من الهياج الديني لا يمكن وصفه"^(٢٠).

وكما اشرنا سابقا فقد انسحبت مواقف النجف على كثير من المدن الشيعية. ففي الكاظمية تولى، قيادة هذا الامر العالمان الكبيران، الشيخ مهدي الخالصي، والشيخ مهدي الحيدري اللذان، قادا المتطوعين الى جبهات القتال، "كان الشيخ الخالصي اشد الناس حماسة للجهاد، فقد اصدر حكما اوجب على المسلمين صرف جميع اموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفر، وكان، السيد الحيدري قد ابرق الى علماء النجف و كربلاء و سامراء يخبرهم، بانه: "عازم على محاربة الكفار مهما كلف الامر"^(٢١)، اما في سامراء، فقد تولى امر الجهاد المجتهد الكبير محمد تقي الشيرازي، الذي اصبح المرجع الاعلى بعد اليزدي، وقاد فيما بعد، ثورة العشرين، فأمر بالجهاد، ولم يكن اقل حماسة واندفاعا عن غيره من الفقهاء المراجع، "فانه ارسل ابنه محمد رضا للالتحاق بالوحدات المحاربة، وكذلك افتي بوجوب محاربة الانكليز"^(٢٢). ومهما يكن من أمر فقد اصدر علماء النجف فتاواهم بإعلان الجهاد المقدس ومحاربة الغزاة طاويين صفحة الماضي مع العثمانيين الاتراك و متنكبين مسؤولية و واجب الدفاع عن الاسلام و المسلمين متقدمين جبهات القتال من منطلق التكليف الشرعي و دور

الرائد الذي لا يكذب اهله، وقد "قاموا بأنفسهم بتجنيد القبائل العراقية الفراتية التي كانت خارج سيطرة الدولة العثمانية وقفوا في طليعة المقاتلين مع الجيش العثماني في البصرة واشتركوا في معركه الشعيبة الشهيرة، وكان منهم السيد محمد علي الحبوبى، والسيد محسن الحكيم" (٢٣).

توزع علماء النجف على جبهات القتال، واندفعت تحت قيادتهم القبائل الفراتية، وكل مخلص وطني في العراق، وكان ترتيب توزيعهم على النحو الاتي (٢٤): "سلطان ١ في (٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٢ هـ) خرج من النجف السيد محمد سعيد الحبوبى قاصدا ميدان الجهاد عن طريق السماوة والناصرية .

٢ في (٢٧ ذي الحجة) خرج السيد عبد الرزاق الحلو للجهاد عن طريق الجزائر (الجبايش) .

٣- في (٧ محرم ١٣٣٣ هـ) خرج من النجف للجهاد في الشعيبة عن طريق بغداد كل من، شيخ الشريعة، والداماد، والكاشاني، وموفدو السيد كاظم اليزدي وهم، ولده السيد محمد، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد اسماعيل اليزدي وبعض الطلبة الحوزويين .

٤ في (٤ صفر ١٣٣٣ هـ) غادر النجف للجهاد عن طريق بغداد، الشيخ جعفر الشيخ عبد الحسن، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ حسين الحلي، والشيخ حسين الواسطي، والشيخ منصور المحتصر، وكثير من رجال الدين وطلبة العلم.

٥ في (٦ صفر) تحرك عن طريق الفرات الى جبهة القتال، السيد نور السيد عزيز الياسري واتباعه، وكان على راس مجاهدين اخرين كل من، السيد محمد علي الشهرستاني، والشيخ عبد الرضا مهدي .

٦- وفي (١١ صفر) غادرت عشائر العراق الشيعية الى الناصرية في طريق الجهاد استجابة لدعوة السيد محمد علي الحبوبي الذي جعل يتجول بين القبائل يدعوهم للجهاد حتى غادر سوق الشيوخ في (٤ ربيع الثاني ١٣٣٣ هـ) ومعه الوف من المجاهدين ميمما شطر ميادين الجهاد ، تقلهم مئات السفن النهرية. وقد التحق معهم قرابه خمسة عشر الف جندي.

٧- في (٧ ربيع الثاني) وصل النجف حوالي (٦٠٠) فارس من مجاهدين الاكراد الشيعة، قاموا بزيارة ضريح الامام علي (عليه السلام)، وغادروا النجف في (١٠) منه الى جبهة القتال بطريق الطف، نجف، الشنافية، السماوة، الناصرية ،الزبير، الشعبية (٢٥).
٨- وفي الشعبية وهي اخطر جبهات القتال ترأس كل واحد واثنين او ثلاثة من هؤلاء العلماء جماعة من المجاهدين في كل جبهة. ففي الشعبية: كان السيد الحبوبي والمجاهدين في مقدمة الجناح الايمن، وفي القلب (القرنة)، شيخ الشريعة، والسيد ابو القاسم الكاشاني، والسيد مهدي السيد حيدر. وفي الجناح الايسر (الاهواز)، السيد محمد اليزدي، والشيخ جعفر الشيخ راضي. والجدير بالذكر ان القوه التركية التي رابطت في الشعبية ، اخطر جبهات القتال واهمها ، تألفت من (٧٦٠٠) تركي و(١٨٠٠٠) مقاتل من المجاهدين العرب مع مدفعين. (هذا حسب التقارير التركية) وكانت القبائل في تلك المنطقة راسخة الاعتقاد ان النصر سيكون حليف الاتراك، وفي معركة الشعبية اقدمت قبائل عربستان، على تدمير بعض انابيب النفط في الاهواز، كما ان جل الاقتحامات، قام بها قبائل الفرات مما دفع الانكليز الى استقدام قوات جديدة، وعندما قام القائد التركي (سليمان عسكري بك)، بالهجوم في شهر نيسان (١٩١٥ م)، على القوات الانكليزية في منطقة الشعبية، كانت اغلبية قواته من مقاتلي المنتفق، الا ان الفارق في التسليح والتنظيم

واسباب اخرى، وفرت اسباب انتصار الانكليزي في معركة الشعبية وانفتحت الطريق امامهم الى بغداد وانهزم الجيش التركي متهما العرب بأسباب الهزيمة. ولقد استسلم الاتراك كذلك في مدينه العمارة. بيد ان القائد الانكليزي لم يكن معه سوى اثنين وعشرين جنديا. بينما كان على راس القوه التركيه حليم بك ومعه اثنان واربعون ضابط وعدة الاف من الجنود. ومع هذا استسلم الجميع" (٢٦). اما الجيش الانكليزي المنتصر بعد ان استقدم فرقا انكليزية جديدة ، تابع زحفه الى الكوت، غير أن المجاهدين من القبائل هاجموه واتعبوه وقتلوا قسما كبيرا من جنوده، كما استولوا على بعض سلاحه وذخيرته. وفقد الجيش الانكليزي من رجاله خمسمائة رجلا. وقد كتب (طاووزند) قائد الفرقة الإنكليزية وهازم الاتراك في معركة الشعبية، يقول: "لقد وجدت العرب في اثناء الاعمال العسكرية في العراق جماعة لا تعرف الرحمة كما انهم جماعة من الاوغاد الجبناء" (٢٧). وعندما كان الجيش الانكليزي محاصرا في بلده الكوت الفراتية من الاتراك والعرب، كان قائده (طاووزند)، يعد جسورا طوافه ومراكب نهريه للإفلات، هو وجنوده، من قبضة الاتراك ولكن ثلاثة من الكوتيين تسللوا ليلا عبر الفرات سباحة الى القوات التركية واخبروهم بأمر الخطة السرية التي يعدها الانكليز فأحبطت (٢٨).

اما سكان مدينه الكوت، الباقون في الداخل، فانهم قاموا بمضايقات الجيش الانكليزي ورفضوا امداده بالمؤونة وقبول عملته الورقية في شراء حاجياته. "في كلام اخر كان سكان الكوت يلجأون الى كل وسيلة في وسعهم للتعبير عن عدائهم للإنكليز" (٢٩)، وذلك عملا بفتاوى النجف. الامر الذي يؤشر الدور الكبير للمرجعية الدينية في مقاومة الانكليز. وكان على راس القوات التركية في العراق حاكم بغداد (خليل باشا) الذي استسلمت اليه اكبر فرقة انكليزية كانت محاصره في الكوت وكان باستطاعته مطاردة بقية الفرق الإنكليزية

وطردها خارج العراق، لكنه لم يغتنم الفرصة المؤاتية ولم يعمل بنصح الجنرال الألماني (فون درغولتس)، لمطاردتهم و القضاء عليهم قبل ان يستجمعوا قلوبهم ويعيدوا تنظيمهم وتأتيهم الامدادات العسكرية والتموينية^(٣٠).

ارهاصات حركة الجهاد ونتائجها :

أثارت حركه الجهاد المقدس ضد الانجليز التي قامت بها النجف ودعت اليها،اهتمام الكثير من الباحثين والمفكرين فوضعوها في موازينهم،كل حسب منظوره الفكري،ولكنهم رغم تباينهم في مساربهم ومشاربهم، يتفقون على ان النجف، ومن منطلق ايدولوجية الاسلام بلا متناهيته وشموليتها، كان ردها على فتوى شيخ الاسلام سريعا إعلاما وحركة.فما من قطر إسلامي استجاب قبلها ولا بعدها،ولقد عقت على فتوى شيخ الاسلام،بفتاوى مماثلة، أرفقت باستنفار جميع الطاقات وكافة القوى البشرية والمادية وجيشت الجيوش وأعدت المتطوعين للجهاد. وأكثر من ذلك،فقد أهابت بالجميع في البلاد،بالنزول إلى ساحة الجهاد المقدس من حيث أن ما" غزي قوم في عقد دارهم إلا ذلوا"^(٣١).

كان من اهم الإيجابيات التي نجمت عن موقف النجف، أنها شكلت سببا كبيرا جدا في رآب الصدع في المجتمع العراقي،وفي بعث الحس القومي والوطني، علاوة على الحس الإسلامي، فتوحدت الولاءات الضيقة والمتنافرة ونجابت سحب الفرقة والتشتت وبدا الصف العراقي مرصوصا إلا اللمم.وفي هذا السياق يذكر احد الباحثين أن العشائر مثلا، كانت "غير راغبة في الاستجابة للدعوة للجهاد بسبب الكره الذي كانت تضمهه للأتراك"^(٣٢).واضاف باحث آخر أن"قوة الفتوى والجهود المثابرة لعلماء الشيعة ولا سيما الحبوبى، اتت ثمارها وتقدمت قوات الجهاد الى الشعبية بمساعدة الاتراك. وانظم بعض العلماء الى القوات وبقوا معها ابان القتال، وكان ابرز زعماء العشائر في الفرات الاوسط، والجنوب، في حركة الجهاد،عجمي

السعدون^(٣٣)، والسيد نور الياسري^(٣٤)، وعبد الواحد الحاج سكر^(٣٥)، والسيد علوان السيد عباس^(٣٦)، والسيد هادي المكوطر^(٣٧)، والسيد محسن ابوطيخ^(٣٨)، والسيد هادي زوين^(٣٩)، ومبدر الفرعون^(٤٠)، وشعلان ابو الجون^(٤١)، وغثيت الحرجان^(٤٢)، وعبادي ال حسين^(٤٣). ويذهب هذا الباحث ايضا، الى ان الناحية العسكرية في حركة الجهاد ونتائجها لم تكن " ذات اهمية تذكر الا ان، اهميتها السياسية تستحق نظرة سريعة ، فقد كشفت مرة اخرى عن قوة تأثير العلماء وقدرتهم على تحريك العشائر العراقية ولا سيما في الفرات الاوسط ، وظهر الجهاد ايضا قوة العامل الديني - القومي المتجاوز للطائفية وذلك لوحدة الشيعة مع الحكم (السنّي) دفاعا عن البلاد ضد الغزاة الاجانب^(٤٤).

ان الدور الذي لعبته النجف كان كبيرا وسببا مهما في ازالة واذابة التناقضات في داخل المجتمع العراقي، وفي شد الجميع الى الجهاد رغم الاحقاد العميقة الجذور وخصوصا بين القبائل الشيعية والسلطة العثمانية. ومن القرائن على ذلك ان جدالا جرى بين الشيخ بدر الرميض) عيم قبيلة بني مالك وبين (احمد اوراق)، احد القادة العسكريين الاتراك ، والمركة حامية الوطيس ، فقال الرميض للقائد : "لقد خنتم الاسلام بما يتجلى في معاملتكم للعرب، ولولا فتوى علمائنا لما وقفنا الى جانبكم"^(٤٥). وحول اسباب انتصار الانكليز على العثمانيين والمجاهدين في العراق يسجل احد المعاصرين في مجلته الملاحظات التالية قائلا: "وكانت القوات التركية في العراق التي شاركت في القتال والحرب لا تزيد عن اثنين وعشرين الف جندي، موزعة في الولايات، ولم يكن في البصرة، عند اعلان الحرب، غير قوة تركية صغيرة لا تزيد عن (٣٠٠٠) جندي، والواقع ان القيادة العامة للجيش التركي، اهملت امر الدفاع عن العراق وجردتهم من كل وسائل الدفاع"^(٤٦).

كانت معركة الشعيبة التي كانت من اقوى المعارك التي تم خوضها ضد البريطانيين، وقد كان المجاهدون يقومون خلالها بالعمليات الانتحارية، ولكن في النهاية، حسم الامر لصالح العدو. اذ اسفرت هذه المعركة التي اعتبرت الواقعة الحاسمة في تاريخ الاحتلال الانكليزي للعراق، عن سقوط الاف الضحايا من المجاهدين، وانتحار القائد العثماني (سليمان عسكري بيك)، ومن ثم انسحاب المجاهدين والجيش العثماني، وقد اعقب ذلك انسحاب العلماء تدريجيا الى مناطقهم الاصلية^(٤٧). وفي هذا الصدد يقول احد المعاصرين: "اضطر الباقون من المجاهدين الى العودة الى ديارهم واهلهم بعد ان ذاقوا مرارة المعاملة القاسية من الضباط الترك رغم استبسالهم في الزخوف والمعارك"^(٤٨). وامام هذه المعطيات وفي ضوءها يمكن ان نسجل ملاحظات عديدة منها:

اولا: ملاحظة تلبية الامامية في العراق للنداء الذي تضمنته فتوى مرجعيتهم دون احجام او تأخير.

ثانياً: نستنتج من ذلك ان المرجعية الدينية في النجف لم تكن في واد واتباعها في واد اخر. بل ان المرجعية كانت على اتصال دائم وتوافق تام جول كافة القضايا المصيرية. وان الشيعة في العراق وخارجه ينظرون الى مرجعيتهم، على انها القيادة المتمثلة لخط أئمتهم وسلوكهم وسيرتهم، وانها لن تسلك بهم سبل الردى ولن تقودهم الا الى الهدى.

ثالثاً: ان المرجعية ايمانا منها بتكليفية الموقع، وشرف الدور، ونبيل الهدف الذي كان لأئمتهم، وقد اختيرت له وتبواته كأمتداد طبيعي، لموقعهم وكضرورة حضارية لقيادة المجتمع كي، لا يضرب في الفراغ القيادي، قد وعت ما يترتب عليها من مسؤولية في توجيه انسان مجتمعتها وارشاده الى منهج استغلال طاقاته الكامنة

والظاهرة ، وتفجير قواه وصقلها ودفعها بالتصويب والتسديد ليأخذ مداه الانساني افقيا وعموديا في حدود شرع الله واسبابه .

رابعاً: لقد شكلت الفتوى التي صدرت عن المرجعية، الجواب السريع على فتوى شيخ الاسلام، وكذلك كان الجواب على الدعوة المتمثلة بفتوى المرجعية، الى الجهاد المقدس سريعاً، مما يشير اشارة واضحة الى تأثير المرجعية النافذ في توحيد صفوف الشيعة الامامية في العراق، الموزعين بين قبائل الفرات وسكان المدن في الجنوب العراقي وغيره .

خامساً: شكلت الدعوة الى الجهاد المقدس، امتحانا ومحكا للمرجعية وخطها وحوزتها في الظروف العصيبة والمستجدات المصيرية الخطيرة ، كما اعطت التلبية السريعة لفتواها من قبل عامة الامامية في العراق ، ثقة وامل كبيرين وعميقين وراسخين بوحدة صفهم وبتوحدتهم مع مرجعيتهم ، كما ضخت هذه الظاهرة في نفوس المرجعية ومجلسها وحوزتها، اعتبارا وتصورا وقناعة راسخة بأنه، المستوى العملي والرصيد المخزون الذي لعب وسيلعب الدور الكبير في الثورة على المحتل لتحرير العراق من دنسه .

المبحث الثاني

موقف العلماء والقوى المعارضة من احداث العراق منذ بداية لثورة العشرين وحتى تأسيس الحكومة المؤقتة

اولا : موقف العلماء والمعارضة منذ بداية الثورة وحتى احتوائها من قبل الانكليز : وكما مر بنا سابقا، فقد ضيقت السلطة البريطانية الخناق على الاحرار في العراق، وقامت بتزوير الارادات واغتيال الحريات، ولاسيما في النجف الاشرف حيث كان الانكليز يحقدون عليها ، لكن يتهيبون منها، وكانت قوة النجف مصدر قلق للبريطانيين الذين كانوا يخشون فتاوى علمائها النافذة ، وزاد من هم

البريطانيين ايضا" الفتوى التي اصدرها المرجع محمد تقى الشيرازي، في ٢٠ آذار ١٩٢٠م، والتي نصت على "تحريم توظيف المسلمين في الادارة البريطانية"، واخذت الاستقالات من خدمة الحكومة تزداد يوما" بعد اخر.(٤٩)

اخذ علماء النجف يتجولون في القرى والارياف ويثيرون النخوة في القبائل، ولقد عبرت" المس بيل" (٥٠)، عن قلقها بقولها: "وقبل ان تبدأ القلاقل العلنية في بغداد، كان العنصر الديني الشيعي في المدن المقدسة منهمكا" في حبك الدسائس ضدنا"(٥١). اما برسي كوكس، الحاكم البريطاني العام في العراق فإنه يقول بحسرة وأسف "غير أن النجف تلك المدينة التي كانت ادارتها في قبضة زمرة من شيوخها المحليين الذين لم يرضوا الانقياد لنظمنا، بقيت شوكة في جسم ادارتنا"(٥٢) وفي ٢٩ حزيران ١٩٢٠م كانت معظم المناطق العراقية تنتظر اشارة النجف بالثورة، ولم يكذب يهل صباح الثلاثين من حزيران حتى وردت الاوامر وبدأت الثورة، ومع اندلاعها تشكلت في النجف ثلاث هيئات تشرف على ادارة العمليات وكل مايتعلق بها من متابعة القتال وجباية الضرائب والرسوم والاشرف على الشؤون الصحية والبلدية والاقتصادية والامنية، وكانت كل تلك الهيئات تحت اشراف مجلس استشاري برئاسة شيخ الشريعة الاصفهاني(٥٣)، وكانت تعرض عليه اهم القضايا التي تتعلق بالسياسة العامة سواء داخل النجف أو خارجها (٥٤). اما كربلاء التي كانت مرجل الثورة، فانها وبحكم اقامة المرجع الاعلى الشيرازي فيها، فقد انشيء فيها مجلسان لقيادة الثورة، وكان هناك تنسيق تام بين مجالس كربلاء والنجف في كل مايتعلق بالثورة(٥٥).

ابتدأت العمليات الحربية وكان الثوار يقاتلون الانكليز بأسلحة، معظمها قديم ومن صنع تركيا، والجزء الجديد كان مما استلبه الثوار واستولوا عليه في معارك

الحرب العالمية الاولى. ولكن ايمانهم كان اقوى من سلاحهم. ولم يكن هناك من تكافؤ بالعدة والعدد والتنظيم. فالقوات البريطانية التي كانت جاهزة للخدمة الفعلية، تكونت من (٤٢٠٠) جندي بريطاني، و(٣٠، ٠٠٠) جندي هندي، بسلاحها وعتاها وآلاتها الحديثة وسياراتها ومصفحاتها، بينما كان الثوار لا يحملون غير البندقية وقليل من المدافع الرشاشة. وقد اخذت المعارك تتطور بسرعة، وكان طبيعيا ان ترجح كفة الجيش المحتل لتفاوت القوى بين الطرفين(٥٦).

انحسرت ثورة العشرين بعدما مادت الارض ردا من الزمن تحت اقدام المحتلين الذين منوا بخسائر جسيمة، ايقنوا بعدها ان لا استقرار لهم الا بوسائل وطرائق مختلفة. لذلك وفي اثناء القتال الضاري، وقبل ان تأخذ الثورة مداها الكامل على كافة الارض العراقية، اغتتم الحاكم البريطاني(ويلسن)، مناسبة وفاة المرجع الاعلى الشيرازي وتسلم ابي الحسن الاصفهاني،(شيخ الشريعة)، مقاليد الزعامة الدينية والسياسية، فكتب (ولسن) الى شيخ الشريعة الاصفهاني في العراق، كتابا ورد في بعضه: (٥٧) " حضرت العلامة الفهم حجة الاسلام، شيخ الشريعة الاصفهاني دام علاه، واما من جهة الحكومة، قد اعتمدت دائما على الاركان الثلاثة وهي: الرحمة والعدل والتسامح الديني، وملخص الكلام هو ان ظهرت هذه الحالة الحاضرة، هي ان العشائر العراقية في حالة الحرب قوية ولكن عددها قليل، ولا يمكن ان تحصل على المعاونة من الخارج، فبناء عليه ان النتيجة النهائية معلومة، يمكنهم ان يرجعوا الى اوطانهم سالمين وستسلم نفوسهم، فقد عينت حضرة "الكولونيل هاول"، لينوب عني في المفاوضات والمراسلات التي لا بد ان تجري قبل ان تنتهي المنازعات، فلهذا نرجو ان تعينوا معتمدا او معتمدين لكي يلاقوا "هاول" في محل مناسب ويباحثوا معه في هذه المسألة المهمة" (٥٨).

ردالمرجع الاعلى على رسالة المفوض البريطاني برسالة مسهبة وطويلة ، ورد فيه ،
 رد"على الرسالة،مايلي: "وقد جاء في كتابكم (ان الحكومة الانكليزية
 المعظمة ، قداعتمدت دائما على الاركان الثلاثة وهي الرحمة والعدل والتسامح
 الديني!) فأما الرحمة فهي مقابلتكم للأمة العراقية عند مطالبتها باستقلالها ، بسوق
 الجيوش الجرارة عليها وقتل الرؤساء ونفي العلماء، ورمي النساء والاطفال بأنواع
 النيران،وهتك الاعراض ومصادرة الاموال، وأما العدل بالقتل والاعدام لغير جرم،
 واما التسامح الديني فهو رمي الطيارات والسيارات المدرعة المساجد، وقتل المتعبدين،
 وتشكيل الادارة العرفية لمعاقبة من يتصدى الى عقد مجلس لقراءة منقبة النبي
 (ص) في المساجد وقطع مراسيم اعياد المسلمين، اما امرالمفاوضة، فهو امردقيق يحتاج
 الى جلاء وتأمل..

شيخ الشريعة الاصفهاني"..... ٢ محرم ١٣٣٩ هـ (٥٩)
 وباحتواء الثورة من قبل الانكليز، ظلت النجف ساهرة تترقب، رغم القيود الثقيلة التي
 فرضت عليها وعلى اكبر نسبة من العراقيين المناهضين للاحتلال:وعلى اثر ذلك
 بدأت تبرز مظاهر سياسية جديدة كان اولها : تشكيل الحكومة المؤقتة في المناخ
 الجديد . وعلى يد الاحتلال ولدت هذه الحكومة التي شكلت حسب اوساط الثورة
 ، جسرا شرعيا يعبر عليه البريطانيون بسهولة الى ما يريدون، وبالفعل ، فإن هذه
 الحكومة بلونها المنافي لمضمون الثورة واهدافها كانت لا تمثل هم العراقيين
 وامانيهم واهدافهم الاستقلالية والتحررية، لذلك فقد اعتبرت من قبل الوطنيين أولية
 تطويق بارعة لهم ولوطنهم بشكل عام . وكان هذا مرفوضا لديهم ولا بد من تحرك
 جديد يبقي الوشائج بين القيادات والقاعدة، ولا سيما العشائر، حية متوهجة. وفي
 هذا السياق يقول النفيسي:"اما زعماء الشيعة في النجف فأنهم كان ينظرون الى

مجلس الدولة المؤقتة نظرة ريبية وتخوف "(٦٠)". وفي الوقت نفسه رأى علماء الكاظمية، وعدد غير قليل من قادة الثورة، ان هذه الحكومة "هي تجسيد" لأرادة الاحتلال، ولا تعبر من قريب او بعيد عن ارادة العراقيين، وطالبوا بتأليف حكومة منتخبة من قبل الشعب"(٦١). وتحت ضغط الارهاب الانكليزي والملاحقة، اضطر بعض قادة الثورة، للجوء الى الحجاز. وفي هذا الصدد يقول الرهيمي: "كما عارض هذه الحكومة ايضا، عدد من قادة الثورة الذين لجأوا الى الحجاز، ومن ضمنهم عدد من وجهاء بغداد، ووصفوها بأنها حكومة عربية كاذبة تتألف من رجال هم من صنيعتهم الانكليز"، يمتقنهم الوطن والاهلون ولا حل ولا عقد بأيديهم"(٦٢) .

لقد لمس البريطانيون زيف ادعاءات اعضاء الحكومة المؤقتة، بأنهم يمثلون اغلبية الشعب العراقي لما اصابهم من العزلة والضعف نتيجة ابتعاد الناس عنهم، عدا بعض من الوصوليين والمستنفعين، وتأكد لديهم قوة وفعالية القيادة الدينية في انهاض الشعب، وتفعيل ارادته وطاقاته من جديد في مناهضة وجودهم. لذلك فقد بادروا الى اتخاذ خطوة مهمة، وهي اختيار الامير (فيصل بن الشريف حسين)، ملكا على عرش العراق كمسلم عربي، (حسب اعتبارهم)، ومشهور مما يعزز حوله طبقة اجتماعية واسعة جديدة، ويكون سببا لشق الصف الوطني المعارض، وهذا ما حصل بالفعل (٦٣).

ثانياً: "موقف العلماء و المعارضين من ترشيح فيصل وتنصيبه : ادى ترشيح فيصل لعرش العراق، الى انقسام في وجهات النظر وكان باعثا على اكثر من مذهب بين المجتهدين الشيعة الكبار، ولكن هذا الاختلاف، لم يخرج عم حدود النظرة او الرأي"، كما حدث بين المستبدة والمشروطة، ولكن الاتجاهين المهمين والرئيسيين المختلفين، مثل احدهما المرجع الاعلى في النجف، السيد الاصفهاني، والمجتهد المشهور (صاحب كتاب المستبدة والمشروطة) الشيخ محمد حسين النائيني(٦٤). وهذا

الاتجاه عارض ترشيح فيصل ووصله الى قمة المؤسسة السياسية العراقية، كما رفض اختيار اي رئيس للعراق في ظل الحراب البريطانية . فالرئيس الجديد ، مهما كان وضعه وشأنه سيولد ، حسب تقديرهم، في هكذا مناخ، "هجيناً او سفاحاً"، اما الذي يختاره الشعب بكافة طبقاته وبكافة ارادته وبعيدا عن، "الولادة القيصرية"، لن يكون الا من الشعب ، ولن يكون لغير الشعب من الداخل والخارج، عليه تمنن او فضل (٦٥) . اما الاتجاه الثاني ، فقد مثله المجتهدان الكبيران في الكاظمية ، الشيخ مهدي الخالصي، والسيد محمد الصدر، لقد ركب الخالصي مركب فيصل دون ان يبتعد عن النجف، او يقطع الاتصالات معها من حيث ان الاختلاف في الرأي او النظرة "لا يفسد في الود قضية"، لاسيما اذا كان الامر يتعلق بمصير وطن، هوية وشعبا وارضا. وهذا ما سوف يبرز في اللقاءات المصيرية الهادفة الحاسمة. وتعليقا على اختيار البريطانيين للحكم الملكي ولفيصل بالذات ، يعتبر البزاز، "انه لم يكن مستندا بالدرجة الاولى، الى اعتبارات واقعية وملاحظة حالة الشعب العراقي ومصالحه واوضاعه الاجتماعية، بقدر ما كان يرجع الى تحقيق المصالح البريطانية بأيسر طريقة وأمنها، وذلك لان مصلحة بريطانية كانت تتطلب استقرار الاحوال في العراق وايجاد وسيط بينهم وبين الشعب العراقي المتوثب ، يستطيعون عن طريقه وبواسطته تحقيق مصالحهم الاساسية وتجنب التعرض للنقمة المباشرة" (٦٦) ولكن الذي يثير الملاحظة هو ان رئيس الوزارة ، عبد الرحمن النقيب قدم استقالته، تماشيا مع الاعراف المتبعة في البلدان الراقية، مع وصول رئيس جديد للسلطة، ولكن عهد اليه من جديد بتشكيل الحكومة وتطعيمها بعناصر كفؤة . ولقد ذهب الباحثون والمحللون الى ان ذلك جاء، بناء على رغبة المفوض السامي البريطاني، وخلافا لرغبة الملك فيصل، وذلك لان المندوب السامي ((كان يرى في وجود النقيب على رئاسة الحكومة، خير ضامن للتوازن بين الوزارة والبلاد ، وسياسة دار المعتمدة

كانت تهدف في هذه الفترة الى مناصرة " الوزارة " خشية من تمكن نفوذ الملك الى الحد الذي قد يصبح فيه، بمؤازرة الشعب قوة يعسر على بريطانيا التغلب عليها فتضيع المصالح البريطانية، ومن الجدير بالملاحظة، هو ان البلاط كان وثيق الصلة بالشعب وزعمائه، فكان يدينهم منه عندما يخرب الامر، ويتخذ من تطرف المعارضين احيانا وسيلة للمساومة والضغط على دار الاعتماد لاستخلاص حقوق البلاد" (٦٧).

اعتداءات الوهابية ومؤتمر كربلاء : بعد تتويج الامير فيصل ملكا على العراق، حدد الملك في " خطاب العرش"، العناوين الكبرى للسياسة التي سينتهجها والتي يرى فيها الاسس الصالحة للنهوض بالبلاد ولتوحيد كافة الفئات بمختلف مشاربها والوانها العقيدية والفكرية والسياسية، ومما جاء في ذلك الخطاب الذي وجهه الى الامة قوله : " اذا كان الناس على دين ملوكهم فالملوك على دين شعوبهم، فعلى قدر التضامن، يكون النهوض.. لا ألوجهدا بأن استعين برجال الامة على اختلاف مواهبهم وتباين طبقاتهم وتفاوت معتقداتهم والامة بمجموعها هي حزبي، ومصالحة البلاد العامة هي مصلحتي، الا وان اول عمل اقوم به هو مباشرة الانتخابات، وجمع المجلس التأسيسي الذي سيضع للبلاد دستورها ويصدق على المعاهدة التي ستعقد بين العراق وبريطانيا" (٦٨).

بعد انتخاب الملك فيصل، بدأت بريطانيا السعي لعقد معاهدة مع العراق تحل مكان صيغة الانتداب الذي كان يرى فيه العراقيون استعمارا مستوردا. هذه المعاهدة تنظم العلاقة بين البلدين وما يجب ان تكون عليه، وكان العراقيون يأملون بأن تشكل خروجاً من دائرة الاستعمار المغلف بالانتداب الى فضاء الحرية، وتفسح المجال للملك وحكومته ان يكونا دولة مستقلة، موطدة الاركان ثابتة الاسس وينبع قرارها، من مصلحة مجتمعها وتطلعاته واهدافه، وتكون العلاقة مع بريطانيا علاقة

صداقة وتكافؤ في الاخذ والعطاء وتبقى الامور في حدود المشورة مع حفظ السيادة والاستقلال (٦٩) اما البريطانيون فكانوا يرون فيها وسيلة لتبديل كلمة الانتداب وتنظيم علاقتهم بالحكومة العراقية تنظيماً يبعدهم عن الاحتكاك المباشر دون تغيير موقفهم (٧٠). وبناءً على ماتقدم كان أمام السلطة العراقية موضوعان بارزان دقيقان : الاول هو تصديق المعاهدة ، والثاني هو انتخاب مجلس تأسيس يوضع للبلاد دستوراً ويشرع قوانينها ويثبت المعاهدة او يضيف اليها تعديلات تتلاءم مع تطور الاوضاع في البلاد (٧١).

كان النشاط السياسي بين مختلف الفئات العراقية بدأ يبرز ويأخذ اشكالا مختلفة . وقد بدأت الاجتماعات تعقد والمداولات تنظم حتى تم اخيرا انشاء ثلاثة احزاب. كان اثنان يمثلان المعارضة وكان الحزب الثالث يؤيد الحكومة ويميل الى مصانعة الانتداب ، الحزبان المعارضان هما "حزب النهضة" و"الحزب الوطني " ، وكان مقرهما بغداد وأما الحزب الموالي للحكومة وهو "الحزب الحر العراقي " فقد انشأه السيد محمد النقيب (٧٢).

ان صياغة المعاهدة بجميع بنودها هي صياغة بريطانية ولأهداف بريطانية . فالمفاوضات بين السلطة العراقية والبريطانية ظلت سجلاً مدة تقارب السنة، واخيرا صدقت في العاشر من شهر تشرين الأول عام (١٩٢٢م) : غير ان المفاوضات التي استغرقت اكثر من عام اخذت تتعثر، وذلك بسبب تمسك بريطانيا بالنص الاول لبنود المعاهدة من جهة، واعتراض الملك على بعض البنود من جهة اخرى (٧٣). وقد اصاب المفاوضات حول المعاهدة تعثرات وتناقضات دفعت وزير المستعمرات البريطانية الى التهديد، بوقف المفاوضات والتمسك بالانتداب وبنصوصه وبعدم الانسحاب من العراق مهما كلف من ثمن وقد استجذبت في السنة التي استغرقت

بالمفاوضات، امورا اثارَت الغضب العارم بين كافة فئات الشعب المخلصة ولا سيما القيادات الدينية والوطنية وانذرت بنشوب ثورة جديدة . ومن هذه الامور (٧٤) :

اولا : لقد جوبهت المعاهدة بمعارضة واسعة النطاق، وشكل ذلك احرارا للمحتلين وللحكومة المحلية ، مما حدا بالحكومة البريطانية، حسب اتهام العلماء، ان توزع للوهابيين بمهاجمة الاماكن القريبة من جنوب العراق. وبالفعل فقد قام الوهابيون في (١١ اذار ١٩٢١ م) بهجوم واسع على العراق لاسيما على منطقة عشائر المنتفق، ثم اعقبوا ذلك بهجومين آخرين على العشائر. هذا فضلا عن تكرار اعتداءاتهم على مدينة كربلاء (٧٥). وعلى اثر هذه الاحداث ، هبت النجف تندد بالهجوم ، وكذلك استنكر علماء السنة ، الاعتداءات الوهابية ، ثم تداعى الجميع سنة وشيعة الى مؤتمر يعقد في كربلاء ، التي منيت بالخسائر الجسيمة في الارواح والممتلكات ، وقد استدعت حنكة النجف السياسية ان تغتنم فرصة انعقاد المؤتمر لتوجه الى ممثلي الاتجاه المتصالح مع الملك ، وعلى رأسهم الامام الخالصي، دعوة لحضور المؤتمر بنية توحيد الاتجاهين الشيعيين المختلفين . وقد وجه الدعوة كل من المرجع الاعلى الاصفهاني والمجتهد الشيخ النائيني وكان نصها : "جناب حجة الاسلام محمد مهدي الخالصي دامت بركاته ، انه لا ينبغي الاتكال على وعد السلطة البريطانية في دفع شر الخوارج والاخوان على المسلمين، فبناء عليه نأمل حضوركم في كربلاء قبل الزيارة بأيام وتأمرون رؤساء العشائر كالسيد نوري الياسري وامير ربيعة وسائر الرؤساء بعد ابلاغهم سلامنا، الحضور كما انا نحضر مع من في طرفنا من الرؤساء لأجل المذاكرة في شأنهم انشاء الله تعالى " .

ابو الحسن الاصفهاني الشيخ محمد حسن الغروي النائيني (٧٦) .

وبعد تسلمه هذه الرسالة تحرك الخالصي موجهاً الى رؤساء العشائر قرابة مئة وخمسين دعوة لحضور المؤتمر ، كما ارسل الخالصي دعوة الى الملك فيصل بهذا الخصوص . وقد وعد الملك بتلبية الدعوة ، وكان من المنتظر ان يحضر الملك الى كربلاء للأشراف على سير الاجتماع . الا أن المندوب السامي البريطاني طلب من الملك التآني، فارسل الأخير، وزير داخلية ، توفيق الخالدي ، وقد ذكر المندوب السامي نفسه في هذا الصدد " أنه حصل على معلومات من مصدر لا يرقى اليه الشك ان الغرض من اقناع الملك بحضور الاجتماع هو لإجباره على أن يطلب، وبمساندتهم، من الحكومة البريطانية منح الاستقلال التام الى العراق فوراً" (٧٧) .

وكان هذا المؤتمر عاماً "وشاملاً"، وقد حضره وفدان سنيان احدهما من بغداد برئاسة الشيخ عبد الوهاب النائب، والاخر من الموصل برئاسة الشيخ عبد الله النعمة كما حضر المؤتمر عدد كبير من علماء السنة المشهورين من بغداد وغيرها أمثال: الشيخ ابراهيم الراوي، والشيخ يوسف العطاء والشيخ احمد الداود، وقاضي بغداد الشيخ عبد الله الشواف وكان الوفد قد حضر ممثلاً عن الاجتماع الذي عقد في بغداد ، وشارك فيه اغلب علماء بغداد وقادة الرأي فيها " (٧٨) . اما على المستوى البريطاني: شكل عقد مؤتمر كربلاء طموحاً، ذريعتاه وظاهره الدفاع عن البلاد والوقوف في وجه الاعتداءات الوهابية، وباطنه او مضمونه اهدافه هو الحصول على السلاح، ليس لرد الاعتداءات وانما للارتداد به على البريطانيين . ولقد تملك البريطانيين توجس مشوب بالقلق والذهول، بعدما حاولوا بمختلف الوسائل والذرائع الدعائية والبشرية والمادية، افشال، عقد المؤتمر وتقليل حجمه البشري، اذ رأوا المؤتمر يضم حشدا لا يقل عن مئتي الف شخصية فاعلة من العلماء المسلمين، ومن رؤساء العشائر والموظفين والعسكريين المتقاعدين والوجوه والاعيان ومن كافة انحاء العراق. (٧٩) .

هنا ، وكما اشرنا سابقا، ترسخت القناعة عندهم بأن الدور الفاعل هو للأسلام ولحملة مشعله . لقد استطاع المرجع والمجتهدون توحيد كافة الفئات المعارضة على ارضية عمل مشتركة واحدة وتلاقى التيارات مختلفة الاتجاهات على الهدف الاسمى ، فأتسع عمل المعارضة وبات ينذر بالعاصفة بعد السكون النسبي الذي تلا ثورة العشرين . ولكن الذي زاد من هواجس المعتمدية البريطانية في العراق وعمق قلقها هو الوثيقة التي سميت "بالميثاق القومي" الذي يضم مقررات المؤتمر الصادرة عن اعماله . هذه المبررات تدل على حنكة سياسية مستفادة من التجارب و الخبرات السالفة^(٨٠) . ومن المفيد ادراج هذه المقررات والكشف عنها . وقد كتبت في نسختين : احدهما رفعت الى الملك فيصل والاخرى الى العلماء الكبار ، "كانت خلاصة مقررات المؤتمر تتضمن وجوب الدفاع عن البلاد ضد هجمات الاخوان ، التعلق بسياسة الملك وطلب التعويضات عن المنهوبات ودفع ديات القتلى الذين سفكت دمائهم ظلما وعدوانا"^(٨١) . غير أن ما انطوت عليه نوايا بعض المجتهدين الكبار واصحاب الدور الفاعل كان ابعد من دائرة المقررات ومراميها . فقد ذكر احد الباحثين ان الشيخ محمد الخالسي ، نجل الامام مهدي الخالسي ، كشف الستار عن وثيقة مهمة تظهر هدفا كبيرا من اهداف مؤتمر كربلاء في مذكراته الموسومة "في سبيل الله" . هذه الوثيقة تقول : " ان الشيخ مهدي الخالسي كان يخطط لعمل ضد الانكليز على غرار ثورة العشرين . وانه اغتنم فرصة دعوته من علماء النجف فصمم على جمع القبائل والعلماء في كربلاء واذار الانكليز بأنهاء الاحتلال وترك العراق ، والظاهر ان تفكيره كان يتجه الى توجيه الانذار بأسم الملك ، فاذا وافق الانكليز ، يكون العراقيون حققوا هدفهم والا فأنهم يخوضون الحرب ويظهر فيصل وكأنه على رأس الحرب "^(٨٢) . ورغم كل هذه المظاهر التي تبرز قوة المعارضة وتمثيلها لغالبية فئات

المجتمع العراقي فأن الحكومة العراقية صادقت على المعاهدة - الانتداب في العاشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٢م (٨٣)

ان الذي زاد الوضع سوءاً، هو اقدام الحكومة ،على تحديد موعد لبدء انتخابات المجلس التأسيسي الذي سيكرس المعاهدة بتصديقه اياها. وهناثارت ثائرة المعارضة في كل مكان، واعلن الاضراب العام وبدأت الاحتجاجات والانتقادات والاستنكارات تنهال على الحكومة من كل صوب .والذي برز من بين هذا كله، هو موقف الامام الخالصي قائد الاتجاه المسالم للملك، حيث اعلن امام حشد كبير في مدرسته في الكاظمية، خلع بيعته الملك قائلاً: "بايعنا فيصل ليكون ملكا على العراق بشروط . وقد اخل بتلك الشروط ، فلم تعد له في اعناقنا واعناق الشعب العراقي اية بيعة" (٨٤).

ثالثاً: تصدي العلماء لانتخابات المجلس التأسيسي . :بعد المصادقة من قبل الحكومة العراقية على المعاهدة العراقية البريطانية ، اتجهت للعمل على انتخاب المجلس التأسيسي .وحيال هذا المستجد، برز رد الفعل في النجف وغيرها عبر مواقف ومقاومة للانتخابات .وقد اصدر المرجع الاعلى الاصفهاني في النجف، والشيخ النائيني والشيخ الخالصي، مجتمعين فتوى بتاريخ الخامس من تشرين الثاني ١٩٢٢م، نصت على ما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم . نعم قد صدر منا تحريم الانتخابات في الوقت الحاضر لما هو غير خفي على كل بادٍ وحاضر، فمن دخل فيه او ساعد عليه كمن حارب الله ورسوله واوليائه صلوات الله عليهم اجمعين" (٨٥). ثم اعقبها المرجع الاعلى الاصفهاني، بفتوى موجهة الى كافة المسلمين العراقيين جاء فيها: " الى اخواننا المسلمين، إن هذا الانتخاب يميئ الامة الاسلامية، فمن انتخب بعدما علم بحرمته الانتخاب حرمة عليه زوجته وزيارته ولا يجوز رد السلام عليه ولا يدخل حمام

المسلمين" (٨٦). وبعد ذلك عممت على العراقيين ، فتوى جديدة للأمم الخالصي تنص على " حرمة الدخول في اجهزة الدولة واداراتها واعتبره بمثابة التعاون مع الكفار. وقد لقيت الفتوى رواجاً كبيراً خاصة لدى الشيعة" (٨٧). وقدامت تأثير هذه الفتاوى الى مختلف ارجاء العراق ، فأحجم الناس عن الانتخابات واقتلت اللجان صناديق الاقتراع وانسحب عدد كبير من الوظائف الحكومية مما سبب شللاً في المؤسسات العامة. والى جانب المعارضة الاسلامية والعربية وقف الحزبان المعارضان "حزب النهضة" و"الحزب الوطني" في بغداد اللذان تأسسا في عهد الملكية. وكان هذان الحزبان يذهبان الى ان المعاهدة لم تكن الا الانتداب المقيت الذي رفضه الشعب. فاشتد في نقدها في صحيفتيهما ، ونددا بالحكومة القائمة (٨٨).

كانت ردة الفعل عند البريطانيين ، ان تمثلت بأغلاق الحزبين الوطنيين وصادروا الجريدتين الناطقتين باسمهما ، والقي القبض على محرريهما . كما امروا باعتقال سبعة من الزعماء المعارضين وامر كوكس الحاكم البريطاني "السيد محمد الصدر والشيخ الخالصي بترك العراق" (٨٩). وقد اعقب ذلك وبالاتفاق مع الملك ، اقالة الوزارة النقيببة وتكليف السيد عبد المحسن السعدون المعروف بقسوته وبعلاقته مع الانكليز، بتأليف الوزارة الجديدة. ولقد اخذت هذه الحكومة على عاتقها انجاز انتخابات المجلس التأسيسي وحمل المواطنين على العدول عن موقف المقاطعة، واعلن في منهاجها انها تعمل على صيانة الحريات، ومنع المداخلات غير القانونية في الانتخابات للمجلس التأسيسي الذي له القول الفصل في تصديق المعاهدة ثم، توسطت في امر المنفيين الذين ابعدهم المندوب السامي بعد ٢٣ اب ١٩٢٢م فنجحت في ذلك" (٩٠)

اعيد المنفيون، كتعبير عن حسن نوايا الحكومة الجديدة التي اعلنت، كما رأينا، عن اطلاق الحريات وفي آن معاً تمنع التدخل في امر انتخابات المجلس التأسيسي الذي بين يديه ستودع امانة الوطن والشعب ، وفي الوقت الذي كانت الحكومة وعلى رأسها الملك تظهر للملأ تسامحها واريحيته حيال المنفيين واعادتهم ، كانت تخطط لضرب وحدة الصف المعارض وتفكيك عرى تماسكهم. وقد عبرت المس" بيل" في رسالة لها في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٢م عن ذلك بقولها : "ان الملك والوزارة قد صمموا على اتخاذ موقف ضد الاتراك ومعارضى المعاهدة، وهم يحتاجون هذا الموقف، لأن مجتهدى الشيعة قد اصدروا فتاوى حرموا فيها على الناس المساهمة في الانتخابات" (٩١).

رفض المعارضون "الصلح العشائري" مع الحكومة لاعتباره صلحا مع المحتل البريطاني واعترافا بشرعية وجوده. فالوطن بالنسبة للمعارضين يجب ان لا يدخل او يختزل في عملياته مقايضة او مقامرة . واين تصبح عمليات اثبات الذات وحفظ "الهوية" بل واين هو التطابق مع "الذات" عندما يعترف او يقر لغاصب دخيل الشرعية اغتصابه او يخضع لمسالته ولبسط اليد اليه بالتسامح؟ (٩٢)

حاولت الحكومة كسب رضا العلماء ، ولكنها لم تفعل نظرا لمواقفهم الثابتة تجاه حقوق الوطن وحقوق ابنائه واستمرارهم بعدم التنازل عن مواقفهم الا بالحصول على تلك الحقوق غير منقوصة . لم تنهم الاغراءات من اي نوع عن صمودهم فقد " حاولت الحكومة ارضاء علماء الدين، فأرسلت بعض الوزراء الى الشيخ مهدي الخالصي وعرضوا عليها ارجاع ابنه محمد الخالصي من ايران ولكنه رفض العرض " (٩٣). لان المسألة ليست مسالة افراد مهما كان موقعهم ودورهم، لكنها مسألة مجتمع وامة علاوة على كونها مسألة خط عقائدي يرفض الظلم والظالمين و الوصوليين

والانتهازيين ويأمر بالعدل والعادلين وبالجهاد والمجاهدين ضد كل انحراف او سوء قد يصيب المجتمع ويطمس ذاته ووجوده. حيال هذه المواقف الصلبة قررت الحكومة المباشرة في الانتخابات مهما كلفها ذلك من مشقات. وقبل البدء بعمليات الانتخاب، حركت الحكومة مسألة الخلاف مع تركيا على الموصل و مسألة الوهابيين و مشاكل اخرى داخلية، مما يوهم الناس ان العراق في خطر والاعداء محيطون به من كل جانب ولا بد له من سند صديق يسنده ويرد عنه هذه المخاطر الكبيرة (٩٤).

لقد ادركت المرجعية و العلماء بواعث و اهداف "اللعبة" البريطانية فأصدر المرجع الاعلى الاصفهاني ، والشيخ النائيني والشيخ الخالصي فتوى شرعية في الثاني عشر من نيسان ١٩٢٣ تنص على تحريم مقاتلة الاتراك (٩٥). فلم يعد لدى الحكومة ورقة تلعبها مع القيادات المعارضة وقد اعيتها الحيلة والوسيلة فركنت الى اخر دواء عندها (٩٦)، اذ ارسلت الطائرات البريطانية فقصفت العشائر والقبائل الموالية للنجف والتي تأتمر بأمرها. والتي تعتمد النجف عليها ، واعتمدت عليها سابقا في "الجهاد" و"الثورة" ، ومنها عشائر الفتلة في المهنوية والحميدات وبني حسن والخزاعل، في الديوانية، ثم جذبت الكثير من رؤساء العشائر الاخرين، الى جانبها بالإغراءات حين وبالوعد حين اخر. وبذلك تكون قياده المعارضة، قد فقدت حليفا لا يعوض (٩٧). كما ان الملك فيصل جال على مناطق الفرات ومدن جنوب العراق و تمكن من ضم عدد كبير من رؤساء العشائر الى صفه ، واقناعهم بضرورة المشاركة بالانتخابات واعدا اياهم "بمنحهم امتيازات كتلك التي منحت للحكومة، ان تصفح سلطات الانتداب عن دورهم السابق في معاداتها" (٩٨).

ورغم ذلك كله فإن العلماء كانوا كل ما أقدمت السلطة على خطوة ، قابلوها بفتوى شرعية تلغي فاعليتها ، عندئذ حزمت السلطة امرها و اخذت القرار الحاسم

باستعمال اخر الدواء وهو تفريق شمل العلماء و المراجع ونفي الرؤوس المدبرة خارج العراق الى الحجاز وايران وغيرها (٩٩).

مهدت الحكومة لحملتها على العلماء بيان تصفهم فيه " بالدخلاء "على القضية العربية ، "و بالمسيئين للإسلام و العتبات المقدسة . وانهم نفر من الدخلاء الذين لا علاقه لهم في القضية العربية ولا تهمهم مصالح الشعب وبينهم يختلقون اقوال زعموا انها مستنبطة من الشرائع الدينية ، ولم يقصدوا بها الا الاخلال بسير الانتخابات و تضليل الراي العام، بان هؤلاء الغرباء المتهوسين تجاوزوا حرمة المراقدة المقدسة والآداب الدينية ، بالصاقهم على اضرحة الائمة وجدران الحرم ،نشریات مفسدة ومهيجة تحت شعار الدين وبأسمه مما يهتك حرمة العتبات المقدسة.(١٠٠) .و قصدت الحكومة ((بالدخلاء)) العلماء الايرانيين الذين كانوا معظمهم في موقع المسؤولية و من المنتكبين بالدور الاساسي في مقارعه المحتل البريطاني .وفي ليل اليوم السادس والعشرين من حزيران ١٩٢٣ ،اي بعد صدور البيان مباشرة،لقى رجال الامن القبض على الامام الخالصي مع اولاده واحفاده و الكثير من طلبة مدرسته و صادرتهم في قطار الى البصرة ومن ثم الحجاز ومن هناك نقل الى ايران(١٠١) .وقد فوجئ الناس بهذا التدابير التعسفية فاعلن الاقفال العام في المدن الشيعية وقامت المظاهرات في كل مكان . وهدد المرجع الاعلى وسائر العلماء الكبار بهجرة جماعية الى ايران احتجاجا على ابعاد الخالصي .وكانت الحكومة تنتظر رده الفعل هذه عند العلماء و تنتظر تنفيذها للتهديد لتكون مبادرة الهجرة صادرة عنهم و ليس عن الحكومة .وبالفعل فقد شرع العلماء بتنفيذ تهديدهم، وتوجه قرابة خمسين عالما وعلى راسهم المرجع الاعلى ،الاصفهاني، في مظاهرة الى كربلاء حيث تم اعتقالهم ،ومن ثم ،جرى تسفيرهم في ٢٩ حزيران ١٩٢٣ الى ايران في قطار خاص وعن طريق

خانقين و ذلك منعاً لحدوث اضطرابات(١٠٢). وقد وهب الشعب الايراني يعلن استنكاره للعمل المهين الذي اقدمت عليه السلطة البريطانية في العراق بأيد عربية ، بحق المرجعية و المجتهدين، وجسد سخطه بالمظاهرات و الاضرابات التي عانى منها الانكليز في ايران الذين لحقهم سخط الايرانيين و غضبهم . وراح الشعب يضغط على الشاه ليأخذ الموقف المؤيد للعلماء المبعدين، وينادي بطرد الانكليز من ايران(١٠٣). بيد ان هذه المظاهر اثارت خوف البريطانيين ،ولاسيما ان الحركات المعادية بدأت التفاعل في الريف الايراني كما في المدن و تأخذ اشكال و صوراً ضدهم ، الامر الذي دفعهم الى ارسال سفيرهم في طهران ، الى بغداد للبحث في مسألة ابعاد العلماء و امكانيه عودتهم و لكن، " حكومة السعدون اتفقت و المسؤول البريطاني على ان من الافضل ارجاء ذلك الى ما بعد اتمام الانتخابات عقد المجلس التأسيسي"(١٠٤).

والملاحظ هنا ، هو ان ابعاد العلماء لا يعني خلو الجو للحكومة و البريطانيين . فأبعاد اصحاب القرار و التأثير في صفوف الشعب لا يعني ان الانتخابات التي كانوا يعارضونها ، قد سارت سيرها الملائم لخطط السلطة البريطانية و الحكومة العراقية . لان روحية الفتاوى و مضامينها ، زادت فعاليتها ازداد الشعب تمسكاً بها مما ، عرقل سير الانتخابات و دفع الحكومة و المحتلين لإعادة النظر في امور كثيرة و حسابات عديدة ، وهذا ما كشفت الستار عنه بعض الصحف المحلية في تلك الفترة ، فبعد ابعاد العلماء المراجع بقرابه الشهرين . وتحت عنوان "الاكثريّة الشيعية في العراق"، كتبت احدى الصحف ما يلي: "ان الشيعة الذين شيدوا هذا الملك العزيز فوق جماجمهم، وعظام ابطالهم وكرامهم يجب ان ينالوا كأكثريّة ، نصيبهم من

الحكم والادارة، وان يتخلى الشيعة عن الاساليب التي اتبعت خلال العامين الماضيين وان ينتقلوا من السلب الى الايجاب ومن الامتناع الى الاشتراك" (١٠٥).

ومهما يكن من امر، فقد بدأ الملك اتصالات مع العلماء في ايران . وللتكفير عن اساءته اليهم فقد وضع الوزر كله ومسؤولية ما لحقهم من تشريد واذى على كاهل الحكومة السعدونية، فأقالها كسبا لودهم، وعهد الى جعفر العسكري بتشكيل الحكومة الجديدة في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٣، ثم عرض عليهم العودة ولكن بشروط . من بعض هذه الشروط أن يتعهد كل عالم خطيا في عدم التدخل في السياسة . وبعد تقديم هذه التعهدات من العلماء، عاد الجميع الى العراق باستثناء الشيخ مهدي الخالصي الذي رفض العودة منتقدا موقف العلماء. حسبما ورد في مذكرات محمد مهدي الخالصي، الموسومة، "في سبيل الله" قائلا: "قسم العلماء ابواب الفقه بينهم وبين الانكليز، فأعطوا الانكليز ابواب السياسة والحكم والاقتصاد والقضاء والادارة، واخذوا لأنفسهم باب الحيض والاستحاضة والنفاس" (١٠٦).

ان استعراض شريط الاحداث و صورها وما تخللها من مواقف ايجابية او سلبية، يبرز لنا حقائق ثابتة لا يمكن اشاحة النظر عن موضوعيتها .اذ، يبرز امامنا عنوانان كبيران لحالتين مبدئيتين متناقضتين و متصارعتين، الاولى أملتها طبيعة المرحلة في الدفاع والمقاومة، ومجريات الواقع و مستجداته، والثانية أملتها مبدئية الطمع والاحتكار والاستيلاء حسب شريعة ومبدأية الغرب القائمتين، على سياسة العنف النابعة من مبدأي: "الغاية تبرر الوسيلة" و "دعه يمر، دعه يفعل" (١٠٧). فالحالة الاولى تمثلت، بالمرجعية الدينية الأمامية في النجف وبالمجتهدين والحوزة العلمية والمجتمع . اذ تصدت النجف لكل ما اعتبرته خطرا على الشعوب الاسلامية في كافه ديارها، فان لم يأت ذلك بالقوة المادية، لجأت الى خيار اخر هو الفتاوى الشرعية الفاعلة

ورسائل الاستنكار والاحتجاجات الصاخبة، والدعوة الى المظاهرات التي تشرح التهديد والوعيد^(١٠٨)، ولكن خطط الاستعمار كانت اكثر اتقاناً واكثر شمولاً وابتعد افقا من خطة التصدي المتجزأة. فالمقاومة كانت جزئية وغير كافية الاعداد، في العدة المادية والاستعداد البشري على مختلف المستويات. اذ اعتمدت سلاح الايمان اولاً، وبعض مخلفات السلاح القديم ثانياً.^(١٠٩) ورغم ذلك فقد جاءت المواقف الجهادية و الثورية التي بعثتها النجف وامسكت بزمام قيادتها، وبحكم اختلاف الشروط، بالمقارنة بين المهاجم والمقاوم، ويبقى هناك شرط واحد، لم يكن المحتل البريطاني ليضعه نصب عينيه، أوفي ميزان التقدير، هو عن علماء النجف و شتى المجتهدين في المدن المقدسة الشيعية و جمهورها، كان كل واحد فيهم، يرى في كل بقعه من العراق خلال تلك الفترة "كربلاء"، ويرى في صورة الاحتلال ووجوده على ارض العراق او غير العراق، المنكر الذي لا يصدق ايمان المسلم بدون محوه و ازالته. ثم ان تجديد كربلاء وحضور الحسين(ع)، في نفوسهم لا يحتاج الى عناء. فعقدة الحسين(ع) في استشهاده، وعقدة كربلاء مخضبة بدمه، لا تنفك عندهم زاهية ومتأججة بدم الشهادة. كل ارض تعاني الظلم هي: "كربلاء" حسب تقديرهم، وكل واحد منهم يرى في نفسه، في كل لحظة: "حسين"، وصورة المستعمرين في الاقطار الاسلامية لم تبدد ولم تتلاش^(١١٠).

العراقيون المقاومون وعلى رأسهم المرجعية الدينية، رأوا، أنفسهم وجها لوجه مع واقع مريغاية في الضعف والانهيال. لقد ورثوا بلداً بدون دولة ولا سلطة أو مسؤول سياسي ولو على مستوى الرمز، يمثل قاسماً مشتركاً يمكن أن يلتف حوله شمل المجتمع الممزق، بل ورثوا قطراً أمسك بمفاصله، المحتل البريطاني، وجثم على صدره يمزق اوصاله إرباً بيد جزار أنكب على ضحيته بحقد وطمع منهومين. وكان على

النجف، وبحكم موقعها ودورها الرسالي ان تأخذ المواقف السياسية والجهادية الملائمة، منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى نهاية العقد الرابع من القرن العشرين^(١١١).

لقد فشلت حركه الجهاد على المستوى العسكري ، وفشلت ثورة العشرين لأسباب ، مر ذكرها، ورغم كل شيء فقد ربحت المعركة الروحية الإيمانية و الفكرية والسياسية و الإعلامية أيضا رغم ضعف الوسائل والتقنيات الفنية و المؤامرات الداخلية . ثم إن العراقيين ، لم يكن لديهم ، في البداية، سوى تحرير الوطن و من ثم العودة للتفكير في مسألة السلطة ونمطها ، التحرير اولا، ومن ثم اختيار مسلم جدير بالسلطة . ولكن ثورة العشرين انتهت بالهزيمة المادية وحسب . وبقي الشأن الأيماني بضرورة التحرير ، نارا تحت الرماد، ولإخماد هذه النار . وتميريرا لمشاريعهم ، غير المستعمر البريطاني خطة الحكم المباشر للعراق ، غير الوسيلة ، وأبتعد عن فكرة اعتبار العراق محمية بريطانية تابعة للهند . ولكي تهدأ الرمال المتحركة تحت أقدامهم وتستقر، كان لهم، ثلاثة شروط أساسيه لتحقيق أهدافهم^(١١٢) :

١- إنشاء دولة عصرية ذات حدود وسلطة مركزية قوية لفرض الأمن وجباية الضرائب وحماية المصالح البريطانية في الداخل

٢- سيطرة نخبة محلية حليفة، تابعة، على جهاز الدولة الوليدة ..العراق كما يقول كيرزن ، اللورد البريطاني ، يجب حكمه من خلال واجهه عربييه ، من خلال حكم محلي تساعده أداره عربييه قدر الامكان و بإرشاد بريطاني^(١١٣).

اتخذت النجف حيال الحكم الملكي الواجهة ، دور الناقد و الموجه و المتوعد وحالت دون تمرير مشاريع كثيرة ، أملتھا المصالح الاستعمارية، حتى ضاق المستعمر ذرعا بالعلماء وبمواقفهم الثابتة، فاقدم بأيدي عربية على تشريدھم ونفيھم خارج البلاد

، مما غيب دورهم السياسي عن المسرح العراقي بنسبه كبيرة . ثم مرر خططه ومشاريعه التي شكلت وصمة عار لمدة غير قصيرة على جبين المجتمع العراقي ، وبعد ذلك ، وإثر مداولات ، ومد وجزر ، أعيد العلماء بناءً على شروط . ولكن هذا لا يعني النجف أسدلت الستار على التحرك الثوري أو التربوي الاجتماعي بل أستمريت تلوح بنفخ ريح الثورة كما أنست انحرافا . وفي هذا الصدد يذكر أحد الباحثين (على سبيل المثال) : "إن قادة الرأي بين الشيعة الامامية في العراق ، "يشعرون بالقدرة على إحراج الحكومة المركزية في أي امر وطني: كالمعاهدة مع الانكليز وارتباط الانتخابات النيابية بها و تطبيق التجنيد الاجباري ولم يخل هذا الاحراج من العنف احيانا كثيرة .. فقد .. اصطدمت المآثم الشيعية ١٩٢٧ م في عاشوراء بالجيش ووقع عدد من القتلى" (١٤).

اخيرا ، يمكن القول بأن ثورة النجف ١٩٢٠ م ، والتي قادتها المرجعية الدينية ، كانت فاتحة للثورات التي تلت في مشارق العرب ومغاربهم ، كثورة ١٩٢٢ م في فلسطين ، وثورة ١٩٢٥ م في سوريا ، وثورة الريف المغربي ١٩٢٥ م ، وغيرها من الثورات في بلدان المشرق والمغرب العربية .

وقفنا فيما تقدم على الدور الكبير للمرجعية الدينية في العراق بالتصدي للاستعمار البريطاني حتى عهد الانتداب .

الخاتمة:

أثارت حركه الجهاد المقدس ضد الانجليز التي قامت بها المرجعية الدينية في العراق وخصوصا في المدن المقدسة كالنجف الاشرف وكربلاء والكاظمية وسامراء ، و دعت اليها ، اهتمام الكثير من الباحثين والمفكرين فوضعوها في موازينهم ، كل حسب منظوره الفكري ، ولكنهم رغم تباينهم في مساربهم ومشاربهم ، يتفقون

على ان النجف، ومن منطلق ايديولوجية الاسلام بلا متناهيته وشموليته، كان ردها على فتوى شيخ الاسلام سريعا إعلاما وحركة. فما من قطر إسلامي استجاب قبلها ولا بعدها، ولقد عقت على فتوى شيخ الاسلام، بفتاوى مماثلة، أرفقت باستنفار جميع الطاقات وكافة القوى البشرية والمادية وجيشت الجيوش وأعدت المتطوعين للجهاد. وأكثر من ذلك، فقد أهابت بالجميع في البلاد، بالنزول إلى ساحة الجهاد المقدس من حيث أن ما "غزي قوم في عقردارهم إلا ذلوا".

شكلت الدعوة الى الجهاد المقدس، امتحانا ومحكا للمرجعية وخطها وحوزتها في الظروف العصيبة والمستجدات المصيرية الخطيرة، كما اعطت التلبية السريعة لفتواها من قبل عامة الامامية في العراق، ثقة وامل كبيرين وعميقين وراسخين بوحدة صفهم وبتوحدتهم مع مرجعيتهم، كما ضخت هذه الظاهرة في نفوس المرجعية ومجلسها وحوزتها، اعتبارا وتصورا وقناعة راسخة بأنه، المستوى العملي والرصيد المخزون الذي لعب وسيلعب الدور الكبير في الثورة على المحتل لتحرير العراق من دنسه الامرالذ عجل في قيام ثورة العشرين المباركة ..

انحسرت ثورة العشرين بعدما مادت الارض ردحا من الزمن تحت اقدام المحتلين الذين منوا بخسائر جسيمة، ايقنوا بعدها ان لا استقرار لهم الا بوسائل وطرائق مختلفة .. بيد ان العراقيون المقاومون وعلى رأسهم المرجعية الدينية، رأوا، أنفسهم وجها لوجه مع واقع مريغاية في الضعف والانهيال. لقد ورثوا بلداً بدون دولة ولا سلطة أو مسؤول سياسي ولو على مستوى الرمز، يمثل قاسما مشتركا يمكن أن يلتف حوله شمل المجتمع الممزق، بل ورثوا قطرا أمسك بمفاصله، المحتل البريطاني، وجثم على صدره يمزق اوصاله إربا بيد جزار أنكب على ضحيته بحقد وطمع منهومين. ورغم ذلك كله فإن العلماء كانوا كل ما أقدمت السلطة على خطوة، قابلوها بفتوى

شرعية تلغي فاعليتها، عندئذ حزمت السلطة امرها واخذت القرار الحاسم باستعمال اخر الدواء وهو تفريق شمل العلماء و المراجع ونفي الرؤوس المدبرة خارج العراق الى الحجاز وايران وغيرها وكان على النجف، وبحكم موقعها ودورها الرسالي ان تأخذ المواقف السياسية والجهادية الملائمة، منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى نهاية العقد الرابع من القرن العشرين اخيراً، يمكن القول بأن ثورة النجف ١٩٢٠ م، والتي قادتها المرجعية الدينية، كانت فاتحة للثورات التي تلت في مشارق العرب ومغاربهم، كثورة ١٩٢٢ م في فلسطين، وثورة ١٩٢٥ م في سوريا، وثورة الريف المغربي ١٩٢٥ م، وغيرها من الثورات في بلدان المشرق والمغرب العربي.

الهوامش

- (١) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة د. ناصر الدين الاسد، واحسان عباس، (بيروت: دارالعلم للملايين، ١٩٨٢ م)، ط٧، ص ٢٢٢.
- (٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٤، (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٦ م)، ص ١٢٧.
- (٣) جورج انطونيوس، المصدر نفسه، ص ٢٢٢.
- (٤) الدكتور محمد جواد مالك، شيعة العراق وبناء الوطن دراسة تاريخية منذ ثورة الدستور وحتى الاستقلال ١٩٠٨-١٩٣٢، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٤٣٣/٥١/٢٠ م)، ص ٤٦٦.
- (٥) محمد شفيق شيا، شكيب أرسلان، (بيروت: دار الانماء العربي، ١٩٨٣ م)، ص ١٣٣، ١٣٢.
- (٦) الدكتور سلمان نزال، النجف الاشرف في النصف الاول من القرن العشرين (دراسة سوسيولوجية)، (بيروت: دار المؤرخ العربي، ٢٠١٢ م/١٤٣٣ هـ)، ص ٤٦٧.
- (٧) د. عصام شابور، ثورة العرب ضد الاتراك، (بيروت دار مصباح الفكر، ١٩٨٧ م)، ص ١٢٣؛ محمد شفيق شيا، مصدر سابق، ص ١٣٢.
- (٨) جميل ابراهيم، صلاح عيسى، صك المؤامرة، دار الفتى العربي - القاهرة ١٩٩١ م، ص ٩٠.
- (٩) المصدر نفسه، ص ٢١.
- (١٠) المصدر نفسه، ص ٣٣.
- (١١) الدكتور سلمان نزال، المصدر السابق، ص ٤٦٨.
- (١٢) عمر ابو النصر، "الحرب العظمى"، (مجلة)، بيروت، العدد (١٠١)، بيروت، ١٩٣٩ م، ص ٢٩.

- ١٣ (الدكتور سلمان نزال، المصدر السابق، ص ٤٦٩.
- ١٤ (عمر ابو النصر، المصدر السابق، (١٩١٨ - ١٩٣٨ م) العدد (١٣)، ص ١٠٦.
- ١٥ (احمد الكاتب، تجربة الثورة الاسلامية في العراق، (طهران: بلا، ١٩٨١ م)، ص ١٦.
- ١٦ (عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق، (بيروت: الدار العالمية، ١٩٨٥ م)، ص ١٦٥.
- سلطان ساحة اول معركة دارت رحاها بين الانكليز من جهة والعثمانيين والمجاهدين من جهة ثانية
- ١٧ (الدكتور محمد جواد مالك، مصدر سابق، ص ٢٨٧.
- ١٨ (عبد الرزاق الدراجي، جعفر ابو التمن، (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠ م)، ط ٢، ص ٣٩-٤٠.
- ١٩ (المصدر نفسه، ص ٤٠-٤١.
- ٢٠ (فؤاد ميداني، قيام المظاهرات في كربلاء لتأييد العثمانيين، "الاسرار" (مجلة)، العدد (٣٢)، بيروت، ٧ تشرين الثاني ١٩٣٨ م، ص ٤.
- ٢١ (عبد الرزاق الدراجي، مصدر سابق، ص ٤١.
- ٢٢ (عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، (الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠)، ص ٨٦.
- ٢٣ (احمد الكاتب، مصدر سابق، ص ٢٠.
- ٢٤ (الدكتور محمد جواد مالك، مصدر سابق، ص ٢٨٠-٢٨١؛ الدكتور سلمان نزال، المصدر السابق، ص ٤٧٤-٤٧٥..
- ٢٥ (حسن الاسدي، ثورة النجف، (بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧٥)، ص ٩١.
- ٢٦ (النفيسي، مصدر سابق، ص ٩٣.
- ٢٧ (الدكتور محمد جواد مالك، مصدر سابق، ص ٣١٠-٣١٣؛ الدكتور سلمان نزال، المصدر السابق، ص ٤٧٦.
- ٢٨ (الدكتور سلمان نزال، المصدر نفسه، ص ٤٧٦.
- ٢٩ (النفيسي، مصدر سابق، ص ١٠٣.
- ٣٠ (لدكتور سلمان نزال، المصدر السابق، ص ٤٧٦.
- ٣١ (كاظم محمدي ومحمد دشقي، المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٦ م)، ص ٢١.
- ٣٢ (فريق المزهري آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ونتائجها سنة ١٩٢٠ م، (بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٥٢ م)، ص ٣٦٠.
- ٣٣ (عجمي السعدون: من شيوخ آل السعدون في المنتفك.
- ٣٤ (السيد نور الياسري: زعيم عشيرة السادة ال ياسر في المشخاب.

- ٣٥) الشيخ عبد الواحد الحاج سكر: من كبار زعماء قبيلة ال فتلة في المشخاب ومن قادة ثورة العشرين.
- ٣٦) السيد علوان السيد عباس الياسري: من كبار رؤساء السادة ال ياسر في المشخاب.
- ٣٧) السيد هادي مكو طر زعيم اسرة السادة ال مكو طر في غماس والشتافية.
- ٣٨) السيد محسن ابو طبيخ: زعيم اسرة السادة ال بو طبيخ في غماس.
- ٣٩) زعيم اسرة السادة ال بوزوين في الحيرة.
- ٤٠) الشيخ مبدر ال فرعون: من رؤساء قبيلة ال فتلة في المشخاب.
- ٤١) الشيخ شعلان ابو الجون: رئيس عشيرة الظوالم في الرميثة.
- ٤٢) الشيخ غثيث ال حرجان: من شيوخ عشيرة الظوالم في الرميثة.
- ٤٣) الشيخ عبادي ال حسين: زعيم قبيلة ال فتلة في المهنوية والشامية.
- ٤٤) دراسات في القومية العربية والوحدة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤م)، ص ١٦٩.
- ٤٥) عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٧٢م)، ص ٨٤-٨٥، آل فرعون، مصدر سابق، ص ٤٠، ٤١.
- ٤٦) عمر ابو النصر، المصدر السابق، (١٩١٨-١٩٣٨م) العدد (١٣)، ص ١٠٦.
- ٤٧) الرهيمي، مصدر سابق، ص ١٧١.
- ٤٨) عمر ابو النصر، المصدر السابق، ص ١٠٦.
- ٤٩) احمد الكاتب، مصدر سابق، ص ٤٦.
- ٥٠) المس بيل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطانية في العراق.
- ٥١) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، (بيروت: دار الكشف، ١٩٤٩م)، ص ١٥٦.
- ٥٢) الاسدي، المصدر السابق، ص ٢١٨.
- ٥٣) عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، (لبنان: صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٨٥م)، ص ٧٥.
- ٥٤) الفرعون، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٩-٢١٠.
- ٥٥) محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، (بغداد: بلا، ١٩٧٥م)، ٣٠٢.
- ٥٦) شريف وشركائه، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٤/٥١٤٠٤م)، ص ٣٢٤-٣٢٥، ٣٣٠-٣٣١.
- ٥٧) جعفر آل محبوبية، ماضي النجف وحاضرها، (لبنان: صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٥٣م)، ص ٣٦٧، ٣٦٨.
- ٥٨) المصدر نفسه، ص ٣٦٧-٣٦٨.

- ٥٩ (عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، (بغداد: بلا، ١٩٧٥م)، ط٢، صص ٣٣١-٣٣٢
- ٦٠ السيد ضياء ال ضياء الدين، المرجعية العاملة، دراسة تحليلية لحياة المرجع الاعلى آية الله العظمى السيد ابو الحسن الموسوي الاصفهاني، كتاب مخطوطه نسخة كاملة محفوظة في مكتبة الحوزة العلمية الزينية في دمشق، ص ٤٩.
- ٦١ (عبد الرزاق الحسني، مصدر سابق، ص ٣٣٢
- ٦٢ (الرهيمي، مصدر سابق، ص ٢٤٠، وفي هامش هذه الصفحة يقول: "ورد ذلك في الرسالة التي وجهها بعض زعماء الثورة من حائل الى الامير عبد الله في المدينة في ١٠ شباط ١٩٢١م، ووقعها كل من: جعفر ابو التمن، السيد هادي المكوتر، السيد محسن ابو طيخ، السيد نور الياسري، على البازركان.
- ٦٣ (الدكتور سلمان نزال، مصدر سابق، ص ٥٥٨.
- ٦٤ (المصدر نفسه، ص ٥٥٩.
- ٦٥ (عبد الرحمن البزاز، من الاحتلال الى الاستقلال، (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٧م)، ص ١٣٢.
- ٦٦ (المصدر نفسه، ص ١٣٢.
- ٦٧ (المصدر نفسه، ص ١٤٢.
- ٦٨ (عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج ١، (لبنان: صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٧٥م)، صص ١٧٨-١٧٩؛ شريف وشركاؤه، مصدر سابق، ص ٣٣٠-٣٣١.؛ الدكتور محمد جواد مالك، مصدر سابق، ص ٥٩٧.
- ٦٩ (الدكتور سلمان نزال، مصدر سابق، ص ٥٦١.
- ٧٠ (شريف وشركاؤه، مصدر سابق، ص ٣٣٠.
- ٧١ (عبد الرحمن البزاز، مصدر سابق، ص ١٤٥.
- ٧٢ (المصدر نفسه، ص ١٤٥.
- ٧٣ (فاروق صالح العمر: الاحزاب السياسية في العراق، (بيروت: مطبعة البصائر، ٢٠١٣م)، ص ٦٣.
- ٧٤ (الرهيمي، مصدر سابق، ص ٢٤٥؛ فاروق العمر، المصدر نفسه، ص ٦٣.
- ٧٥ (عبد الرزاق الدراجي، مصدر سابق، ١٥٣-١٥٠؛ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج ٢، (لندن: دار اللام، ١٩٩٠م)، ط ٢، ص ٣٧٥.
- ٧٦ (محمد مهدي البصير، المصدر نفسه، ص ٣٩١-٣٩٢؛ الدكتور محمد جواد مالك، مصدر سابق، ص ٦١٥.
- ٧٧ (رجاء حسني الخطاب، العراق بين ١٩٢١-١٩٢٧، (بغداد: مطبعة الرائد، ١٩٧٦م)، ص ٢٨١. هذه الرسالة وثيقة محفوظة في مكتبة (مدرسة جامعة العلم)، في الكاظمية، وهي مصورة ضمن الوثائق البريطانية. وتتالف من خمس صفحات، ينظر:

Confidentait.the residency,Baghdad,the April.1922,Aletter From perey CoX to Restum.

٧٨ (الرهيمي ، مصدر سابق، ص ٢٤٧.

٧٩ (السيد ضياء ال ضياء الدين، مصدر سابق، ص ٥٧.

٨٠ (محمد مهدي البصير، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٦-٣٩٧،

٨١ (المصدر نفسه، ص ٣٩٨.

٨٢ (رجاء حسني الخطاب، مصدر سابق ، ص ٢٨٠. نقلاً عن : محمد الخالصي ، في سبيل الله، مذكرات الشيخ محمد نجل الشيخ مهدي الخالصي، مخطوطة ومحفوظة في مكتبة مدرسة جامعة العلم في الكاظمية، ص ٣٧٦.

٨٣ (عبد الرزاق الدراجي، مصدر سابق، ص ١٦٦.

٨٤ (علي الوردي ، مصدر سابق ، جزء ٦ ، ص ٤٣ .

٨٥ (المصدر نفسه، ص ٢٠٢. نقلاً عن وثائق البلاط الملكي ، رقم الاضبارة (٣)، رقم الوثيقة (٧)؛ وثائق البلط الملكي ، رقم التسلسل (١٥)، رقم الوثيقة (١).

٨٦ (يذكر د. محمد مظفر الادهمي، ان الفتاوى لمقاطعة الانتخابات صدرت موقعة بتاريخ ١٩ ربيع الاول ١٣٤١م - تشرين الثاني ١٩٢٢م ، نقلاً عن المركز الوطني لحفظ الوثائق ببغداد، وكان مصدرها كربلاء والكاظمية والنجف، ينظر: د. محمد مظفر الادهمي ، المجلس التأسيسي العراقي، دراسة وثائقية في التاريخ السياسي الحديث لاول مؤسسة تشريعية في العراق، ج ٢، (بغداد: دائرة الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م)، ص ٢٣. كما يشير في هامش ص ٥٧، رقم ٣٦، ان التقرير البريطاني ذكر تاريخ صدور الفتاوى في ٨ تشرين الثاني ١٩٢٢:

British Colonial office.Report on Iraq 1923,(London1924).P.26

Administration, April.1922-March

٨٧ (علي الوردي ، مصدر سابق ، جزء ٦ ، ص ٢٤٣.

٨٨ (عبد الرحمن البزاز، مصدر سابق، ص ١٤٥.

Confidentait.the residency,Baghdad,the April.1922,Aletter From perey CoX to Restum.

CoX to Restum.

٩٠ (عبد الرزاق الدراجي، مصدر سابق، ص ١٤٦.

٩١ (عبد الرزاق الدراجي، المصدر نفسه، ص ٢١٥؛ الدكتور سلمان نزال ، مصدر سابق ، ص ٥٥٨.

٩٢ (الدكتور سلمان نزال ، المصدر نفسه، ص ٥٧٠.

٩٣ (عبد الرزاق الدراجي، مصدر سابق، ص ٢١٦.

٩٤ (احمد الكاتب، مصدر سابق ، ص ٩٤.

- ^{٩٥} علي الوردي ، مصدر سابق ، ص ٣٠٨. نقلا عن: Burgoyne Gretr rude Bell-London- 1961.Vol.3,P.313.
- ^{٩٦} عبد الرزاق الحسيني، تاريخ العراق السياسي الحديث، مصدر سابق، ج ٢، صص ٢١-٢٢.
- ^{٩٧} المصدر نفسه ص ٢٢.
- ^{٩٨} الرهيمي، مصدر سابق، ص ٢٦٩؛ فاروق العمر، المصدر نفسه، ص ٦٩.
- ^{٩٩} محمد مهدي البصبي، المصدر نفسه، ص ٥٠٦؛ الدكتور محمد جواد مالك، مصدر سابق، ص ٦٨٦؛ الدكتور سلمان نزال، المصدر نفسه، ص ٥٧١.
- ^{١٠٠} الرهيمي، مصدر سابق، ص ٢٧٢؛ فاروق العمر، المصدر نفسه، ص ٧١.
- ^{١٠١} الشيخ محمد الخالصي (مذكرات): بطل الاسلام الامام الشهيد محمد مهدي الخالصي، وثائق احداث العراق، حركة الجهاد والثورة ١٩١٤-١٩٢٥ م، عن مركز وثائق الامام الخالصي، ١٤٢٨ م ٢٠٠٧ م، ص ٢٢٤ وما بعدها.
- ^{١٠٢} عبد الرزاق الدراجي، مصدر سابق، ص ٢٢٠.
- ^{١٠٣} السيد ضياء ال ضياء الدين، مصدر سابق، ص ٦٧.
- ^{١٠٤} لطفي جعفر فرج، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، (بغداد: مطبعة الخلود، د.ت)، ص ٩٥.
- ^{١٠٥} معروف الرصافي، الاكثرية الشيعية في العراق، "الامل"، (جريدة)، بغداد، ١ تشرين الاول ١٩٢٣ م مع الملاحظة: أن الكاتب هو صاحب الجريدة (
- ^{١٠٦} الدكتور سلمان نزال، المصدر نفسه، ص ٥٧٤.
- ^{١٠٧} (الغاية تبرر الوسيلة): مبدأ مكيفيلي؛ (دعه يمر، دعه يفعل): مبدأ الاقتصاد الرأسمالي الحر: عن الدكتور سلمان نزال، المصدر نفسه، ص ٥٧٥.
- ^{١٠٨} حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨-١٩٧٥، ج ٢، (بيروت: دار التراث العربي، ١٩٩٠ م)، ٢٩٧.
- ^{١٠٩} المصدر نفسه، ص ٢٩٧.
- ^{١١٠} المصدر نفسه، ص ٢٩٨.
- ^{١١١} عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، مصدر سابق، ص ٣٦٠.
- ^{١١٢} غسان سلامة، المجتمع والدولة في المشرق العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧ م)، ص ٣٢.؛ جورج قرم، تعدد الاديان وانظمة الحكم، (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٩ م)، ص ٢٣٢.
- ^{١١٣} غسان سلامة، المصدر نفسه، ص ٨٧.
- ^{١١٤} غسان سلامة، المصدر نفسه، ص ٨٧.

المصادر والمراجع

اولا: التقارير البريطانية باللغة الانكليزية

Burgoyne Gretrude Bell-London-

1961.Vol.3

1-

Confidentait.the residency,Baghdad,the April.1922,Aletter From

2 - perey CoX to Restu .

British Colonial office.Report on 1923,(London1924)

3 - Iraq Administration, April.1922-March

المصادر العربية والمعربة:

١- احمد الكاتب ، تجربة الثورة الاسلامية في العراق، (طهران: بلا، ١٩٨١م).

٢- المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، (بيروت: دار الكشف، ١٩٤٩م).

٣- حسن الاسدي، ثورة النجف، (بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧٥م)،

٤- حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨-

١٩٧٥م، ج٢، (بيروت: دار التراث العربي، ١٩٩٠م)،

٥- جعفر آل محبوبة ، ماضي النجف وحاضرها، (لبنان: صيدا: مطبعة العرفان، ١٣٥٣هـ)،

٦- جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة د. ناصر الدين الاسد، واحسان

عباس، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٢م)، ط٧.

٧- جورج قرقم، تعدد الاديان وانظمة الحكم، (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٩م)،

- ٨- جميل ابراهيم، صلاح عيسى، صك المؤامرة، (القاهرة: دار الفتى العربي، ١٩٩١م).
- ٩- رجاء حسني الخطاب،، العراق بين ١٩٢١-١٩٢٧، (بغداد: مطبعة الرائد، ١٩٧٦م).
- ١٠- الدكتور سلمان نزال، النجف الاشرف في النصف الاول من القرن العشرين (دراسة سوسيولوجية)، (بيروت: دارالمؤرخ العربي، ٢٠١٢م/٤٣٣هـ).
- ١١- السيد ضياء ال ضياء الدين، المرجعية العاملة، دراسة تحليلية لحياة المرجع الاعلى آية الله العظمى السيد ابو الحسن الموسوي الاصفهاني- كتاب مخطوطه- نسخة كاملة محفوظة في مكتبة الحوزة العلمية الزينية في دمشق.
- ١٢- شريف وشركائه، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، (بيروت: دار اقرأ، ١٤٠٤/١٩٨٤م)،.
- ١٣- فاروق صالح العمر: الاحزاب السياسية في العراق، (بيروت: مطبعة البصائر، ٢٠١٣م)،
- ١٤- فريق المزهري آل فرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ونتائجها سنة ١٩٢٠م، (بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٥٢م)،
- ١٥- كاظم محمدي ومحمد دشتي، المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٦م)،
- ١٦- عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، (الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠)،
- ١٧- عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، (بغداد: بلا، ١٩٧٥م)، ط٢،
- ١٨- عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق، (بيروت: الدار العالمية، ١٩٨٥م)،

- ١٩- عبد الجليل ، الطاهر ، العشائر العراقية، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٧٢م).
- ٢٠- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج ١، (لبنان-صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٧٥م)،
- ٢١- عبد الحليم الرهيمي ، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق، (بيروت: الدار العالمية، ١٩٨٥م)،
- ٢٢- عبد الرزاق الدراجي، جعفر ابو التمن، (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠م)، ط ٢
- ٢٣- عبد الرحمن البزاز، من الاحتلال الى الاستقلال، (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٧م)
- ٢٤- عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، (لبنان-صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٨٥م)،
- ٢٥- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٤، (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٦م).
- ٢٦- د. عصام شابور، ثورة العرب ضد الاتراك، (بيروت دار مصباح الفكر، ١٩٨٧م).
- ٢٧- غسان سلامة، المجتمع والدولة في المشرق العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧م)
- ٢٨- لطفي جعفر فرج، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، (بغداد: مطبعة الخلود، د.ت)،
- ٢٩- د. محمد مظفر الازهمي ، المجلس التأسيسي العراقي، دراسة وثائقية في التاريخ السياسي الحديث لاول مؤسسة تشريعية في العراق، ج ٢، (بغداد: دائرة الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م)،

٣٠- الشيخ محمد الخالصي (مذكرات): بطل الاسلام الامام الشهيد محمد مهدي الخالصي، وثائق احداث العراق، حركة الجهاد والثورة ١٩١٤-١٩٢٥م، عن مركز وثائق الامام الخالصي، ١٤٢٨م ٢٠٠٧م

٣١- معروف الرصافي، الاكثرية الشيعية في العراق، "الامل"، (جريدة)، بغداد، ١ تشرين الاول ١٩٢٣م.

٣٢- محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج٢، (لندن: داراللام ١٩٩٠م)، ط٢.

٣٣- الدكتور محمد جواد مالك، شيعة العراق وبناء الوطن دراسة تاريخية منذ ثورة الدستور وحتى الاستقلال ١٩٠٨-١٩٣٢، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٤٣٣/٥١/٢٠٢٠م).

٣٤- محمد شفيق شيا، شكيب أرسلان، (بيروت: دار الانماء العربي، ١٩٨٣م).

٣٥- محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، (بغداد: بلا، ١٩٧٥م)، ٣٠٢.

الصحف والمجلات

١- عمر ابو النصر، "الحرب العظمى"، (مجلة)، بيروت، العدد (١٠١)، ١٩٣٩م

٢- ===== العدد (١٣)، (١٩١٨-١٩٣٨م) ((

٣- فؤاد ميداني، قيام المظاهرات في كربلاء لتأييد العثمانيين، "الاسرار"، (مجلة)، العدد (٣٢)، بيروت، ٧ تشرين الثاني ١٩٣٨م

(English research summary)

Ministry of Higher Education and Scientific Research / University of Qadisiya / Faculty of Education

(The role of religious reference in holy jihad against the British occupation of Iraq from 1914 until the Mandate 1922)

From before

Prof. Dr. Ammar Ali Mohamed Hussein Al-Tai - Department of History _ Faculty of Education / University of Qadisiyah.

Email:Ammar72_m@yahoo.com

When the First World War broke out in 1914, Great Britain succeeded in extending its influence and control over many countries, especially the Islamic ones. In Iraq, the British army advanced and occupied Basra on 5 October 1914. This British campaign against Iraq was the first of its military operations against The Ottoman Empire. The Ottomans were allies of Germany. The Ottoman army, which faced the British invasion, joined the regular army. Large groups of Iraqi Mujahideen led by religious scholars found that the interest of Islam, the Islamic homeland and its sons had to stand with the Ottoman Empire in the face of the British invasion, Islamic University between them.

The process of mobilization of the masses of Muslims, in various communities at the beginning of the response to the entry of the English to the size of Basra was made through the sense of

Islam and the legitimate duty, which requires the Muslim individual to take the position of jihad. It was issued in the first month of Turkey's entry into the war. According to Shaykh al-Islam, the Jihad, as the highest-ranking religious official in the Ottoman Empire, declared that it was " All Muslims in the world, including those living under the rule of Britain, France and Russia, should unite to resist these three enemies of Islam and fight their allies.

The call for holy jihad was an examination, a testament to the reference, its line and its possession in the difficult circumstances and the dangerous and serious developments. The quick response to its fatwa by the general front in Iraq gave the trust and hope of the great and deep and steadfast in the unity of their ranks and their unity with their authority. , With effect and perception and conviction firmly that, the practical level and the stock balance, which played and will play a major role in the revolution on the occupier to liberate Iraq from Dnshh matter precipitated the revolution of the twentieth blessed .

The twentieth revolution receded after the land was submerged under the feet of the occupiers, who suffered great losses. Then they realized that there was no stability except by different means and methods.

However, the resistance Iraqis, headed by the religious authority, saw themselves face to face with a reality that was very weak and collapsing. They inherited a country "without a state, no authority or political official, even at the level of the symbol. It is a common denominator that can surround the torn society. Qatar held its joints, the British occupier, and crouched on his chest torn apart by the hands of a butcher on his victim with hatred and greed and desolate. However, all the scientists were all that the authority took a step, they met with a fatwa invalidated effectiveness, then the power was packed and took the decisive decision to use another The drug is a dispersion of the scientists For the reference and exile of heads of command outside Iraq to the Hijaz and Iran and others was based on Najaf, and by virtue of its location and its mission to take appropriate political and jihadist positions, from the end of the nineteenth century until the end of the fourth decade of the twentieth century finally, "can be said that the revolution of Najaf in 1920, Which was led by the religious authority, was the beginning of the revolutions that followed in the outskirts of the Arabs and their Maghreb, the 1922 revolution in Palestine, the revolution of 1925 in Syria, the revolution of the Moroccan countryside in 1925, and other revolutions in the countries of the Levant and the Maghreb.

التأصيل والتجديد في منهج الدولة الدستوري عند مرجعية النجف

الدينية

أ.د. حسن كاظم أسد الخفاجي

كلية التربية الأساسية / جامعة الكوفة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه المنتجبين، وبعد..

أخذت مسألة الدولة حيزاً كبيراً في الفكر الإسلامي السياسي، فلها من الأهمية ما دفع أغلب الباحثين إلى التوغل في أسكناء هذه المسألة التي غيرت مجرى حياة الأمة الإسلامية، فقد تكونت تجاهها مواقف مختلفة منذ العهد الأول وإلى وقتنا، كما إنها السبب في نشوء الفرق والمذاهب الإسلامية.

من الأسباب التي أدت إلى انطلاق المفكرين المسلمين في العصر الحديث هو بروز مجموعة من التحديات، انطوت على عدة انتقادات للدين الإسلامي بكونه أحد أسباب التخلف الحضاري، مقارنةً بالتفوق الحضاري الغربي، فقد انبرى هؤلاء المفكرون في البحث في أسباب تقدم الغرب وتراجع المسلمين، والدفاع عن فكرة الدولة الوطنية ونموذجها كبديل لدولة الخلافة. وكان هذا التفكير انقلاباً في البناء الفكري الإسلامي الموروث، كما أن هناك سبب آخر وهو أن الخلل الذي أصاب أسس بناء المجتمع الإسلامي وعوامل التحضر يعود إلى عوامل سياسية، فضلاً عن أسس بناء منهج الدولة لم يتم من خلال وصول فكر الدول المتحضرة، بل كان نتيجة

الاحتلال والإدارة الاستعمارية مما يسمى بالضغط السياسي، لأنه التحدي الذي أظهر موطن القوة في العالم المتقدم ومنهج دولته الدستورية الحديثة.

لذلك واستجابة لهذا التحدي الخطير قام المفكرون بحركة نشطة في التأليف والرد في طرح فكر منهج الدولة، وكانت غايتها الإصلاح والبحث عن سبل النهوض، وذلك من خلال عرض وشرح المذهب الإسلامي ونظرياته المتميزة في جميع مناحي الحياة، وبيان أن الإسلام دين الحضارة والمدنية، وفضلا عن مهمة هذه النشاطات في الدفاع عن الإسلام فقد تطورت إلى الشروع في عمل تأصيلي واسع شمل كافة الميادين الاجتماعية منها والفكرية، ولم يكتف المفكرون في هذا بل تطورت تطلعاتهم لنقد الاستبداد وهو خطوة ايجابية للنهضة بواقع التقدم، وفي ظنهم إن هذا متوقف على فصل العلاقة بين الدين والسلطة، وهؤلاء هم أول من دعا إلى تطوير الفكر الإصلاحي الإسلامي، كما أنهم دعوا ليس فقط إلى تقويض الاستبداد وبناء الدولة الوطنية عبر الإصلاح والتنظيمات، بل بقيام حكم دستوري معتمدا على التشقيف التربوي.

من هنا تبرز أهمية ما قام به الإصلاحيون، فقد عالجوا عملية تأصيل شرعي للعمل السياسي، في الحقوق السياسية للفرد والأمة، ثم إعطاء دعم لمشاركة الفقيه المجتهد في التنظير والتأصيل لمنهج الدولة، وذلك في خصوص موقعه وهو يعالج قضايا ومشاكل المجتمع المستحدثة . وبالتالي أنتج نظريات منهج الدولة الدستورية في الفكر الإمامي من خلال مدرسة النجف الدينية، تبنى أصحابها صورا مختلفة، بحسب مبانيهم الأصولية، واستنتاجاتهم الفقهية، تكشف هذه النظريات عن العمق المعرفي، والاهتمام البليغ بفقه الدولة، وهذا ما هيأه أفق الاجتهاد الواسع، والذي تميز به مذهب أهل البيت (ع) . بالملاحظ أن رجالات الفكر الإصلاحيين في

هذه المدرسة وفي القرن العشرين بالذات لم تكن نظرياتهم على نسق فكري واحد وإن عاشوا في مرحلة زمنية واحدة.

أهمية البحث تكمن في متابعة هذه المرحلة التي لعب المفكرون الاصلاحيون في مدرسة النجف الدينية دورا كبيرا في إعادة بناء منهج العقلية الإسلامية في اتجاه الواقع التغيري واستكشاف ثغراته الفكرية السياسية واقتراح بناء منهج فكري للدولة الدستورية المناسبة واكتشاف عوامل التأخر في المجال الفكري والسياسي في واقع الأمة. إذ شهدت المدرسة إشكاليات فكرية بين 'العلم والدين' والأصالة والتجديد، و'الاستبداد والحرية' لأن مدرسة النجف الدينية لم تكن تعيش بعيدة عن واقع الأمة وتطوراتها السياسية، فهي على اتصال دائم بالتطورات السياسية منذ بداية القرن العشرين، إذ شهدت السياسة الإسلامية دورا فاعلا في أحداثها شكلت مدرسة النجف الدينية تأثيرا كبيرا على حركة الواقع الإسلامي من خلال ما تمتعت به هذه المدرسة ومرجعيتها .

يرجع البعد الفكري السياسي في مدرسة النجف إلى مبدأ الإمامة الذي يتسع محتواها للدين والدنيا، ففكر الإمامة له من المرونة الاستنباطية الفكرية في معاشة الواقع في بناء الدولة الدستورية ما أضفى على هذه المدرسة في دخول الصراع والتحدي على كافة المستويات الجهادية والإصلاحية ، وقد استطاعت أن تترك تأثيرها على الأمة، حيث قطعت شوطا كبيرا في معالجة قضايا منهجية وأساسية في الفكر السياسي، كما ان الانفتاح على الثقافة الغربية ودخول المظاهر الحضارية الحديثة من جراء الاحتلال كان بداية ظهور للأفكار السياسية الحديثة في هذه المدرسة .

هدف البحث هو عرض للتطور الفكري في منهج بناء الدولة الدستورية في الفكر الإسلامي بوجه عام من خلال التمهيد في متابعة تاريخية، ثم الولوج في الفكر الإمامي وتطور نظريات بناء منهج الدولة الدستورية منذ وفاة الرسول الأكرم وإلى يومنا هذا كمبحث أول، ثم تلاه المبحث الثاني لعرض وتبلور النظريات الفكرية السياسية في مدرسة النجف الدينية ومراجعها، حيث تجلّى التطور الفكري على محورين الأول وقع على عاتقه المهمة التاريخية في الدفاع عن فكر الإسلام وهويته الثقافية، والمحور الثاني عرض الفكر التجديدي الليبرالي في بناء منهج الدولة الدستورية من خلال تجديد مفاهيم الحرية والعدالة المساواة ومقاومة الاستبداد وكتابة منهج الدولة الدستوري وسلط البحث دراسة لأهم الآراء والمواقف السياسية التي اتخذها هؤلاء الأعلام في العراق من خلال مسيرة مئة عام، الذي تمثل بجهود عدد كبير من مراجعنا العظام كل حسب الدور الذي أداه في مراحل تاريخ هذه المدرسة الدينية والتاريخ السياسي للأمة بشكل عام والعراق بشكل خاص، كذلك سعى البحث الى تسليط الضوء على الحياة الفكرية في تطوير مهمة الفقيه في الاجتهاد والتصدي، في بناء منهج الدولة الدستوري، والتي تعد بداية لتطور الفكر السياسي الإمامي المعاصر.

تمهيد

مر المنهج التكاملي لنظرية الدولة الدستورية بمراحل في الفكر الإسلامي بشكل عام وفي الفكر الإمامي بشكل خاص وهي:

1-عملية الإصلاح ورفض الاستبداد

بدأ الفكر الإسلامي الإصلاحي بنقد الاستبداد والدعوة إلى الحرية، وكان الجيل الأول من المفكرين الإصلاحيين كرفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي يتميز

نتاجهم الفكري في كون العدل والحرية لا يتحققان إلا بقيام الدولة الوطنية، ثم جاء الجيل الثاني متمثلاً بأفكار جمال الدين الأفغاني الذي يدعو إلى إصلاح نظام الدولة العثمانية، في اعتماد الشورى واللامركزية ومقاومة الاستبداد، وبعد ذلك تطور الفكر المنهجي الدستوري في فكر عبده وهو تلميذ الأفغاني في بناء نظرية قيام الدولة من خلال الإصلاح والتصدي للاستبداد السياسي في نظام مدني وهذا متوقف على فصل العلاقة بين الدين والسلطة، وظهرت الدعوة إلى الدستور المدون للدولة أو الدولة الدستورية في تلك المرحلة في فكر عبد الرحمن الكواكبي ومحمد حسين النائي. فقد وضع هؤلاء أسس ومنهج الدولة الدستورية في نظرية المفاهيم السياسية الليبرالية الحديثة^(١).

فالإصلاحيون في القرن التاسع عشر يدعون إلى إصلاح الدولة، وحتى تكون دولة دستورية عادلة تستوعب منهج الدولة الدستورية الحديثة في العالم المتحضر، ثم تطور الفكر الإسلامي السياسي في نقد الاستبداد، والدعوة إلى فصل الدولة عن الدين، وقيام نظام دستوري^(٢).

٢- الإصلاحية الإسلامية والدولة الوطنية أو ما يسمى الإصلاحيون وطرح قضية الدولة :

مرحلة صياغة منهج قيام دولة دستورية وطنية ونقد استبداد نظرية الحق الإلهي، وفك العلاقة بين الديني والمدني. ليس ممكناً فقط عبر الإصلاح والتنظيمات ولكن أيضاً بقيام حكم دستوري و التعويل على التثقيف التربوي كمدخل للتقدم والنهضة. فقد كان محمد عبده والأفغاني والكواكبي معارضين للخلافة العثمانية، ويعيشون ظروف فشل مشروع الإصلاحات وارتداد الخلافة إلى الاستبداد مضافاً إلى ذلك مساهمة النائي في تقديم النهضة الفكرية في مسألة الدولة والنظام

الدستوري في تلك المرحلة، فقد تبلورت في طرحها الفكري في دولة المشروطة وهي المسألة الدستورية في فقه السياسي الشيعي الحديث، فقد دعا إلى وجوب فك العلاقة بين شرعية السلطة وعودة الإمام المهدي (عج)، وعليه فقد اقر جملة من الشروط في بناء الدولة منها الانتقال من صيغة نواب الإمام إلى صيغة نواب الأمة، وتبنى ولاية الأمة على نفسها وأعطى لمسألة الشورى أهمية على الاجتهاد كقاعدة في قيام منهج الدولة الدستورية واعتبر المواطنة لا الدين القاعدة التي يقوم عليها الحقوق السياسية للأمة^(٣).

٣- عودة في الدعوة إلى إنشاء خلافة

بدأت في العشرينيات من القرن العشرين عودة إلى الدعوة إلى الخلافة وكان الم (الخلافة أو الإمامة العظمى)، وهو تأسيس لفكرة جاءت نتيجة لما أصاب الدولة العثمانية من سقوط وتسلسل الضباط على السلطة مما دفع بإشكالية في المفاهيم والعودة من فكرة إنشاء الدولة الوطنية التي وضعه أسسها الجيل الأول، لتتحول إلى مفاهيم السياسة الشرعية، واتسم فكر رضا في الانقلاب واتخاذ فكر سلفي مأخوذ ومستقى من فكر الماوردي وابن تيمية وابن القيم في مسألة الإمام أو الخليفة من اعتبارها فرض كفاية وهو بلا شك عودة إلى فكر سلفي تقليدي في البيعة وأهل الحل والعقد للماروردي فهو إعادة لصياغة منهج الدولة على نحو مختلف عما استقرت به منظومة الفكر تنتمي الليبرالية إلى فكر الدولة الشرعية^(٤).

ولكن لا بد من ذكر ظاهرة تزامنت مع ظاهرة العودة إلى الخلافة، فقد ظهرت مع سقوط الخلافة أفكار لا ترى في الخلافة بناء منهج ليبرالي وإنشاء منهج دولة دستوري حديث، وأعلنت إن الإسلام بريء من تلك الخلافة، والتمرد على المنهج الدولة الشرعية، وكان صاحب هذه الدعوة هو الشيخ علي عبد الرزاق. فقد كان يرى أن

الخلافة تقوم على سلطة مطلقة لا شرعية لها من وجهة نظر الإسلام ولا يجيزها. فالحكومة في الإسلام في رأيه ذات مدنية سياسية، والخلافة والقضاء وغيرها من وظائف الحكم ومراكز الدولة ليست في شيء من الخطط الدينية، وإنما هي خطط سياسية صرفة نرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة. وقد أيد عبد الحميد بن باديس الذي يرى في استحالة وجود الخلافة الدينية؛ كونها دخلت في طور الامتناع منذ انهارت مركزيتها(٥).

٤- من الدولة الإسلامية إلى الدولة الدينية

صاحب هذه الفكرة هو حسن البنا الذي تتلمذ على نحو غير مباشر عن رشيد رضا وفكرته في نظرية الدولة الدستورية هي الفصل بين الدين والدولة، والربط بينهما. ويدعو إلى تعاون عام ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الإسلامية كلها وتكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد. ثم تكوين عصبة الأمم الإسلامية، ومن ثم الاجتماع على الإمام الذي هو واسطة العقد.

فكر ألبنا إيجابي في بناء الدولة الدستورية، وإقامة حكومة إسلامية، كما أنه اعتبر الإسلام ليس مجرد عقيدة دينية بل هو أيضا نظام اجتماعي وسياسي، ولا يكون ذلك إلا بوجود دولة تعبر عنه. ويعد الدستور وثيقة وعلاقة سياسية، مع تمييزه بين الدولة الشيوقراطية في الفكر الغربي ولا تمت بصلة مع تعاليم الإسلام وتجربته في فكرة الدولة الإسلامية، المسألة الدستورية في فكر ألبنا مشروطة؛ إذ أن التمثيل النيابي عنده مشابه لمجلس أهل الحل والعقد ولكنه خال من التعددية الحزبية. الدافع في ذلك ديني شرعي، وهو خشية التفرقات الحزبية في وحدة الجماعة والتعرض للفتنة. لكن فكر الدولة الدستورية عند البنا يختلف عن مفهوم الدولة الوطنية عند الاصلاحيين؛ لذلك فدولته الدستورية تأخذ بنظام التمثيل النيابي

لكن مصدرها السلطة وهي الشريعة الإسلامية لكون الشريعة هي دستور المسلمين في تنظيم اجتماعهم المدني واجتماعهم السياسي^(٦).

٥- الصحويون ونظرية التفويض الإلهي (ثيوقراطية الدولة)

الدولة الإسلامية التي بدءها حسن البناء في ثلاثينات القرن العشرين شهدت تطوراً في الخمسينات مع سيد قطب و محمد قطب حيث انتهت بها إلى اسم الدولة الدينية أو التفويض الإلهي التي عرفت المسيحية في القرون الوسطى و التي حاول ألبنا الابتعاد وإعطائها بعض التمييز عن الدولة الإسلامية.

إذن، أنتج قطب خطاباً سياسياً مبني على اثنيية وهي المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلي، فمفهوم الجاهلية هو عبودية الناس للناس بتشريع بعض الناس للناس بغير ترخيص من الله، أما المجتمع المسلم فهو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظاماً خلقاً وسلوكاً.

وكان في فكره أن مفهوم الحاكمية مفتاح لنظرية بناء الدولة الدينية . وانه لا فصل بين الدين والدنيا.

فالدولة في الإسلام ليست في التلقي الشرائع القانونية من الله وحده بل هي نظام اجتماعي وأخلاقي ومعرفي. لذلك تطورت فكرة الدولة الإسلامية إلى فكرة الدولة دولة الحاكمية أو التفويض الإلهي فالإسلام دين ودولة من هنا يظهر التطور والتقارب بين المذاهب الإسلامية في فكرة بناء الدولة فالحاكمية عند قطب والمودوي قد وافقته ظهور في الفكر الشيعي هي فكرة ولاية الفقيه.

٦- ولاية الفقيه ونظرية التفويض الإلهي (ثيوقراطية الدولة)

إن بناء منهج الدولة في الفقه السياسي الإمامي وفي الفترة المحصورة في خمسينات القرن العشرين يعد تطوراً للتقليد الفقهي الحوزوي في الاجتهاد المنفتح على الفكر

الحديث وتقاربا مع النظرية السنية في بناء الدولة الحديثة الدستورية في الخلافة، الشورى، الحل، والعقد، الإجماع^(٧).

ولاية الفقيه تقضي في أن صلاحيات المعصوم تؤول إلى الفقهاء، ومن ثم تنصيبهم نوابا له السلطة التنفيذ تقرر، وهذا الانتقال في عصر الغيبة حتى يتم قضاء حاجات الأمة على وفق مقتضى الدين والمذهب وبشرط أن انتقال السلطة يكون لمن تتوفر لديه شرائط الاجتهاد بما يجعلهم في مرتبة الفقهاء العدول، والفقيه أصلا لا يتحصل على مرتبة الولاية إلا إذا حاز على العلم بالقانون والعدالة.

إذن؛ الحكومة عند السيد الخميني حكومة دينية وليست حكومة مدنية بل بمعنى أنها عنده حكومة إلهية أو موافقة مع حكم الله؛ لأن للشعب كونه مسلما لا يمكن إلا أن يختارها من سائر أنواع الحكومات الأخرى، فنظرية ولاية الفقيه تأسست مشابهة دولة التفويض الإلهي واعتماد الفقهاء العدول على رأس الدولة. فهي بذلك تعد حق ديني واعتبر الفقهاء السلطة ليست مستمدة من الأمة بل من الوصية فهم بذلك فقهاء حاكمين في الدولة الإلهية.

هذا الانتقال مع ولاية الفقيه من الولاية الدينية التي سادت في الفقه الأمامي إلى الولاية الدينية و السياسية أي بمعنى انتقال الفكر الإمامي من الفقيه الحاكم أو الولي الفقيه ومن عصمة إمام ذو عصمة إلى عصمة دولة لا تحاسب من قبل شعبها ونوابه لأنها أيضا لا تخطئ. وهذا الفكر تبني مبدأ التعيين عوضا عن مبدأ الشورى والفقيه الولي مسؤول إمام الله وليس إمام الأمة^(٨).

المبحث الأول :

١- الدولة في الفكر الإمامي الشيعي:

مما تقدم يمكن القول أن بناء المنهج الدستوري للدولة قد بدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى نهاية القرن العشرين على المستوى الإسلامي عموماً كجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبدة، ومحمد رشيد رضا، وعلي عبد الرازق، وحسن البنا، وسيد قطب، والشيخ كاشف الغطاء، والسيد محسن الأمين، ومحمد جواد مغنية، والسيد محمد حسين فضل الله، والسيد علي الأمين، والشيخ حسين المؤيد، فقد قام هؤلاء في استنطاق النصوص ليصلوا إلى النظرية في بناء منهج الدولة الدستوري.

إن الصراع السياسي في بناء الدولة، قد ابتنى على النص القرآني والحديثي وعلى مقدار تفسير ذلك وتأويله، وبالأخص القراءة التأويلية المؤدلجة لهما، ومن ثم تحول من هيمنة القراءة المؤدلجة للنص، إلى هيمنة الروايات، وسلطة التاريخ^(٩).

كلنا يعلم أن اضطهاد الشيعة، ابتداءً منذ وفاة الرسول ﷺ، وبعد الخلافة الراشدية ومقتل الحسين عليه السلام تحول فكر الإمامة عند الشيعة إلى إمامة روحية من خلال مدرسة الإمامين الصادقين الفقيهية، على العكس من الإمامة السياسية التي أخذ بها البعض من أئمة الشيعة كزيد بن علي، ومن خلال تلك المسيرة افترق الشيعة بين امامتين: روحية وسياسية، فأنشأ البعض منهم - أصحاب الفكر الإمامي السياسي - دولا وإمارات على امتداد رقعة الأمة الإسلامية، كالفاطمية، والقرمطية، والحمدانية.

الفكر الإسلامي، قد بني أساساً على الصراع السياسي، والولاية الخاصة، أي توظيف الدين لخدمة الأغراض السياسية، أو ما يسمى في وقتنا الحاضر بتسييس الدين.

مما تقدم يتضح أن الصراع السياسي قد ابتنى أساساً عند المذاهب الأربعة على العصبية القبلية والتأويل المختلف للأحاديث وأخذوا بمبدأ الشورى، والإمامية - بعد القرن الأول الهجري - اعتمدوا مبدأ النص والتعيين الإلهيين، أما الفرق الشيعية

الأخرى، الزيدية مثلاً، فقد توصلت إلى القول بإمامة المفضول بوجود الأفضل، وبهذا عادت إلى الشورى إلى حد ما.

٢- مقدمة تاريخية

مرت نظرية الامامة في الفكر الشيعي الامامي بمراحل عدة، مرحلة ما قبل الغيبة ومرحلة بعد الغيبة وتبلورت في عدة نظريات سياسية في عصر الغيبة، كنظرية النيابة العامة المحدودة، ونظرية المرجعية الدينية، ونظرية ولاية الفقيه، التي رافقها القبول بالديمقراطية.

إذن، هي نظرية الشكل الإلهي، نظرية التقية والانتظار، نظرية ولاية الفقيه النظرية التي تقول أن حكم المعصوم عليه السلام الذي يستمد صلاحياته من الله تعالى مباشرة ويمارس الحكم بتعيين إلهي دون دخل لاختيار الناس وآرائهم، وهذا الشكل من الحكم ثابت في الإسلام دون شك وبإجماع المسلمين، إن حاكمية رسول الله (ص) كانت من هذا النمط بدليل قوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾ (١٠) وقوله سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (١١).

وعلى هذا فوجود الشكل الإلهي للحكم في الإسلام لا إشكال فيه، والإشكال في التعيين وعدمه، وضمان في الشكل الإلهي من الحكم هو العصمة لاستقامة الحكم ونزاهته. وعلى هذا فالمعصوم عليه السلام تكون صلاحياته تشمل ليس فقط التبليغ بل كافة الأمور الدينية والدنيوية بينما يختلف الأمر في نظرية الحاكم غير المعصوم.

نظرية ولاية الفقيه تدرجت في تطور مفهومها في الفكر الإسلامي منذ قرنين، على أساس نظرية نيابة الفقهاء عن الإمام المهدي (عج)، التي تبلورت في مرحلة غيبة الإمام ثم تطورت إلى أن أصبحت تشمل قضايا سياسية لبناء الدولة، كإعطاء الفقهاء الإجازة للملوك للحكم نيابة عنهم، باعتبارهم مصدر الشرعية الدستورية في عصر الغيبة، لأنهم نواب الإمام المهدي (عج)،. وأول من طبق هذه النظرية كان المحقق الكركي، عندما منح الشاه الصفوي (طهماسب) الإجازة للحكم باسمه. أما قبل ذلك التاريخ فقد كانت نظرية التقية والانتظار، التي كانت لها من الحذر في إقامة الدولة في عصر الغيبة، إلا عند ظهور المهدي (عج)،، وذلك حسب نظرية الإمامة الإلهية التي تشترط العصمة والنص والسلالة الحسينية. ومن هنا نلاحظ التطور في مفهوم نظرية (ولاية الفقيه) ونظرية التقية والانتظار، فنظرية ولاية الفقيه (المرجعية الدينية) هي امتداد لنظرية الإمامة، وقد أوصى بها الإمام المهدي (عج)، لدى غيبته كنظام سياسي للشيعنة في ظل الغيبة الكبرى (١٢).

إن فترة الغيبة الصغرى التي امتدت حوالي سبعين عاما بعد وفاة الإمام العسكري ٢٦٠ هـ، وكان (المهدي) (عج)، يتصل فيها بوكلاء خاصين، إلى أن انقطعت النيابة الخاصة بوفاة النائب الرابع محمد بن علي السمري سنة ٣٢٩ هـ، حيث بدأت الفترة الثانية في حياة الأمة وهي الغيبة الكبرى، والتي امتدت منذ وفاة السمري وإلى يومنا هذا.

اعتمد الفكر الإمامي على أدلة فلسفية وسيلتها العقل وأخرى نصية وسيلتها القرآن الكريم والسنة الشريفة على إثبات وجود الإمام المهدي (عج)،، فالاستدلال الفلسفي يثبت أن نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت قائمة على العصمة والنص

والوراثة في أبناء الحسين، خلافا لفرق الشيعة الأخرى كالفطحية وغيرهم من فرق الشيعة الأخرى.

والدليل النصي ثم الدليل التاريخي الذي يؤكد على ولادة الإمام المهدي (عج)، من خلال الروايات، تاريخ ولادته، وكيفيتها وما أحاط بها من تكتم شديد ومحاولات قتله وتكذيب شأنه وشهادة النواب الأربعة، ورسائل المهدي (عج)، فضلا عن الأدلة الإعجازية في كيفية ولادته ووجود دليل الإجماع.

٣- من الشورى الى ولاية الفقيه:

مبدأ الإمامة عند الإمامية أصل عقدي وضروري وهي منصب ديني، تعتمد الوصية والتعيين، بدليل بيعة الغدير، بينما عند المذاهب الأخرى منصب سياسي مهمته في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

ثم ظهر تطور مبدأ الإمامة كون الغيبة فراغ من السلطة الشرعية فيقتضي فقه الانتظار، وفي هذه المرحلة ظهرت المصنفات الكبرى محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، ثم الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، ثم الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، وبعده تلميذه الشيخ الطوسي (ت هجرية ٤٦٠ هـ) وغيرها. وقد تضمنت هذه المؤلفات وخاصة للشيخ المفيد والطوسي والشريف المرتضي أن هناك دور للفقيه في الولاية على الناس ورد المظالم، بشرط إذن الإمام، كما يرى الشيخ الطوسي أن الرياسة من الأمور التي تثبت عقلا، وهذا بلا شك تمهيد لهذا الانفتاح في ولاية الفقيه فيما بعد وقد تجلّى في دور المحقق الكركي (ت ق ٧ هـ) فقد قام بدور فعال كونه الفقيه والمرجع في أحكام الدولة الصفوية، ثم جاء النائيني (ت ١٩٣٦ ميلادية) من خلال كتابه "تنبيه الأمة وتنزيه الملة" التي تعد انفتاحا آخر في بناء الدولة، وبعده النائيني مؤسس الفقه السياسي الإمامي المعاصر، وهو بمحاولته هذه خطوة منهجية لبناء دولة

دستورية وعلى وفق الضوابط الإسلامية، وتمهيد لما تمخض به الفكر السياسي لبناء الدولة الدستورية في فكر السيد الخميني والشيخ شمس الدين والسيد محمد باقر الصدر بعد ذلك.

ثم تطورت نظرية ولاية الفقيه في فكر السيد الخميني ومما زاد في نجاحها هو في وجود مساحة لتطبيقها نظرية في إيران، والتي تعد الخطوة الأولى على طريق الديمقراطية، فقد كانت هذه النظرية استثناء وخروجاً عن بنية حوزوية اتسمت بالتقليد والتحفظ.

أما منهج الدولة عند الشيخ شمس الدين فهو في ولاية الأمة على نفسها وهو يمثل تطوراً في شروط الرؤية التجديدية التي أنتجها في إطار الاجتماع السياسي، كونها تنطلق من المسلمات والثوابت الإمامية المعروفة في علم الكلام والفقه. فالدمج بين الأبعاد الفكرية وبين الأبعاد الفقهية والتاريخية والمعاصرة على قاعدة نقدية صارمة ويشيد قطيعة بين زمنين هما الزمن السياسي للسلطة، بما هو شأن إلهي غيبي، ويسمّيها بالحكومة الإلهية، وبين الزمن السياسي للأمة التي تكتسي فيه السلطة طابعاً دنيوياً، فهو هنا يفصل بين مفهومين أساسيين وتحليلين مهمين هما الإطلاق الزمني والإطلاق الأحوالي فقد ارتكز في بناء نظريته الرؤية التجديدية والحدثة السياسية في إطارها الاجتماعي السياسي، وتركت آثارها على مساحات الإنتاج الفقهي والفكري المتنوع، من فقه المرأة التي أجاز توليها للسلطة، وتجويزه ولاية الحاكم الجائر والتعاون معه، إلى مقولته المركزية في الاجتماع السياسي الشيعي القائمة على ولاية الأمة على نفسها (١٣).

إن وراء هذا التطور في بناء الدولة يمثل مرونة أصولية جريئة في قراءته للنص وتأويله له، وهو ما يتضح في كتابه "الاجتماع السياسي في الإسلام" فقد ارتكز في بناء منهجيته على النظرة المتحركة للنص التشريعي، ورفض الاستدلال النصي على

مسألة الحكم واعتبارها ملازمة للتركيب الكلي للشريعة، وتسويغ السلطة على أساس أسلمة المعطى الفقهي لا مذهبه .

التي تتضح فيها صبغة أخلاقية وعقلانية واضحة، ثم تأتي منهج الدولة عند السيد محمد باقر الصدر التي اتسم بالتأصيل النظري و اعتماده على السنن التاريخية، والصراع والتغير داخل التشكيلات الاجتماعية. مرتكزا على الاستنتاج الشرعي في خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، والمسوغ العقلي القائم على نظرية (منطقة الفراغ) ، والمسوغ الواقعي القائم على الحاجة للدولة والبناء الحضاري. ثم الإدماج بين المشروعية الدينية والشعبية، ولاية الفقيه والأمة معا(١٤).

ثم منهج الدولة في فكر السيد السيستاني وكيف أنها تتشابه إلى حد معين مع نظرية النائيين لكونهما قد تشابهت ظروفهما، وعلى حرصيهما على مصلحة بلديهما

المبحث الثاني:

١- تبلور نظرية الدولة في الفكر الإمامي في مدرسة النجف الدينية وقد تبلورت لدى علماء الشيعة الإمامية بعد عصر الغيبة، عدة نظريات سياسية، (إن الرأي المشهور عند فقهاء تلك الحقبة التالية لسنة الغيبة الكبرى، ذهبوا إلى عدم مشروعية العمل لإقامة حكم لإسلامي على مذهب أهل البيت عليه السلام ، وحاولوا أن يستنبطوا صيغة للتعايش مع الوضع القائم استنادا إلى المبادئ الشرعية التي وضعها الأئمة المعصومون، والقواعد العامة في الشريعة، والاندماج في المجتمع السياسي، مع الاحتفاظ بالهوية الخاصة لخط الإمامة المعصومة في الحياة اليومية والعامة...) (١٥) ، ولكن ولضرورة وجود الحاكم لحفظ التجمع الإنساني، وتنظيم حاجاته المختلفة: (فإن الشيعة لا يرون - كما يقول الشيخ محمد مغنية - أي بأس

من الناحية الدينية بقيام اي دولة زمنية في هذا العصر والعصور السابقة، إذا حكمت برضا الناس واختيارهم، وأدت واجباتها كدولة صالحة تحفظ الأمن والنظام، وتصون لكل ذي حق حقه، وتحصن الحدود من الاعتداء، على شريطة ألا تتعرض للأديان من قريب أو بعيد...)(١٦).

٢-مشروع الدولة المدنية

الشيخ النائي:

الشيخ النائي يقترح في بناء منهج الدولة الدستورية أساسين وذلك للحيلولة دون استبداد سياسي، واغتصاب لمنصب الإمام الغائب وحقوق الناس والرعية:

١ - إيجاد دستور وافي بالتحديد المذكور يتضمن رسميا كيفية إقامة تلك الوظائف، ودرجة استيلاء السلطان وحرية الأمة ١٧، اي: وضع المنهج القويم الذي يحدد (طبيعة السلطة ودورها، وكذلك مجموع الحقوق والواجبات الأساسية للمواطنين، ويضبط نمط ممارسة السيادة أو تخويلها. أي شكل الحكم والحكومة، واختصاصات سلطات الدولة، وعمل وظائفها، والحقوق الأساسية للأفراد، وأخيرا مشاركة المواطنين في ممارسة السلطة بواسطة الانتخاب)(١٨)، أو المشورة وغيرها من الوسائل المؤدية لهذا الغرض.

٢ - إحكام أساس المراقبة والمحاسبة ١٩، وهذه المراقبة للسلطة ومحاسبتها لن تتأتى إلا عن طريق قيام مجلس مندوبي الأمة، الخبراء في السياسة الداخلية والخارجية. مهمته الرئيسية مراقبة القوة الاجرائية ومنعها من السقوط في الأخطاء والاستبداد. على أن يكون المجلس ومندوبيه مسؤولين أمام الأمة بدورهم خاضعين لمراقبتها العامة.(فالنائي يصوغ وعيه السياسي من خلال منهجية فلسفية وعصرية، تعكس إلى حد بعيد تماهيه الشديد في واقعه، فهو يرى أن الولاية الزمنية،

السلطة في عصر الغيبة هي للأمة ، وأن ولاية الأمة على نفسها شأن سياسي لا شأن شرعي ، لا بمعنى الممايزة بين الشرعي والسياسي ، وإنما بالمعنى الزمني، إذ أن عدم إمكانية تحقق الإمامة الإلهية، يفتح المجال للأمة في تحقيق سلطانها عبر إقامة سلطة مقيدة بمجلس شوري منتخب^(٢٠). ومسؤولية أهل الحل والعقد كانت تنحصر في اختيار رئيس الدولة، الإمام أو الخليفة.

لكن الفكر السياسي الإسلامي المعاصر وسع من هذا المفهوم ليشمل مندوبي الأمة ونوابها المنتخبين في المجالس النيابية المعاصرة، وذلك باشتراط وجود مجموعة من المجتهدين داخل هذه الهيئة أو المجلس، ينحصر عملها في مطابقة القوانين والتشريعات المقترحة، بالشريعة الإسلامية، وعدم تجاوزها للأصول الإسلامية المعتبرة. وإذا لم يكن هناك مجتهدون من ضمن هذه الهيئة، فلا بد من وجود (مأذونين) من طرف الفقهاء المجتهدين لممارسة هذا الحق السياسي. مع التأكيد على معرفة القوانين والتشريعات التي يصدرها المجلس من أجل التصديق عليها. ومن ثم يكتسي عمل المندوب في المحاسبة والمراقبة، صفة المشروعية^(٢١).

مع العلم إن المشروطة لم تطبق وقد جوبهت باعترافات منها كون الحياة النيابية وتشريع الدستور يؤديان إلى التعارض مع ما جاء به الشرع، فالمطالبة بالدستور يؤدي إلى التحرر من أحكام الشريعة، لذلك رد الشيخ على هذه الإشكاليات في كون الحرية مطلب إنساني أصيل لا يتعارض والأصول التي انبثت عليها الديانات السماوية، التي جاءت لتحرر الإنسان من جميع العبوديات وتحقيق عبوديته الحق والخالصة لله وحده. بل لقد حث الدين على مقاومة الأهواء والرغبات الفاسدة والتحرر منها لأنها تعتبر شكلا من أشكال العبودية لغير الحق. وعليه فالمشاجرات الواقعة فيما بين الأنبياء والأولياء مع فراعنة السلف وكذلك الواقعة فيما بين اتباعهم

وأخلافهم مع طواغيت الخلف، هي كلها من أجل استنقاذ هذه الموهبة العظمى من مغتصبها لا غير(٢٢).

كما أثار دعاة الاستبداد مسألة التسوية التي كونها دعوة للتسوية في الأحكام ورفع جميع الامتيازات والخصوصيات الذاتية والموضوعية. كما توسلوا في هذا المجال بـ (التعارض بين تفوق المسلم من جهة والاعتراف رسميا بمساواة كل المواطنين أمام القانون بصرف النظر عن دينهم من ناحية أخرى...) (٢٣)، مع أن هذا التفسير للمساواة، مخالف لمبادئ العقل ولم تدعوله الديانات السماوية. فالاختلاف في القدرات والعطاءات والكفاءات من القضايا العقلانية والواقعية التي لا خلاف حولها بين عقلاء الأمم. (إن مبدأ المساواة من أشرف المبادئ والقوانين التي تنادي بها السياسة الإسلامية، وهو أس العدالة وروح القانون) (٢٤). كما أكد الشيخ النائي في معرض رده أن الناس سواسية أمام القانون والشرع الإسلامي، وهم قبل ذلك متساوون في أصل الخلقة(٢٥). إن نظرية الشيخ النائي هي (صياغة توفيقية لأيدولوجية السلطة، وبالسعي إلى قولبة المفاهيم الدينية في أوعية سياسية حديثة ، إنها أيضا محاولة لإيصال البيان الفقهي التاريخي الشيعي مع منظومة المفاهيم السياسية والدستورية الحديثة ، عملا بسيرة علماء الدين في مصر وبلاد الشام وتركيا وشمال أفريقيا وشبه القارة الهندية . إنها تؤرخ لمرحلة جديدة منفصلة عن المسار التاريخي للفقهاء السلطاني الشيعي ، تبني أساساتها النظرية ، وترتيب استدلالاتها بطريقة المقاربة مع الفكر السياسي الحديث) (٢٦)، فهي بمعنى آخر وثيقة نادرة عن النظرية السياسية الشيعية التي تسعى إلى تحقيق الوفاق بين استمراروعي اختفاء الإمام عن الأنظار، مع الاستحالة الناتجة للشرعية، وبين الحاجة العملية لشكل من أشكال الحكم الذاتي لا يسيء كثيرا إلى أملاءات الدين (

(٢٧).

الشيخ شمس الدين:

تبلورت نظرية الحكم والسلطة في إطارها الإسلامي عند الشيخ شمس الدين على منهج مركب من المنهج التاريخي الكلامي والمنهج الفقهي الاستنباطي (٢٨) ومعتمدا على مقدمتين أساسيتين تمثلان أصليين ثابتين، وهما :

الأولى: (إن الولاية الوحيدة الثابتة والمطلقة بحكم العقل والنقل ، هي ولاية الله تعالى وحده دون غيره، وهي ولاية تكوينية تشريعية، وليس لأحد من البشر والملائكة ولاية على أحد في عرض ولايته تعالى، وبصورة موازية لها) (٢٩)، الثانية : إن الأصل في باب الولايات هو : (عدم ولاية أحد على أحد ، ومقتضاه عدم مشروعية تسلط أي شخص على شخص آخر ، أو جماعة من غير رضا موضوع التسلط ، ومن المعلوم إن هذا مقتضى لولاية الإنسان على نفسه ، إذ لا يعقل أن لا يكون لأحد ولاية على أحد ولا يكون لأحد ولاية على نفسه) (٣٠) فمقتضى الأصل هو ولاية الإنسان على نفسه ، وهو الأمر الذي يؤيده القرآن الكريم في كثير من الآيات المباركة ، منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغْنِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٣١) وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِكُونَ ﴾ (٣٢) ، وعلى هاتين الدعامين اثرت بعض المؤاخذات كون هذا الطرح يسلب الإمام حقه في الولاية في عصر الغيبة لكن الشيخ رد ذلك : (إن ولاية الأمة في عصر الغيبة لا تعني غضب حق الإمام ﷺ ، الذي قرره الله تعالى ، وذلك لأنه إنما يكون مغصوبا فيما لو كان الإمام حاضرا وفاعلا في المجتمع ، وموجها للناس في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية ، وأما إذا كان الإمام غائبا ، وولايته معلقة ، فإن النصوص المقدسة لم تكشف عما

قضاه الله تعالى في عصر الغيبة ، إلا ما يدعى في روايات (٣٤) والتي يرى الشيخ شمس الدين لا دلالة فيها على أن الله تعالى قد قضى بأن يكون الفقيه وليا للأمر ، له حق الطاعة المطلقة في الأمر والنهي ، حيث يقول : (وأما في عصر غيبته - كما في زماننا - فلا نعلم أن الله تعالى قضى حكما في هذا الأمر (الولاية) (٣٥) . وما أدعي دلالة (على قضاء الله فيه وهي الروايات ، فقد أثبتنا أن لا دلالة فيها ، وعمدتهم بعد ذلك في الاستدلال على ما أدعوه من حكم العقل نتيجة ما أسموه بدوران الأمر بين التعيين والتخير منفي بهذا المفهوم ، الذي يثبت أن الإنسان ولي نفسه ، فيما لم يثبت أن الله قضى فيه أمرا) (٣٦) .

إن ولاية الأمة بحسب رؤية شمس الدين تقتضي أن يكون الناس بعضهم أولياء بعض فيما يعود إلى تدبير أمورهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، كما هو مقتضى الولاية بما هي عليه من تدبير وسلطة ، لا بما هي عليه من نصرة ومحبة ومؤازرة ، كما وضحته الآية القرآنية : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ (٣٧) .

وقد وضع الشيخ شمس الدين مبادئ دستورية وهي مبدأ الشورى (٣٨) معتمدا النص القرآني ﴿ ... وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ... ﴾ (٣٩) وهو (حكم شرعي ، وضعي تنظيمي ، يقتضي على المسلمين أن يطبقوه في حياتهم العامة ، ليتم إسلامهم وإيمانهم ، وإذا أخلوا به كانوا ناقصي الإيمان والإسلام) (٤٠) ، لذلك فالشورى ضرورية وملزمة بشرط إلا تتعدى حدين مورد حكم شرعي ثابت بالنص القطعي التفصيلي في الكتاب والسنة ، أو بغيرهما من الأدلة ، وثانيهما : ألا تخالف نتيجة الشورى حكما شرعيا ثابتا في الشريعة ، وفيما عدا ذلك ، فإن جميع قضايا المجتمع والحكم ، مما ينطبق عليه الأمر (أمر المسلمين) مورد الشورى ، اللازم إجراؤها الملزمة نتائجها (٤١) .

فصل السلطات الثلاث (٤٢)، كما فرق الشيخ شمس الدين في قضية فصل السلطات في الدولة الإسلامية بين عصر حضور المعصوم وعصر غيبته، فيقول: (عصر الإمامة المعصومة الظاهر، لا مناص من الاعتراف والتسليم بأن الإمام المعصوم هو مركز السلطات الثلاثة، لأن الإمامة المعصومة ... امتداد للنبوة حتى في مجال التشريع) (٤٣)، أما في عصر الغيبة وبناء على أن أساس مشروعية تكوين الدولة ونصب الحكومة هو ولاية الأمة على نفسها فإن (الاعتبار الفقهي القاضي بفصل السلطات أكثر وضوحاً على هذا المبنى حيث لا وجه لمركزة السلطات كلها في شخص واحد أو هيئة واحدة) (٤٤).

ممارسة الولاية من الأمة حيث يكون الانتخاب الشعبي، هو الأقرب إلى ممارسة السلطة الذاتية، ولذلك يتم انتخاب الموظفين والمسؤولين الإداريين عن طريق (مجالس الشورى) المنتخبة في تلك المناطق كما يمكن أن يتم انتخاب الإداريين من قبيل السكان بصورة مباشرة (٤٥)،

الديمقراطية في اختيار المسؤولين لإدارة الدولة في اختيار الحاكم انطلاقاً من التعامل الإيجابي مع الواقع ومن ثم عدم مخالفة هذا الأسلوب للأصول والقواعد الشرعية (٤٦).

ونتيجة لذلك يكون نمط السلطة وحدودها تقتصر على الجانب الإداري التنفيذي البحت: (إن فرض الضرائب والغرامات المالية، ليس من صلاحيات الإدارة ولا تشمله سلطتها) (٤٧)، وأن اللامركزية السياسية هي النمط الملائم لنظرية ولاية الأمة؛ لأنها إذا كانت (مركزية) فإنها تقتضي بطبيعتها تجمع سلطات كثيرة على أعداد كبيرة من السكان في يد واحدة، أو أيدٍ قليلة... وهذا كله مخالف للأصل الأولي في سلطة الإنسان على الإنسان، والأصل الأولي في سلطة الإنسان على نفسه، وعمله، وماله، وعلى الطبيعة (٤٨).

إلا أن هذا الاستنتاج يؤدي إلى فصل السلطات؛ لأن بعض الإجراءات التي هي من شؤون السلطة التنفيذية في التصنيف السائد لا تعد من صلاحيات الإدارة التنفيذية الإسلامية، فيقول: (إن الإدارة الإسلامية في الدولة الإسلامية جهاز تنفيذي محض، وليس له أي سلطة أو صلاحيات تشريعية على الإطلاق ... ولا فرق في عدم صلاحية الإدارة لممارسة التشريع بين القضايا المالية كالضرائب، والغرامات، ومصادر الأموال، وحجزها، وبين العقوبات التعزيرية، من حبس، وحجز حرية، وضرب تأديب، وتشهير، وما إلى ذلك ...) (٤٩).

فالتشريع (٥٠) يرجع إلى اجتهاد الفقهاء ضمن إطار الشريعة؛ لأن هذه المهمة قد أرادها الشارع المقدس للفقهاء، وإن صيغة ولاية الأمة على نفسها لا تتعارض مع سلطة الفقيه في مجال التشريع، وأن نصب الفقيه الجامع للشرائط ثابت بالدليل القطعي في مجال الإفتاء والقضاء والأمور الحسبية، وعليه لا يمكن للأمة أن تمارس سلطة التشريع في مجال الأحكام الشرعية، الذي يحتاج إلى اجتهاد فقهي، وهو من شأن مجامع الفقهاء (٥١)،

أما السلطة الثانية وهي السلطة التنفيذية وهي الإدارة عند شمس الدين تمثله جهاز تنفيذي بحت، ومقيدة بالأصول الأولية يمنحها صلاحيات المراقبة والمحاسبة على حركة المجتمع وضبط سلوكياته، فالإدارة ضمن نظام الدولة الإسلامية (ليست محايدة بالنسبة إلى المضمون المعنوي الاعتقادي للمجتمع، الذي تتولى إدارته بل هي (منحازة وملتزمة) بهذا المضمون، وتحمل مسؤولية تقويم سلوك من يشذ من الأفراد عن هذا المضمون، شذوذا ظاهرا يناقض الوضع العام للمجتمع وينتهك آدابه وأخلاقياته) (٥٢)، إن ممارسة الإدارة في المجتمع السياسي، ممارسة السلطة على المجتمع من الشخص المتولي للسلطة الإدارية، ويقصد بها: (كل أمر ونهي وتوسعة

وتضييق وتصرف لم يرد في الشرع - نصاً أو اجتهاداً - اعتباره تشريعاً ، وإنما اقتضته المصلحة العامة المتجددة الحادثة للمجتمع السياسي ، دون أن يكون ثابتاً في أصل الشرع على ذمة المكلف (٥٣) لأن ما كان ثابتاً في أصل الشرع فهو خارج من موارد السلطة الإدارية ، باعتباره تكليفاً شرعياً يجب الامتثال له سواء أأمرت به الإدارة أو نهت عنه ، أو لا فإن صنع الخمر وبيعه محرمان شرعاً ، سواء أأمرت به السلطة أو نهت عنه ، أولاً ، أما إذا أمرت السلطة مزارعي العنب بعدم تصديره إلى الخارج ، فهذا الأمر من صلاحيات الإدارة وخصوصياتها ، وعلى وفق الأصول الأولية فإن (شرعية السلطة الإدارية ليست مطلقة ، وإنما هي مقصورة على القدر المتيقن من الأدلة ، وهو ما يتوقف عليه حفظ نظام المجتمع ، وتماسكه ونحوه ، وما زاد على ذلك فممارسة السلطة على الناس فيه أمر غير مشروع) (٥٤) .

إن الهيئة التنفيذية في الدولة الإسلامية ، ورعاية شأن الولاية الذاتية للإنسان على نفسه تقتضي أن يكون اختيار الموظفين الإداريين فيها بالانتخاب ، ويحرص شمس الدين على توسيع دائرة الانتخاب رعاية المبدأ نفسه ، فـ (المراكز التنفيذية الكبرى - رئاسة الجمهورية ونوابها أو نوابها - يتم اختيار الأشخاص المناسبين لها بالاستفتاء الشعبي العام ، وتشكيل الحكومة بإشراف وموافقة مجلس الشورى وكذلك الوظائف التنفيذية الكبرى التي تتضمن صلاحيات واسعة ، فإنها يجب أن يتم اختيار الأشخاص المناسبين لها بموافقة مشتركة من قبل الحكومة ومجلس الشورى) (٥٥)

أما السلطة القضائية فهي منفصلة عن سلطتي التشريع والإدارة ، وهو من اختصاص الفقهاء ، وذلك (للأدلة الدالة على أن المجتهد الجامع للشرائط منصوب من قبل الإمام المعصوم عليه السلام بـ (النصب العام) للقضاء في عصر الغيبة ، وتقتضي هذه الأدلة بأن

كل مجتهد جامع للشرائط ، إذا تصدى للقضاء واختاره الخصمان قاضٍ يجب امتثال حكمه وإنفاذه) (٥٦) إن نصب الإمام عليه السلام للفقهاء في منصب القضاء يقتضي استقلاله ، فلا يتوقف احتساب الفقيه قاضياً على نصب أحد ، ولا ينخلع عن منصبه القضائي بخلع أحد ، ويذهب شمس الدين إلى أن الضرورة التنظيمية للدولة إذا اقتضت تعيين القضاة بالنص الخاص ، فذلك يعد (أمراً شكلياً من باب تشخيص الحاصل ، وليس تحصيلاً ، ويمكن أن يتولى مجلس الشورى تعيين الفقيه للقضاء) (٥٧)

السيد السيستاني دام ظله

لا يختلف مفهوم شكل الدولة عند السيد السيستاني عن النائبني والشيخ محمد مهدي شمس الدين ، فقد وجد السيد السيستاني في رؤية النائبني أقرب وأصح الآراء التي تتناسب والواقع العراقي بظروفه وشروطه وأطيافه المتنوعة ، لكون الظروف التي مر بها العراق مشابه لما مر به العراق في بدايات القرن الماضي - أي في وقت مرجعية النائبني - كان يدرك معاناة الشعب العراقي حيث التزم سماحته جانب الهدوء القيادي والاعتزان في رد الفعل إزاء الفاجعة التي حركت الشارع من أقصاه إلى أقصاه ، وطالب فيها العنفوان الشيعي مرجعيته بصدور الحكم القاسي ، ولكن المرجعية الوحودية أبت إلا ضبط النفس . وصدور الأمر الكريم بالتزام العقل والمنطق والهدوء ، وتجنب كل ما فيه إثارة طائفية أو فتنة مذهبية. فقد عبأ الجهود لإعادة صياغة وعي الشعب العراقي وربما يتناسب مع الشروط والتحديات التي تضمن إقامة عراق سيد مستقل يستعيد دوره ومكانته في محيطه العربي والإسلامي والدولي ، وكان يدرك سماحته أن هذا لن يكون ممكناً إلا من خلال انصهار مجموع الأمة في بوتقة العراق على قاعدة الاختيار الحر الطوعي ومن خلال مساواة كاملة

حقيقية تتيح لكل مكون بشري واجتماعي التعبير بحرية وانفتاح طوعية عن آماله وأحلامه وقيمه الدينية والمذهبية والإثنية والفكرية^(٥٨). لقد أدرك سماحته أن أفضل الحلول لواقع العراق الراهن هو الدولة المدنية، لا الدولة الدينية، وهي أن تكون هذه الحكومة منبثقة من أغلبية الشعب، تحترم الدين الإسلامي، وتأخذ بقيمه باعتباره دين أغلبية الشعب، فيقول سماحته في ذلك: (يفترض بالحكومة التي تنبثق عن إرادة أغلبية الشعب أن تحترم دين الأغلبية وتأخذ بقيمه ولا تخالف في قراراتها شيئا في أحكامه) (٥٩).

وقد اعتمد السيد على أمرين في إقامة تحقيق الدولة المدنية هما (٦٠) :

فصل السلطات التشريعية والتنفيذية بمنح الصلاحيات (في الأمور العامة) للقائم على حفظ النظام وليس له (ولاية عامة).

وشرعية الانتخابات وقيام الفقيه (المنتخب) من قبل الفقهاء بمهام الولاية على (الشؤون العامة) . وأن انتخابه يكون من الناس عامة وليس الفقهاء فقط ، ثم بين أن حصر الحاكم بكونه فقيها إنما هو حكم احتياطي عقلي لعدم إحراز الدليل على الانحصار بالفقيه من جهة ، ولكونه أفضل مصاديق التعامل مع القانون والحفاظ على الدين وحرمات الناس، وبجمع الأقوال يكون السيد قد طلب الأمل في نظره ... وملخصه: أن قاعدة حفظ النظام توجب إعطاء الصلاحيات في الشؤون العامة لمن يحفظه، ومن يحفظه يجب أن يكون منتخبا، وشرعية الانتخابات إنما هي من باب (الحق) والتوكيل بذلك الحق الذي هو حصة من مجموعة الحصص في المجتمع ، وأما الوكيل الشرعي القائم على حفظ النظام فيفضل أن يكون فقيها احتياطا ، ويحتمل كلامه قبول المتفقه ثم غيره ولا يعدم شعب من قانوني أو فقيه ، وهذا يكون من حيث النتيجة متقاربة من نظرية العلامة النائيني إلى حد ما . وأنه بين (

الولاية العامة) ولكنه يقول بالولاية (في الأمور العامة) حتى لغير النبي (ص) وهي ولاية مسببة من قبل المسلمين عامة عن طريق الانتخابات. وأن قاعدة حفظ النظام تمنح الصلاحية لمن يتصدى بطريق شرعي، وهو هنا بواسطة استعمال الحق الشخصي للمواطنين بانتخابه وكيلا وممثلا عنهم (٦١).

ثم كتابة الدستور وهي الوثيقة الأساسية التي يعود إليها الجميع ويحتكمون إليها وتحدد صلاحيات السلطات المختلفة، وكيفية تداول السلطة، والحفاظ على حقوق الأفراد، وأن تكون كتابته بأيدٍ عراقية وليس مفروضا عليهم؛ لأنه سوف يفقد قيمته حينئذ. كما أنه يجب أن يتضمن الحفاظ على المقدس الإسلامي، وعدم جواز تشريع يخالف الإسلام، وهذا الدستور يجب أن يكون من ركائزه هي الثوابت الدينية والأخلاق السامية والقيم الاجتماعية النبيلة للشعب العراقي إلى جنب مبدأ الشورى والتعددية واحترام الأقلية لرأي الأكثرية ونحو ذلك (٦٢)، قال: (الدستور العراقي يجب أن يكتب من قبل ممثلي الشعب العراقي الذين يتم اختيارهم عن طريق الانتخابات العامة، وأي دستور يضعه مجلس غير منتخب من قبل الشعب لا يمكن القبول به) (٦٣).

٣- ولاية الفقيه عند السيد الخميني ومشروع الدولة الدينية

ينطلق السيد الخميني في طرحه لمفهوم ولاية الفقيه من الإمامة في بناء الدولة، إذ يرى أن تعيين الرسول (ص) لخليفة له أمر ضروري وللازم، ولم يكن ذلك في سبيل بيان الأحكام فقط، حيث إن الرسول (ص) كان قد أنجز ذلك، فاللزوم العقلي لتعيين الخليفة يرتبط بالحكومة، والحاجة إلى تنفيذ القوانين؛ لأن الإسلام قام بوضع القوانين وعين سلطة تنفيذية لها، والرسول (ص) نفسه لم يقتصر دوره على تبيان القانون، بل كان يقوم بتنفيذه أيضا. فملاحظة قول السيد الخميني: (من

هنا يجب إقامة الحكومة والسلطة التنفيذية والإدارية، إن الاعتقاد بضرورة تأسيس الحكومة ، وإقامة السلطة التنفيذية والإدارية جزء من الولاية، كما أن النضال والسعي لأجلها من الاعتقاد بالولاية أيضا (٦٤) وهذه الولاية المطلقة للفقهاء الجامع للشرائط في مهمته لأنه نائب الإمام الغائب.

يتضح أن ثمة مماثلة في الوظيفة السياسية بين الرسول والولي الفقيه. ولا تقتصر الولاية على تمثيلها في حكومة قائمة، إنما تتعداها إلى ما يسبقها من سعي لإقامتها، فالولاية كينونة شرعية، تجد مبتغاها في إقامة سلطة إسلامية، إلا أن وجودها لا ينتفي في المرحلة التي تسبق إقامة هذه السلطة إن تشكيل الرسول للحكومة وتعيينه خليفة من بعده ، دليلان على لزوم إقامة الحكومة التي لا تنحصر بزمانه، إنما تستمر بعده أيضا ، (لأن أحكام الإسلام ليست محددة بزمان ومكان خاصين ، بل هي باقية وواجبة التنفيذ إلى الأبد ، والقول بأن قوانين الإسلام قابلة للتعطيل ، أو أنها منحصرة بزمان أو مكان محددين ، خلاف الضروريات العقائدية في الإسلام. إذن لا مفر من تشكيل الحكومة ، وتنظيم جميع الأمور التي تحصل في البلاد منعا للفوضى والتفسخ . وعليه فما كان ضروريا في زمان الرسول (ص) وأمير المؤمنين عليه السلام بحكم العقل والشرع ، من إقامة الحكومة والسلطة التنفيذية والإدارية فهو ضروري بعدهم ، وفي زماننا أيضا) (٦٥)

ولاية الفقيه تطورت تطورا كبيرا عند السيد الخميني، وتبلورت كنظرية فقهية وسياسية، شديدة القوة والوضوح، على الرغم من تبنيها لبعض الفقهاء من السابقين له والمعاصرين.

فتحت هذه النظرية المجال السياسي للفقهاء الإمامي، ولاسيما مع تحولها إلى تجربة تطبيقية، خصوصا كان يعاني من إقصاء كبير ، بيد أن الركيزة في بناء هذه

النظرية، في أن الفقيه الجامع للشرائط هو نائب الإمام الغائب لذلك تنتقل صلاحيات الإمام في غيبته إلى نائبه، إذ قال في نظريته : (إن للفقيه العادل جميع ما للرسول (ص) والأئمة (ع) ، مما يرجع إلى الحكومة السياسية ، ولا يعقل الفرق ، لأن الوالي - أي شخص كان - هو مجري أحكام الشريعة ، والمقيم الحدود الإلهية ، والأخذ للخراج وسائر المالية ، والمتصرف فيها ، بما هو صلاح المسلمين ، فالنبي (ص) يجلد الزاني مائة جلدة والإمام عليه السلام له ذلك ، والفقيه كذلك ، ويأخذون الصدقات بمنوال واحد ، ومع اقتضاء المصالح يأمرّون الناس بالأوامر التي للولي ، ويجب إطاعتهم) (٦٦) . وهذا الانتقال للصلاحيات من المعصوم يكون ضمن شروط ، وأن ذلك يختص بشؤون السلطنة والولاية، إذ قال : (ثم إن المتحصل من جميع ما ذكرناه ، أن للفقيه جميع ما للإمام عليه السلام إلا إذا أقام الدليل على أن الثابت له عليه السلام ليس من جهة ولايته وسلطنته ، بل لجهات شخصية ، تشريفا له ، أو دلّ الدليل على أن الشيء الفلاني وإن كان من شؤون الحكومة والسلطنة ، لكن يختص بالإمام عليه السلام ولا يتعدى منه ، كما اشتهر ذلك في الجهاد غير الدفاعي ، وإن كان فيه بحث وتأمل) (٦٧) . يمكن استنتاج في أن سلطة الولي الفقيه، هي سلطة تفويضية من الله كونه صاحب الولاية الحقيقية، وليست سلطة تعاقدية أو طبيعية . ومن ناحية الوظائف السياسية للسلطة ، تكاد لا تختلف عن صلاحيات المعصوم إلا أنها أطروحة عقائدية بالدرجة الأولى ، لا يتوفر إثباتها وتطبيقها إلا في إطار فكري واجتماعي شيعي ، نظرا لتلازمها مع مفهوم الإمامة الذي يشكل الأصل النظري والشرعي للأطروحة .

وتبعاً لذلك فالسيد الخميني يرفض الطرح الشيعي التقليدي، الذي كان يشترط إقامة الحكومة الإسلامية وامتلاكها الشرعية، حضور الإمام الغائب ، الإمام الثاني

عشر لدى الشيعة ، فيسأل : (هل يجب أن تبقى الأحكام طيلة فترة ما بعد الغيبة الصغرى (٢٦٠ هـ) إلى اليوم، حيث مضى أكثر من ألف عام، ومن الممكن أن تمرّ مئة ألف عام أخرى - دون أن تقتضي المصلحة ظهور صاحب الأمر - فهل يجب أن تبقى مطروحة وبلا تطبيق، وليعمل كل امرئ ما يشاء ؟ ولتعم الفوضى؟) (٦٨) إن السيد الخميني يرى أن ذلك هو أسوأ من الاعتقاد بالغاء الإسلام ، وما هو حال واجب الدفاع عن ثغور المسلمين، وأراضي الوطن الإسلامي، وأخذ ضرائب من الجزية والخراج والخمس والزكاة، وقانون العقوبات الإسلامي، والديات والقصاص .

إلا أن التسويغ النظري لولاية الفقيه لا يقتصر على ذلك بل يضيف السيد الخميني له ، ضرورات واقعية وسياسية راهنة ، بهدف انحراف المسار التاريخي الراهن، فاستمرار الحاكمية الإسلامية، وتصويب واقع الإسلام المعاصر، ركيزتين جوهريتين ففي ذلك يقول: (لا سبيل - لتحقيق وحدة أمتنا الإسلامية، وإخراج وطننا الإسلامي، وتحريره من سيطرة المستعمرين ونفوذهم ومن الدولة العميلة - سوى بتأسيس دولة، إذ لكي نحقق الوحدة والحرية للشعوب الإسلامية، يجب إسقاط الحكومات الظالمة والعميلة، ومن ثم إقامة الحكومة الإسلامية العادلة، التي تكون في خدمة الناس) (٦٩) . فتأسيس الحكومة هو لأجل حفظ نظام.

٤- الدولة الشورية في فقه السيد محمد باقر الصدر

نظرية الدولة تعند السيد الصدر تنطلق من خلال شهادة الأنبياء وخلافة الأمة، ثم تقعيد وتقنين مفهوم الدولة الإسلامية والدور الذي تؤديه الأمة في العملية السياسية، فقد عد السيد الصدر ظاهرة الدولة ظاهرة اجتماعية أصيلة في حياة الإنسان، فقد ظهرت على يد الأنبياء ورسالات السماء، فرسمت صيغها السوية، وأدت دورها البناء في قيادة ركب التجمع الإنساني القائم على أساس الحق والعدل

والمساواة للحفاظ على الوحدة البشرية^(٧٠). لقد تبنى السيد الصدر عدة نظريات لإدارة الدولة الإسلامية، وكان تبنيه لها مبنيا على متطلبات الواقع المعاصر، وهي:

حكم الشوري (حكم الأمة)

وهي تستند إلى التشاور من قبل الأمة في الأمور والقضايا الهامة التي تخص الدولة الإسلامية، والاتفاق فيما بينهم بشكر لا يتعارض مع الثوابت الإسلامية^(٧١) : (

الحكم الشوري أو حكم الأمة في عصر الغيبة شكل جائز من الحكم فيصح للأمة إقامة حكومة تمارس صلاحياتها في تطبيق الأحكام الشرعية ووضع تنفيذ التعاليم المستمدة منها، وتختار للحكومة الشكل والحدود التي تكون أكثر اتفاقا مع الإسلام ومصلحة الأمة، وعلى هذا الأساس فإن أي شكل شوري من الحكم يعتبر صحيحا ما دام ضمن الحدود الشرعية، وإنما قيدنا الكيفية التي تمارس بها الأمة حق الحكم بأن تكون ضمن الحدود الشرعية، لأنها لا يجوز لها أن تختار الكيفية التي تتعارض مع شيء من الأحكام الشرعية، كأن تسلم زمام الأمور إلى فاسق بالأخذ بقوله في مجال الشهادة فضلا عن مجال الحكم ورعاية شؤون الأمة) (٧٢)، لذلك فهو يرجح نظرية الشورى كأساس لإدارة الأمة لتنظيم شؤون نفسها وتنظيم أمورها لكن بشرط أن تنسجم طرق إدارتها مع تعاليم الشريعة الإسلامية وروحها. لأن الشورى في عصر الغيبة شكل جائز من الحكم، فيصبح للأمة إقامة حكومة تمارس صلاحياتها في تطبيق الأحكام الشرعية ووضع وتنفيذ التعاليم المستمدة منها وتختار لتلك الحكومة الشكل التي تنسجم مع مصلحة الإسلام والأمة^{٧٣}. فاعتماد مبدأ الشورى هو الأساس في شرعية الحكم الإسلامي في عصر الغيبة، وليس بالضرورة أن يكون هو المبدأ الوحيد، فنلاحظه في موضع آخر يقول : (من الواضح أن شكل الحكم في الوقت الحاضر لم يعالج في نص خاص على مذهبي الشيعة والسنة معا) (٧٤). كما أعطى للأمة الحق في اختيار نوع وشكل

الحكم بما يتفق ومصالحتها العامة وضمن حدود الشريعة، ولم يحدد شكلاً معيناً للحكم فضلاً عن أنه لم يفترض وجود دور معين للفقيه المجتهد في أصل شكل الحكم، وإنما ذكر ذلك في حديثه عن محدوديات الحكم الشوري، فهو يرى منح المجتهد دوراً رئيساً حتى في نظام الشورى، فهو الذي يتولى مسؤولية لا يشاركه فيها غير المجتهدين الآخرين، وهي مسؤولية الإفتاء والقضاء، أما الحكم فلا يفترض أن يكون من المجتهدين، فإذا اختارت الأمة مجتهداً ليكون حاكماً، فقد اجتمعت فيه صفتا الحكم والقضاء، وإذا لم يكن الحاكم فقيهاً فبإمكانه أن يختار اجتهداً من اجتهادات عدة ليتبناه في الحكم ورعاية شؤون الأمة، لذلك يلاحظ أن اختيار الحاكم بيد الأمة ليس عليها أن تختار المجتهد بل الأصلح لأداء مهام الحكم ورعاية القوانين فهو بذلك ألقى على الأمة مسؤولية شرعية وهي أن تجد وتجتهد في تشكيل حكومة تعمل وفق التعاليم السماوية (٧٥)، من خلال ممارسة الأمة السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية وبالطريقة التي يعينها الدستور. في :) انتخاب رئيس السلطة التنفيذية، وانتخاب أهل الحل والعقد، وإقرار الحكومة وتحديد أحد البدائل الاجتهادية المشروعة، ومعك منطقة الفراغ الفقهي، والإشراف على سير تطبيق الدستور والقوانين ومراقبة السلطة التنفيذية (٧٦) وهذا الحق حق استخلاف ورعاية مستمد من مصدر السلطات الحقيقي وهو الله تعالى، وبهذا ترتفع الأمة إلى قمة شعورها بالمسؤولية، لأنها تتصرف بوصفها خليفة الله في الأرض (٧٧).

٥- نظرية ولاية الفقيه

وهي إعطاء الفقيه الصلاحية في إدارة شؤون الأمة بحيث يكون له حق الولاية الشرعية في تنظيم أمور المسلمين (٧٨)، ولكن بشروط خاصة تتوفر فيه كالعلم والعدالة والكفاءة، قال السيد : (المجتهد المطلق إذا توفرت فيه سائر الشروط

الشرعية في مرجع التقليد... جاز للمكلف أن يقلده، وكانت له الولاية الشرعية العامة من شؤون المسلمين شريطة أن يكون كفؤاً من الناحية الدينية والواقعية معاً (٧٩).

٦- خلافة الأمة وإشراف الفقيه

وهي نظرية تتوسط بين نظريتي الشورى وولاية الفقيه ويتم اختيار الفقيه من الأمة للتصدي للحكم وإدارة أمور الدولة والإشراف عليها^(٨٠). وبذلك فإن الخلافة للأمة لكن النيابة تكون للفقيه، فيمكن أن يبدوان كسلطتين منبثقتين عن الله سبحانه وتعالى تعملان معاً لتحقيق المصالح العليا للأمة، فالأمة هي المستخلفة من قبل الله تعالى، والنيابة تعطي للنائب ما للمعصوم، وبما أن للمعصوم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فللنائب حق كحق المعصوم، لذا لا بد على الأمة أن تسمع وتطيع له ما دام في منصب الولاية ولم يخرق عهد الأمانة، وإن حق الأمة المراقبة، والباقي يمارسه الفقيه بواسطة حق النيابة العامة للمعصوم، وبالتالي هو الذي يعين المجلس الذي يمثل العامة أو أنه هو الذي يفوض العامة باختيار المجلس ولا يحق للمجلس القيام بأي فعل قبل إقرار الولي الفقيه الشرعية لهذا المجلس، أي أنه ليس للأمة ولاية ذاتية، ما لم يعط الله أو المعصوم لها هذه الولاية وهذا مؤسس على أساس أن جميع السلطات مستمدة من قبل الله تعالى وأن المعصوم عليه السلام أعطى الولاية للفقيه وأمر الأمة بالرجوع إليه ولم يعطها إلا المشورة^(٨١). ف (المرجع هو الممثل الأعلى للدولة والقائد الأعلى للجيش)^(٨٢)، وبهذا يكون السيد الصدر قد تفرد بهذه النظرية ولم يسبقه أحد في ذلك^{٨٣}. فهو أول من طرح هذه النظرية وبلورها واعتبرها أسلوباً فعالاً لإدارة الدولة^(٨٤).

ثم تكامل المشروع الفقه الدستوري في فكر السيد الصدر، فقد نظر فقهيًا إلى أسلوب إدارة الدولة ومن ثم بدأ بتحريره وهو حصيلة تجربة المزج بين النظريتين، رغم وجود تجربة حديثة بقيام دولة إسلامية تحتاج إلى هذا الفقه، وعلى أساس ذلك أكد السيد الصدر على أن الله سبحانه هو مصدر السلطات جميعًا، وهذه الحقيقة الكبرى تعتبر ثورة سنها الأنبياء ومارسوها في معركتهم من أجل تحرير الإنسان من عبودية الإنسان وتعني هذه الحقيقة أن الإنسان حر، ولا سيادة لإنسان آخر أو لطبقة أو لأي مجموعة بشرية عليه، إذن لا بد من طريقة تحدد هذه السلطات وهي الشريعة الإسلامية التي هي المصدر الذي يستمد منه الدستور وتشرع على ضوءه القوانين فقد اعتبر أحكام الشريعة ثابتة بوضوح فقهي مطلق تعتبر بقدر صلتها بالحياة الاجتماعية جزءًا ثابتًا في الدستور - سواء أنصّ عليه صريحًا في وثيقة الدستور أم لا .

وفي حالات عدم موقف حاسم للشريعة من تحريم أو إيجاب ، يكون للسلطة التشريعية التي تمثل العامة أن تسن من القوانين ما تراه صالحًا على أن لا يتعارض مع الدستور ، وتسمى مجالات هذه القوانين بمنطقة الفراغ، على أن لا يتعارض مع الدستور (٨٥) .

أن السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية قد أسندت ممارستها إلى الأمة، فالأمة هي صاحبة الحق في ممارسة هاتين السلطتين بالطريقة التي يعينها الدستور، وهذا الحق حق استخلاف ورعاية مستمد من مصدر السلطات الحقيقي وهو الله تعالى . وبهذا ترتفع الأمة وهي تمارس السلطة إلى قمة شعورها بالمسؤولية، وقد أسند للأمة انتخاب رئيس السلطة التنفيذية بعد أن يتم ترشيحه من المرجعية، ويتولى الرئيس المنتخب بعد ذلك بنفسه تكوين أعضاء حكومته، كما تقوم الأمة عن طريق الانتخاب المباشر انتخاب مجلس أهل العقد والحل ويقوم بوظائف أهمها إقرار أعضاء

الحكومة التي يشكلها رئيس السلطة التنفيذية المساعدة في ممارسة السلطة، تحديد أحد البدائل من الاجتهادات المشروعة، ملء منطقة الفراغ بتشريع قوانين مناسبة، الإشراف على سير تطبيق الدستور والقوانين ومراقبة السلطة التنفيذية ومناقشتها (٨٦).

كما لم يغفل في إعطاء مركزية المرجع فقد عده الممثل الأعلى للدولة والقائد العام الأعلى للجيش، وهو الذي يرشح أو يمضي ترشيح الفرد أو الأفراد والذين يتقدمون للفوز بمنصب رئاسة السلطة التنفيذية، يقوم بتأليف مجلس يضم مائة من المثقفين الروحانيين، ويشمل على عدد من أفاضل العلماء في الحوزة، وعدد من أفاضل العلماء الوكلاء، وعدد من أفاضل الخطباء والمؤلفين والمفسرين على أن يضم المجلس ما لا يقل عن عشرة من المجتهدين، وتمارس المرجعية أعمالها خلال هذا المجلس.

من خلال هذه النظرية يتبين أن الأمة هي صاحبة الحق في الرعاية وحمل الأمانة، وأفرادها جميعا متساوون في هذا أمام القانون، ولكل منهم التعبير - من خلال ممارسة هذا الحق - عن آرائه وأفكاره، وممارسة العمل السياسي بأشكاله المختلفة، وأن لهم الحق جميعا في ممارسة شعائرهم الدينية والمذهبية، وتتعهد الدولة بتوفير ذلك لغير المسلمين من مواطنيها الذين يؤمنون بالانتماء السياسي إليها وإلى إطارها العقائدي ولو كانوا ينتسبون دينيا إلى أديان أخرى (٨٧).

خلاصة ونتائج:

البحث يتناول منهج الدولة الدستوري في الفكر الإمامي والأسباب التي دعت إلى نشوء نظريات تبنته نخبة فكرية معاصرة قد شغلته أسباب التردّي في الفكر الإسلامي وتفوق الفكر السياسي الغربي على الفكر الإسلامي.

ومن خلال البحث تبين أن الإنتاج الفكري الإسلامي كان عبر خمسة أجيال من المفكرين، وهي الجيل الإصلاحي الأول، مثل رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. والجيل الإصلاحي المتأخر أو الثاني، مثل عبد الرحمن الكواكبي ورشيد رضا والنائيني. والجيل الثالث مثل عبد الحميد بن باديس وعلي عبد الرازق وحسن البنا وأبو الأعلى المودودي وأبو الحسن الندوي والخميني وعلال الفاسي ومحمد الغزالي وسيد قطب وحسن الهضيبي. والجيل الرابع، مثل سيد قطب ومحمد قطب ويوسف القرضاوي ومصطفى السباعي وعبد السلام ياسين. والجيل الخامس، مثل عبد السلام فرج وراشد الغنوشي وحسن الترابي وفهمي هويدي ومحمد عمارة.

توصل البحث من خلال تتبع نصوص المفكرين الإسلاميين منذ بدايات القرن التاسع عشر إلى نهايات القرن العشرين أن بناء نظرية لمنهج دولة دستورية معتمدة المعرفة بالنص الديني والواقع الاجتماعي والمرجعية الإسلامية قد تمخضت عنها فكرتين فكرة اصلاحية اجتهادية وفكرة سلفية رفضت التجديد.

في الفكر الاسلامي الحديث والمعاصر تقاطعات كثيرة، فقد بدت تطورات في الفكر الإسلامي لبناء الدولة الدستورية فالإصلاحية جاءت تشكل قطيعة مع السياسة الشرعية، وسلفية رشيد رضا أنجزت قطيعة أولية مع الإصلاحية، وإحيائية حسن البنا استكملت تلك بقطيعة مضاعفة مع الإصلاحية ومع سلفية رضا، وخطاب الحاكمية والتكفير مثل قطيعة مع الخطاب الإخواني، وولاية الفقيه كانت خطابا شيعيا منفصلا مع خطاب المشروطة الذي قدمه النائيني.

توصل البحث إلى أن أولى البوادر على طريق بناء دولة دستورية من قبل المفكرين الشيعة هو النائيني والذي دعا إلى وجود دولة في أي مجتمع ضرورة فطرية وعقلية، وبما أن الشارع المقدس أيد تلك الضرورة فأصبحت قانونية أيضا ، فضلا عن سلوك

النبي (ص) والأئمة (ع)، وأن وظائفها حماية البلاد وإدارة شؤون الناس ومصالحهم وفق نظام يقوم على دعامين الأولى تطبيق القانون وبسط العدل في المجتمع .

الثانية : الحفاظ على السيادة الداخلية (الإسلامية) أمام تدخل الأجانب، فضلا عن باكورة الدولة الدستورية وهو في إيجادها لا يتم إلا عن طريق الانتخاب، كما إن الاستبداد غصب مركب لحق الله في وجوب طاعته بتولية المعصوم عليه السلام وحق الأمة في التمتع بالحرية والعدل ، لذا فإن الحكومة الدستورية تحدد الجور قدر الإمكان ولا تتخذ مغصوبية المعصوم ذريعة لإسقاط تكليف الانعتاق من الاستبداد جعل من (الحرية والمساواة) منطلقا لقيام هذه الحكومة، وأفرد لها أهمية خاصة . الاستفادة من تجارب الغرب والانفتاح عليهم بما ينفع في وضع الأسس الديمقراطية السليمة لا يشترط تصدي المجتهد للسلطة ، بل يكفي أذنه في الصحة والمشروعية.

(أن الحكومة عند النائبني حكومة عدل نسبي، وذلك لتعذر حكومة العدل المطلق (حكومة المعصوم)، ويمكننا الحصول على هذا العدل النسبي من خلال الانتخابات والبرلمان والدستور ، ولذا نجد النائبني نقل الخطاب الدستوري الشيعي من الانحسار في المشروعية الدينية إلى خطاب تتجلى فيه المشروعية المدنية السياسية المستمدة من الدين ، وقد استدل على ذلك في رسالته (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) بعشرات الأدلة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والسنن الفطرية)^{٨٨}.

دور الشيخ شمس الدين في مجال فقه الدولة السياسي الإسلامي ينطلق من خلفية فلسفية مفادها الإيمان بالدور الوظيفي للسلطة التنفيذية ، والنظر إليها كمؤسسة مدنية وظيفية محضة ، وتجريدها من الطابع الإلهي، ونفي الرسالة عنها (بالمفهوم الديني) فهو يلتقي في النظر إلى السلطة التنفيذية كمؤسسة مدنية

بحة مع الشيخ محمد عبده ، حيث إنه يميل إلى تصوير الحاكم الإسلامي كحاكم مدني في جميع الوجوه . ويلتقي مع الشيخ النائي في نفيه للحاكم المطلق غير الخاضع لرقابة الأمة ومشاركتها في القرار السياسي يلتقي الشيخ شمس الدين في رؤيته إلى الفصل بين السلطات الثلاث (التشريعية ، التنفيذية ، القضائية) مع رؤية السيد محمد باقر الصدر القائل بمبدأ الفصل بين السلطات ، ويختلف معه في أن دعوة الشيخ شمس الدين إلى الفصل تؤدي إلى تقليص وتحديد السلطة التنفيذية أيضا ، وهذا ما لا يقوله السيد الصدر .

من خلال محاكماته للواقع يتضح أن السيد السيستاني تجاوز طرح البحث عن شرعية الحكم إلى طرح مسألة عدم جواز مخالفة القوانين لحرمة مخالفة النظام العام وحرمة الإخلال به ، لما يقتضي به العقل من قبح الفوضى والهرج والمرج والفتنة ، بما يفضي على الجميع التقييد بالقانون . ومن هنا كان التأكيد المستمر في الاستفتاءات على لزوم الالتزام بالقانون بالنسبة للمواطنين عموما وعدم جواز مخالفته وحرمة التصرف في الأموال العامة بما يخالف الالتزامات الملقاة على عاتق المواطن .

كما يؤكد السيد السيستاني دام ظله ضرورة مشاركة الشعب في كتابة الدستور وأن يختار من يقوم بتنفيذ القانون والسهر عليه ، فكان الحث على المشاركة في الانتخابات ، بل الدفع من أجل أن تضم الهيئة التشريعية أناسا مؤهلين في مجالات الفقه والقانون لكي لا يصدر ما يخالف الثوابت الإسلامية

كما يؤكد على ضرورة ابتعاد الفقيه عن المشاركة في السلطتين التنفيذية والتشريعية ، بل عليه أن يكتفي بعنصر المراقبة الشديدة والإرشاد والنصح الذي يصل إلى درجة الالتزام في بعض حالاته ، انطلاقا من موقع الأمة لا الحاكم ، حيث امتلك هذا التحويل الطبيعي . وقد جعل في الدستور مادة في غاية الأهمية وهي سر

قوة الدستور العراقي، تتمثل بالمادة الأولى التي تنص على أن الإسلام دين الدولة الرسمي وهو مصدر أساسي للتشريع، ولا يجوز سن قانون يتعارض مع ثوابت أحكام الإسلام، وبهذا يؤمن الشرعية المناسبة له .

أكد السيد السيستاني دام ظله - في معرض استفادته من قاعدة لا ضرر في منح الصلاحيات في الأمور العامة للقائم على حفظ النظام وليس له (ولاية عامة)، وشرعية الانتخابات وقيام الفقيه (المنتخب) من قبل الناس عامة بمهام الولاية على (الشؤون العامة) ، ولا يمكن حصر الحكم بالفقيه إلا من باب الاحتياط لعدم إحراز الدليل على ذلك ، إلا أنه من مصاديق التعامل مع القانون والحفاظ على الدين وحرمان الناس .

دستور الدولة عند الإمام الخميني ليس بدكتاتوري، ويتقوم بوضع شروط على المتنفذين في الحكم والسلطة، وهذه الشروط معتمدة على القرآن والسنة الشريفة، ولذلك فالحكم الإسلامي حكم قانوني، والقانون الذي يطبق هو القانون الإسلامي . لذلك فدستور السيد الخميني مشروط ولكن ليس المشروط الذي وضعه السابقون . وولاية الفقيه لها صلاحيات مطلقة قد توازي صلاحيات المعصوم عند السيد الخميني .

يرفض الصدر نظريات العقد الاجتماعي، والقوة والغلبة، والتفويض الإلهي للجبارين، والتوارث العائلي ، في نشأة الدولة في الفكر السياسي الغربي .

يعد السيد محمد باقر الصدر من أهم المنظرين المسلمين في مجال الفقه السياسي والدستوري ، في ثلاث نظريات : الحكومة الانتخابية على أساس مبدأ الشورى ، وولاية الفقهاء العامة خلافة الأمة وإشراف الفقهاء .

- ١ - ظ: عبد الإله بلقزيز- الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر- الناشر: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر /كانون الأول ٢٠٠٢+ فؤاد بن يحيى الهاشمي- بحث منشور على- ljazeera.net/mritems/images/
- ٢ - ظ: محمد أحمد صالح أبو الطيب إشكالية الاستبداد السياسي في رسالة الشيخ النائيني (تنبيه الأمة وتنزيه الملة)، بغداد: دار الكتب والوثائق، ٢٠٠٥.
- ٣ - ظ: آمال زرنيز - مفهوم الشورى في الفكر الإسلامي الحديث - مقارنة بين عبد الرحمان الكواكبي ومحمد حسين النائيني بحث منشور على موقع مركز الشرق العربي.
- ٤ - ظ: أبي الحسن علي بن محمد البغدادي الماوردي. الأحكام السلطانية والولايات الدينية. دار الكتب العلمية بيروت: ٤٥٠.
- ٥ - ظ: عبد الإله بلقزيز- الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر
- ٦ - ظ: حسين الكندي - الديمقراطية في الإسلام إشكالية المنهج أم مقتضيات العقيدة بحث منشور على موقع ملتقى الفكر
- ٧ - ظ: عبد الإله بلقزيز- الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر
- ٨ - ظ: توفيق السيف ضد الاستبداد - الفقه السياسي الشيع في عصر الغيبة، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤.
- ٩ - ظ: محمود اسماعيل - العقيدة والشرعية في الاسلام - القاهرة ١٩٨٨ - باللغة العربية- راجع ص ١٨ الفكر الاسلامي: ج ٤
- ١٠ - الأحزاب: ٦.
- ١١ - الأحزاب: ٣٦.
- ١٢ - ظ: وجيه كوثراني- الفقيه والسلطان - جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية- القاجارية والدولة العثمانية، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠١.
- ١٣ - ظ: محمود دكير- من الاستبداد إلى الديمقراطية دراسة في فكر الشيخ النائيني من خلال كتابه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة)- المصدر: مجلة الكلمة - العدد ١٨ بحث منشور+ حسن عباس حسن- الفكر السياسي الشيعي: الأصول والمبادئ- الدار العالمية بيروت ط ١- ١٩٨٨ ص ٢٧٠.
- ١٤ - ظ: علاوي صاحب الفقه السياسي في مدرسة النجف الحديثة اطروحة دكتوراه - كلية الفقه / الكوفة: ١٨٨.
- ١٥ - محمد مهدي شمس الدين- نظام الحكم والإدارة في الإسلام. المؤسسة الدولية. بيروت ط ٤ - ١٩٩٥

- ١٦ - حسن عباس حسن- الفكر السياسي الشيعي: الأصول والمبادئ. الدار العالمية بيروت ط- ١٩٨٨ : ٢٧٠.
- ١٧ - تنبيه الأمة: ٧٦
- ١٨ - سامي ذبيان -، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. دار رياض الرئيس. لندن ط- ٩٩٠ ص ٢٢٦.
- ١٩ - ظ: تنبيه الأمة ص ٧٦.
- ٢٠ - علاوي صاحب ١٨٨
- ٢١ - ظ: محمود غازي، مؤسسة أهل الحل والعقد في الفكر السياسي والدستوري الإسلامي. ضمن «الشورى في الإسلام»، مجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ج ٣ ص ١٠٢١.
- ٢٢ - تنبيه الأمة: ٩٩.
- ٢٣ - تنبيه الأمة: ١٠٣.
- ٢٤ - م، ن: ٣٣٣.
- ٢٥ - ظ: علاوي صاحب: ١٨٥
- ٢٦ - نفسه
- ٢٧ - حامد الكار- دور علماء المعارضة في السياسة الإيرانية المعاصرة ، ط ١ ، طهران - ١٩٨٠: ١٨٣
- ٢٨ - ظ: أحمد مصطفى المنطلقات النظرية للفكر السياسي الإسلامي عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين ٢٣٩/ ٣
- ٢٩ - م. ن: ٤١٢.
- ٣٠ - محمد مهدي شمس الدين- أهلية المرأة لتولي السلطة ط ٢ - المؤسسة الدولية للدراسات والنشر. ١٤٧: ٢٠٠١.
- ٣١ - الأنعام: ١٦٤
- ٣٢ - النحل: ١١١
- ٣٣ - علاوي صاحب: ١٩٤
- ٣٤ - شمس الدين- في الاجتماع السياسي الإسلامي: ٤٣٨.
- ٣٥ - شمس الدين- في الاجتماع السياسي الإسلامي: ٤٣٨.
- ٣٦ - م. ن: ١٥٠.
- ٣٧ - التوبة: ٧١
- ٣٨ - علاوي صاحب: ١٩٧ + فرج موسى ، الدين والدولة الإسلامية: ٤٣٨
- ٣٩ - الشورى: ٣٨
- ٤٠ - شمس الدين- في الاجتماع السياسي الإسلامي: ٤٣٨.

- ٤١- ظ: شمس الدين- في الاجتماع السياسي الإسلامي : ١٧٠ .
- ٤٢- علاوي صاحب: ١٩٨
- ٤٣- شمس الدين- في الاجتماع السياسي الإسلامي : ٤٨٢ .
- ٤٤- م. ن.
- ٤٥- م. ن: ٤٥٢ .
- ٤٦- ظ: شمس الدين ، التجديد في الفكر الإسلامي : ٦٤ .
- ٤٧- م. ن : ٦٤ وما بعدها .
- ٤٨- الشيخ شمس الدين- نظام الحكم والإدارة : ٤٥٥ .
- ٤٩- شمس الدين ، نظام الحكم والإدارة في الإسلام : ٤٥٥ .
- ٥٠- ظ:علاوي صاحب: ١٩٩
- ٥١- ظ: محمد مهدي شمس الدين- في الاجتماع السياسي الإسلامي ، ٤٣٨ .
- ٥٢- ظ: م. ن : ٤٩٦ .
- ٥٣- م. ن
- ٥٤- شمس الدين- نظام الحكم والإدارة : ٢٤٩ .
- ٥٥- م. ن : ٤٨٣ .
- ٥٦- الشيخ شمس الدين- نظام الحكم والإدارة : ٤٨٠ .
- ٥٧- م. ن : ٤٨٣ .
- ٥٨- حامد الخفاف النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٥٦ ، ط ١ ، دار المؤرخ العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م.
- ٥٩- م. ن : ٢٤٨ .
- ٦٠- ظ: علي الحسيني السيستاني- قاعدة لا ضرر ولا ضرار : ٢٠٢ .
- ٦١- ظ: علي الحسيني السيستاني- قاعدة لا ضرر ولا ضرار : ٢٠٢ .
- ٦٢- ظ:علاوي صاحب : ٢٤٥ .
- ٦٣- حامد الخفاف- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني : ٢٤٢ .
- ٦٤- الإمام الخميني- الحكومة الإسلامية : ٥٥ .
- ٦٥- الإمام الخميني- الحكومة الإسلامية : ٦٢ .
- ٦٦- الإمام الخميني- كتاب البيع : ٤٦٧ .
- ٦٧- الإمام الخميني- كتاب البيع : ٤٩٦ .
- ٦٨- م. ن : ٦٣ .
- ٦٩- السابق

- ٧٠ - نوري حساني علوان الكاظمي-مقدمة بحث فلسفة الدولة عند الشهيد الصدر-ط١- العارف ٢٠١٠: ٣٤٩.
- ٧١ - ظ:صلاح المنصوري-مشروع الدولة الاسلامية في فكر الشهيد الصدر. بحث منشور في مجلد فلسفة الدولة في فكر الشهيد الصدر- العرف للمطبوعاتبيروتط١-١٤٣١: ٤٥٣.
- ٧٢ - محمد باقر الحكيم- الإسلام بين النظرية والتطبيق : ٧٢.
- ٧٣ - ظ: الاسلام يقود الحياة: ٥٠-ستارة-قم.
- ٧٤ - محمد باقر الحكيم- الإسلام بين النظرية والتطبيق : ٧٥.
- ٧٥ -ظ:علاوي صاحب: ٢٦٢.
- ٧٦ -ظ:م.ن: ٢٦٣.
- ٧٧ -ظ:محمد باقر الصدر-لمحة تمهيدية فقهية من كتاب الاسلام يقود للحياة: ١٩.
- ٧٨ - ظ: دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية -حسين منتظري (١/١)، مشورات المركز العالمي للدراسات الاسلامية، إيران، قم، مطبعة مكتب الإعلام الاسلامي، ١٤٠٨هـ، ط١.
- ٧٩ - محمد باقر الصدر- حياة حافلة في فكر خلاق، محمد الحسيني دار المحجة البيضاء بيروت ١٤٢٦هـ ط١.
- ٨٠ -ظ: محمد باقر الصدر- حياة حافلة في فكر خلاق، محمد الحسيني دار المحجة البيضاء بيروت ١٤٢٦هـ ط١.
- ٨١ -ظ:علاوي صاحب: ٢٦٦.
- ٨٢ - الصدر- الإسلام يقود الحياة : ٢١.
- ٨٣ - ظ:صلاح المنصوري-مشروع الدولة الاسلامية في فكر الشهيد الصدر
- ٨٤ - ظ: علي المؤمن-نظريات الدولة الإسلامية الحديثة بحث منشور في مجلة المنهاج العدد ٢٠: ١٤٢١، ٢٦٤.
- ٨٥ -ظ: محمد باقر الصدر-لمحة تمهيدية فقهية من كتاب الاسلام يقود للحياة: ٧٨.
- ٨٦ -ظ:علاوي صاحب: ٢٧٢.
- ٨٧ -ظ:علاوي صاحب: ٢٧٣.
- ٨٨ (الاجتهاد والتجديد عدد ٧ د.عبد الأمير كاظم زاهد ص ٦٧.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم أول المصادر

١- أحمد مصطفى - المنطلقات النظرية للفكر السياسي الإسلامي عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين- أهلية المرأة لتولي السلطة ط٣- المؤسسة الدولية للدراسات والنشر. ٢٠٠١

٢- آمال زرنيز - مفهوم الشورى في الفكر الإسلامي الحديث (مقارنة بين عبد الرحمان الكواكبي ومحمد حسين النائيني)، بحث منشور على موقع مركز الشرق العربي
٣- توفيق السيفد ضد الإستبداد - الفقه السياسي الشيع في عصر الغيبة، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤.

٤- حامد الخفافد النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٥٦، ط ١، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م.

٥- حامد الكار - دور علماء المعارضة في السياسة الإيرانية المعاصرة ، ط ١ ، طهران
٦- حسن عباس حسن- الفكر السياسي الشيعي: الأصول والمبادئ. الدار العالمية بيروت ط ١ ص ١٩٨٨.

٧- حسين الكندي - الديمقراطية في الإسلام إشكالية المنهج أم مقتضيات العقيدة بحث منشور على ملتقى الفكر

٨- حسين منتظري- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية- مشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية- إيران قم- مطبعة مكتب الإعلام الاسلامي- ١٤٠٨ هـ، ط ١.

٩- الخميني- مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١٥ هـ .

- ١٠- الخميني- الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه) ، طهران ، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ، ط ٦ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ١١- سامي ذبيان- قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. دار رياض الريس. لندن ط ١ - ١٩٩٠
- ١٢- صلاح المنصوري- مشروع الدولة الإسلامية في فكر الشهيد الصدر. بحث منشور في مجلد فلسفة الدولة في ١٣- فكر محمد باقر الصدر- العارف للمطبوعات بيروت ط ١- ١٤٣١ هـ.
- ١٤- عبد الإله بلقزيز- الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر- الناشر: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر /كانون الأول ٢٠٠٢ +فؤاد بن يحيى الهاشمي- بحث منشور على w.aljazeera.net/mritems/images
- ١٥- علاوي صاحب الفقه السياسي في مدرسة النجف الحديثة(اطروحة دكتوراه - كلية الفقه/جامعة الكوفة)
- ١٦- علي الحسيني السيستاني- قاعدة لا ضرر ولا ضرار- دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- ١٧- علي المؤمن - نظريات الدولة الإسلامية الحديثة بحث منشور في مجلة المنهاج العدد ٢٠: ١٤٢١ هـ.
- ١٨- فرج موسى- الدين والدولة الإسلامية- دار الهدى ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، بيروت
- ١٩- الماوردي :أبي الحسن علي بن محمد البغدادي الماوردي- الأحكام السلطانية والولايات الدينية. دار الكتب العلمية بيروت
- ٢٠- محمد أحمد صالح أبو الطيب إشكالية الإستبداد السياسي في رسالة الشيخ النائيني (تنبيه الأمة وتنزيه الملة)، بغداد: دار الكتب والوثائق، ٢٠٠٥.

٢١- محمد باقر الحكيم. الإسلام بين النظرية والتطبيق- مؤسسة المنار، ط ١، قم، ١٩٩٢ م

٢٢- محمد باقر الصدر- لمحة فقهية تمهيدية، من كتاب الإسلام يقود الحياة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣

٢٣- محمد باقر الصدر- حياة حافلة في فكر خلاق، محمد الحسيني- دار المحجة البيضاء- بيروت ١٤٢٦ هـ ط ١

٢٤- محمد باقر الصدر- الإسلام يقود الحياة ستارة - قم.

٢٥- محمد مهدي شمس الدين- التجديد في الفكر الإسلامي في الإسلام ط ١، دار المنهل اللبناني، ١٩٧٧ م.

٢٦- محمد مهدي شمس الدين- في الاجتماع السياسي الإسلامي- ط ١، إيران، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.

٢٧- محمد مهدي شمس الدين- نظام الحكم والإدارة في الإسلام. المؤسسة الدولية. بيروت ط ٤- ١٩٩٥

٢٨- محمود اسماعيل- العقيدة والشريعة في الاسلام - القاهرة ١٩٨٨- بحث منشور على موقع الفكر الاسلامي

٢٩- محمود دكير- من الاستبداد إلى الديمقراطية دراسة في فكر الشيخ النائيني من خلال كتابه (تنبيه الأمة وتنزيهه) الملتب بحث منشور على موقع مجلة الكلمة العدد

١٨

٣٠- محمود غازي، مؤسسة أهل الحل والعقد في الفكر السياسي والدستوري الإسلامي. ضمن «الشورى في الإسلام»، مجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.

٣١-نوري حساني علوان الكاظمي- مقدمة بحث فلسفة الدولة عند الشهيد الصدر-

ط ١-العارف من مجلد فلسفة الدولة في فكر الشهيد الصدر

٣٢-وجيه كوثراني- الفقيه والسلطان -جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية

القاجارية والدولة العثمانية، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠١.

مواقف السيد أبو القاسم الخوئي السياسية دراسة في نماذج

أ.م.د. محمد جواد جاسم الجزائري

جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

تعد مدرسة النجف الاشرف من أبرز المدارس التي ازدهرت فيها الحركة العلمية منذ مطلع القرن الحادي عشر الميلادي بعد هجرة الشيخ الطوسي اليها عام ٤٤٨ هـ الموافق ١٠٥٦ م ، والذي بدأ بتشكيل الحلقات الدراسية وتوفير امكاناتها، وكان لوجود المرقد العلوي المقدس الدور الرئيس في نقل إمكاناته الى النجف الاشرف ، علاوة على وجود ثلثة من الافاضل في المدينة ، ولم تقتصر المدرسة النجفية على الكتب والابحاث العلمية في الفقه واصوله فقط بل تعدت إلى التأليف في العلوم الاخرى ، كالحديث والتاريخ والتراجم والسير والفلسفة والحكمة والفلك والرياضيات ، وتخرج منها آلاف العلماء الافذاذ وزعماء الفقه الاسلامي وأئمة الاصول والحديث والتفسير ، وفي مقدمتهم المرجع الديني الاعلى السيد الاستاذ أبو القاسم الموسوي الخوئي ، الذي كان يمتلك موهبة رائعة ومقدرة علمية عالية ، وقد أبدع في ابحاثه الفقهية والاصولية . كان السيد أبو القاسم الخوئي مترويا في كثير من الاحيان من إبداء مواقفه السياسية بصورة علنية لاسيما ما يتعلق منها بالأمور الداخلية للعراق ، بسبب السياسات الجائرة التي انتهجتها السلطة الحاكمة في العراق بحق كل من يبدي موقفا يخالف سياستها ، يصل إلى بعض الاحيان قيامها باعتقال او اغتيال المعارضين لسلطتها ، وقد تعرض السيد الخوئي لضغوط كبيرة من قبل السلطة ، الحد الذي ادى إلى عدم السماح بطباعة كتبه الفقهية الا بعد حصول موافقة وزارة الاعلام وحذف بعض الفقرات والمسائل التي لا تروق للسلطة .

تكون البحث من هذه المقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ذكر فيها الباحث الى اهم نتائج البحث ، فتناول في المبحث الأول "موقفه من الاحداث الإقليمية" اذ اتخذ موقفا صلبا عما كان يجري في ايران والباكستان وما صاحبها من عنف دموي تعرض لها الشعبين المسلمين.

وأشار في المبحث الثاني " موقفه من القضايا العربية" حيث استأثرت القضية الفلسطينية اهتمام السيد أبو القاسم الخوئي ، بسبب الجرائم البشعة التي ارتكبتها الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني، وناشد المسلمين إلى تجنب أي عمل يؤدي إلى اضعاف قوتهم ويمكن منهم اعدائهم من اجل تحرير ارضهم وصون مقدساتهم .
وأوضح في المبحث الثالث " موقفه من القضايا المحلية والتطورات التي حلت بالعراق ، فعلى الرغم من معارضته غير المعلنة لنظام الحكم في العراق خلال زعامته الدينية، لكنه لم يعتمد اسلوب المواجهة العنيفة من أجل الحفاظ على المرجعية الدينية والابقاء عليها .

المبحث الأول : موقفه من الاحداث الاقليمية

اتسمت مواقف السيد أبو القاسم الخوئي بالجرأة والقوة بخصوص الاحداث التي كانت تجري في ايران وما صاحبها من عنف دموي تعرض لها الشعب الايراني المسلم من قبل الشاه محمد رضا بهلوي وحكومته ، وقد دعا إلى إصلاح الأوضاع في ايران لاسيما الاقتصادية والسياسية، من خلال البيانات والرسائل المتبادلة مع علماء ايران من جهة ومحمد رضا بهلوي من جهة أخرى .

وأشار في رسالته للشاه محمد رضا في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٢ ، إلى ان أعداء الاسلام ومنذ عدة قرون حاولوا محو الدين الاسلامي واستعباد المسلمين، وان العلماء قد تصدوا لهم ولم يصلوا إلى مقاصدهم ، ونبه من تزايد تغلغل القوى الاستعمارية داخل

ايران ، باعتبارها المركز الوحيد للشريعة الامامية ، وابدى أسفه من موقف الحكومة الايرانية في تنفيذ مآرب تلك القوى عن طريق اصدارها قوانين جائرة تنافي التعاليم الاسلامية ، فضلا عن قيام الصحف الحكومية بالتطاول على مقام المرجعيات الدينية ، واعتبار المقدسات الاسلامية عبارة عن خرافات رجعية وقوانين بائدة لا ترتقي إلى التطور العلمي ، وطلب من الشاه ان يوضح اسباب الفوضى التي سادت البلاد ، وحذره في الوقت نفسه من ان العلماء الاعلام سوف يدافعون بكل السبل عن المقدسات الدينية^(١).

وبعد شهرين على تلك الرسالة تجددت حركة الحكومة المناوئة لتعاليم الدين الاسلامي ، على الرغم من انها كانت تتستر بشعار الاصلاح أو ما عرف "بالثورة البيضاء"^(٢) ، لذلك أرسل السيد أبو القاسم الخوئي رسالة إلى زعيم الحوزة العلمية في الاحواز السيد علي البهبهاني^(٣) في ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٣ ، طالبا منه تنبيه ولاية الامر باخماد الاصوات الداعية إلى الاستفزاز والقلق بين صفوف المسلمين الايرانيين ولو تطلب اخمادها باستخدام القوة ، لاسيما وان الشعب الايراني يعيش في ظل وضع اقتصادي محطم ، متمنيا في الوقت نفسه من الشعب الايراني المسلم وافرادا من الحكومة الذين يهمهم الاحتفاظ بالملكية " الوقوف ضد هذه الاعمال موقف الشهم الغيور على الدين ويحملون كل قانون يخالف الدين ومصالح الأمة ويضعونه تحت أقدامهم " على حد تعبيره^(٤).

نفذ الشاه بنود ثورته البيضاء بعد بإجراء الاستفتاء الشعبي على اصلاحاته من خلال الاعتماد على رجال سلطته ، وواجه معارضة شديدة من قبل علماء الدين في ايران ، فاستغل الشاه ذكرى مناسبة وفاة الامام الصادق (عليه السلام) في ٢٥ شوال ١٣٨٢ هـ فقامت قواته بالهجوم على مجلس عزاء في المدرسة الفيزيائية في قم عصر يوم ٢٢ اذار ١٩٦٣

، وتم الاعتداء على الحاضرين وقتل عدد من طلبة العلوم الدينية (٥)، الامر الذي ادى إلى قيام السيد أبو القاسم الخوئي بإرسال رسالة في ٢ نيسان ١٩٦٣ إلى (أربع وعشرين) عالما ومرجعا من بين أبرز العلماء الموجودين في ايران (٦) ، ميينا فيها انزعاجه من القوانين الجائرة التي تؤيدها الصهيونية والبهائية ، والمخالفة للشرع الاسلامي ، مهددا في الوقت نفسه الحكومة الايرانية بترك والغاء تلك القوانين وعدم تكرار حادثة المدرسة الفيضية ، ووجب على شاه ايران وحكومته نبذ القوانين المشؤومة وسيتحملون المسؤولية عن نتائج الاحداث واعلن " باننا سنعمل بآخر ما يجب علينا" بحسب تعبيره (٧).

ويبدو ان السيد أبو القاسم الخوئي اراد من رسالته هذه اعلام الأمة الايرانية وعلماء الدين ان الحوزة العلمية في النجف الاشرف ترتبط بروابط قوية مع الحوزات العلمية في ايران ، وانه متضامنا مع الطلبات المشروعة للشعب الايراني خاصة في رفضه لتدخلات الصهيونية والقوى الغربية بشؤون ايران ، والظاهر ان تحذيره للشاه بالعمل بآخر ما يجب علينا هو اعلانه للثورة ضد نظام حكمه وتحريم العمل مع الحكومة ومساعدتها .

وهذا الموقف الصلب دفع جمع من علماء ايران في اواخر نيسان ١٩٦٣ تقديم رسالة إلى السيد أبو القاسم الخوئي ، أوضحوا له فيها الاوضاع المأساوية التي يعيشها الشعب الايراني المسلم من الرعب والارهاب ، وقيام الحكومة الايرانية بحبس عدد من العلماء في مدينتي قم وطهران ، وقيام الصحافة الايرانية بنشر مقالات تضلل الحقائق للرأي العام الايراني والعالمي ، وطلبوا من السيد الخوئي استغلال موسم الحج لهذا العام والقيام بتوضيح الصورة المأساوية التي يتعرض لها المسلمون من الشاه واجهزته الامنية

، وارسال بيانات استنكار إلى هيئة الأمم المتحدة وأحرار العالم والاذاعات والصحافة ،
الحرّة للتصدي لأعمال الحكومة الإيرانية (٨).

أجابهم السيد الخوئي برسالة في ٨ أيار ١٩٦٣ ، أعرب فيها عن قلقه عما تتعرض له
المقدسات الإسلامية في إيران من قبل حكومة الشاه ، لاسيما بعد تعطيل الدستور
الإيراني وارتكابه المجازر الوحشية بالأبرياء من طلبة العلوم الدينية ، متسترين
بشعارات وطنية وإصلاحية مزيفة ، وأشار إلى أن الشعب العراقي قد استنكر اراقة
الدماء البريئة في محافل تأبينية وطالب بإدانة القائمين بالجريمة ، متهما في الوقت
نفسه عملاء الصهيونية بالعبث بمقدسات الناس وثرواتهم ، ودعا عامة الشعب
الإيراني إلى محاربة أعداء دينه ووطنه ، ثم دعا العلماء إلى إرشاد المسلمين إلى
واجبهم ، حيث قال ما نصه :

"... أيها العلماء الاعلام كنا نجاهد ولا نزال في إعلاء كلمة الأمة الإيرانية المسلمة
وإعلان صرختها وإغاثتها للرأي العام في العالم وسوف يقف العالم الإسلامي والعربي
بل العالم كله على حقيقة تلك المآسي التي يكابدها الشعب الإيراني المجاهد
وسوف تقف الطغمة الحاكمة أيضا على استنكار العالم كرد فعل لجرائمهم
ومآسيهم وصفقاتهم..." (٩).

وعلى أثر تفاقم الأحداث في الخامس عشر من خرداد (١٠) الدامية الموافق ٥ حزيران
١٩٦٣ ، أصدر السيد أبو القاسم الخوئي فتوى دعا فيها الشعب الإيراني إلى عدم
التعاون مع الظالمين وعدم الوقوف إلى جانب الحكومة الإيرانية في اضطهادها
للشعب الأعزل ، وجاء فيها :

"... وقد صممت الحكومة الإيرانية الحاضرة على تحقيق ما لها من مقاصد فاسدة
مخالفة لمقررات الدين الإسلامي تنفيذا لمخططات المستعمرين والصهاينة في بلادنا

الاسلامية وفي سبيل ذلك لم تتورع من القيام بأنواع الظلم والعدوان من الحبس والضرب والقتل لكل من يعلن استنكاره لأعمالها الكافرة من طلاب العلوم الدينية وسائر طبقات المؤمنين بل حتى العلماء الاعلام ، وعليه فان الواجب على كل مسلم ان يمتنع عن معاونة هذه الحكومة الظالمة ومساعدتها مهما كان مقامه وبأية بزة كان ... (١١).

وقد حزم السيد أبو القاسم الخوئي في فتواه الصادرة في ٧ حزيران ١٩٦٣ المشاركة في انتخابات مجلس الشورى الايراني المقرر اجراءها في ٢٠ ايلول ١٩٦٣ ، باعتبار ان المشاركة في الانتخابات يعد أحد المصاديق الظاهرة لمساعدة الحكومة الإيرانية ، معتبرا ان تشكيل المجلس سوف يكون " ساقطا عن الاعتبار من وجهة النظر الشرعية والدستورية" بحسب ما جاء في الفتوى (١٢).

ساند السيد الخوئي الحركة الثورية التي قام بها الشعب الايراني والسيد روح الله الخميني في التصدي لشاه ايران وحكومته ، فبعد ابعاد ونفي السيد الخميني الى العراق واستقراره في مدينة الكاظمية المقدسة في ٥ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، اتصل بالسيد الخوئي وطلب منه تهيئة دار لسكنه في مدينة النجف الاشرف ، حيث وصلها في الساعة الرابعة عصر يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، وبعد ساعات من وصوله زاره السيد الخوئي للاطلاع على أحواله (١٣) ، الامر الذي دعا شاه ايران إلى محاولة التقرب من الاخير لكسب وده ، لا سيما بعد تقلده المرجعية العليا عام ١٩٧٠ ، والدعوة اليه بالاعلمية وزعامة الحوزة العلمية ، ولكنه فشل في ذلك (١٤).

ويبدو ان محمد رضا شاه أراد بتقريبه هذا استمالة السيد أبو القاسم الخوئي لثقله الحوزوي في كل من ايران والعراق ، في محاولة منه لسحب تأييده للسيد الخميني أو

الوقوف على الحياد منه على أقل التقديرات ، لكن موقف السيد الخوئي بقي ثابتاً من الشاه لقناعته بان له ارتباطات بالصهيونية العالمية وبالموساد الاسرائيلي .

وتزامنا مع اندلاع الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٨ ، اصدر السيد الخوئي بيانا في الاول من كانون الاول ١٩٧٨ إلى مراجع التقليد وعلماء الاسلام في ايران ، بعد قيام الحكومة الايرانية بالنيل من العلماء والصاق التهم بهم والخط من سمعتهم الاجتماعية ، واتباع الاساليب غير الانسانية بحق الشعب الايراني المسلم ، مستخدمة اسلوب دكتاتوري تعسفي في حكم ايران ، ثم أشار الى أن الشاه قام بتسليم المراكز الحساسة في الحكم والادارة في البلاد " للفتات العميلة الضالّة البهائية واليهودية بحسب ما جاء في البيان ، وطالب الحكومة الايرانية بالاستفادة من تجارب الماضي والكف عن اساليبها التعسفية بحق الشعب الايراني والرضوخ لمطالبه واحترام دماء المسلمين وارواحهم (١٥).

فكان لموقفه أثر في المقاومة الاسلامية وانتصارها في ثورتها في ايران عام ١٩٧٩ ، فساندها بإصداره بيانا في ٢٨ اذار ١٩٧٩ ، ذكر فيه جهاد وتضحيات الشعب الايراني الغيور ، الذي استطاع اختيار نظام حكم جديد بكل حرية ، وموضحاً رأيه في انتخاب نظام حكم جمهوري اسلامي ، مع مراعاة القوانين والحقوق الموسوعة بحيث تكون منسجمة مع مذهب الامامية باعتبار ان غالبية الشعب الايراني من الشيعة الاثنا عشرية (١٦).

ويبدو ان السيد أبو القاسم الخوئي كان يتابع عن كثب سير احداث الثورة الاسلامية في ايران بقيادة السيد الخميني ، بل كان متواصلاً في اتصالاته مع الشعب الايراني خلال تلك المدة داعماً ومؤيداً لتلك الثورة ، ولكن لم يجد الباحث اي رسائل مكتوبة بينه وبين السيد الخميني رغم وجود الاخير في النجف الاشرف ،

ويعتقد الباحث ان الاتصالات بينهما كانت بصورة شفوية وسرية بسبب المراقبة الشديدة من قبل المخابرات العراقية المنتشرة حولهم .

والظاهر ان العلاقة بين الشخصين قائمة بينهما، وقد استمرت بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران ، رغم اختلافهم في الفهم الفقهي حول ولاية الفقيه ، اذ ارسل السيد الخميني برقية جوابية إلى السيد الخوئي بعد الازمة القلبية التي تعرض لها السيد الخميني في ٢٥ كانون الاول ١٩٨٠ ، وقد خاطبه السيد أبو القاسم من مراجع التقليد العظام ، فضلا عن رسالة التعزية التي ارسلها السيد الخميني إلى السيد الخوئي بمناسبة وفاة نجله السيد جمال الدين الخوئي في الاول من تموز ١٩٨٤ (١٧). رفض السيد الخوئي اصدار بيان ضد الجمهورية الاسلامية الايرانية، بطلب الحكومة العراقية على الرغم من ضغوطها خلال الحرب العراقية الايرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) ، فقد قام طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٨٦ بزيارته بصورة مفاجئة وطلب منه اصدار بيان يستنكر فيه استمرار الحرب ومحملا مسؤولية استمرارها الحكومة الايرانية ، لكنه رفض طلبه ، الامر الذي ادى إلى تضيق الحصار عليه واعتقال عدد من تلامذته (١٨).

لم يقتصر دعم السيد أبو القاسم الخوئي للشعب الايراني فحسب ، بل كانت له مواقف داعمة للشعب الباكستاني المسلم ، بعد النكبة التي أصابته بسبب الاعصار الذي ضرب جزيرة هايتا في خليج البنغال في ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، وراح ضحيته أكثر من (٢٥٠) ألف شخص ما بين قتيل ومفقود ، وأعرب فيها عن حزنه العميق بنبا الكارثة المروعة التي نزلت بهم ، من خلال رسالة تعزية ومواساة بعثها إلى الرئيس الباكستاني في ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، وفي الوقت نفسه وجه نداء إلى مسلمي العالم "ان يمدوا يد العون والمساعدة بجميع ما يمكنهم لإخوانهم" (١٩).

كما دعم الشعب الباكستاني في بيان في ٩ اذار ١٩٨٠ ، رَحِب فيه بتطبيق التعاليم الاسلامية في دولة الباكستان ، وأكد على ان الشيعة والسنة يعيشون معا في هذا البلد ، ويجب على الحكومة مراعاة القوانين بحسب معتقدات كل طائفة ، سواء منها الادارية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، وأوجب على الشعب الباكستاني الغيور بعدم التفرقة والوحدة بينهما ، والتصدي للأخطار المحيطة بهم من الشرق والغرب ، مؤكداً على الحكومة الباكستانية الحفاظ على حقوق الشيعة ، لاسيما قانون الاحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث ، تجنباً للمشاكل التي قد تعصف بالبلاد (٢٠).

المبحث الثاني : موقفه من القضايا العربية

على الصعيد العربي استأثرت القضية الفلسطينية اهتمام السيد أبو القاسم الخوئي ، بسبب الجرائم البشعة التي ارتكبتها القوات الاسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني ، فأثناء العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية في ٥ حزيران ١٩٦٧ ، أقام السيد الخوئي مجالس تأبينية على أرواح شهداء فلسطين ، كما بعث رسالة إلى أمير عباس هويدا رئيس الوزراء الإيراني في حزيران ١٩٦٧ ، طالبه فيها بقطع علاقات ايران مع اسرائيل ، وضرورة مساندة البلدان الاسلامية المدافعة عن مقدسات المسلمين في فلسطين المحتلة ، وألزم " حكومة ايران بالإسراع في إعلان موقفها ضد اسرائيل وقطع النفط عنها " بحسب تعبيره (٢١).

وبعث السيد أبو القاسم الخوئي بنداء إلى العالم الاسلامي في ٢٣ ايلول ١٩٧٠ ، على أثر المواجهات المسلحة بين بعض المجموعات الفلسطينية والجيش الأردني لوضع نهاية لوجود المنظمات الفلسطينية في الأردن ، ناشد فيه المسلمين إلى تجنب أي عمل يؤدي إلى اضعاف قوتهم ويمكن منهم اعدائهم ، ودعاهم إلى التمسك بحقهم

والتصلب مع اعداءهم والدفاع عن كرامتهم، وان يبذلوا ما في وسعهم من اجل تحرير ارضهم ووصون مقدساتهم، وقد جاء في النداء ما نصه:

"ان المسلمين على اختلاف شعوبهم ليعانون القلق والاضطراب ازاء هذه الماسي والاحداث الدائرة الان على مقربة من العدو الصهيوني الغادر واللّه سبحانه أسأل ان يمنحنا القوة والمنعة وان يجعل من امرنا رشدا... وان يكون لنا الاسلام منارا وهاديا وقائدا إلى النصر..."(٢٢).

وبعد اندلاع الحرب العربية الاسرائيلية في ٦ تشرين الاول ١٩٧٣، وجه السيد أبو القاسم الخوئي نداء في ٨ تشرين الاول ١٩٧٣ إلى كافة المسلمين في العالم للتعاون مع الجيوش الاسلامية وتحرير الارض المقدسة، وقد جاء في نصها :

"... لقد قامت القوى الكافرة بغزو قسم كبير من الاراضي الاسلامية وفي ضمنها المسجد الاقصى الشريف وقد كابد المسلمون ما كابدوه طول السنوات الماضية وقد صمموا في هذا الشهر المبارك وهو شهر الله العظيم مستمدين العون من الله تعالى على الدفاع عن اراضيهم ... فالواجب الديني يحتم علينا ان نؤخذ الكلمة ونقوم بنصرة المدافعين عن الاراضي الاسلامية بما يلزم من العون والمساعدة..."(٢٣).

وحضر مع عدد من علماء حوزة النجف الاشرف إلى الصحن الحيدري الشريف في ١٠ تشرين الاول ١٩٧٣، واحتشد الاف المواطنين من ابناء النجف الاشرف ومدن العراق الأخرى، للاستماع إلى الفتوى التي دعا فيها المسلمين إلى الجهاد من اجل مناصرة الجيوش العربية المشاركة في المعركة ضد المعتدين الصهاينة، والقيت كلمة توجيهية للسيد أبو القاسم الخوئي من قبل السيد عبد الرسول علي خان المدني(٢٤)، وضح فيها ان الحرب الطاحنة تعد من أشد الحروب ضراوة وان المجاهدين يضحون بدمائهم الغالية على ارض سيناء والجولان من دون حقهم وشرفهم وحرمة ارضهم

وعقيدتهم، ويجب على المسلمين مد يد العون اليهم في ظل الظروف الحرجة التي يمرون بها(٢٥).

وحذر الدول الاسلامية من استخدامهم أدوات بيد الصهيونية لتحقيق غايتها لا في فلسطين فحسب بل في عموم الدول العربية والاسلامية ، لما تحتله من موقع مهم وما يقوم به الغرب من تقديم اسلحة فتاكة ، وان العلاقة بين الصهيونية والاستعمار سوف تؤدي إلى ردود فعل كبيرة في العالمين العربي والإسلامي ، معربا عن تفاؤله في نهوض المجتمع الإسلامي من سباته لاستعادة حقوقه المغتصبة ومحاسبة العدو المتسلط على أراضيه (٢٦).

وقد أشار إلى ان اسرائيل ستدفع الثمن غاليا لا محالة ثم تبوء بعد ذلك بالخيبة والخسران، ولا بد للحق من ان يعود إلى أهله كون فلسطين بلادا عربية، ويجب على الصهاينة مغادرة البلاد لان شعبها لم يكف عن ثوراته مهما كلف الأمر من الأنفس والأموال، وان كل قطرة من دماء المسلمين تراق على أرض فلسطين أو غيرها الالتراق أضعافها من دماء اليهود، ولأهمية محتواها وما حملته من مضامين وجد الباحث ضرورة اقتباس نصوص من الكلمة:

"... لقد تحققت بوادر النصر للمسلمين في الافق، واسرائيل تنئن تحت الضربات القوية الشديدة التي تتلقاها من ابنائنا الابطال والرجاء منه تعالى ان ينجزلنا فتحه القريب ويكتب لمقاتلينا نصره المبين... وكنا على يقين من ان المجتمع الاسلامي الذي اعتبره اليهود فاقد لكل نوع من انواع الحركة ستدب فيه الحياة من جديد وسينهض هذا العملاق من سباته العميق ليستعيد كرامته فيصفي الحساب مع اسرائيل ويكيل لها بالكيل كيلين واكثر ... ويجب على دول المسلمين مساندة هذه الجيوش ماديا وادبيا مع العلم ان طرد اسرائيل من البلاد العربية ودفعها

إلى البحر ليس بذلك الامر الهين لاسيما مع ما تزودها به الدول من الخارج ... ان الاخطاء التي حصلت في المواجهة لسنة ١٩٦٧ قد صححت الان وان القوى الموجودة لدى العرب حاليا كافية لتأديب اسرائيل لمدة طويلة ... قولوا للشعب المختار ان يستبدل بفلسطين ارضا اخرى او يرجع إلى البلاد التي قدم منها ولقنوه درسا قاسيا لئلا يطمع ثانية في غزو اراضي المسلمين ... "(٢٧).

وجد الباحث ان السيد الخوئي قد أعرب في كلمته عن تفاؤله من قيام نهوض عربي - اسلامي لمواجهة الاعتداء الصهيوني لحقوق الفلسطينيين على اراضيهم، وفي حماسة واضحة رأى ان هذا الامر سوف يؤدي إلى تأديب الصهاينة والبحث عن مكان اخر، بل وصل إلى حد دفعها إلى البحر، امرا سيؤدي حسبما اوضح إلى استخدام النفط كسلاح ضد الدول التي تساعد اسرائيل، وهذا مما يعود على الحركة الصهيونية بالسلب.

وانسجاما مع موقف السيد الخوئي الحازم، أكد مراجع الدين والعلماء (٢٨)، وعدد من اهالي (٢٩) النجف الاشرف، وجوب اسناد الجيوش العربية المشاركة في معركة التحرير، كما طالبوا العرب والمسلمين لأداء واجبهم في هذه المعركة المصيرية التي تخوضها الأمة العربية من اجل تحرير فلسطين، التي فيها مقدسات المسلمين، ودعوا الحكومات الاسلامية إلى استخدام النفط بوصفه سلاحا ضد اسرائيل والامتناع عن بيعه إلى الدول التي تساعد اسرائيل (٣٠).

غير ان القضية الفلسطينية قد مرت بمنعطف خطير بعد زيارة محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية إلى اسرائيل عام ١٩٧٧ وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد (٣١) في ١٧ أيلول ١٩٧٨، الامر الذي أدى قيام ياسر عرفات (٣٢) رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بإرسال رسالة إلى السيد أبو القاسم الخوئي في ٩ تشرين الاول

١٩٧٨، وطلب منه دعوة المسلمين كافة للوقوف بوجه المعتدين العاملين على انتهاك الاماكن المقدسة في ارض فلسطين، واستمرار السيطرة الصهيونية على مدينة القدس، لا سيما بعد توقيع الاتفاقية، فقد قام الاسرائيليون بإجراءات لتغيير معالم القدس الشريف وتهويدها، موضحا في الوقت نفسه معاناة اهالي القدس وهم يواجهون الظلم والعدوان، "و ينتظرون من سماحتكم دعوة المسلمين في كل مكان لإنقاذ القدس من براثن الصهيونية ونجدة اهلها" (٣٣) بحسب ما جاء بالرسالة. أجابه السيد أبو القاسم الخوئي برسالة جوابية في ٩ تشرين الثاني ١٩٧٨، ذكره فيها بما قام به في مناسبات سابقة من الواجبات الاسلامية تجاه فلسطين، ودعا المسلمين فيها للتعاقد وتوحيد الكلمة لتحرير الاراضي المغتصبة وتطهيرها من رجس اليهود، ولكن تخاذل الأمة الاسلامية وتفككها حال من دون تحقيق ذلك، وقد قدر الروح الاسلامية التي تتسم بها منظمة التحرير الفلسطينية، ودعا في رسالته كافة المسلمين وطلب منهم "تخطي المرحلة الفاصلة بين القول والعمل وبذل المزيد من المساعدات لمواجهة العدو" على حد تعبيره، وختم رسالته بالإشارة إلى أن الاراضي الاسلامية وحدة متماسكة لا تقبل التفكيك، وأن مدينة القدس جزء لا يتجزأ من البلاد الاسلامية (٣٤).

أما بشأن تطور الاوضاع اللبنانية، وعلى اثر قيام إسرائيل في ١٤ آذار ١٩٧٨ احتلال منطقة جنوب نهر الليطاني، لإبعاد مجموعات الفدائيين الفلسطينيين عن الحدود مع إسرائيل، فقد أصدر السيد الخوئي بيانا في ٢٨ آذار ١٩٧٨، أوضح فيه قيام العدو الصهيوني بتشريد العوائل من ديارهم ولاذوا في العراق، وطلب من الحكومات الاسلامية ان يتركوا خلافاتهم جانبا ويوحدوا صفوفهم ويجمعوا قدراتهم، وان يقفوا ويتعاضدوا بوجه العدو الاسرائيلي لتخليص أهالي جنوب لبنان الذين

ينتظرون المساعدة والعون وتخفيف المصائب عنهم ، وقد أبلغ وكلائه في طهران بإعطاء الحقوق الشرعية من سهم الامام (عج) إلى علماء لبنان لصرفها عليهم (٣٥).

ثم أصدر بياناً آخران في ٣ و٤ نيسان ١٩٧٨ حول المأساة التي تعرض لها أهالي لبنان ، استنكر فيهما الاعتداء الصهيوني على الاراضي الاسلامية الذي راح ضحيته عدد من الارواح البريئة ، وطلب من المسلمين الميسورين القيام بما يستطيعون من مساعدتهم مادياً وتفقد اليتامى والمصابين من جراء هذا الاعتداء ، وابلغ وكلائه في كافة المدن الاسلامية من تحويل الحقوق الشرعية من سهم الامام (عج) إلى حساب رقم (١٥١٦٦) في بنك ملي في طهران ثم تحويله إلى الثقات في لبنان لصرفه على العوائل المنكوبة من هذه الاحداث (٣٦).

ويبدو ان السيد الخوئي وضع حساب له في طهران لسهولة قيام الايرانيين بإيداع حقوقهم الشرعية ، لاسيما وان سفر الايرانيين الى العراق كان شبه مقطوعاً في تلك المدة ، اذ ان الحكومة العراقية منعت دخول الايرانيين الى العراق ، فضلاً عن قيامها بتسفير الايرانيين أو المجنسين بالجنسية العراقية كونهم من أصول إيرانية .

وقد بعث برسالة إلى أعضاء جمعية الهداية والارشاد العلمية في بيروت في نيسان ١٩٧٨ ، عبّر فيها عن استيائه العظيم تجاه تلك الحوادث الاليمة التي سببها "عدو حاقد" وما خلفته الفظائع الاسرائيلية من القتل والتدمير والحرق والتشريد كان كفيل بإيقاظ الضمائر الحية في كل أرجاء العالم لصعد العدو من اعتدائه المتكرر على البلدان الاسلامية ، وأشار إلى ان "هناك حاجة ماسة إلى تفهم كامل لأبعاد القضية الراهنة دون التأثير بالخطوط التي تحاول اخفاء المعالم الواقعية ، وهذا يقتضي من جميع الأمة الاسلامية والمسلمين بوجه اخص إدراكاً واسعاً ونظرة عميقة حول القضية" بحسب ما جاء بالرسالة (٣٧).

وفيما يخص ما نسب الى السيد أبو القاسم الخوئي من قبل الاذاعة السعودية حول تأييده للإعدامات التي نفذتها الحكومة السعودية بحق (١٦) كويتي في اربعينية الامام الحسين (عليه السلام) ٥١٤١٠ هـ ، الموافق ٢٢ ايلول ١٩٨٩ ، المتهمين بتفجيرات الحرم المكي في موسم الحج من نفس العام (٣٨)، وجاء في نص جوابه :

" ان ما نقلته الاذاعة السعودية وغيرها من الاذاعات العالمية وما نشر في بعض الصحف من انه قد صدر التأييد من قبلنا حول الاعدامات التي نفذت بحق الحجاج الكويتيين يوم اربعين سيد الشهداء (عليه السلام) افتراء وكذب محض ولم يصدر من قبلنا أي شيء حول الموضوع " (٣٩) بحسب تعبيره .

ويبدو ان الإذاعة السعودية ارادت تضليل الرأي العام الاسلامي بتبرير احكام الاعدام التي نفذت بحق الكويتيين ، والنيل من مقام السيد أبو القاسم الخوئي ، فضلا عن إثارة الشكوك في نفوس مقلديه لاسيما الكويتيين منهم .

المبحث الثالث : موقفه من القضايا المحلية

كان للسيد أبو القاسم الخوئي موقفا واضحا من التطورات التي حلت بالعراق ، فقد سار على نهج مراجع النجف الاشرف في ادارة الحوزة العلمية في المدينة، على الرغم من اجواء الارهاب المتصاعدة من السلطة، فحصر السيد الخوئي اهتمام المؤسسة الدينية كما كان سائدا بالعلوم والفقه وعدم التدخل بالشؤون السياسية العامة ، الا حينما تتعرض بيضة الاسلام إلى الخطر (٤٠)، وعلى الرغم من معارضته غير المعلنة لنظام الحكم في العراق خلال زعامته الدينية، لكنه لم يعتمد اسلوب المواجهة العنيفة من أجل الحفاظ على بقاء المرجعية الدينية والحوزة العلمية بعد انخفاض أعداد الطلبة في المدارس الدينية (٤١)، بسبب التهجير والاعدامات التي اتبعتها نظام الحكم في العراق منذ عام ١٩٦٨ (٤٢).

فقد تأهبت الحكومة العراقية لمرحلة جديدة من المواجهة مع التيار الاسلامي، لذلك مارست سياسة الضربات المباشرة للمؤسسة الدينية، ففي ٢٦ كانون الأول ١٩٧١ بدأت حملات التسفير على نطاق واسع ، إذ وصل عددهم (٢٠٨٤) شخصا من المسافرين إلى الحدود العراقية الايرانية ، وقد شكل طلاب الحوزة قسما كبيرا منهم (٤٣)، ولم تشمل حملات التسفير اتباع السيد الخميني من الايرانيين المقيمين في النجف الاشرف ، كونهم لاجئين سياسيين، وتستخدمهم الحكومة ورقة ضغط على ايران، ولاسيما ان علاقة البلدين غير مستقرة، فضلا عن ان السلطة ارادت زرع الفتنة بين الايرانيين انفسهم (٤٤).

وفي الوقت نفسه ، سافر السيد أبو القاسم الخوئي إلى لندن لإجراء عملية جراحية في ٢٩ كانون الاول ١٩٧١ ، وفي الاول من كانون الثاني ١٩٧٢ زاره في المستشفى موظف من السفارة الايرانية في لندن كمبعوث لشاه ايران وطلب منه الانتقال إلى ايران ، فأجابه السيد الخوئي بأن الشاه له ارتباطات وعلاقات قديمة مع الصهيونية العالمية وقيامه بتمليك اليهود لعدد من الشركات المؤثرة في الاقتصاد الايراني ، فضلا عن استملاكهم لمحطة الاذاعة الايرانية (٤٥) ، وسوف لن اغادر العراق بغض النظر عن مضايقات السلطة العراقية للحوزة العلمية ، وفي اليوم اللاحق زاره مبعوث الحكومة العراقية ، فاخبره السيد الخوئي بطلب السفير الايراني بترك العراق ، وأبلغه باعتزامه على إتخاذ قرار الهجرة إلى ايران ما لم تتوقف الاجراءات القمعية ضد الحوزة العلمية في النجف الاشرف من السلطة العراقية ولاسيما تسفيرات طلبية العلوم الدينية ، الأمر الذي أدى بالمبعوث العراقي إبلاغ السيد الخوئي برغبة رئيس الجمهورية ببقاء قيادة المرجعية في النجف الاشرف (٤٦).

وعلى أثر الموقف السلبي للسيد أبو القاسم الخوئي من شاه ايران ، قامت السفارة الايرانية في لندن بنشر رسالة مزورة بختم السيد الخوئي جاء فيها ، أن المدعو علي رضا (وهو أحد عناصر السلطة العراقية وهو إيراني الجنسية) ، قام بسؤال السيد أبو القاسم الخوئي عن علاقة الحكومة بالمرجعية وبشخص المرجع ، فادعى علي رضا أن السيد الخوئي أجابه "بان الحكومة العراقية لم تقم بمضايقة طلبة الحوزة العلمية في النجف الاشرف، او شخص المرجعية العليا " ، فولدت هذه الرسالة صدمة كبيرة لدى مقلدي السيد أبو القاسم الخوئي في العراق وخارجه لأنها توهي بارتباط المرجعية بالسلطة المركزية في بغداد (٤٧).

أثارت هذه الرسالة حفيظة السيد صادق الطباطبائي (٤٨) مما أدى إلى قيامه بزيارة مدينة النجف الاشرف ولقاءه بقريبه السيد محمد باقر الصدر للاستفسار عن مدى مصداقية هذه الرسالة التي انتشرت في عدة دول اوربية ، والاخير أرشده إلى لقاء السيد الخوئي مباشرة ومعرفة الامر منه شخصيا ، وقد أشار الطباطبائي في لقاء مع الباحث بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠١٣ ، بان السيد الخوئي قد رغب به كثيرا ، وبعد سماعه خبر الرسالة المزعومة كذب السيد الخوئي هذه الرسالة وطلب من الطباطبائي تكذيبها ، لأنه لم يحزر مثل تلك الرسالة (٤٩) .

ويبدو ان الحكومة الايرانية ارادت تشويه صورة السيد الخوئي بسبب مواقفه من نظام الحكم في ايران ، ويستبعد الباحث ان تصدر مثل تلك الرسالة من قبل السيد أبو القاسم الخوئي ، لان السيد الخوئي سبق وان أشار إلى المبعوث العراقي تصرفات السلطة العراقية الغير مقبولة تجاه طلبة وأساتذة الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، بسبب قيامها عام ١٩٧١ باعتقال (١٥٠) شخصا من جنسيات مختلفة "لبنانية" ، "ايرانية" ، "باكستانية" ، "هنديّة" و"بحرينية" و"عراقية" ، وتم سجن اعداد منهم

وترحيل القسم الاخر إلى خارج العراق ، وكانت نتيجة ذلك مغادرة المدينة أسر عريقة معروفة على الصعيد العلمي والتجاري، وكانت علامات الانكسار والحزن على وجوه المسافرين والمودعين لهم.

ولو دققنا في صورة الاستفتاء الذي ارسله علي رضا الى السيد أبو القاسم الخوئي في الملحق رقم (١) لوجدنا الملاحظات التالية :

١. ان الاستفتاء كتب في بغداد بتاريخ ٢٥ كانون الاول ١٩٧١ ، وان جواب الاستفتاء بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٩١ ويوافق ٢٥ كانون الاول ١٩٧١ وهو نفس يوم كتابته ، وهذا غير ممكن ان يكون الجواب في نفس اليوم مع اختلاف المسافة بين بغداد والنجف الاشرف .

٢. بدأ الجواب بعبارة (تحية طيبة) ، وهذه العبارة لا تكتب من قبل مراجع الدين على الاستفتاءات فهي عبارة غير مألوفة الاستخدام في مخاطبتهم .

٣. اسلوب الجواب برمته لا يرتقي الى الاسلوب الحوزي المبني على البلاغة والنحو ، وقد حذفت كلمة (بركاته) من آخر الجواب .

٤. الختم الموجود على الاستفتاء كتب فوقه كلمة الخوئي ، في حين ان أجوبة الاستفتاءات والرسائل عادة يكتب فوق الختم أبو القاسم الموسوي الخوئي .

٥. ان السيد أبو القاسم الخوئي في ذلك اليوم كان مريضاً ويتهياً للسفر الى لندن لغرض العلاج حيث وصلها بتاريخ ٢٩ كانون الاول ١٩٧١ أي بعد ثلاثة ايام من تاريخ كتابة الاستفتاء .

نقول متى وصل الاستفتاء من بغداد الى النجف الاشرف ، ومتى تمت الاجابة عليه من قبل السيد الخوئي ، كل هذه الدلائل تشير الى ان الاستفتاء كان مزوراً ، بهدف

تشويش الرأي العام حول موقف السيد الخوئي من السلطة السياسية الحاكمة في العراق.

وفي خضم هذه الاحداث ، وقف السيد الخوئي الى جانب الشعب العراقي من أجل الحفاظ على ثرواته ، فبعد أن أصدرت الحكومة العراقية قانون تأميم عمليات شركة نفط العراق المحدودة رقم (٦٩) في الاول من حزيران ١٩٧٢ ، أيدت جماهير النجف الاشرف والمرجعية الدينية فيها قرار التأميم، فارسل السيد أبو القاسم الخوئي رسالة إلى أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية، بتلك المناسبة وجاء فيها:

"ان الدفاع عن مواطن المسلمين و ثروات ارضهم وفي مقدمتها حماية نفطهم من أهم الواجبات الشرعية وأخطرها، وان الوقوف عند هذا الحق بصلاية وإيمان مع الأعداء من أفضل ضروب الرعاية لمصالح المسلمين وأمانهم، نسأله تعالى ان يبارك جهدكم في حماية نفط هذا البلد الإسلامي من جميع الطامعين، كما نسأله ان يحقق مصالح الأمة الإسلامية وان يوحد كلمة المسلمين على الحق و يؤيدهم بالنصر المؤزر وان يأخذ بأيديهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم واللّه الهادي إلى سواء السبيل"(٥٠).

لم تكن رسالة السيد أبو القاسم الخوئي تعني تأييده لنظام الحكم القائم آنذاك، بل كانت موقفا وواجبا شرعيا من أجل الحفاظ على ثروات الشعب العراقي وممتلكاته ، وبدا واضحا عدم تأييده للنظام من خلال رفضه الحضور في المؤتمرات والمناسبات التي تقيمها الحكومة رغم دعوته لها، وعدم ارسال مبعوث عنه، ومنع وكلائه من الحضور فيها .

وفي أعقاب قيام الحكومة العراقية باعتقال عدد كبير من الذين شاركوا في انتفاضة صفر عام ١٩٧٧ ، أرسل السيد أبو القاسم الخوئي وفدا لمقابلة رئيس الجمهورية احمد حسن البكر لغرض إطلاق سراحهم او تخفيف الحكم عنهم ،

وضم الوفد نجله السيد جمال الدين الخوئي والسيد مصطفى جمال الدين والشيخ محمد جواد ال راضي والسيد عبد الرسول علي خان ، وقد وصف البكر المعتقلين بانهم "مشاغبون وخارجون عن القانون" ، فأثار هذا الوصف حفيظة السيد جمال الدين الخوئي، فرد عليه القول "بأن هؤلاء اناس ذاهبون للزيارة وأنتم من غلق عليهم الطريق بالدبابات والطائرات" ، مما ادى إلى حدوث مشادة كلامية بينهما ، فقام السيد مصطفى جمال الدين بتهدئة الوضع وتلطيف الأجواء ، وطلب الوفد من البكر التدخل في الامر، فوعدهم بذلك فألغيت بعض احكام الاعدام، ومنها حكم الاعدام للسيد محمد باقر الحكيم إلى المؤبد (٥١) .

تعرض السيد أبو القاسم الخوئي وطلبة الحوزة العلمية في النجف الاشرف الى سلسلة من المضايقات من قبل الحكومة العراقية ، ففي ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٤ قررت القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم في العراق تشكيل لجنة برئاسة عزت ابراهيم نائب رئيس الجمهورية وعضوية عدد من اعضاء قيادة حزب البعث كل من حسن علي ونعيم حداد ومحمد حمزة الزبيدي وسعدون حمادي وكامل ياسين رشيد ، لإعداد دراسة عن الحوزة العلمية والطلبة العرب غير العراقيين والاجانب في المدارس الدينية (٥٢).

أرسلت اللجنة تقريرها الى صدام حسين رئيس الجمهورية في ٦ شباط ١٩٨٥ وتضمن عدة توصيات ، كان من بين ابرزها ارغام السيد أبو القاسم الخوئي على اعلان موقفه الواضح من الحرب العراقية الايرانية ومن شخص السيد الخميني ، وترحيل مساعديه من الجنسية الفارسية خارج العراق ، ورفض اصدار تمديدات بالإقامة للطلبة الاجانب الاخرين ، فضلا عن اعداد شخصيات دينية من العراقيين العرب ممن لديهم المؤهلات لزجهم داخل الحوزة الدينية (٥٣).

قدمت أمانة سرالقطر لحزب البعث تقريراً الى ديوان رئاسة الجمهورية بتاريخ ٢٢ اب ١٩٨٦ مؤلف من (١٧) صفحة ، حول نشاطات السيد أبو القاسم الخوئي وأولاده ووكلائه ومقلديه ، لاسيما أسرة آل بحر العلوم ، ومواقفهم السلبية " تجاه الحزب والثورة " على حد تعبير التقرير ، وطالبوا في التقرير الى تحجيم تصرفات السيد الخوئي واتلاف الكتب الدينية من المكتبات العامة وتسفير طلبة العلوم الدينية غير العراقيين (٥٤).

وقد رفض السيد الخوئي طلب عزت ابراهيم نائب رئيس الجمهورية بإصدار بيان ضد الحكومة الايرانية او الموافقة على موقف الحكومة العراقية السليبي من السيد الخميني ، وكانت عبارة السيد الخوئي له باعثة على التحدي إذ قال له " هل تريد مني ان اعطي تقييماً بالخميني ؟ حسناً يجب أن اعطي تقييماً بالعراق كذلك " على حد تعبير عزت ابراهيم (٥٥).

ويبدو ان السيد الخوئي لم يقف موقفاً مناهضاً للثورة الاسلامية في ايران أو لشخص السيد الخميني ، على الرغم من الضغوط التي مورست عليه من قبل السلطة الحاكمة في العراق ، وكان يتخذ جانب الصمت في أغلب الاوقات .

في الوقت الذي زادت فيه مضايقات السلطة للسيد أبو القاسم الخوئي وطلبة الحوزة اخذ عددهم بالنقصان ، قام السيد الخوئي باستدعاء ممن بقي من أساتذة الحوزة بداره الواقعة في مدينة الكوفة ، كان منهم الشيخ عبد الحسين المظفر للتداول معهم واخبارهم على عزمه مغادرة العراق في بداية كانون الثاني ١٩٨٧ ، تفاجئ الحضور بهذا القرار وطلب الشيخ المظفر منه العدول عن قراره وقال له " ان أساتذة الحوزة لا يستطيعون إدارة الحوزة وليس باستطاعتهم تخريج طلبة وأساتذة اكفاء من الحوزة العلمية كأستاذهم السيد الخوئي " بحسب تعبيره (٥٦).

ونتيجة لشدة مضايقات الحكومة العراقية للحوزة العلمية من خلال عناصرها الامنية والحزبية هدد السيد أبو القاسم الخوئي بالسفر خارج العراق وتغيير محل اقامته ما لم تكف الحكومة من مضايقتها للحوزة العلمية ، جاء ذلك من خلال رسالة الى صدام حسين رئيس الجمهورية في ٥ كانون الثاني ١٩٨٧ ، وقد جاء في نصها :

"... ان وجود الحوزة العلمية في النجف الاشرف مما لا يخفى على سيادتكم اهميتها في العالم الاسلامي كما ان دعوتكم لي بالرجوع الى النجف الاشرف عند سفري الى لندن تدل بوضوح على اهتمامكم بحفظها وقد بلغني المرسل من قبلكم الى لندن بانكم تدعونني الى الرجوع الى العراق على ان اكون مستمرا في القيام بوظائفي الدينية ورعاية الحوزة وادارة شؤونها فلبيت دعوتكم وقدمتها على دعوة الشاه لذهابي الى ايران (٥٧) مع العلم بانها كانت قبل وصول دعوتكم لي فرجعت الى النجف الاشرف وبعد مضي سنين انقلب الامر وحدث التشويش والاضطراب في الحوزة العلمية حتى بلغ ما بلغ مما هي فيه الان بما هو غير قابل للتحمل فان كنتم على العهد السابق كما هو المأمول فالمرجو اصدار الامر للمسؤولين بالاهتمام بشؤون الحوزة ورفع ما يوجب التشويش وان كان وجود الحوزة العلمية لا سمح الله يتنافى مع مصالح الدولة فالمرجو اصدار اوامركم للدوائر المختصة بتسهيل مغادرتنا العراق مع من يتبعنا من افراد الحوزة على ان يمهلونا مدة شهر واحد لتصفية امورنا هذا وقد راجعنا بعض المسؤولين في هذا الموضوع فلم نحصل على النتيجة المطلوبة والله ولي التوفيق ..."(٥٨).

على اثر ذلك ارسل رئيس الجمهورية وفد وزاري الى السيد الخوئي للوقوف على طلبه ، وصدرت الأوامر بتخفيف الضغط على طلبة الحوزة العلمية ، وارسل موظفين من

دائرة الإقامة الى مدرسة الحكمة في النجف الاشراف لتسهيل إجراءات الإقامة لطلبة الحوزة الأجانب .

وبعد احتلال القوات العراقية للكويت في ٢ اب ١٩٩٠ ، وقيامها بعملية النهب والسلب لأموال ومحال ودور ودوائر الدولة الكويتية ، عارض السيد الخوئي تلك الاعمال التي قام بها واصدر فتوى تحرم تداول البضائع الكويتية بيعا وشراء معتبرا ان الاراضي الكويتية مغصوبة لا يجوز للجندي وغيره الصلاة فيها (٥٩).

وفي الوقت نفسه استنكر قيام قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية بالتحشيد العسكري لغزو العراق ، وقد أصدر السيد الخوئي بيانا في ٢٣ كانون الثاني ١٩٩١ ، استنكر فيه قيام القوى الاجنبية بالاعتداء على البقاع المقدسة والمناطق السكنية وقتل العزل من الناس ، وقد جاء في نصها :

" ... تمر الأمة الاسلامية في هذه الايام وبسبب تفرق كلمتهم ظروف قاسية وفجائع مؤلمة ومحن تحزفي نفس كل غيور مما ادى إلى اعتداء الكفار عليهم واراقة الدماء البريئة وانتهاك الحرمات والاعتداء على المقدسات ... ومما يزيد في النفس ألما ان يكون ذلك بفعل الاجنبي الكافر الذي ما انفك يوما عن العمل جاهدا للوقعية بين المسلمين وتحطيم مبادئهم وطمس معالم حضارتهم ... نهيب بأبنائنا المسلمين جميعا ان يرجعوا إلى رشدهم ويعو ظروفهم الذي يمرون به فيجمعوا شملهم ويوحدوا كلمتهم ويصونوا دماءهم ويحلوا مشاكلهم فيما بينهم غير مستعنين في ذلك بالكفار ... " (٦٠) .

ومن نتائج الاحتلال العراقي للكويت ، تدمير العراق اقتصاديا وعسكريا وفقدان الدولة سيطرتها على الوضع ، مما أدى الى وقوع الانتفاضة الشعبانية (٦١) في النجف الاشراف ظهر يوم الأحد ١٦ شعبان ١٤١١ الموافق ٣ اذار ١٩٩١ ، تحول دار السيد أبو

القاسم الخوئي إلى مركز رئيسي للقيادة وتنظيم أمور المدينة، وكان لأبنائه دورا رئيسا في قيادة الانتفاضة، وأصدر بيانا في ٥ آذار ١٩٩١، أكد فيه بالحفاظ على بيضة الاسلام ومراعاة مقدساته باعتباره أمر واجب على كل مسلم، ودعا المواطنين بالالتزام بالقيم الاسلامية الرفيعة برعاية الاحكام الشرعية رعاية دقيقة في كل اعمالهم وتصرفاتهم، والحفاظ على المؤسسات العامة وممتلكات الناس وأموالهم وأعراضهم، وطلب بدفن جميع الجثث الملقاة بالشوارع وفق الموازين الشرعية، وعدم "التسرع في اتخاذ القرارات الفردية غير المدروسة والتي تتنافى والاحكام الشرعية والمصالح العامة" (٦٢).

ومن أجل حفظ دماء المسلمين والحفاظ على النظام واستتباب الامن والاستقرار والاشراف على الامور العامة والشؤون الدينية والاجتماعية، أصدر بيانا آخر في ٨ آذار ١٩٩١ يقضي بتعيين لجنة عليا تقوم بالإشراف على ادارة الشؤون كلها، وطلب من المؤمنين الانصياع لأوامرهم وارشاداتهم ومساعدتهم في إنجاز مهامهم، وهم نخبة من اصحاب الفضيلة ممن يعتمد على كفاءتهم وحسن تدبيرهم، وهم كل من: السيد محي الدين الغريفي، السيد محمد رضا الخلخالي، السيد جعفر بحر العلوم، السيد عز الدين بحر العلوم، السيد محمد رضا الخرسان، السيد محمد السبزواري، الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي، السيد محمد تقى الخوئي والسيد محمد صالح عبد الرسول الخرسان (٦٣).

غير أن سلطة بغداد استطاعت اعادة سيطرتها على مدينة النجف الاشرف، وقامت قوة عسكرية في ٢٠ آذار ١٩٩١ بمحاصرة بيت السيد الخوئي واقتحامه، وتم اعتقاله مع ابنائه والذهاب به الى بغداد، واجباره على اجراء لقاء مع رئيس السلطة

القائمة آنذاك وبثها على وسائل الاعلام ، لكي يضللوا بعض الناس بان السيد أبو القاسم الخوئي غير موافق على ما جرى من احداث خلال الانتفاضة الشعبانية .

لم تتوقف اهتماماته وخدماته بالشؤون الاجتماعية عند حد معين على الرغم من مضايقات السلطة ، بل كان بمثابة الأب المشفق على أبنائه ، وقد تجلت هذه المشاعر الأبوية بشكل عملي واضح في المحن والشدائد التي حفلت بها الأمة الاسلامية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، قام السيد الخوئي في ١٦ اذار ١٩٩١ بإرسال وكيله في خراسان إلى جنوب ايران للإشراف على توزيع المساعدات إلى العوائل العراقية المشردة في المخيمات ، بسبب اضطهاد السلطة العراقية لهم بعد ضرب الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ ، وقد بلغت قيمة المساعدات العينية والنقدية (١٠٨٢٢٨٧٦٠) تومان ايراني ، فضلا عن توزيع مبالغ خاصة لحالات الولادة والوفاة والمرض ، علاوة على فتح مستشفى بإدارة أطباء عراقيين ، فيما بلغت قيمة المساعدات في ٤ نيسان ١٩٩٢ مبلغا قدره (٦٧٣١٠٠٠) تومان ايراني (٦٤).

الخاتمة

امتلك السيد الخوئي شجاعة نادرة في مواجهة الحكام المتسلطين على الامّة الاسلامية ، وظهر ذلك جليا من خلال مواقفه المساندة الى الشعب الايراني والتصدي الى سياسة الشاه الدموية ، والاخير حاول كثيرا من التقرب منه لكي يضمن هدوء الشارع الايراني والسيطرة على ثورته .

لم يتدخل السيد الخوئي في حياة العراق السياسية ، حفاظا على وجود الحوزة العلمية وابعادها عن بطش السلطة قدر الامكان ، ودفع الضرر عن طلبتها ، خصوصا وأن النظام الحاكم في العراق كان يعد المرجعية الدينية عدوه اللدود وإن لم يعلن ذلك هو الآخر .

لم يكن السيد الخوئي خائفاً على حياته بقدر خوفه على حياة مقلديه من ناحية ، وبقاء الحوزة العلمية واستمرارها بتدريس الفقه الامامي في وقت بدأت التيارات السلفية بفتح مدارسها ونشر تعاليمها المتطرفة في البلدان الاسلامية من ناحية اخرى ، ورغم الضغوط التي واجهها ، فقد أبدى مواقفاً إزاء الكثير من الاحداث السياسية سواء كان منها خارج العراق أو في داخله .

(الملحق رقم (١))

بسم الله الرحمن الرحيم
 مسامحة المرجع الاعلى السيد اعلي القاسم الخوئي
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته دام ظله
 هذا راكبت من حكومتكم المبعث في العراقة ما بنا في
 الدين او الدنيا بالنية الى -- تحكيم الكرم او الى
 الحوزة العلمية او الى الدارين فقد ذكر بعض المعصومين
 للحكومة تعاملهم معاملة حسنة استقنا ما جاوره
 هذا ٢٥ / ١٢ / ٧١ ع.م.م
 بسمه تبارك وتعالى
 تحية ضيقة
 وبعد افضالنا الى العلم ارس الحكمة الموقرة الاخيرة اما بالنسبة
 الى الحوزة العلمية والابرار فقد سمعت من بعض القضاة ان الحكومة
 تعاملهم معاملة حسنة واسمعت التوفيق واللام عليكم ورحمة الله
 المحمدي الشرف ٨ / ذى الحجة ١٤٠٢
 الخوئي

الملخص:

كان السيد أبو القاسم الخوئي متروياً في كثير من الأحيان من إبداء مواقفه السياسية بصورة علنية لاسيما ما يتعلق منها بالأمور الداخلية للعراق ، بسبب السياسات الجائرة التي انتهجتها السلطة الحاكمة في العراق بحق كل من يبدي موقفاً يخالف سياستها ، يصل إلى بعض الأحيان قيامها باعتقال أو اغتيال المعارضين لسلطتها ، وقد تعرض السيد الخوئي لضغوط كبيرة من قبل السلطة ، الحد الذي أدى إلى عدم السماح بطباعة كتبه الفقهية إلا بعد حصول موافقة وزارة الاعلام وحذف بعض الفقرات والمسائل التي لا تروق للسلطة .

لم يكن السيد الخوئي خائفاً على حياته بقدر خوفه على حياة مقلديه من ناحية ، وبقاء الحوزة العلمية واستمرارها بتدريس الفقه الامامي في وقت بدأت التيارات السلفية بفتح مدارسها ونشر تعاليمها المتطرفة في البلدان الاسلامية من ناحية اخرى ، ورغم الضغوط التي واجهها ، فقد أبدى موقفاً إزاء الكثير من الاحداث السياسية سواء كان منها خارج العراق أو في داخله .

اتخذ موقفاً صلباً عما كان يجري في ايران والباكستان وما صاحبها من عنف دموي تعرض لها الشعبين المسلمين ، وامتلك السيد الخوئي شجاعة نادرة في مواجهة الحكام المتسلطين على المسلمين ، وظهر ذلك جلياً من خلال مواقفه المساندة الى الشعوب الإسلامية.

استأثرت القضية الفلسطينية اهتمام السيد أبو القاسم الخوئي ، بسبب الجرائم البشعة التي ارتكبتها الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني ، وناشد المسلمين إلى تجنب أي عمل يؤدي إلى اضعاف قوتهم ويمكن منهم اعدائهم من اجل تحرير ارضهم ووصون مقدساتهم .

(١) (مكتبة الامام الخوئي العامة)، رسالة من السيد أبو القاسم الخوئي إلى محمد رضا شاه، بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٢.

(٢) الثورة البيضاء: وهو المشروع الذي اعلنه الشاه محمد رضا في ١٩ ايار ١٩٦١، وكان ابرز ما جاء فيه تعديل قانوني الاصلاح الزراعي والسماح للمرأة الدخول في الانتخابات، وفي ٢٦ كانون الثاني ١٩٦٣ شرع الشاه بتنفيذ مشروعه، وقد جوبه بردود فعل سلبية من قبل المؤسسة الدينية والمعارضة الايرانية. للتفاصيل انظر: عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين، (القاهرة: مطبعة المركز النموذجي، ١٩٧٣)، ص ١٤٥-١٤٨؛ خضير مظلوم البديري، التاريخ المعاصر لايران وتركيا، (النجف الاشرف: دار الضياء، ٢٠٠٩)، ص ١٤٩.

(٣) السيد علي البهبهاني (١٨٨٦-١٩٧٥): ولد في بهبهان، عام ١٩٠٢ هاجر إلى النجف الاشرف لإكمال دراسته وبقي فيها ست سنوات، وعاد إلى بهبهان مشغولاً بالتدريس وأداء واجباته الدينية، وفي عام ١٩٥١ سافر إلى الاهواز وأسّس حوزة دراسية هناك، عارض بشدة قانون الانتخابات العامة والمحلية الذي اصدره الشاه عام ١٩٦٣، قاد حملة استنكار في طهران لاعتقال السيد الخميني بعد احداث المدرسة الفيزيائية، من بين أبرز مؤلفاته حاشية على العروة الوثقى واساس النحو، توفي في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٥ ودفن في الاهواز. للتفاصيل انظر: جعفر السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء، (قم، مؤسسة الامام الصادق (ع)، ٢٠٠٤)، ج ١٤، ص ٤٣٧.

(٤) (مكتبة الامام الخوئي العامة)، رسالة من السيد أبو القاسم الخوئي إلى السيد البهبهاني، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٣.

(٥) للتفاصيل عن حادثة المدرسة الفيزيائية في مدينة قم، انظر: جلال الدين المدني، تاريخ ايران السياسي المعاصر، ترجمة سالم مشكور، (طهران: مطبعة سبهر، ١٩٩٣)، ص ٧٠.

(٦) وهم كل من: السيد محمد رضا الكلبيكاني والسيد محمد كاظم الشريعةمداري وروح الله الخميني من مدينة قم، السيد محمد تقي الخونساري والسيد علي البهبهاني والفلسفي من طهران، السيد الميلاني والقمي من مشهد، الشيخ محمد الخراساني والسيد حسين الخادمي والسيد أبو الحسن الشمس آبادي من اصفهان، صالح من كرمان، الاخوند الهمداني من همدان، النجفي البروجردي من بروجرد، الشيخ علي أكبر الاهري من تبريز، الشيخ محمد صدوقي من يزد، السيد بهاء الدين المحلاتي من شيراز، رامهرمزي من اهواز، ضياء بري من رشت، كمال وند من خرم اباد، قائمي واصفهانى من عبادان، والسيد علي اليتربي والنجفي من كاشان. انظر: (مكتبة الامام الخوئي العامة)، اسماء العلماء الذين ارسل لهم السيد الخوئي برسالته، بتاريخ ٢ نيسان ١٩٦٣.

(٧) (مكتبة الامام الخوئي العامة)، رسالة من السيد أبو القاسم الخوئي إلى العلماء الاعلام في المدن الايرانية، بتاريخ ٢ نيسان ١٩٦٣.

(٨) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، رسالة من علماء ايران إلى السيد أبو القاسم الخوئي، بتاريخ نيسان ١٩٦٣.

(٩) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، رسالة من السيد أبو القاسم الخوئي إلى العلماء الاعلام في المدن الايرانية، بتاريخ ٨ ايار ١٩٦٣.

(١٠) أعلن السيد الخميني في ٣ حزيران ١٩٦٣ في المدرسة الفيضية بمدينة قم الثورة ضد الشاه محمد رضا واتهمه بأحداث المدرسة الفيضية، واعتبر نظامه عميلاً لإسرائيل، وبعد يومين من الاعلان وفي فجر الخامس عشر من خرداد الموافق ٥ حزيران ١٩٦٣، هاجمت قوة عسكرية منزل السيد الخميني في مدينة قم، وتم اعتقاله، ونقله إلى العاصمة طهران، ومنها إلى قاعدة عسكرية ليسجن فيها، الامر الذي أدى إلى خروج مظاهرات في مختلف المدن الايرانية، منددة بسياسة الحكومة ومؤيدة للسيد الخميني، فقامت قوات الجيش باطلاق النار على المتظاهرين، واستمرت المظاهرات لثلاثة أيام، وقد قتل وجرح آلاف المتظاهرين، وتوجه العشرات من مراجع الدين والعلماء إلى العاصمة طهران اعتراضاً على هذه الإجراءات، وفي ٦ نيسان ١٩٦٤ اطلق سراحه من السجن. للتفاصيل انظر: جلال الدين المدني، المصدر السابق، ص ٩٩-١٠٣.

(١١) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، فتوى السيد أبو القاسم الخوئي، بتاريخ ٧ حزيران ١٩٦٣.

(١٢) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، استفتاء جمع من الايرانيين إلى السيد أبو القاسم الخوئي حول المشاركة في انتخاب مجلس الشورى الايراني، بتاريخ ٢٩ آب ١٩٦٣.

(١٣) سيد حميد روحاني، نهضت امام خميني، چاپ پ نجم، (تهران: چاپخانه عروج، ١٣٨١ش)، جلد دوم، ص ١١٧-١٢٢.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٥٦٣.

(١٥) بيان السيد أبو القاسم الخوئي إلى علماء ايران، بتاريخ الاول من كانون الاول ١٩٧٨، نقلاً عن صلاح الخرخسان، الامام السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق، (بغداد: مطبعة الوسام، ٢٠٠٤)، ص ٨٩٧.

(١٦) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، بيان السيد أبو القاسم الخوئي، بتاريخ ٢٨ اذار ١٩٧٩.

(١٧) برقية السيد الخميني إلى السيد الخوئي، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٨٠؛ رسالة من السيد الخميني إلى السيد الخوئي، بتاريخ الاول من تموز ١٩٨٤، نقلاً عن صلاح الخرخسان، المصدر السابق، ص ٩٠٨-٩٠٩.

(١٨) طراد حمادة، الإمام أبو القاسم الخوئي زعيم الحوزة العلمية، (لندن: مؤسسة الإمام الخوئي، ٢٠٠٤)، ص ٢٤٦.

(١٩) ((الحياة)) (جريدة)، لندن، العدد ٧٦٣٧، بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٠.

(٢٠) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، بيان السيد أبو القاسم الخوئي، بتاريخ ٩ اذار ١٩٨٠.

(٢١) سيد حميد روحاني، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣٦؛ احمد عبد الهادي السعدون، المرجعية الدينية دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق، رسالة ماجستير، جامعة بغداد : كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٧، ص ١٥٠.

(٢٢) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، نداء السيد أبو القاسم الخوئي إلى الأمة الاسلامية، بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٧٠.

(٢٣) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، نداء السيد أبو القاسم الخوئي للتعاون مع الجيوش الاسلامية، بتاريخ ٨ تشرين الاول ١٩٧٣.

(٢٤) عبد الرسول علي خان المدني (١٩٢٩-١٩٨٤): ولد في النجف الاشرف ونشأ فيها، قرأ أولياته في الدراسة على يد والده، وأكمل مقدماته العلمية عند السيد اسماعيل الصدر، ثم حضر الابحاث العالية على يد السيد أبو القاسم الخوئي، كانت اشعاره تنصدر المناسبات الدينية، من مؤلفاته شرح كفاية الاصول ودروس في علم النحو وديوان شعر مخطوط، توفي في النجف الاشرف في ١٧ نيسان ١٩٨٤. للتفاصيل انظر: عز الدين عبد الرسول المدني، ((مقابلة شخصية))، مواليد ١٩٥٩، استاذ جامعي، النجف الاشرف، بتاريخ ١١ ايلول ٢٠١٣.

(٢٥) ((العدل)) (جريدة)، النجف الاشرف، العدد ٤٧، بتاريخ ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٣.

(٢٦) نص فتوى الجهاد التي اعلنها السيد الخوئي في النجف الاشرف عام ١٩٧٣، ((العدل))، العدد ٤٧، بتاريخ ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٣.

(٢٧) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، كلمة السيد أبو القاسم الخوئي في الصحن الحيدري الشريف، بتاريخ ١٠ تشرين الاول ١٩٧٣.

(٢٨) كان من بين ابرز العلماء الذين دعوا إلى الجهاد ومؤازرة الشعب الفلسطيني: السيد محمود الحسيني الشاهرودي، السيد محمد علي الحماوي، السيد احمد الحسني البغدادي، الشيخ محمد جواد الشيخ راضي، الشيخ علي كاشف الغطاء، الشيخ محمد ابراهيم الكرياسي. انظر: الهيئة العلمية، العلماء الاعلام يدعون المسلمين إلى الجهاد في سبيل الله، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٧٣)؛ ((الثورة)) (جريدة)، بغداد، العدد ١٣٩٣، بتاريخ ١٨ تشرين الاول ١٩٧٣.

(٢٩) عبر عدد من اهالي النجف الاشرف عن تضامنهم مع الشعب العربي الفلسطيني ودعمهم للقوات العربية المقاتلة للعدو المغتصب، ومن بين ابرزهم، الحاج عبد الحسين النجم والمحامي عبد الباقي الجزائري والشاعر محمد علي البازي والطالبة خنساء محمد باقر والحاج رؤوف محمد علي قسام والحاج محسن جاسم الصائغ فضلا عن السيد ابراهيم الفاضلي رئيس جمعية التوجيه الديني. انظر: ((العدل))، العدد ٤٧، بتاريخ ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٣.

(٣٠) ((العدل))، العدد ٤٧، بتاريخ ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٣.

(٣١) اتفاقية كامب ديفيد: تم التوقيع عليها في ١٧ ايلول ١٩٧٨ بين الرئيس المصري محمد انور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن في منتجع كامب ديفيد في ولاية ميريلاند

الاميركية وتم الاتفاق على الانسحاب من سيناء التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧، وكان التوقيع على الاتفاقية تحت إشراف الرئيس الأميركي جيمي كارتر، ونتج عن هذه الاتفاقية تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٩. للتفاصيل انظر: كميل منصور، اتفاق كامب ديفيد وخطاره، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٨).

(٣٢) ياسر عرفات (١٩٢٩-٢٠٠٤): ولد محمد ياسر عبد الرحمن القدوة الحسيني في القاهرة في ٢٤ اب، من أسرة فلسطينية، قضى مراحل طفولته وشبابه في القاهرة، أصبح مقرباً من المفتي أمين الحسيني الذي كان منفياً في القاهرة، درس الهندسة المدنية في جامعة الملك فؤاد عام ١٩٤٨، انتخب في عام ١٩٥٢ لرئاسة اتحاد الطلاب الفلسطينيين في القاهرة، هاجر إلى الكويت حيث عمل مهندساً فيها، قام في ١٠ تشرين الأول ١٩٥٩ بتأسيس حركة سميت بحركة فتح وهي اختصار لكلمات حركة تحرير فلسطين بشكل مقلوب، توفي في ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٤ ودفن في مدينة رام الله. للتفاصيل انظر: بسام أبو شريف، ياسر عرفات، (بيروت: رياض الريس للكتاب والنشر، ٢٠٠٥).

(٣٣) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، رسالة ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى السيد أبو القاسم الخوئي، بتاريخ ٩ تشرين الأول ١٩٧٨.

(٣٤) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، رسالة السيد أبو القاسم الخوئي إلى ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٧٨.

(٣٥) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، بيان السيد أبو القاسم الخوئي، بتاريخ ٢٨ اذار ١٩٧٨.

(٣٦) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، بيان السيد أبو القاسم الخوئي، بتاريخ ٣ نيسان ١٩٧٨؛ بيان السيد أبو القاسم الخوئي، بتاريخ ٤ نيسان ١٩٧٨.

(٣٧) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، رسالة السيد أبو القاسم الخوئي إلى جمعية الهداية والارشاد، بتاريخ نيسان ١٩٧٨.

(٣٨) حدث انفجاران في موسم الحج لعام ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، الأول في أحد الطرق المؤدية للحرم المكي والآخر فوق الجسر المجاور للحرم المكي، ونتج عن ذلك وفاة شخص واحد وإصابة ستة عشر آخرين، ثم ألقت الشرطة السعودية القبض على (٢٠) حاجاً كويتياً، اتهم (١٦) منهم بتدبير التفجير، ثم عرضوا على المحكمة لتلقي الحكم، وبعد بضع أيام أمر الملك فهد بن عبد العزيز "بضرب أعناقهم بالسيف"، وتم تنفيذ الحكم في ٢١ أيلول ١٩٨٩. للتفاصيل انظر: ((انترنت))، حادثة الحرم المكي، الموقع، <http://ar.wikipedia.org>.

(٣٩) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، جواب السيد أبو القاسم الخوئي حول اعدام الكويتيين، بتاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٨٩.

(٤٠) مؤسسة الامام الخوئي الخيرية، الشهيد محمد تقي الخوئي، ط ٣، (قم: مؤسسة احياء تراث الامام الخوئي، ٢٠٠٣)، ص ٥٨.

(٤١) قامت السلطة بزرع عدد من جواسيسها من الايرانيين بين طلبة الحوزة العلمية لمراقبة السيد أبو القاسم الخوئي ورفع تقارير دورية عما يدور في حوزته ، ولم تكن تحركات هؤلاء الجواسيس بخافية على السيد الخوئي. انظر: معين جابر جدي، ((مقابلة شخصية))، مواليد ١٩٣٩ ، وجيه، النجف الاشرف، بتاريخ ٧ حزيران ٢٠١٣.

(٤٢) محمد صادق بحر العلوم، النجف الاشرف بين المرجعية والسياسة، (بيروت: دار الزهراء للطباعة، ٢٠٠٩)، ص ٢٧٤؛ علي عبد الامير علاوي، احتلال العراق ربح الحرب وخسارة السلام، ترجمة عطا عبد الوهاب، (عمان: دار الفارس للنشر، ٢٠٠٩)، ص ٤٥.

(٤٣) رسول جعفريان، التشيع في العراق وصلاته بالمرجعية وايران، (قم: مطبعة عترة، ٢٠٠٨)، ص ١٣٥، ((الموسم)) (مجلة)، لاهاي، ١٩٩٤، العدد ١٧، ص ٣٨٢.

(٤٤) يوسف عباس الخوئي، ((مقابلة شخصية))، مواليد ١٩٥٩، مدير الشؤون العامة في مؤسسة الخوئي في لندن، النجف الاشرف، بتاريخ ٩ اذار ٢٠١٣.

(٤٥) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، تصريحات خطيرة للسيد أبو القاسم الخوئي حول التغلغل الصهيوني في ايران ، بتاريخ ٧ حزيران ١٩٦٣.

(٤٦) السيد عبد الصاحب أبو القاسم الخوئي، ((مقابلة شخصية))، مواليد ١٩٥٤، امين عام مؤسسة الامام الخوئي في لندن ، النجف الاشرف ، بتاريخ ٢٧ ايلول ٢٠١٣.

(٤٧) عماد جمال الدين الخوئي، ((مقابلة شخصية))، مواليد ١٩٤٢ ، متقاعد ، النجف الاشرف ، بتاريخ ٢٧ ايلول ٢٠١٣.

(٤٨) صادق الطباطبائي (١٩٤٣ - ٢٠١٥) : ولد في مدينة قم في ايران عام ١٩٤٣ ، اكمل دراسته الثانوية فيها عام ١٩٦١ ، سافر إلى المانيا لإكمال دراسته الجامعية في الكيمياء الحياتية ، أكمل دراسته العليا في الماجستير في الجامعة التقنية في آخن ، اكمل دراسة الدكتوراه في جامعة بوخوم الالمانية ، في الاول من شباط ١٩٧٩ عاد إلى ايران برفقة السيد الخميني ، عين نائبا لرئيس الوزراء في الحكومة المؤقتة عام ١٩٧٩ ثم رئيسا للوزراء بالوكالة ، رشح نفسه لأول انتخابات رئاسية في ايران في عام ١٩٨٠ ، توفي في ٢١ شباط ٢٠١٥ في دوسلدورف في ألمانيا . للتفاصيل انظر : صادق طباطبائي ، ((مقابلة شخصية))، مواليد ١٩٤٣ ، نائب رئيس وزراء ايران السابق، النجف الاشرف، بتاريخ ٢٠ ايلول ٢٠١٣، ((شبكة الانترنت)) ، صادق طباطبائي، الموقع ، <http://ar.wikipedia.org>.

(٤٩) صادق طباطبائي، ((مقابلة شخصية))، بتاريخ ٢٠ ايلول ٢٠١٣.

(٥٠) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، رسالة السيد أبو القاسم الخوئي إلى احمد حسن البكر رئيس الجمهورية ، بتاريخ ٩ حزيران ١٩٧٢.

- (٥١) احمد عبد الهادي السعدون، المصدر السابق ، ص ١٥٤؛ عماد جمال الدين الخوئي، ((مقابلة شخصية))، بتاريخ ٢٧ ايلول ٢٠١٣.
- (٥٢) عباس كاظم ، الحوزة في ارشيف حزب البعث، ترجمة مصطفى نعمان احمد ، (بغداد: دار المرتضى، ٢٠١٦)، ص ٢٩.
- (٥٣) تقرير من مدير عام مكتب امانة سر القطر الى صدام حسين الامين العام لحزب البعث، بتاريخ ٦ شباط ١٩٨٥ ، نقلا عن عباس علي ، المصدر السابق ، ص ٣٥.
- (٥٤) ((مكتبة السيد جواد الخوئي))، تقرير مكتب امانة سر القطر لحزب البعث إلى ديوان رئاسة الجمهورية، المرقم ٥٥٢، بتاريخ ٢٢ اب ١٩٨٦.
- (٥٥) عباس كاظم ، المصدر السابق ، ص ٤١.
- (٥٦) الدكتور علي عبد الحسين المظفر، ((مقابلة شخصية)) ، مواليد ١٩٦٥ ، أستاذ جامعي ، النجف الاشرف ، بتاريخ ٨ كانون اول ٢٠١٨.
- (٥٧) كان ذلك عام ١٩٧٠ ، وقد ذكرنا ذلك .
- (٥٨) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، رسالة السيد الخوئي الى صدام حسين رئيس الجمهورية ، بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٨٧.
- (٥٩) احمد عبد الهادي السعدون ، المصدر السابق ، ص ١٥٧.
- (٦٠) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، بيان السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٩١.
- (٦١) بعد حرب الخليج الثانية ، انطلقت انتفاضة شعبية في مناطق جنوب وشمال العراق ، سميت بالانتفاضة الشعبانية لقيامها في شهر شعبان من العام الهجري ، وقام المواطنون بمحاصرة المعسكرات والدعوة إلى إسقاط نظام الحكم ، وبعد قيام القوات العسكرية الموالية للحكومة بعمليات قمع للمواطنين تحول الأمر إلى انتفاضة شعبية تصدت للقوات الحكومية ، واندلعت الانتفاضة في (١٤) محافظة واستمرت إلى ان تم ابادتها باستخدام الاسلحة الثقيلة والصواريخ التي قصفت المدن ، وحدث من جرائها إبادة بشرية كبيرة .للتفاصيل انظر : زهراء حسون الفحام ، انتفاضة ١٩٩١ في العراق - النجف الاشرف انموذجا ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية التربية للبنات ، ٢٠١٤).
- (٦٢) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، بيان السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ ٥ اذار ١٩٩١.
- (٦٣) ((مكتبة الامام الخوئي العامة))، بيان السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ ٧ اذار ١٩٩١.
- (٦٤) ((مكتبة الامام الخوئي العامة)) ، التقرير السنوي لمركز مساعدات الشيعة المشردين في مدينة دزفول ، بتاريخ ٤ نيسان ١٩٩٢.

قائمة المصادر

اولا : الوثائق المنشورة وغير المنشورة

١. ((مكتبة السيد جواد الخوئي))، تقرير مكتب امانة سر القطر لحزب البعث إلى ديوان رئاسة الجمهورية، المرقم ٥٥٢، بتاريخ ٢٢ اب ١٩٨٦.
٢. ((مكتبة الامام الخوئي العامة)) ، اسماء العلماء الذين ارسل لهم السيد الخوئي برسالته ، بتاريخ ٢ نيسان ١٩٦٣.
٣. رسالة من السيد أبو القاسم الخوئي إلى العلماء الاعلام في المدن الايرانية ، بتاريخ ٨ ايار ١٩٦٣.
٤. رسالة من علماء ايران إلى السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ نيسان ١٩٦٣.
٥. بيان السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ ٤ نيسان ١٩٧٨.
٦. التقرير السنوي لمركز مساعدات الشيعة المشردين في مدينة دزفول ، بتاريخ ٤ نيسان ١٩٩٢.
٧. استفتاء جمع من الايرانيين إلى السيد أبو القاسم الخوئي حول المشاركة في انتخاب مجلس الشورى الايراني ، بتاريخ ٢٩ آب ١٩٦٣.
٨. بيان السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ ٢٨ اذار ١٩٧٩.
٩. بيان السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ ٩ اذار ١٩٨٠.
١٠. بيان السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ ٥ اذار ١٩٩١.
١١. بيان السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ ٧ اذار ١٩٩١.
١٢. بيان السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ ٢٨ اذار ١٩٧٨.
١٣. بيان السيد أبو القاسم الخوئي ، بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٩١.

١٤. تصريحات خطيرة للسيد أبو القاسم الخوئي حول التغلغل الصهيوني في ايران ، بتاريخ ٧ حزيران ١٩٦٣.

١٥. جواب السيد أبو القاسم الخوئي اعدام الكويتيين ، بتاريخ ٤ تشرين الاول ١٩٨٩.

١٦. رسالة من السيد أبو القاسم الخوئي إلى السيد البهبهاني ، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٣.

١٧. رسالة من السيد أبو القاسم الخوئي إلى محمد رضا شاه، بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٢.

١٨. رسالة السيد الخوئي الى صدام حسين رئيس الجمهورية، بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٨٧.

١٩. رسالة من السيد أبو القاسم الخوئي إلى العلماء الاعلام في المدن الايرانية، بتاريخ ٢ نيسان ١٩٦٣.

٢٠. رسالة السيد أبو القاسم الخوئي إلى ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٧٨.

٢١. رسالة السيد أبو القاسم الخوئي إلى جمعية الهداية والارشاد ، بتاريخ نيسان ١٩٧٨.

٢٢. رسالة السيد أبو القاسم الخوئي إلى احمد حسن البكر رئيس الجمهورية، بتاريخ ٩ حزيران ١٩٧٢.

٢٣. رسالة ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى السيد أبو القاسم الخوئي، بتاريخ ٩ تشرين الاول ١٩٧٨.

٢٤. فتوى السيد أبو القاسم الخوئي، بتاريخ ٧ حزيران ١٩٦٣.
٢٥. كلمة السيد أبو القاسم الخوئي في الصحن الحيدري الشريف ، بتاريخ ١٠ تشرين الاول ١٩٧٣.
٢٦. نداء السيد أبو القاسم الخوئي إلى الأمة الاسلامية، بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٧٠.
٢٧. نداء السيد أبو القاسم الخوئي للتعاون مع الجيوش الاسلامية، بتاريخ ٨ تشرين الاول ١٩٧٣.
- ثانيا : الرسائل الجامعية
٢٨. احمد عبد الهادي السعدون ، المرجعية الدينية دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد : كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٧).
٢٩. زهراء حسون الفحام ، انتفاضة ١٩٩١ في العراق - النجف الاشرف انموذجا ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية التربية للبنات ، ٢٠١٤).
- ثالثا : المصادر العربية والمعرية
٣٠. بسام ابو شريف، ياسر عرفات، (بيروت: رياض الريس للكتاب والنشر، ٢٠٠٥).
٣١. جعفر السبحاني ، موسوعة طبقات الفقهاء، (قم ، مؤسسة الامام الصادق (ع)، ٢٠٠٤)، ج ١٤.
٣٢. جلال الدين المدني ، تاريخ ايران السياسي المعاصر ، ترجمة سالم مشكور ، (طهران: مطبعة سبهر، ١٩٩٣).
٣٣. خضير مظلوم البديري ، التاريخ المعاصر لايران وتركيا ، (النجف الاشرف : دار الضياء ، ٢٠٠٩).

٣٤. رسول جعفریان، التشيع في العراق وصلاته بالمرجعية وإيران، (قم: مطبعة عترة، ٢٠٠٨).

٣٥. صلاح الخرسان، الامام السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق، (بغداد: مطبعة الوسام، ٢٠٠٤).

٣٦. طراد حمادة، الإمام أبو القاسم الخوئي زعيم الحوزة العلمية، (لندن: مؤسسة الإمام الخوئي، ٢٠٠٤).

٣٧. عباس كاظم، الحوزة في إرشيف حزب البعث، ترجمة مصطفى نعمان أحمد، (بغداد: دار المرتضى، ٢٠١٦).

٣٨. عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين، (القاهرة: مطبعة المركز النموذجي، ١٩٧٣).

٣٩. علي عبد الأمير علاوي، احتلال العراق ربح الحرب وخسارة السلام، ترجمة عطا عبد الوهاب، (عمان: دار الفارس للنشر، ٢٠٠٩).

٤٠. كميل منصور، اتفاق كامب ديفيد وأخطاره، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٨).

٤١. محمد صادق بحر العلوم، النجف الأشرف بين المرجعية والسياسة، (بيروت: دار الزهراء للطباعة، ٢٠٠٩).

٤٢. مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، الشهيد محمد تقي الخوئي، ط ٣، (قم: مؤسسة أحياء تراث الإمام الخوئي، ٢٠٠٣).

٤٣. الهيئة العلمية، العلماء الاعلام يدعون المسلمين إلى الجهاد في سبيل الله، (النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٩٧٣).

رابعاً : المصادر الفارسية

٤٤. سيد حميد روحاني، نهضت امام خميني، چاپ پ نجم، (تهران: چاپخانه عروج، ١٣٨١ش)، جلد دوم.

خامساً : الصحافة

٤٥. ((الحياة)) (جريدة)، لندن، العدد ٧٦٣٧، بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٠.
٤٦. ((العدل)) (جريدة)، النجف الاشرف، العدد ٤٧، بتاريخ ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٣.
٤٧. ((الموسم))، (مجلة)، لاهي، ١٩٩٠، العدد ١٧.

سادساً : المقابلات الشخصية

٤٨. صادق طباطبائي، مواليد ١٩٤٣، نائب رئيس وزراء ايران السابق، النجف الاشرف، بتاريخ ٢٠ ايلول ٢٠١٣.

٤٩. عبد الصاحب أبو القاسم الخوئي، مواليد ١٩٥٤، امين عام مؤسسة الامام الخوئي في لندن، النجف الاشرف، بتاريخ ٢٧ ايلول ٢٠١٣.

٥٠. عز الدين عبد الرسول المدني، مواليد ١٩٥٩، استاذ جامعي، النجف الاشرف، بتاريخ ١١ ايلول ٢٠١٣.

٥١. الدكتور علي عبد الحسين المظفر، مواليد ١٩٦٥، أستاذ جامعي، النجف الاشرف، بتاريخ ٨ كانون اول ٢٠١٨.

٥٢. عماد جمال الدين الخوئي، مواليد ١٩٤٢، متقاعد، النجف الاشرف، بتاريخ ٢٧ ايلول ٢٠١٣.

٥٣. معين جابر جدي، مواليد ١٩٣٩، وجيه، النجف الاشرف، بتاريخ ٧ حزيران ٢٠١٣.

٥٤. يوسف عباس الخوئي، مواليد ١٩٥٩، مدير الشؤون العامة في مؤسسة الخوئي في لندن، النجف الاشرف، بتاريخ ٩ اذار ٢٠١٣.

سابعاً : شبكة الانترنت

٥٥. حادثة الحرم المكي، الموقع، <http://ar.wikipedia.org>.

٥٦. صادق طباطبائي، الموقع، <http://ar.wikipedia.org>.

دور السيد علي السيستاني (دام ظله) في تحقيق الاستقرار السياسي

والامني في العراق

أ.م.د. منى حسين عبيد

مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/جامعة بغداد

ملخص

يعد السيد علي السيستاني دام ظله من المراجع العظماء الذين برز دورهم وبشكل واضح بعد عام ٢٠٠٣ فقد راعى السيد السيستاني الحكومات المتعاقبة على السلطة من يوم سقوط النظام البائد في العراق ولحد وقتنا الحاضر بالتوجيه والنصيحة والإرشاد، والملاحظات القيمة التي تصب في مصلحة الأمة والوطن، وبما ينفع المسار السياسي في هذه اللحظات السياسية الحاسمة التي تمر على البلاد، بما فيها من مأس وأحزان، ولاسيما فيما يخص تردّي الوضع الأمني، فقد كان وما زال بحق صمام الأمان في عدم انجرار البلاد إلى حرب طائفية مؤلمة، رغم الاعتداءات الصارخة التي تعرض لها العراقيين من قبل التكفيريين والارهابيين، وترويع الأهالي على اختلاف الصعد، من قتل وذبح وسلب ونهب، وتهجير، وتدمير للمساجد، ولما رقد الأئمة والعلماء والصالحين والأولياء، بما يندى له الجبين، وكان من الممكن أن يتم الرد على هذه الأفعال الظالمة، لولا إصرار مراجعنا العظام ولاسيما سماحة السيد علي السيستاني لاتفاقت الأوضاع في البلاد.

مقدمة

تعد المرجعية الدينية الامتداد الحقيقي للامامة، التي تشكل بدورها الامتداد الطبيعي للنبوّة في أبعادها المختلفة، ولاسيما في بعديها العقائدي والسياسي، وقد

رسم هذا الامتداد للمرجعية الطريقة التي تنتهجها وتسلكها للتعامل مع جميع الظروف والأوضاع، بما فيها الأوضاع والظروف السياسية، وحسب الشروط والخطوط التي وضعها أهل بيت عليهم السلام، فقد مر أهل البيت عليهم السلام بمراحل وأدوار ذات ظروف وعوامل مختلفة، جعلتهم يتصرفون مع تلك الظروف بما يتلاءم مع شروط كل مرحلة ودور.

وبما أن المرجعية الدينية هي الامتداد الطبيعي للإمامة؛ فإن عملها يجب أن يكون في ظل ما قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام من أدوار ومواقف مختلفة. لقد تقلدت المرجعية الدينية وظائف وواجبات عديدة جعلتها تحمل أمانة الرسالة المحمدية، ومارست الأدوار والمواقف والمراحل ضد حركة الانحراف والتدهور مثلما مارسها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ان المرجعية الدينية التي تحدث كل الوان التصفية والملاحقة اثر تصديها لقيادة الامة استطاعت منذ عصر الغيبة ولحد الان ان تحفظ هيبة الاسلام الحقيقي من خلال حكمتها وادارتها السياسية والاجتماعية والدينية.

ولعل من الاسباب التي دفعت المرجعية الدينية للتدخل في الأمور السياسية والعامة للبلاد، الأحداث والتطورات التي ظهرت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، جعلت المرجعية الدينية الرشيدة تنهض من طورها التقليدي الذي ابتعد عن التدخل المباشر في الأمور السياسية للعراق، إلى التدخل المباشر، وبطرق عديدة منها التوجيه والإرشاد، ومنها إصدار البيانات حول العمل السياسي ومنها دعوة ومساندة الجماهير في مطالبها السياسية والاجتماعية ومنها الدعوة إلى التهذئة وعدم الانجرار وراء الفتن الطائفية.

ويعد السيد علي السيستاني دام ظلّه من المراجع العظماء الذين برز دورهم وبشكل واضح بعد عام ٢٠٠٣

ولاهمية الدور الذي قام به المرجع الديني الكبير السيد علي السيستاني دام ظلّه، سنركز في دراستنا على السيرة الذاتية لهذا المرجع الكبير ودوره في تحقيق الاستقرار السياسي والامني في البلاد.

اولاً: سيرته الذاتية

١- ولادته ونشأته

ولد آية الله العظمى السيد علي بن محمد باقر بن علي الحسيني السيستاني في ٩ ربيع الثاني ١٣٤٩ هـ (١٤ ايلول ١٩٣٠) في مدينة مشهد عندما هاجر والده السيد محمد باقر الى هناك لاكمال دراساته في مدرسة الملا محمد باقر السبزواري. ويعد والده احد اعلام الفقه والاصول في النجف الاشرف^(١). وأما جده فهو العلم الجليل (السيد علي) الذي ترجم له العلامة الشيخ أغا بزرك الطهراني في طبقات اعلام الشيعة (القسم الرابع ص ١٤٣٢) وذكر انه كان في النجف الاشرف من تلامذة الحجة المؤسس المولى علي النهاوندي وفي سامراء من تلامذة المجدد الشيرازي، ثم اختص بالحجة السيد اسماعيل الصدر، وفي حدود سنة (١٣٠٨ هـ) عاد الى مشهد الرضا (عليه السلام) واستقر فيه وقد حاز مكانة سامية مع ما كان له من حظ وافر في العلم مع تقى وصلاح، ومن تلامذته المعروفين الفقيه الكبير الشيخ محمد رضا آل ياسين (قدس سره)^(٢).

ثم انتقل إلى الحوزة العلمية الدينية في قم المقدسة على عهد المرجع الكبير السيد حسين البروجردي (قدس سره) في عام (١٣٦٨ هـ)، وحضر بحوث علماء وفضلاء الحوزة آنذاك، منهم السيد البروجردي (قدس سره) في الفقه والأصول، وقد أخذ

الكثير من خبرته الفقهية ونظرياته في علم الرجال والحديث، كما حضر درس الفقيه العالم الفاضل السيد الحجة الكوهكمري (قدس سره) وبقيّة الأفاضل في حينه .

كانت أسرته (وهي من الاسر العلوية الحسينية) تسكن في اصفهان على عهد السلاطين الصفويين وقد عين جده الاعلى (السيد محمد) في منصب شيخ الاسلام في سيستان في زمن السلطان حسين الصفوي فانتقل اليها وسكنها هو وذريته من بعده (٢) .

نشأ سمّاحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظلّه) في أسرة علمية دينية ملتزمة، وقد درس العلوم الابتدائية والمقدمات والسطوح، وأعقبها بدراسة العلوم العقلية والمعارف الإلهية لدى جملة من أعلامها ومدرسيها حتى أتقنها .

٢-تحصيله العلمي

بدأ حياته العلمية وهو في الخامسة من العمر في مدرسة دار التعليم الديني لتعلم القراءة والكتابة ونحوها، وفي عام ١٩٤١ بدأ بتوجيه من والده بقراءة مقدمات العلوم الحوزوية، فأتم قراءة جملة من الكتب الأدبية، وحضر في المعارف الإلهية دروس الميرزا مهدي الاصفهاني المتوفي سنة ١٩٤٦، كما حضر بحوث الخارج للميرزا مهدي الأشتياني والميرزا هاشم القزويني وفي عام ١٩٤٩ هاجر الى مدينة قم لإكمال دراسته، فدرس الفقه والأصول على يد السيد حسين الطباطبائي البروجردي، ثم أكمل دراسة الفقه على يد السيد محمد الحجة الكوهكمري (٤) .

وفي عام ١٩٥١ هاجر من مدينة قم الى النجف، فسكن مدرسة البخارائي العلمية وحضر بحوث أبو القاسم الخوئي وحسين الحلي في الفقه والأصول ولازمهما مدة طويلة، وحضر خلال ذلك أيضا بحوث بعض الأعلام الآخرين منهم السيد محسن

الحكيم والسيد الشاهرودي. في عام ١٩٦١ عزم على السفر الى مسقط رأسه مشهد، وكان يحتمل استقراره فيها فكتب له استاذة الخوئي واستاذة الشيخ الحلي شهادتين ببلوغه درجة الاجتهاد، كما كتب الشيخ آغا بزرك الطهراني شهادة اخرى يطري فيها على مهارته في علمي الحديث والرجال^(٥).

وعندما رجع الى النجف الاشرف في أوائل عام (١٩٦١) ابتدأ بالقاء محاضراته (الدرس الخارج) في الفقه في ضوء مكاسب الشيخ الانصاري واعقبه بشرح العروة الوثقى فتم له منه شرح كتاب الطهارة وأكثر كتاب الصلاة وبعض كتاب الخمس وفي عام (١٩٩٧) بدأ بشرح كتاب الاعتكاف بعد ان انتهى من شرح كتاب الصوم . وقد كانت له محاضرات فقهية أخرى خلال هذه السنوات تناولت كتاب القضاء وأبحاث الربا وقاعدة الالتزام وقاعدة التقية وغيرهما من القواعد الفقهية . كما كانت له محاضرات رجالية شملت حجية مراسيل ابن ابي عمير وشرح مشيخة التهذيبين وغيرهما .

وابتدأ (دام ظله) بالقاء محاضراته في علم الاصول في شعبان عام (١٩٦٤) وقد أكمل دورته الثالثة في شعبان عام (١٩٩٠) ويوجد تسجيل صوتي لجميع محاضراته الفقهية والاصولية^(٦).

٣- صفاته وأخلاقه :

من يعاشر سماحة السيد السيستاني (دام ظله) ويتصل به يرى فيه شخصية فذة تتمتع بالخصائص الروحية والمثالية التي حث عليها أهل البيت (عليهم السلام) ، والتي تجعل منه ومن أمثاله من العلماء المخلصين مظهرا جليا لكلمة عالم رباني ، ومن أجل وضع النقاط على الحروف ، نطرح بعض المعالم الفاضلة التي رآها أحد تلامذته عند اتصاله به درسا ومعاشرة^(٧):

١- الإنصاف واحترام الرأي : إن سماحة السيد (دام ظلّه) انطلاقاً من عشقه العلم والمعرفة ، ورغبة في الوصول للحقيقة ، وتقديساً لحرية الرأي والكلمة البناءة ، تجده كثير القراءة والتتبع للكتب والبحوث ، ومعرفة الآراء حتى آراء زملائه وأقرانه ، أو آراء بعض المغمورين في خضمّ الحوزة العلمية

٢- الأدب في الحوار : يستخدم سماحته في نقاشه آراء الآخرين أو مع أساتذته الكلمات المؤدبة التي تحفظ مقام العلماء وعظمتهم ، حتى ولو كان الرأي المطروح واضح الضعف والاندفاع ، وفي إجابته لاستفسارات الطالب يتحدث بانفتاح وبروح الإرشاد والتوجيه

٣- خلق التربية : وقد كان الإمام الحكيم (قدس سره) مضرب المثل في خلقه التربوي لتلامذته وطلابه ، وكذلك كانت علاقة الإمام الخوئي (قدس سره) بتلامذته ، وهذا الخلق تجسّد في شخصية سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) ، فهو يبحث دائماً بعد الدرس على سؤاله ونقاشه ، فيقول : (أسألو ولو على رقم الصفحة لبحث معين ، أو اسم كتاب معين ، حتى تعتادوا على حوار الأستاذ والصلة العلمية به) .

وكان يدفع الطلاب لمقارنة بحثه مع البحوث المطبوعة ، والوقوف عند نقاط الضعف والقوة ، وكان يؤكد دائماً على احترام العلماء والالتزام بالأدب في نقاش أقوالهم .

٤- الورع : كان سماحة السيد (دام ظلّه) يلتزم دوماً الصمت والوقار ، والبعد عن الضوضاء الصاخبة ، مضافاً لهذه المتمثل في لباسه المتواضع ، ومسكنه الصغير الذي لا يملكه ، وأثاثه البسيط

٥- الإنتاج الفكري : إن سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) ليس فقيهاً فقط ، بل هو رجل مثقف مطلع على الثقافات المعاصرة ، ومتفتح على الأفكار الحضارية

المختلفة ، ويمتلك الرؤية الثاقبة في المسيرة العالمية في المجال الاقتصادي والسياسي ، وعنده نظرات إدارية جيدة ، وأفكار اجتماعية مواكبة للتطور الملحوظ ، واستيعاب للأوضاع المعاصرة ، بحيث تكون الفتوى في نظره طريقا صالحا للخير في المجتمع المسلم^(٨).

٤-نبوغه العلمي

لقد برز سماعة آية الله العظمي السيد السيستاني (دام ظله) في بحوث أساتذته بتفوق بالغ على أقرانه وذلك في قوة الإشكال، وسرعة البديهة، وكثرة التحقيق والتتبع في الفقه والرجال، ومواصلة النشاط العلمي، وإلمامه بكثير من النظريات في مختلف الحقول العلمية الحوزوية. ومما يشهد على ذلك شهادة خطية من الإمام الخوئي (رضوان الله تعالى عليه) وشهادة أخرى من العلامة الشيخ حسين الحلي (قدس سره)، وقد شهدا ببلوغه درجة الاجتهاد في شهادتين مؤرختين في العام (١٩٦٠) مغمورتين بالثناء الكبير على فضله وعلمه، على أن المعروف عن الإمام الخوئي (قدس سره) أنه لا يشهد لأحد من تلامذته بالاجتهاد شهادة خطية، إلا لسيدنا الأستاذ وآية الله الشيخ علي الفلسفي من مشاهير علماء مشهد المقدسة .

كما كتب له شيخ محدثي عصره العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني (قدس سره) شهادة مؤرخة في العام (١٩٦٠) أيضا يطري فيها على مهارته في علمي الرجال والحديث. أي أن سيدنا الاستاذ قد حاز على هذه المرتبة العظيمة بشهادة العظماء من العلماء وهو في الحادية والثلاثين من عمره^(٩).

٥-مرجعيته

نقل بعض أساتذة النجف الأشرف أنه بعد وفاة آية الله السيد نصر الله المستنبط (قدس سره) اقترح مجموعة من الفضلاء علي الإمام الخوئي (قدس سره) إعداد

الأرضية لشخص يشار إليه بالبنان، مؤهل للمحافظة على المرجعية والحوزة العلمية في النجف الأشرف، فكان اختيار سماحة آية الله العظمي السيد السيستاني (دام ظله) لفضله العلمي، وصفاء سلوكه وخطه .

كما اختاره السيد الخوئي (قدس سره) للصلاة في محرابه في جامع الخضراء فبدأ ينتشر صيته في أوساط العامة بعد أن كان محصوراً في الأوساط العلمية والحوزوية التي عرفته أستاذاً قديراً في البحث الخارج طوال ربع قرن من الزمن^(١٠). وبعد وفاة الإمام الخوئي (قدس سره) كان من الستة المشيعين لجنازته ليلاً، وهو الذي صلى على جثمانه الطاهر، وقد تصدى بعدها للتقليد وشؤون المرجعية وزعامة الحوزة العلمية، بإرسال الإجازات، وتوزيع الحقوق، والتدريس على منبر الإمام الخوئي (قدس سره) في مسجد الخضراء . وبدأ ينتشر تقليده وبشكل سريع في العراق والخليج ومناطق أخرى، كالهند وأفريقيا وغيرها، وخصوصاً بين الأفاضل في الحوزات العلمية، وبين الطبقات المثقفة والشابة، لما يعرف عنه من أفكار حضارية متطورة، وهو (دام ظله) من القلة المعدودين من أعظم الفقهاء الذين تدور حولهم الأعلمية بشهادة غير واحد من أهل الخبرة وأساتذة الحوزات العلمية في النجف الأشرف وقم المقدسة. وكما يذكر أنه تشرف بزيارة بيت الله الحرام لأداء الحج مرة في العام (١٩٦٦) ومرتين متتاليتين في عامي (١٩٨٤) و (١٩٨٥) (١١).

- مؤلفاته

مؤلفاته : نذكر منها ما يلي : مناسك الحج . - كتاب القضاء . - الفتاوى الميسرة
الفقه للمغتربين .. المسائل المنتخبة .. رسالة في الربا . - رسالة في القبلة - منهاج
الصالحين - البحوث الأصولية . - رسالة في التقية . - شرح العروة الوثقى . - رسالة
في قاعدة اليد . - كتاب البيع والخيارات . - الرافد في علم الأصول . - رسالة في

قاعدة الإلزام . - رسالة في صلاة المسافر . - قاعدة لا ضرر ولا ضرار . - رسالة في الاجتهاد والتقليد . - رسالة في اللباس المشكوك فيه . - رسالة في قاعدة التجاوز والفراغ^(١٢).

٦- مشاريعه الإسلامية وخدماته العامة للمؤمنين

للسيد السيستاني مشاريع عدة في مناطق وأماكن مختلفة من العالم أمثال المجمعات السكنية لطلاب الحوزات العلمية ومراكز إغاثة ومستشفى ومستوصفات طبية ومراكز علمية ومؤسسات للنشر والطباعة والترجمة والتبليغ ومواقع على الأنترنت لتقديم الخدمات الإسلامية للمؤمنين ودفع الشبهات عنهم. كما ويهتم بشكل خاص بقضاء حوائج المؤمنين ومساعدتهم. وله وكلاء ينتشرون في بلدان العالم في شرق الأرض وغربها لإيصال صوت المرجعية وخدماتها للمؤمنين^(١٣).

٦- مسيرته الجهادية

كان النظام البعثي يسعى بكل وسيلة للقضاء على الحوزة العلمية في النجف الأشرف منذ السنين الأولى من تسلمه للسلطة في العراق ، وقد قام بعمليات تسفير واسعة للعلماء والفضلاء وسائر الطلاب الاجانب ، ولاقى سيدنا السيد (دام ظله) عناء بالغاً من جراء ذلك وكاد ان يسفر عدة مرات وتم تسفير مجاميع من تلامذته وطلاب مجلس درسه في فترات متقاربة ، ثم كانت الظروف القاسية جدا ايام الحرب العراقية الايرانية ، ومع ذلك فقد اصرّ دام ظله على البقاء في النجف الأشرف وواصل التدريس في حوزته العلمية المقدسة ايمانا منه بلزوم استمرار المسار الحوزوي المستقل عن الحكومات تفاديا للسلبات التي تنجم عن تغيير هذا المسار .

وفي العام 1990 عندما قضى النظام على الانتفاضة الشعبانية اعتقل سيدنا السيد (دام ظله) ومعه مجموعة من العلماء كالشهيد الشيخ مرتضي البروجردى والشهيد الميرزا علي الغروي وقد تعرضوا للضرب والاستجواب القاسي في فندق السلام وفي معسكر الرزاغة وفي معتقل الرضوانية إلى ان فرج الله عنهم ببركة اهل البيت (ع) (١٤).

وفي عام 1992 عندما توفي الامام السيد الخوئي رضوان الله عليه وتصدى سيدنا (دام ظله) للمرجعية حاولت سلطات النظام السابق تغيير مسار المرجعية الدينية في النجف الأشرف وبذلت ما في وسعها في الحط من موقع السيد (دام ظله) ومكانته المتميزة بين المراجع وسعت إلى تفرق المؤمنين عنه بأساليب متعددة منها اغلاق جامع الخضراء في أواخر ذي الحجة عام ١٩٩٣.

وعندما وجد النظام ان محاولاته قد باءت جميعا بالفشل خطط لاغتيال سيدنا وتصفيته "فقد تعرض السيد علي السيستاني كغيره من المراجع لمضايقة نظام صدام حسين ولم يكن بعيدا عن هذه المضايقات رغم سياسة القطيعة التي كان ينتهجها في علاقته بالنظام السابق" (١٥).

"فقد تعرض لمحاولات عديدة لاغتياله منها المحاولة التي جرت في ١١/٢٢/١٩٩٦، كناقد وضع السيد علي السيستاني تحت الإقامة الجبرية الفعلية عام ١٩٩٤، لوضع حد لعلاقته مع الطائفة حيث كان النظام بهذه الطريقة يأمل بتخويف وتدمير أي شكل من أشكال القيادة المستقلة بين الشيعة" (١٦).

وقد كشفت وثائق جهاز المخابرات عن عدد من هذه المخططات ولكن مكروا ومكر الله والله خير الماكرين . وهكذا بقي سيدنا (دام ظله) رهين داره منذ أواخر عام ١٩٩٧ - حتى انه لم يتشرف بزيارة جده الامام أمير المؤمنين (ع) طوال تلك المدة (١٧).

ثانيا: دور المرجعية السياسية والوطني بعد عام ٢٠٠٣

١- موقفه من الاوضاع السياسية بعد عام ٢٠٠٣

تعاظمت مرجعية السيد علي السيستاني بعد سقوط النظام السابق في ٩ نيسان عام ٢٠٠٣، واصبح الرقم الاول بين المرجعيات الكبيرة، للمواقف التي تميز بها وطروحاته في شأن صياغة المنظومة السياسية للبلاد^(١٨).

بعد سقوط نظام صدام برز دور المرجعية الدينية الشيعية واضحا في المشهد السياسي العراقي، اذ كان صوتها متميزا وموقفها قويا تجاه الاحتلال الاجنبي. فبعد اسبوع على احتلال بغداد في ١٨ نيسان ٢٠٠٣، اعلن السيد السيستاني عن رفضه اي سلطة اجنبية بعد الحرب التي تعرضت لها البلاد، وتمسكه بوحدة المقيمين في العراق ووحدة الاراضي العراقية. كما اكد رفضه اي نوع من انواع الحكم الذي كان مفروضا من اي قوة اجنبية.. وان العراقيين هم الذين يديرون العراق وليس لهم ان يفعلوا ذلك تحت اي سلطة اجنبية^(١٩).

كما وجه رسالة إلى الشعب العراقي كتبها بشكل شخصي ووقعها بختمه ابتدأها بالآية القرآنية ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾  أكد فيها على أنه حريص على أن يتجاوز العراقيون هذه الحقبة العصبية من تاريخهم من دون الوقوع في شرك الفتنة الطائفية والعرقية. ودعا الحكومة العراقية إلى تجاوز خلافاتها وعدم التحكم على أساس طائفي أو عرقي حتى يستعيد العراقيون السيادة الكاملة على بلدهم^(٢٠).

كما أصدر السيستاني مجموعة من البيانات التي تحت المجتمع العراقي على التلاحم والوحدة، وأكد على نبذ العنف والكراهية بين أبناء العراق، وكذب ما تنسبه إليه بعض وسائل الإعلام من فتاوى، وشدد على أن فتاواه كلها ليس فيها ما يسئ إلى المسلمين من سائر الفرق والمذاهب أبداً.^(٢١)

وهذا التأكيد يعبر عن نظرة ثابتة وحكمة سياسية في تقييم الأوضاع في ذلك الوقت المبكر، حيث كانت الفوضى تعم المدن والشوارع والمؤسسات، وكانت القوات الأمريكية تهيم على المشهد العراقي كله، سياسياً وعسكرياً وإعلامياً وإدارياً.

والتي على أثرها أصدر السيد السيستاني فتوى تحرم نهب ممتلكات الدولة والوزارات والدوائر الحكومية، ودعا إلى المحافظة عليها بهدف إعادتها في الوقت المناسب.^(٢٢)

كما أكد السيد السيستاني بأنه يفضل المقاومة السلمية لإخراج الأمريكان من العراق وأن المقاومة المسلحة في الوقت الحالي تلحق الضرر بمصالح الشعب، وذكر أن السيد السيستاني يرى أن تكون المقاومة سلمية، لأن المقاومة المسلحة تؤدي إلى إزهاق المزيد من أرواح المسلمين مقابل القوة الأمريكية المسلحة بأحدث وأقوى الأسلحة.^(٢٣)

وكذلك ساهم السيد السيستاني في نزع فتيل أول صراع مسلح داخل الصف الشيعي عندما حدث في تشرين الأول ٢٠٠٣ للسيطرة على المراقد المقدسة في مدينة كربلاء، وأكد أن المحاكم العراقية هي وحدها التي يحق لها محاسبة المقصرين أيًا كانوا.

كما قام السيد السيستاني بعمل يعد واحداً من إنجازاته العظيمة هو إطفاء الفتنة التي كادت تعصف بالعراق في اب ٢٠٠٤ عندما دخلت عناصر من جيش المهدي الحرم

العلوي في النجف الاشرف، ومحاولة الحكومة العراقية برئاسة اياد علاوي اقتحام المرقد تساندها قوات امريكية وعراقية، مما قد يؤدي الى حدوث مذبحة كبيرة مما دفع بالسيد علي السيستاني للتدخل، حيث تمكن بحكمته وسعة صدره من نزع فتيل الحرب واقناع الطرفين من الانسحاب من المدينة ومن الحرم العلوي المطهر وتكملت المحادثات بينه وبين السيد مقتدى الصدر باعلان مدينتي النجف الاشرف والكوفة خاليتين من السلاح، فضلا عن خروج جميع العناصر المسلحة وعدم عودتهم اليها^(٢٤).

٢- مواقف من الانتخابات التشريعية

لعل من ابرز الفقهاء الذين أفتوا بوجوب المشاركة في الانتخابات في العراق ما بعد ٢٠٠٣ كان السيد علي السيستاني فقد كان له موقف واضح من الانتخابات في العراق فقد أكد ذلك في خطب الجمعة التي يلقيها وكلائه في كربلاء فقد أكد وكيله عبد المهدي الكربلائي في خطبة الجمعة عام ٢٠٠٤ قبيل الانتخابات أن السيستاني لا يؤيد اي جهة كانت في الانتخابات وان الأنباء عن تاييده لقائمه معينه دون أخرى عارية عن الصحة واثت هذه الخطبة بعد أن تداولت بعض القوائم الشيعية انه تلقت الدعم من المرجعية العليا المتمثلة بالسيستاني اما في انتخابات ٢٠١٠ و ٢٠١٤ فقد جدد المواقف بعدم دعم اي قائمه أو شخصية مرشحة ودعا إلى انتخاب الأصالح والانزله وكذلك ولأول مرة في تاريخ المرجعية دعا السيستاني إلى قيام دولة مدنية ويعتبر أول مرجع شيعي في القرن ٢٠ و ٢١ يدعوا إلى الدولة المدنية^(٢٥).

ومع اقتراب موعد الانتخابات النيابية لعام ٢٠١٨ تجلى موقف سماحته من هذا الحدث السياسي المهم في الاتي^(٢٦):-

١- من المؤكد ان الاخفاقات التي رافقت التجارب الانتخابية الماضية- من سوء استغلال السلطة من قبل كثير ممن انتخبوا او تسموا المناصب العليا في الحكومة، ومساهمتهم في نشر الفساد وتضييع المال العام بصورة غير مسبقة، وتمييز أنفسهم برواتب ومخصصات كبيرة، وفشلهم في اداء واجباتهم في خدمة الشعب وتوفير الحياة الكريمة لأبنائه - لم تكن الا نتيجة طبيعية لعدم تطبيق العديد من الشروط اللازمة- ولو بدرجات متفاوتة- عند اجراء تلك الانتخابات، وهو ما يلاحظ- بصورة او بأخرى- في الانتخابات الحالية أيضا، ولكن يبقى الامل قائما بإمكانية تصحيح مسار الحكم وإصلاح مؤسسات الدولة من خلال تضافر جهود الغيارى من ابناء هذا البلد واستخدام سائر الاساليب القانونية المتاحة لذلك .

٢- ان المشاركة في هذه الانتخابات حق لكل مواطن تتوفر فيه الشروط القانونية، وليس هناك ما يلزمه بممارسة هذا الحق الا ما يقتنع هو به من مقتضيات المصلحة العليا لشعبه وبلده، نعم ينبغي ان يلتفت الى ان تخليه عن ممارسة حقه الانتخابي يمنح فرصة اضافية للآخرين في فوز منتخبهم بالمقاعد البرلمانية وقد يكونون بعيدين جدا عن تطلعاته لأهله ووطنه، ولكن في النهاية يبقى قرار المشاركة او عدمها متروكا له وحده وهو مسؤول عنه على كل تقدير، فينبغي أن يتخذ عن وعي تام وحرص بالغ على مصالح البلد ومستقبل ابنائه .

٣ -ويؤكد سماحته وقوفه على مسافة واحدة من جميع المرشحين ومن كافة القوائم الانتخابية، بمعنى أنه لا يساند أي شخص أو جهة أو قائمة على الاطلاق، فالأمر كله متروك لقناعة الناخبين وما تستقر عليه آراؤهم بعد الفحص والتمحيص، ويرى من الضروري عدم السماح لأي شخص او جهة باستغلال عنوان المرجعية الدينية أو أي عنوان آخر يحظى بمكانة خاصة في نفوس العراقيين

للحصول على مكاسب انتخابية، فالعبرة كل العبرة بالكفاءة والنزاهة، والالتزام بالقيم والمبادئ، والابتعاد عن الاجندات الاجنبية، واحترام سلطة القانون، والاستعداد للتضحية في سبيل انقاذ الوطن وخدمة المواطنين، والقدرة على تنفيذ برنامج واقعي لحل الأزمات والمشاكل المتفاقمة منذ سنوات طوال.^(٢٧)

٣- دوره في تحقيق الاستقرار الأمني

قدم المرجع السيد السيستاني الدعم الكبير للقوات الامنية العراقية في الكثير من الاحداث والمواقف التي مر بها العراق وكانت جميع طروحاته تؤيد بناء قوات امنية عراقية على اسس وطنية سليمة وان تكون تلك القوات من العناصر الصالحة والكفاءة ، وتقديم الدعم اللوجستي والفني لها مع وضع خطط متطورة تعالج الاخطاء والاحطار ، ويعتقد المرجع السيستاني ان تمكين القوات العراقية وجعلها هي من تحقق الامن والاستقرار سيفسح المجال للتصدي لكل من يحاول زعزعة الامن في البلاد^(٢٨).

وجاء هذا الدعم من خلال القراءة الواعية لطروحات المرجع السيد السيستاني ، وتؤشر لنا بشكل علمي واضح ان تلك الطروحات تؤسس لخارطة طرق سلمية وتشخص الاحداث والمواقف وتعطي ارشادات وتحذيرات مباشرة لا تقبل التحريف ، ولعل اهتمام المرجعية الواضح باصلاح الملف الامني لم يكن الادراكا منها لحجم الخطورة المجتمعية التي يشكلها هذا الملف ، وان المرجع السيد السيستاني يرى ان احد اسباب سقوط المدن والخلل الامني هو بسبب عامل الفساد الذي استشرى في المؤسسة الامنية وعدم المهنية في ادارة تلك المؤسسة وكذلك عدم تمكين المؤسسة الامنية في مواكبة التطور التقني والتكنولوجي ، وفي قبال ذلك التشخيص يحمل المرجع السيستاني الحكومة العراقية ويدعوها ان تتبع سياسة الحزم والمحاسبة الشديدة

للعناصر التي يثبت تورطها في الاعمال الارهابية او تماهلت في اداء واجباتها ، وبطالب الحكومة ان توفر الاجهزة والمعدات الكافية ذات التقنية العالية التي تكشف السيارات المفخخة ، واعتماد التدريب والتعليم الامني والعسكري والاهتمام بالجانب الاستخباراتي وملاحقة الخلايا الارهابية النائمة.(٢٩)

وفي الحقيقة ، ان احد اهم المشاكل التي عاشها ويعيشها العراق هو انه ضحية لصراعات اقليمية ودولية وتقاطع مصالح لدول كبرى ، حيث اصبحت الارض العراقية ساحة تصفية للحسابات وبسط النفوذ ، ولعل اختلال الملف الامني في ٢٠٠٣ ولغاية اليوم يأتي بشكل اساسي بسبب العامل الخارجي لذلك لم تنفع الاجراءات العسكرية مهما كانت قوتها لان الملف فيه بعد امني وعسكري وقومي واستخباراتي ... الخ ، وان اللوم الاكبر يقع في ذلك على الولايات المتحدة الامريكية كونها هي الراعية للتغيير الديمقراطي في العراق وهي المسؤول بشكل مباشر على الملف الامني والعسكري لاكثر من ثمان سنوات ، وان زيادة التطرف والارهاب قد بدأ في سجونها ومعتقلاتها ، حيث انها ترى داعش يتمدد امام اعينها ولم تعمل على معالجته بشكل حقيقي وهي تنفذ ضربات حسب حاجته ووفق المصلحة(٣٠).

لذلك نجد من ان المرجعية تحذر من عالمية الارهاب ما نجده في الوقت الحاضر والذي يجري في كثير من مناطقنا لاسيما دول الشرق الأوسط من انتشار ظاهرة الإرهاب والفكر المتطرف المبني على استخدام العنف وعدم القبول بالتعايش مع الآخر تعايشا سلميا، وهذه التصرفات قد شوّعت سمعة الإسلام وسببت إراقة الكثير من الدماء للمسلمين وعدم الاستقرار في عدد من دول المنطقة. وتعتقد اتساع هذه الظاهرة وامتدادها الى دول متعددة حيث بات من الممكن أن تتسع هذه الظاهرة أكثر في

المستقبل لتشمل دولاً وشعوباً أخرى، لذا لا بد أن يكون هناك تكاتف بين الجميع في سبيل مكافحة هذه الأفكار، واعتماد الفكر الوسطي المعتدل الذي بني عليه الإسلام والديانات السماوية كأساس في التعايش السلمي بين مكونات أي مجتمع، ومن دون ذلك فإن هذه الظاهرة لا يمكن الحد من تأثيراتها السيئة على الإسلام ودول المنطقة، بل ستتسع لتشمل المزيد من الدول الإسلامية وغيرها.“ (٣١)

فلاحظ ان مرجعية السيد السيستاني شخصت بأن مشكلة الإرهاب أصبحت مشكلة عالمية، وبدأ المجتمع الدولي يعاني من خطورتها ولاسيما إن مصطلح الإرهاب أخذ يتصدر أغلب الأخبار المرئية والمسموعة.

وأن حقيقة الإرهاب مبنية على من يعتقد أنه هو الأصح دون الآخر، فلا بد أن يستعمل معه طريقة العنف لإثبات فكرته، والمجتمع الدولي يعاني من هذه المشكلة، والعراق عانى من هذه المشكلة، ولا زالت هناك عمليات لا تصنف إلا في خانة الإرهاب، منها تفجيرات واستهداف الأبرياء وتفجير مجالس العزاء بلا وازع، لأن هؤلاء يعتقدون أن جزءاً من يختلف مع أفكارهم ومعتقداتهم هو العنف وقتل الآخرين. “تعتقد المرجعية ان العراق دفع الكثير من الدماء جراء هذه الأفكار. “وتطالب المجتمع الدولي بوضع حلول جذرية لهذه الظاهرة الخطيرة؛ لأنها لاتقف عند دولة والجميع سيعاني منها إن لم تحل المشكلة (٣٢).

ولا تؤمن مرجعية السيد السيستاني بعسكرة المجتمع واللجوء الى القوة، ونلاحظ في مجمل طروحات ومتبنيات السيد السيستاني انها تدعو للحوار والحكمة والسلم، لذلك يمكن تصنيف فتوى الجهاد على انها (فتوى من اجل السلم) ومن اجل تحرير الانسان والارض من بطش وقتل اعلى ارباب في العالم، وممكن ان نقول ان من اهم

نتائج فتوى الجهاد الكفائي انها خاطبت جميع العراقيين بجميع طوائفهم وقومياتهم

لقد كان للجهاد الكفائي الذي أعلنته المرجعية السيد السيستاني ضد داعش له الأثر الأكبر والحاسم في الحيلولة دون تقسيم العراق ومنع داعش من التسلط على البلاد والعباد، وان تلك المهمة هي أشرف وأقدس المهمات حيث الحفاظ على وحدة العراق، فأستطاع المرجع السيستاني ان يوظف كثير من الممكّنات العميقة التي تملكها قوته في صيانة وحدة العراق.

وجاء في بيان صادر عن المكتب الإعلامي للعبادي أن "المواقف التاريخية للمرجعية الدينية تتوج مواقفها المدافعة عن العراق وشعبه، وفي مقدمتها فتوى الجهاد الكفائي (يسقط عن الكل بامثال مجموعة) التي أنقذت العراق وعبدت طريق الانتصار، في إشارة إلى الدعوة التي أطلقها السيستاني لحمل السلاح ومحاربة داعش. وأعرب العبادي "عن بالغ شكره وامتنانه" للسيستاني "لدعمه الكبير والمتواصل للمقاتلين الأبطال والمضحين الغيارى في شتى صنوف وتشكيلات قواتنا المسلحة"^(٣٣).

وهنا نلاحظ ان اهم النتائج التي حققتها فتوى الجهاد الكفائي^(٣٤)

- ١- وحدة العراقيين ارضا وشعبا امام العدو الداعشي
- ٢- منعت تقسيم العراق وتمدد داعش لمحافظة اخرى
- ٣- منعت ارجاع العراق تحت البند السابع والوصاية الدولية
- ٤- عززت من القانون وهيبة الدولة
- ٥- اعطت دعم كبير للمؤسسة الامنية
- ٦- اعطت زخم كبير لاصلاح المنظومة السياسية والامنية

٧- حشدت المنظمات الدولية تجاه رعاية النازحين.

الخاتمة

نلخص مما تقدم ، الى ان المرجع الديني الأعلى سماحة السيد السيستاني كان له دور فاعل في تحقيق الاستقرار في البلاد عبر دعوته لكافة اطياف الشعب العراقي الى توحيد الصفوف ونبذ مظاهر الطائفية والإقصاء والتهميش بهدف تحقيق السلم والأمن الاجتماعي. فلولا توجيهات سماحته لانجرفت البلاد الى حرب اهلية لا تحمد عقباها.

فقد كانت لفتاوي السيد السيستاني الاثر البالغ في القضاء على تلك الفتن التي كادت ان تعصف بالبلاد، هذا الى جانب دوره في تقديم النصح والارشاد لكافة المواطنين ولاسيما بعد عام ٢٠٠٣ نتيجة لتدهور الاوضاع السياسية في البلاد واشاعة حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني .

هذا الى جانب دوره الملموس في حث كافة المواطنين على المشاركة في العملية الانتخابية وحثهم على اختيار من يمثلهم في تلك الانتخابات.

المصادر:

١- صلاح عبد الرزاق، المرجعية الدينية في العراق والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحدة الوطنية، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٠، ص ٥١.

٢- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

٣- المصدر نفسه

٤- ويكيبيديا، نقلا عن شبكة الانترنت: <https://ar.wikipedia.org>

٥- المصدر نفسه

٦- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

٧- معالم شخصية المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت

<http://ijtihadnet.net>

الموقع:

٨- المصدر نفسه

٩- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

١٠- السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<http://ar.wikishia.net>

١١- المصدر نفسه

١٢- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

١٣- المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني: الربط بين الفكر الحوزوي

والثقافات المعاصرة، مجلة النور، العدد ١٤٦، تموز ٢٠٠٣.

١٤- السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.marefa.org>

١٥- باسم عبد السادة خليف، دور المرجعية الدينية في العملية السياسية في العراق

بعد العام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم

السياسية، ص ٩٣.

١٦- تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق ، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١،

٢٠٠٦، ص ٣٥١

١٧-المصدر نفسه

١٨-جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية: دراسة في التطور السياسي والعلمي، بيروت ولبنان، ٢٠٠٥، ص ٣٤٩.

١٩-صلاح عبد الرزاق، المصدر السابق، ص ٥٢.

٢٠-ويكيبيديا، نقلا عن شبكة الانترنت: <https://ar.wikipedia.org>

٢١- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

٢٢-صلاح عبد الرزاق، المصدر السابق، ص ٥٣.

٢٣- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

٢٤-صلاح عبد الرزاق، المصدر السابق، ص ٥٣.

٢٥- موقع مكتب سماحة السيد علي السيستاني، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<https://www.sistani.org/a>

٢٦-المصدر نفسه

٢٧- مكتب المرجع الديني الاعلى الامام المفدى سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله) يدعو للمشاركة الواسعة في الانتخابات واختيار العناصر الكفوءة، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع:

<http://burathanews.com>

٢٨- البعد الإنساني لفتوى الجهاد الكفائي للمرجعية الدينية العليا،

<http://www.iraqqi.com>

٢٩-المصدر نفسه

٣٠- المصدر نفسه

٣١- المصدر نفسه

٣٢- العبادي يشكر السيستاني على دوره في تحرير الموصل، نقلا عن شبكة

<https://www.alhurra.com>

الانترنت الموقع:

٣٣- البعد الإنساني لفتوى الجهاد الكفائي للمرجعية الدينية

العليا،

<http://www.iraqi.com>

٣٤- المصدر نفسه.

The Role of Ali al-Sistani (long live) in Achieving Political and Security Stability in Iraq

Assi.Prof.Dr. Muna H. Obaid

Center of Strategic and International Studies

Mr. Ali al-Sistani is one of the greatest references whose role emerged clearly after 2003. Mr. al-Sistani took care of the successive governments in power from the day of the fall of the former regime in Iraq and to the present time with guidance, advice, consulting and valuable observations that benefit the nation and the homeland which were useful to the political track in these crucial political moments, including tragedies and grief especially with regard to the deterioration of the security situation. It has been and remains rightly the safety valve not to drag the country into a painful sectarian war despite the blatant attacks on

the Iraqis by the takfiris and terrorists and the terror of the people at various levels of killing, slaughter, looting, displacement and destruction of mosques and the graves of imams, scientists and righteous people. And it would have been possible to respond to these unjust acts were it not for the insistence of our great references especially his Eminence Ali al-Sistani, for the aggravation of the situation in the country.

دور المرجعية الدينية في مواجهة الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٩

أ.م.د. سؤدد كاظم مهدي

أ.م.د. وداد جابر غازي الزويني

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية / الجامعة المستنصرية

الملخص:

يندرج موضوع دور المرجعية الدينية في بناء الوحدة الوطنية في العراق في تشرين الثاني ١٩١٨ - كانون الثاني ١٩١٩ ، ضمن سلسلة دراسة تاريخ الحركة الاسلامية الحديثة في العراق ، عندما كثر النقاش عن طبيعة تنظيمها واطارها الفكري وعلاقتها بالسلطة منذ مطلع القرن العشرين ، عنما عرف رجال الدين دخول المجال السياسي في وقت مبكر ، فكانت اقدميته بالنسبة لنظرائه بالمنطقة العربية الاسبق بين التيارات الاسلامية في الدول العربية ككل .

يركز موضوع الدراسة على بواكير العمل السياسي للمرجعية الدينية عندما حدد الاستفتاء العام نموذجا لمجال الدراسة ، لتوضيح دور رجال الدين في مرحلة مهمة من مراحل تأسيس الدولة العراقية الحديثة (١٩١٨-١٩٢١) بكل ما حملت من معاني دقيقة وحساسة اثرت على طبيعة العلائق القومية والمذهبية داخل بنية الدولة ، لتبدأ فيما بعد ازمة هوية حول شكل الدولة القائمة ، وصراعا بين الدولة القومية والدينية .

كان الغزو البريطاني للبصرة في تشرين الثاني ١٩١٤ ، الشرارة الاولى التي عمقت بوادر الوعي الوطني لدى رجال الدين ، عندما انخرط مراجع الدين الكبار لأول مرة في تاريخ العراق الحديث في المقاومة المسلحة لمواجهة قوات الاحتلال

البريطاني فسجلت صورة من صور التلاحم الوطني الديني- العشائري في تحالفهم مع القوات العثمانية ، متناسين بذلك السياسة العثمانية المقيتة على مدى قرون عديدة (١٥٣٤-١٩١٤) وما خلفت من اثار سلبية على الواقع العراقي من تخلف وجوع ومرض.

بعد سلسلة من الحركات المسلحة في معركة الشعيبة والمزيرعة في عام ١٩١٥ ، وحصار البريطانيين في الكوت في عام ١٩١٦ ، وانتفاضة النجف على الادارة البريطانية في عام ١٩١٨ ، تحولت المرجعية الدينية الى قوة سياسية بارزة في الساحة العراقية، كان الحكام البريطانيون يحسبون لها الشي الكثير في موضوع صنع القرار السياسي للعراق في تلك المرحلة ، وهو ما بدى واضحا في موضوع الاستفتاء العام عندما اصبح رجال الدين حجر عثرة امام تحقيق الاهداف البريطانية المرجوة لحكم العراق حكما بريطانيا مباشرا .

المقدمة:

يندرج موضوع دور المرجعية الدينية في بناء الوحدة الوطنية في العراق في تشرين الثاني ١٩١٨ - كانون الثاني ١٩١٩ ، ضمن سلسلة دراسة تاريخ الحركة الاسلامية الحديثة في العراق ، عندما كثر النقاش عن طبيعة تنظيمها واطارها الفكري وعلاقتها بالسلطة منذ مطلع القرن العشرين ، عنما عرف رجال الدين دخول المجال السياسي في وقت مبكر ، فكانت اقدميته بالنسبة لنظرائه بالمنطقة العربية الاسبق بين التيارات الاسلامية في الدول العربية ككل .

يركز موضوع الدراسة على بواكير العمل السياسي للمرجعية الدينية عندما حدد الاستفتاء العام نموذجا لمجال الدراسة ، لتوضيح دور رجال الدين في مرحلة مهمة من مراحل تأسيس الدولة العراقية الحديثة (١٩١٨-١٩٢١) بكل ما حملت من

معاني دقيقة وحساسة اثرت على طبيعة العلاقات القومية والمذهبية داخل بنية الدولة ، لتبدأ فيما بعد ازمة هوية حول شكل الدولة القائمة ، وصراعا بين الدولة القومية والدينية .

كان الغزو البريطاني للبصرة في تشرين الثاني ١٩١٤ ، الشرارة الاولى التي عمقت بوادر الوعي الوطني لدى رجال الدين ، عندما انخرط مراجع الدين الكبار لأول مرة في تاريخ العراق الحديث في المقاومة المسلحة لمواجهة قوات الاحتلال البريطاني فسجلت صورة من صور التلاحم الوطني الديني- العشائري في تحالفهم مع القوات العثمانية ، متناسين بذلك السياسة العثمانية المقيتة على مدى قرون عديدة (١٥٣٤-١٩١٤) وما خلفت من اثار سلبية على الواقع العراقي من تخلف وجوع ومرض.

بعد سلسلة من الحركات المسلحة في معركة الشعيبة والمزيرعة في عام ١٩١٥ ، وحصار البريطانيين في الكوت في عام ١٩١٦ ، وانتفاضة النجف على الادارة البريطانية في عام ١٩١٨ ، تحولت المرجعية الدينية الى قوة سياسية بارزة في الساحة العراقية، كان الحكام البريطانيون يحسبون لها الشي الكثير في موضوع صنع القرار السياسي للعراق في تلك المرحلة ، وهو ما بدى واضحا في موضوع الاستفتاء العام عندما اصبح رجال الدين حجر عثرة امام تحقيق الاهداف البريطانية المرجوة لحكم العراق حكما بريطانيا مباشرا .

اولا :علماء الدين والحركة القومية العربية ١٩٠٥-١٩١٤

مع مطلع القرن العشرين تأثر العراق بجملة من التحولات السياسية والثقافية التي طرأت في الدول العربية والإقليمية، التي ساعدت على نمو الوعي السياسي لدى العراقيين، وكان باعثها قيام الحركات الدستورية في كلا من ايران في عام

١٩٠٥-١٩١١ والدولة العثمانية في عام ١٩٠٨. كما كان لنمو الحركة القومية العربية في مصر وبلاد الشام، ودور المصلحين الاسلاميين، كجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وعبدالرحمن الكواكبي، دورا كبيرا في النهضة الفكرية التي لعبت دورا رائدا في اثاره الوعي القومي العربي^(١).

ظهر النشاط الفكري واضحا بين رجال الدين المسلمين في العراق حول الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩٠٦/١٩٠٩-١٩١١. التي اطلق عليها بـ (المشروطة)^(٢) عندما انعكس ذلك الصراع بين مؤيدي الدستور وخصومهم بين علماء الدين انفسهم، وكانت مدينة النجف نموذجا لذلك، عندما اصبحت احدى ساحات تلك المعركة السياسية، لكون ان بعض قادة الرأي العام الإيراني هم من علماء النجف، عندنا امتد الصراع ليحظى بتأييد فئة من ذوي الميول القومية العربية مع فريق اخر من رجال الدين الذين وجدوا في الدستور معارضا افكارهم المحافظة، وانه تشبه بعادات وافكار الغرب المسيحي، وكان على رأس هذا الفريق المرجع الديني السيد محمد كاظم اليزدي^(٣).

اتخذت صور الخلاف بين الفريقين إشكالا مختلفة لتلك المواجهة الفكرية، حتى تحولت الى معارك في الشوارع، وهو ما ولد وعيا فكريا وسياسيا لدى رجال الدين ممن هم انصار المشروطة، عبروا عنه من خلال دعمهم لإعادة العمل بالدستور العثماني عام ١٩٠٨ وتبنيهم لشعاره، حرية، عدالة، مساواة، وكان يقود هذا الفريق من رجال الدين المجتهد الديني الكبير محمد كاظم الخراساني وهو ما لقي التأييد والترحيب من قادة جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة. الذين شرعوا بفتح فرعا للجمعية في النجف وكان من أبرز المؤسسين لها الشيخ علي مانع، والسيد مسلم زوين^(٤)، والشيخ محمد رضا الشبيبي^(٥).

اسهمت سياسة الاتحاديين العنصرية التي ظهرت بعد مدة قصيرة من انقلاب عام ١٩٠٨ ، في احداث شرخا بين رجال الدين الذي ناصروا دستور عام ١٩٠٨ وبين حكومة الاتحاديين، اذ كان لسياسة التتريك التي فرض الاتحاديين بموجبها اجراءات معروفة دورا في استفزاز العرب وتعميق احساسهم القومية، بل وعزز في ظهور الافكار الاستقلالية ، التي هي بطبيعتها واهدافها لا تختلف عن مجرى التطور العام للحركة القومية العربية^(٦).

الا ان هذا الوعي السياسي لم يتبلور الى حد المطالبة بالاستقلال عن الدولة العثمانية، والسبب هو وحدة الدين والخوف من نوايا التغلغل الأوربي في المنطقة، هذا فضلا عن العجز العسكري، مع ذلك لم تمنع هذه العوامل، حسب وجهة القوميين، من أن يعلن رجال الدين عن هويتهم العربية وتعمل على مساندة الفكر القومي^(٧) ، على الرغم من الضغوط التي واجهت تلك التيارات الفكرية الحديدة، التي تمثلت في مايلي:

- وجود تجاه فكري يرى في الاسلام قوة توحيدية حلت محل القومية وأزالت كل الفروق بين المسلمين عربا او غير عرب.

- قوة التيار الاسلامي المحافظ في المدن الدينية، الذي حاول ان يحد من هذه التيارات الحديثة التي كانت بداياتها وخطوطها الأولى غير واضحة.

- عدم تقبل الأفكار الداعية للقومية العربية من قبل الوجود الايراني المتمثل بعلماء الدين ممن هم من اصول ايرانية من ناحية، ومن الحكام الأتراك لتلك المدن من ناحية اخرى^(٨).

تابع معظم رجال الدين في المدن الدينية التطورات السياسية في المنطقة العربية مع بداية الاستعمار الأوربي لها في مطلع القرن العشرين ، عندما احتل الإيطاليون

ليبيا في عام ١٩١١، كان رد الفعل كبيرا عند علماء الدين امام عجز العثمانيون عن الدفاع عن الأراضي الإسلامية ، فقد اعلن المرجع الديني كاظم الخراساني والمرجع الديني محمد كاظم اليزدي الجهاد ضد القوات الايطالية الغازية، كما شكلت لجان للتطوع في النجف ونشط العديد من مثقفيها وشعرائها في تعبئة الرأي العام. كما تجدد السخط والتذمر عندما عم المدن الدينية المظاهرات والاحتجاجات للتنديد بفرض فرنسا حمايتها على المغرب الأقصى في عام ١٩١٢ (٩).

وينقل لنا الشاعر سعيد كمال الدين صورة عن آمال القوميين العرب في مدينة دينية في ظل تلك الاجواء الوطنية والقومية التي حدثت في عام ١٩١٢ وعمق ارتباط اهل النجف بالشعور القومي العربي في الأبيات الآتية:-

متى هل أراها في الحياة تحققت فاذهب مرتاح الضمير الى قبري
ايجمع شملي من عراق وتونس مع الشام مع لبنان مع مصر
مع اليمن الميمون ثم مراکش ايجمع هذا الشمل باقي العمر (١٠)

ثانيا :- موقف رجال الدين من الأحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩١٨

بعد اعلان الدولة العثمانية دخول الحرب الى جانب الدول المركزية ضد دول الحلفاء في ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٤، نزلت القوات البريطانية في الفاو في ٦ تشرين الاول ١٩١٤، ثم دخلت البصرة في ٢٣ من الشهر نفسه (١١)، في وقت كان العراق ينقسم اداريا الى ثلاث ولايات هي الموصل ، وبغداد ، البصرة ، ويخضع الناس فيه الى حد كبير تحت الهيمنة العثمانية، وشيوخ العشائر، وعلماء الدين، والوجهاء المحليين (١٢).

كان موقف الرأي العام العراقي بفئاته المختلفة يميل نحو عدم المشاركة في الحرب والوقوف الى جانب الحياد، وهو ما تشير اليه صراحة البيانات المنشورة في المدن والحواضر العراقية، مبررة موقفها المذكور من الحرب البريطانية العثمانية بما يلي: " ان اتباعنا للترك والانكليز واحد... وان الترك باعوا بلادنا، واخذوا اولادنا الى ارضروم، وكذا دوابنا وأطعمتنا، وبقيت نساؤنا ارامل، وساقوا ابنائنا الى جهة مجهولة، فأهلكوهم في الحرب..." (١٣).

ولذلك اشاعت عملية هروب العراقيين بين منتسبي القوات العثمانية، التي عنصرها الأساسي من العرب والكرد، قرارا من التجنيد الإلزامي وما رافقه من صراحة في التطبيق وعقوبات للخارجين عنه، حتى بلغ عدد الفارين في آب ١٩١٤ ما يقارب (٣٠ الف) مقاتل، لترفع تلك النسبة عند اندلاع القتال في البصرة، عندما هبط عدد منتسبي الفرقة (٣٨) المرابطة في البصرة من (٦٥٠٠) مقاتل عند دخول الحرب الى (١٠٠٠) مقاتل بعد اسبوعين من القتال (١٤) اما عند اعلان الدولة العثمانية النفير العام واعلان الجهاد فكانت الاستجابة ضعيفة جدا (١٥).

لم يختلف موقف رجال الدين كثيرا عن سابقه من فئات المجتمع في المدة المحصورة ما بين احتلال الفاو في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ وسقوط القرنة في ٩ كانون الأول ١٩١٤، عندما ظل موقف رجال الدين محايدا، هذا مع الاعلان بعض شيوخ ولاية البصرة كشيخ الزبير والقرنة والهارثة (١٦) ولائه للحكام البريطانيين. ومما زاد الامر تعقيدا بالنسبة للعثمانيين في العراق، هو تجريده من القوات النظامية والأعتماد على وحدات الدرك (الجندرمة) والحدود ومتطوعي العشائر في الدفاع عن العراق، بعد ان تم نقل قيادة الجيش الرابع والفيلق الثاني

عشر الى سوريا، وقيادة الفيلق الثالث عشر والفرقة (٣٧) منه للالتحاق بالجيش الثالث الذي كان مكلفا بمهاجمة روسيا من جهة قفقاسيا (١٧).

امام هذه الأحداث بدت القيادة العثمانية في بغداد اكثر ضعفا امام وقف الزحف البريطاني في جنوب العراق. فاتجهت نحو استراتيجية جديدة تقوم على ضرورة تجنيد العشائر بفرقة من المتطوعين من جهة، وحث وتحريك الشعور الإسلامي بإعلان الجهاد من قبل علماء الدين ، من خلال القيام بحملة دعائية مضادة للبريطانيين باسم الإسلام، بدعوى حماية الناس من التأثيرات اللا دينية الغربية، وكانت السلطنة العثمانية قد بذلت جهود حثيثة في انحاء الدولة العثمانية من اجل كسب تأييد العلماء للقضية العثمانية، عندما صورت ان الجنود البريطانيين سيهدمون المزارات والمساجد ويحرقون القرآن الكريم وما الى ذلك (١٨).

حدث تطور نوعي اخر اثر في عملية حث علماء الدين في العراق نحو تغيير موقفهم من الدولة العثمانية والبريطانيين معا، فقد بعث أهالي البصرة الى كل من النجف وكربلاء والكاظمية ببرقية يطلبون فيها الدفاع عن مدينتهم من القوات البريطانية، واستنهاض العشائر في مسألة الدفاع عنهم عندما تشير البرقية وبالنص ما يلي:- " ثغر البصرة الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح ،

نخشى على باقي بلاد الاسلام، ساعدونا بأمر العشائر " (١٩).

كما وصل وفدا عثمانيا رفيع المستوى الى مدينة النجف لاجل محاولة كسب تأييد علماء الدين في موضوع الجهاد، وعقد الجانبان اجتماعا مشتركا في جامع الهندية في النجف، حضره عدد كبير من علماء الدين وشيوخ العشائر، كان جو الاجتماع قد ساده روح الحماسة والعداء لبريطانيا، عندما خطب كل من السيد محمد سعيد الحبوبى، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد جواد

الجواهري، بوجود الوقوف الى جانب العثمانيين شرعا في مسألة الدفاع عن البلاد(٢٠).

تحول دور علماء الدين في مدينة النجف التي تمثل مركز القيادة الدينية عند الشيعة من الاطر الدينية الى المشاركة الفعلية في صناعة القرار السياسي مع بدايات الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩١٥، عندما اعلن المجتهدين الذين لا تقتصر اختصاصاتهم على قوانين الدين فقط بل الى اصدار الأحكام والقرارات في كل الشؤون الدينية والدنيوية، فتوى الجهاد كواجب شرعي على كل مسلم، وكان في مقدمة المراجع والعلماء هم: شيخ الشريعة فتح الله الأصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والشيخ جعفر الشيخ راضي، والسيد علي الداماد، والسيد محمد كاظم اليزدي(٢١). وفي سامراء افتى السيد محمد تقي الشيرازي وفي الكاظمية افتى كلا من الشيخ مهدي الخالصي، ومهدي الحيدري بالجهاد ايضا(٢٢).

قاد رجال الدين ألوية الحرب ضد القوات البريطانية في البصرة وحملات تعبئة المتطوعين في وحدات منظمة اطلق عليها بكتائب المجاهدين، التي واجهت في البداية مشكلة كبيرة هي ان العشائر كانت غير راغبة في الاستجابة لنداء الجهاد، بسبب الكراهية التي كانت تضرها للعثمانيين، الذين اتبعوا ساسية تدمير المؤسسة العشائرية لقرون عديدة، الا ان نشاط السيد محمد سعيد الحبوبى اقنع الكثير من شيوخ عشائر الفرات الوسط في الاشتراك في الحرب، فاثروا بذلك الدين على مصلحة العشيرة في مجريات اتخاذ القرار، خاصة وان غالبية العشائر في جنوب العراق يدينون بالمذهب الشيعي. الذي كان الاقوى نفوذا من سلطة الحكومة العثمانية في المنطقة(٢٣).

كان للإجراءات العثمانية المتبعة الأخرى تجاه العشائر^(٢٤)، حينذاك دورا في ذلك التغير عندما اطلق سراح كلا من: (٢٥) توزعت فرق المجاهدين الى خمسة فرق، وكانت غالبيتها تحت قيادة المراجع الدين الكبار، كانت الفرقة الأولى بقيادة محمد سعيد الحبوبى وخرج من النجف تجاه عشائر الفرات الأوسط متوجها الى الشعبة في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤، والثانية كانت بقيادة السيد عبدالرزاق الحلو وسارت عن طريق الجزائر (الجبايش)، والثالثة كانت بقيادة مجموعة من أعلام الدين وتوجهت نحو بغداد وكانت بقيادة كلا من محمد بن محمد كاظم اليزدي، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد علي الداما، وغيرهم^(٢٦).

هذا ولم يكتف رجال الدين باستنهاض العشائر في وسط وجنوب البلاد، بل قام علماء الدين الآخرين بقيادة حملات جهاد وتوجيهها الى شيخ الاحواز، وكانت هذه الفرقة قد ارسلت البرقيات الى الشيخ خزعل في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٤ من قبل السيد محمد حسن مهدي، والسيد مصطفى الكاشاني، والشيخ عبدالكريم الجزائري^(٢٧).

بلغت اعداد المتطوعين تحت الوية الجهاد حسب ما ورد في المصادر العثمانية ما بين (٦-١٢) الف مجاهد وبلغ عدد القوات العثمانية حوالي (٦) الاف جندي، وصلت تلك المجاميع الى منطقة الشعبة التي تقع على بعد (٩) اميال من الجنوب الشرقي للبصرة، ودارت المعركة مع البريطانيين في الأيام ما بين ١٢-١٥ نيسان ١٩١٥^(٢٨)، كان عدم التكافؤ في التسليح واضحا في سير المعركة، كما كان فقر كتائب المجاهدين الدينية العشائرية في مفهومها الاستراتيجي الحركي واضحا ايضا، وهي تقف امام دولة عظمى، دورا في الهزيمة العسكرية في معركة

الشعبية والمزيرة فيما بعد . التي كانت لسوء ادارة القائد سليمان العسكري للمعركة دورا مهما أضاف الى جملة الاسباب الرئيسة.(٢٩)

اوضحت معركة الشعبية عدم جدية الجهاد في المواجهة المسلحة والشاملة في طرد المحتلين من البلاد ، حسب وجهة نظر بريطانية(٣٠)، عندما تركت تلك المعركة ردودا سلبية في نفوس المجاهدين عامة وعلماء الدين خاصة عندما تأثر محمد سعيد الحبوبي بتلك الهزيمة ووافاه الأجل في طريق عودته في الناصرية(٣١) كما وافاه الأجل متأثرا بجراحه داود ابو التمن احد رجال الدين البارزين في مدينة الكاظمية(٣٢).

الا ان في حقيقة الامر لم يثن ذلك الفشل العسكري والسياسي الذي تعرضت اليه قوات المجاهدين ذرعا علماء الدين ورجال العشائر في مواصلة الكفاح المسلح ومقاومة المحتلين، فقد ادى رجال الدين والقبائل الشيعية دورا بارزا في حصار البريطانيين في الكوت عام ١٩١٦، عندما عجزت القوات البريطانية بقيادة العقيد طاووزند ومن ثم العقيد ايلمر في فك الحصار المفروض على القوات البريطانية(٣٣) وكان السبب الرئيسي في ذلك الفشل هو التنسيق المشترك بين عشائر الكوت ورجال الدين مع القوات العثمانية انذاك(٣٤).

ثالثا: البحث عن سياسة ادارية للعراق ١٩١٨-١٩١٩.

كانت السياسة البريطانية تجاه العراق في المدة مابين الاحتلال البريطاني في ١٩١٤-١٩١٨ وما بعده، تخطط لها جهتين رئيسيتين مختلفتين في اسلوب العمل للوصول الى غاية واحدة، وهي خدمة المصالح البريطانية بالدرجة الأولى، كانت الأولى مستمدة من الهند وتسمى بالمدرسة الأنكليزية - الهندية Anglo India(٣٥)والاخرى مستمدة من السلطة البريطانية في مصر وتسمى المدرسة

الانكليزية-المصرية Anglo- Egyptun^(٣٦) اما مجمل الاختلاف بينهما فكان ان مدرسة الهند تنظر الى القضايا العربية من زاوية مصالح حكومة الهند وترى في استعمار العراق ضمانا لمصالح الإمبراطورية البريطانية، ولذلك فأنها لم تكن ترغب في اشراك العرب في ميدان السياسة والادارة. وبعبارة اخرى ، فانها لا تعترف باهمية الأهداف القومية داخل العراق وخارجه، هذا بينما كانت مدرسة القاهرة ترى فائدة في تعزيز الحركة القومية العربية لتأسيس حكومات عربية تتولى مسؤولية الادارة والسياسة الداخلية تحت سيطرة الحكومة البريطانية وأشرافها^(٣٧).

وظل كل فريق يأمل ان تتحقق اهدافه اثر انتهاء الحرب العالمية الأولى، فقد وجد مؤيدو مدرسة القاهرة بأن بوادر اذكاء الشعور القومي واثارة الأمل العراقية في تحديد مستقبله قد جاءت مؤقتة مع اول خطوة للحكومة البريطانية نحو مفهوم تقرير المصير، ففي كانون الأول ١٩١٧ صرح ديفيد لويد جورج David Lloyd George رئيس وزراء بريطانيا (١٩١٦-١٩٢٢) امام مجلس العموم بأن:- " رغبات وامال مصالح الشعوب المضطهدة يجب ان تكون العامل المهيمن في تسوية حكوماتها في المستقبل ، هذا هو المبدأ الذي تسير في جادته"^(٣٨).

ومع ان لويد جورج لم يقدم تفصيلات وافية حول ما يعنيه بالضبط حول الكيانات القومية المستقلة، لكن التصريح يكشف من جهة اخرى عدم ميل الحكومة البريطانية الى الحاق العراق كمستعمرة تابعة لحكومة الهند البريطانية.

جاء احتضان الحكومة البريطانية لمبدأ حق تقرير المصير متوافقا مع اعلان ودرو ولسن Woodrow Wilson. رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (١٩١٢-١٩١٦)،

١٩١٦-١٩٢٠) لبنوده الاربعة عشر في ١٨ كانون الثاني ١٩١٨ ، لا سيما البند الثاني عشر الذي نص على الحكم الذاتي للشعوب الخاضعة للدولة العثمانية المنهارة (٣٩)، الا ان تطبيق بريطانيا لهذا المبدأ كان مقيدا في الساحة الدولية، ففيما يتعلق الامر بالعراق تباطأت الحكومة البريطانية في البت بصورة نهائية في تقرير الصيغة السياسية والإدارية له ، بل ولم تلزم نفسها بسياسة ن معينة في المدة ما بين عامي ١٩١٨- ١٩٢٠ ، بخصوص تقرير المصير الذي سيعطي للعراق استقلاله بموجب خطاب لويد جورج الأنف الذكر، او الواجهة العربية التي يراد اصطناعها في بغداد بموجب البند الثاني عشر من بنود ودر ولسن، وحتى بالنسبة للطريقة التي يجب ان تحتفظ بريطانيا بنفوذ مسيطر في العراق، وقد يعود ذلك الى المشاكل التي كانت تنتظر تسويتها بموجب مؤتمر الصلح في فرساي، خاصة بالنسبة للشكوك الفرنسية حولها- لاسيما مسألة عدم استقرار لاحتلال البريطاني في ولاية الموصل، تلك المنطقة التي كان من المفترض بموجب معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٦ (٤٠) منطقة خاصة خاضعة للاحتلال الفرنسي (٤١)، وفي ضوء ذلك فأن موقف بريطانيا اتجاه مستقبل الحكم في العراق لم يكن واضحا او معينا هذا على الرغم من الإعلان البريطاني - الفرنسي في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨. الذي اكد على نوايا حكومتي بريطانيا وفرنسا في تحرير الشعب العربي واقامة حكومات حرة (٤٢) اذ ان الحكومة البريطانية استمرت في عدم كشفها عن طبيعة الدولة المزمع اقامتها في العراق، بل ولم تتوصل الى قرار بخصوص السياسة الادارية له، وبعبارة اخرى ان الاعلان البريطاني الفرنسي لم يكن بيانا ختاميا يحدد فيه التزامات الطرفين تجاه الشعوب المحتلة من قبلها.

عانت الإدارة البريطانية في العراق بعد مرحلة الاحتلال من التخبط الحاصل في عملية صنع القرار في لندن، لاسيما في ظل وجود اكثر من جهة واحدة تعمل في السياسة البريطانية تجاه العراق، فقد كانت هناك سياسات لوزارة الهند، وحكومة الهند، ووزارة الخارجية، والمكتب العربي في القاهرة، وقد أشار ارنولد ولسن الحاكم المدني العام في بغداد الى ذلك قائلا: ان الامر كان سيربك اثنان سيوس نفسه ان اراد تعيين بدقة بخصوص قضايا الشرق الأوسط من زاوية الهند ووزارة الخارجية وحكومة الهند والمكتب العربي في القاهرة^(٤٣).

رابعا: موقف رجال الدين من الاستفتاء العام

١ - اعلان الاستفتاء العام في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨

بدأت الحكومة البريطانية بعد الأعلان البريطاني - الفرنسي تبحث عن اكثر الحلول ملائمة قبل الشروع بأي عمل في العراق، ولغرض الاهتداء الى نوع الحكم المقبل قررت اللجنة الشرقية التابعة للحكومة البريطانية اجراء استفتاء عام في العراق^(٤٤) وطرحت في برقية بعثت بها الى ارنولد ولسن الحاكم المدني العام وكالة في بغداد،، نوايا الحكومة البريطانية بصدد ثلاثة قضايا مهمة تتعلق بتشكيل دولة حديثة وهي مسألة الحدود السياسية للدولة الجديدة، ومدى استجابة العراقيين لترشيح امير عربي لحكم العراق، وصلاحيات الحكومة البريطانية وصلاحيات الحكام البريطانيين في العراق، وكذلك جاءت التعليمات تؤكد بشكل صريح على:

((اننا نرغب ان يقوم في العراق حكومة قوية ومستقرة قدر الأماكن شريطة ان لا تثير هذه الحكومة الكراهية لدى السكان، ومما لاشك فيه ان الضرورة

تقضي في البداية أن يتم قدر واسع من الاشراف البريطاني وان تتولى العلاقات الخارجية كلياً اياها البريطانية.

واننا نرغب بصورة خاصة ان يقدموا الحكام السياسيين الينا بياناً موثقاً حول وجهة نظر السكان المحليين في مختلف المناطق حول الامور المحددة الآتية.

١. هل يرغبون في دولة عربية واحدة تحت الوصايا البريطانية تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل حتى الخليج...؟

٢. هل يرغبون في هذه الحالة في رئيس عربي بالاسم يرأس هذه الدولة الجديدة؟

٣. من هو الرئيس الذي يريدونه في هذه الحالة؟ (٤٥)

سعى ارنولد ولسن وبصيغة مشددة ان تكون نتائج الاستفتاء العام متفقة مع اراءه السياسة الرامية الى حكم العراق حكماً مباشراً ولذلك عمل على نقل الصورة الى اذهان الحكام السياسيين في مناطق العراق المختلفة، بأن عملية الحصول على الأراء التي يرتأيها السكان المحليون، بتعميم الاستفتاء وايصاله الى الناس شيء غير عملي وغير ضروري معاً لان العراقيين، وحسب وجهة نظر ارنولد ولسن، غير مهياين لحكم انفسهم بأنفسهم، ولسبب وصفه كما يلي:

" ان تفشي الأمية بين الجماهير وجهل الناس واعتمادهم على رؤسائهم كانا على درجة من الوضوح بحيث كان يستدعيان النظر..." (٤٦)

كما وصف تلك الشرائح بما يلي:

"... فأن فلاحي البساتين وزراعي النخيل في دجلة والفرات، وزراعي الرز في الديوانية والشامية، وسكان الأهوار في العمارة والقرنة، ورجال القبائل على طول البلاد وعرضها، وسكان المدن وذوي المستوى المنحط كانوا كلهم لا يحملون رأياً خاصاً

بهم ولم تكن لديهم القدرة الكافية على تكوين مثل هذا الرأي، ولذلك فقد كانوا عبارة عن اصداء تردد مشيئة علماء الدين ورؤسائهم الدينيين^(٤٧).

وبناء على ذلك، جرى الاستفتاء في المناطق العشائرية، والمدن الصغيرة، وحصرا على الشيوخ والملاكين من الوجهاء الكبار، الذين كانوا بحكم تأييد ودعم بريطانيا لهم يفضلون استمرار السيطرة البريطانية، كما أكد ارنولد ولسن على الحكام السياسيين انه في حالة توصلهم الى رأي عام ومقنع ومحدد ترفع هذه العريضة، واما في حالة ظهور رأي عام منقسم او غير مرغوب فيه يجب تأجيل الاجتماع^(٤٨).

ومع ذلك لم تمر خطوات الاستفتاء بسهولة تامة على الرغم من التزوير الذي رافق عملية الاستفتاء الانتقائية التي اجراها الحكام السياسيين لتحقيق رغبة الحاكم المدني في الحصول على مضابط الأجوبة المرضية، والتي كانت تتم بشكل الاتي:

((كان بعضهم يستدعي معارفه ويكلفه توقيع مضابط يطلبون فيها استمرار الحالة الراهنة، والبعض الاخر يوعز بأن تتضمن هذه المضابط طلب الحماية البريطانية، ويسعى غيرهم يجعل هؤلاء المعارف اكثرية تطلب اميرا عربيا تحت الهيمنة البريطانية))^(٤٩) في المدن الدينية كالنجف، كربلاء، والكاظمية ذات الثقل الديني والسياسي المؤثر.

٢. الاستفتاء العام في المدن الدينية.

أ. موقف رجال الدين النجف من الاستفتاء العام

احتل علماء الدين في النجف مكانة سياسية مهمة في الاستراتيجية البريطانية بين القوى السياسية المحركة لصنع القرار في العراق في مرحلة الاحتلال

البريطاني وما بعده، بسبب تأثيرهم الديني والسياسي الكبير على العشائر العراقية ، وهو ما حدث عمليا في معركة الشعبية عام ١٩١٥، ولذلك كانت عملية اجراء الاستفتاء العام في النجف مهمة ليست بالسهلة بالنسبة للبريطانيين، على الرغم من وجود عوامل تساعد على تمرير مضابط الاستفتاء بشكل يؤيد استمرار الوجود البريطاني في البلاد، ومن تلك العوامل هي:

- احداث انتفاضة النجف في نيسان ١٩١٨ وما اعقبها من عقوبات بريطانية قاسية تجاه اهالي النجف عموما ، والمتهمين بقتل مساعد الحاكم السياسي الضابط مارشال خصوصا، واثرها في خلق شريحة اجتماعية اقتصادية في المدينة تؤيد الحماية البريطانية حفاظا على امن المدينة من جهة، وتحقيق مصالحها الشخصية والاقتصادية من جهة اخرى.

- وجود قوميات غير عربية في المدينة كالهنود والiranianين والعناصر المستفاد من إيرادات وقف أوده(٥٠) في الهند الذي تقوم الحكومة البريطانية في الهند بتوزيعه على بعض رجال الدين في النجف.

ومع ذلك، ارتأى ارنولد ولسن ان تكون النجف نموذجا للمناطق التي يجري فيها الاستفتاء، وان تكون بأشرافه وتحت ادارته شخصيا، لتكون النتيجة المعلنة عنها مثالا للمناطق الأخرى، بحكم المركز الديني والسياسي للمدينة، واخذ الميجر نوربري (P-F-Norbary) الحاكم السياسي للواء الشامية يجري الاستعدادات وفقا للتعليمات التي ارسلها اليه الحاكم المدني.

تقرر ان يكون الاستفتاء في النجف يوم ١٢ كانون الاول ١٩١٨، وبعد وصول ارنولد ولسن الى المدينة لاجراء عملية الاستفتاء، عقد اجتماعا حضره عدد من رجال الدين واشراف المدينة وشيوخ العشائر المجاورة، كان منهم الشيخ عبدالكريم

الجزائري، والشيخ جواد صاحب الجواهري، وعبدالرضا الشيخ راضي، نور الياسري، وعلوان الياسري، ومحسن ابو طيخ، وعبد الواحد حاج سكر، وعبد المحسن شلاش، ومحمد رضا الشبيبي، وغيرهم، وبعد أن استقر المجلس بالحاضرين اعلن الحاكم المدني الغاية من هذا الاجتماع، ثم طرح عليهم الأسئلة الثلاث التي بنى عليها الاستفتاء وطلب الإجابة عليها، ويبدو ان احد الحاضرين ويدعى هادي النقيب قد تواطأ مع البريطانيين على صيغة الجواب التي تتلائم معهم، فاستفز ذلك الرأي الشيخ محمد رضا الشبيبي الذي وقف قائلاً:

" ان الشعب العراقي يعد الموصل جزءاً لا يتجزأ من العراق، ويرى العراقيون ان من حقهم تشكيل حكومة وطنية مستقلة استقلالاً تاماً، ولا يوجد فينا من يرغب في اختيار حاكم اجنبي..." (٥١)

أغاض هذا الخطاب الحاكم المدني وساد الأجتماع الخلاف والتحدي، فقاطع ارنولدولسن كلام الشبيبي وضرب بيده على المنضدة التي امامه، وحين حاول معرفة اراء بقية المجتمعين في محاولة لتمييق وحدة الصف لم يوفق لعدم اعتراض احدا، فكان الاجتماع وعلى حد رأي محمد رضا الشبيبي اول مجابهة جوبهت بها سياسة الاحتلال بصورة عامة... ثم قام علوان الياسري وطلب تأجيل الاجتماع ليتيح للمدعوين التوصل الى رأي ثابت، فأمتعض ارنولدولسن وقال "اذن اجتمعوا وقرروا قررا بما يتفق عليه الاجتماع بالاجماع وسلموه لنا بيد الحاكم السياسي الميجر فوبري" (٥٢).

بدى القلق واضحاً على الحاكم المدني من نتيجة الاستفتاء، فذهب الى الكوفة والتقى بالمجتهد الديني كاظم اليزدي، الذي كان وجهة نظره تفيد بضرورة المحافظة على امن البلاد في تلك المرحلة، في حين يؤكد ارنولدولسن بعد لقاءه بان رأي اليزدي كان مماثلاً لرأيه حول عدم احقية العراقيين في الحكم عندما التقى

به في يوم ١٣ كانون الأول ١٩١٨، ويشير بأن محمد كاظم اليزدي قد قال بهذا الصدد ما يلي:

" انا انطق بأسم الذين لا يستطيعون التعبير عن انفسهم، ومهما تكون الحكومة ارجو ان تتركوا لهم ان يتبصروا بمصالحهم التي تتعلق بالشيعة خاصة، لاسيما العامة التي لاتعرف من الأمر شيئاً، ان هؤلاء غير متحضرين، وان تنصيب الموظفين سيؤدي الى الفوضى لانهم لم يتعلموا النزاهة بعد والى ان يتعلموا ذلك فيجب بقاؤهم تحت اوامر الحكومة ولايمكن ايجاد شخص يكون مقبولا كأمر" (٥٣).

بعث ارنولد ولسن المعلومات الواردة في اعلاه في برقية الى حكومته في الهند بتاريخ ١٤ كانون الأول ١٩١٨، وهي تبين عدم دقة المعلومات الواردة فيها عندما تعرض اما التحليل التاريخي في تلك المرحلة ويظهر فيها قدر كبير من التهافت الكاشف عن عدم موضوعية الرسالة الموجهة الى الحكومة البريطانية ومن الجوانب الآتية :

- وردت هذه المعلومات في برقية ارنولد ولسن فقط، ولم يعثر عليها في مصادر اجنبية او عربية اخرى، فقط تلك المنقولة عن تلك البرقية لارنولد ولسن (٥٤).

- ان كلام المرجع الديني كاظم اليزدي يناقض مع موقفه السابق عند اعلانه الجهاد في كانون الأول ١٩١٤ على القوات البريطانية التي اعتبرها قوات كافرة، ثم اعلانه رسميا ومن الصحن العلوي بأنه على الغني العاجز بدينا ان يجهز من ماله الفقير القوي.

- تذكر المصادر العربية ونقلنا عن كاظم اليزدي شخصا أن ارنولد ولسن لم يكلمه صراحة عن الاستفتاء العام خلال تلك المقابلة

- يتناقض نص ماورد في تلك البرقية مع تأكيد المرجع الديني كاظم اليزدي رسميا على ضرورة مشاركة جميع العراقيين في الاستفتاء العام، وبمختلف شرائحهم الاجتماعية، عندما ذهب اليه وفدا من شيوخ ورجال الدين في النجف، وكان منهم كلا من الشيخ عبد الكريم الجزائري، ومحمد جواد الجواهري، وعبد الواحد الحاج سكر، وعلوان الياسر، ومحمد رضا الشبيبي، لاستطلاع رأيه في الموضوع وبعد اجتماع ارنولد ولسن معهم في ١٢ كانون الأول ١٩١٤ ليقول للوفد نصا ماييلي:

" ان كل فرد له الحق في ابداء الرأي سواء كان تاجرا ام بقالا، زعيما ام جمالا... ونصحهم بالاجتماع في المداولة وموافاته بالنتيجة... (٥٥)

وبناء على اقتراح المرجع الديني كاظم اليزدي عقد اجتماع بدار الشيخ محمد جواد الجواهري حضره عدد كبير من الناس، خرج المجتمعون ردا على اسئلة الاستفتاء الثلاث بقرار وهو ضرورة تشكيل حكومة عربية مستقلة يرأسها احد انجال الشريف حسين (٥٦)، كما بذل رجال الدين ووجهاء المدينة جهودهم للتوقيع على مضبطة تعبر عن رغبتهم في استقلال العراق، فعقد اجتماعا اخر في دار الغطاء وكان الرأي السائد بين المجتمعين ((القضية اسلامية... وليست سنية ولا شيعية...)) في عملية اختيار حاكم العراق (٥٧).

وفي كانون الأول ١٩١٨ دعا الحاكم السياسي نوبري وجهاء الكوفة الى اجتماع محاولة منه للحصول على الآراء المطلوبة بتأييد الإدارة البريطانية، الا انهم رفضوا ذلك ووقعوا مضبطة اخرى تطالب بمايلي:

((ان يكون العراق الممتد حدوده من شمال الموصل الى خليج البصرة حكومة عربية اسلامية يرأسها ملك عربي مسلم وهو احد انجال الشريف حسين، على ان يكون مقيدا بمجلس تشريعي...)) (٥٨)

عارض نوبري هذه النتيجة ، ودعا بعض العناصر المواليه للبريطانيين في النجف وشجعهم على تقديم مضابط تؤيد وجهة النظر البريطانية، وتمكن من الحصول على (١٤) مضبطة موقعة من شخصيات كانوا من ذوي المراكز المحدودة سياسيا ودينيا، كما كان من الموقعين عناصر غير عربية منهم، اما من الهنود او من الأيرانيين، كما ان احد المضابط تجاهلت فكرة الحماية البريطانية وطالبت بأمير عربي من دون تحديد هويته، وكانت مضبطين اخرتين وقعت مؤيدة للوجود البريطاني موقعة من بعض التجار والوجهاء وخدمة الروضة العلوية، اما الخمس مضابط من التسلسل (١) فقد تهرب اصحابها من الأجابة الصحيحة، بحجة الجهل والتدين (٥٩).

كانت عملية الاستفتاء العام في النجف وعلى حد قول التقرير البريطاني الصادر عن ادارة الشامية لعام ١٩١٩، بأنه:

((على الرغم من كون النتائج غير مرضية فقد اعترف الحاكم السياسي بأن السلطات قد مارست ضغطا مباشرا ورسميا للحصول على النتائج المطلوبة...)) (٦٠)

وهو ماحل فعلا من نشاط علماء الدين في المدينة، عندما استخدم نوبيري كافة انواع الضغط بالاكراه للوصول على الأراء المطلوبة وتحجيم دور المرجع الديني كاظم اليزدي في الافتاء وبشكل صريح عن دور المسلمين في اختبار حاكم للبلاد ردا على احدى اسئلة الاستفتاء العام الثلاث، عندما عجز عن الآفتاء حفاظا على امن المدينة من جهة، ولمعرفته المسبقة بأن المرجع الديني محمد تقى

الشيرازي الذي انتقل الى كربلاء بطلب من قادة الحركة الوطنية في بغداد، بأنه سيقوم بالدور الديني والسياسي في تلك المرحلة الدقيقة.

٢. موقف رجال الدين في كربلاء من الاستفتاء العام.

في مرحلة ما بعد الاحتلال البريطاني ١٩١٨-١٩٢٠، كانت كربلاء تعيش اجواء مناسبة للعمل السياسي مقارنة بمدينة النجف التي مرت بجملة من الحركات الثورية التي اثرت فيما بعد على الاداء السياسي لعلمائها. ومن تلك الأحداث هي:

- كانت النجف مركزا دينيا وسياسيا لاعلان الجهاد ضد القوات البريطانية في كانون الأول ١٩١٤.

- انتفاضة النجف على السلطة العثمانية في عام ١٩١٥.

- انتفاضة النجف ضد السلطة البريطانية في المدينة تمهيدا لاجراء البريطانيين من العراق، وما اعقب هذه الانتفاضة من حصار اقتصادي وعسكري وسياسي تجاه المدينة.

تحت تلك الاحداث والضغط ، انتقل مركز القرار السياسي الى كربلاء، بعد ان انتقل اليها المرجع الديني محمد تقي الشيرازي قادما من سامراء، لاجل تحريك الوضع سياسيا ضد البريطانيين. ولذلك كان السيد محمد تقي الشيرازي تجاه اسئلة الاستفتاء ، وهو صدور الفتوى الشرعية التي تلزم المسلمين شرعا بوجوب تحرك البريطانيين حكم العراق. عندما قال بهذا الصدد في ٢٤ كانون الثاني ١٩١٩ مايلي: " ليس لأحد من المسلمين بأن ينتخب ويختار غير المسلم للأمانة والسلطنة على المسلمين..." (٦١).

كان تأثير الفتوى قويا على مجريات الاستفتاء العام بصورة عامة وعلى سير الحركة الوطنية في بغداد خاصة، عندما وجدت في تلك الفتوى دعما دينيا

لمباركة العمل الوطني لمقاومة الادارة البريطانية، فقدم عدد من الشخصيات البارزة في كربلاء عريضة طلبوا فيها بعد الاشارة الى التصريح البريطاني -الفرنسي الصادر في تشرين الثاني ١٩١٨: ((تأسيس دولة عربية اسلامية يكون فيها احد انجال شريف مكة اميرالها، ولها مجلس منتخب...)) (٦٢).

في مقابل ذلك قام الحاكم السياسي بتشجيع العناصر الموالية للوجود البريطاني في كربلاء وتقديم عريضة مقابلة للعريضة السابقة، لكن الادارة البريطانية في بغداد قررت في النهاية اهمال العريضتين، ولن تنشر نتائج الاستفتاء في كربلاء بأي شكل (٦٣).

٣. موقف رجال الدين في الكاظمية من الاستفتاء العام.

كان موقف مدينة الكاظمية مشابه لموقف كربلاء تجاه الاستفتاء العام، فقد اصدر الشيخ مهدي الخالصي فتوى بوجوب تشكيل حكومة عربية يرأسها حاكم مسلم، وهو ما ادى الى ظهور معارضة قوية للوجود البريطاني في مركز الادارة البريطانية في بغداد نفسها، فقد جاء في بيان وقعه (١٤٣) صوتا من المقيمين في الكاظمية:

((... أننا باعتبارنا من الأمة العراقية العربية نختار حكومة عربية مسلمة يرأسها ملك مسلم هو احد انجال سيدنا الشريف حسين، تكون مقيدة بمجلس محلي، اما مسألة الحماية فسينظر فيها بعد انتهاء مؤتمر الصلح...)) (٦٤).

وكان هذا الطلب قد اعتمد أيضا على لتصريح البريطاني الفرنسي الصادر في ١٩١٨، بصدد تشكيل حكومات عربية غير مستقلة في المناطق التي كانت خاضعة للدولة العثمانية.

الخاتمة:

- برز الصراع واضحا بين رجال الدين والادارة البريطانية المحتلة للعراق منذ الاسابيع الاولى من الاحتلال البريطاني للبصرة عندما تحددت طبيعة العلاقة بين الطرفين على اساس القطيعة والحرب بدءا من حرب الجهاد في معركة الشعيبية ومرورا بانتفاضة النجف على الحكم البريطاني العسكري وانتهاء بالمطالبة برفض حكم العراق حكما بريطانيا والدعوة الى حكمه من قبل حاكم وطني مسلم .

- كانت عملية الاستفتاء العام مرحلة من مراحل تاسيس الدولة العراقية الحديثة التي لم يحدد البريطانيون طبيعة وشكل تلك الدولة في تلك المرحلة المعقدة من التسويات بين الدول الكبرى المنتصرة بعد الحرب العالمية الاولى وكان من نتائجها ظهور الدول القومية على الساحة الدولية وفي المنطقة العربية بعد ان كانت ولايات تابعة للدولة العثمانية.

- كان موقف رجال الدين في النجف، وكربلاء، والكاظمية يمثل اول مواجهة سياسية اتجاها سياسة الادارة البريطانية المحتلة التي هدفت حكم العراق حكما مباشرا بحجة عدم كفاءة الشعب العراقي على تحمل مسؤولية حكم نفسه بنفسه ، وهو ما عبر عنه صراحة موقف رجال الدين في كربلاء عندما طالبت مضابطهم بحكم العراق حكما اسلاميا لا مذهبيا.

- بلورت مرحلة الاستفتاء العام بالنسبة لرجال الدين ، بوادر التنسيق مع بعض التيارات القومية والكتل السياسية لتحقيق اهدافها المرجوة وهي استقلال العراق وحكمه من قبل حاكم مسلم مقيد بالشرعية الدستورية بعد طرد القوات البريطانية من العراق.

- (١) وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية- الاستقلالية في العراق، ط٢، بغداد، ١٩٨٥، ص ٦٥.
- (٢) للمزيد من التفاصيل عن الثورة الدستورية في ايران . ينظر:-
- (٣) حسن الأسدي ، ثورة النجف، بغداد، ١٩٧٥، ص ٦٦ د. عبدالستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١-١٩٤١، بغداد، ٢٠١٠، ص ٢٣.
- (٤) د. عبدالستار شنين الجنابي، المصدر السابق، ص ٢٣-٢٤.
- (٥) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب السياسية العراقية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٧٠.
- (٦) علك عبد شناوة، محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي، بغداد ٢٠٠٠، ص ٦١.
- (٧) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق ، ص ٦٧، عبدالستار شنين الجنابي، المصدر السابق، ص ٢٤.
- (٨) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٧٠.
- (٩) محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠، النجف، ١٩٧١، ص ١.
- (١٠) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٨٨.
- (١١) عبدالستار شنين الجنابي، المصدر السابق، ص ٢٠.
- (١٢) F.J.Moberly, official History, the camp lain in Mesopotamia 1914 History of the Great war Based on official Document vol.1. London.1923.,pu3. ط٣.
- (١٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠-١٩٥٠، ج١، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٨.
- (١٤) نقلا عن :-عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦، ص ٢٥٦.
- (١٥) د. شكري محمود نديم، العراق في عهد السيطرة العثمانية ١٩٠٨-١٩١٨، عمان، ٢٠٠٨، ص ١٧٤.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ١٥٠.
- (١٧) المس بل، فصول في تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، ١٩٧١، ص ٩-١٠.
- (١٨) د. شكري محمود نديم، المصدر السابق، ص ١٥٠.
- (١٩) علي الوردي، لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث، ج ٤، ص ١٢٧، د. خالد التميمي، محمد جعفر ابو التمن دراسة في الزعامة السياسية العراقية، دمشق، ١٩٩٦، ص ٨١.

- (٢٠) نقلا عن:- المسربل، المصدر السابق، ص ٢٠.
- (٢١) علي الوردي، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ١٢٧-١٢٨.
- (٢٢) حسن الاسدي، المصدر السابق، ص ٩٠.
- (٢٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: اسحاق نقاش، شيعة العراق، قم، ١٩٩٨، ص ٧.
- (٢٤) عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي، الكويت، ١٩٧٦، ص ٨٨.
- (٢٥) ومن تلك الاجراءات العثمانية الرامية الى كسب ثقة العشائري:- منح الأوسمة لبعض الشيوخ المتنفيين، العفو من بعض الشيوخ المعتقلين واطلاق سراحهم، منح الاموال للشيوخ لقاء تجنيدهم لعشائريهم فمثلا كان يعطي مبلغ من ٦-١٢ ليرة تركية للشيخ عن كل فخذ يجهز ويه التخفيف عن العشائري في تحصيل الرسوم والضرائب كحافز على الالتحاق بجهات القتال.
- للمزيد من التفاصيل ينظر:- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨، ص ص ٢٧٧-٢٧٨، غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، دار السلام لندن، ١٩٩٠، ص ١٥٠.
- (٢٦) غسان العطية، المصدر نفسه، ص ١٥١، جلال كاظم محسن الكناني، الدور السياسي للعشائر العراقية ١٩١٨-١٩٢٤، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت لى كلية التربية - الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣.
- (٢٧) حسن الأسدي، المصدر السابق، ص ٩١.
- (٢٨) مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لأمانة عربستان العريقة ١٨٩٧-١٩٢٥، القاهرة، ١٩٧١، ص ٣٠٢.
- (٢٩) عبد الله فهد النفيسي، المصدر السابق، ص ٩٠.
- (٣٠) غسان العطية، المصدر السابق، ص ١٥١.
- (٣١) ارنولد ولسن، بلاد ما بين النهرين وما بين ولانين، ترجمة: جعفر الخياط، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٠١.
- (٣٢) عبد الله فهد النفيسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٣٣) خالد التميمي، المصدر السابق، ص ٨٣.
- (٣٤) لمزيد من التفاصيل عن حصار الكوت ينظر:- رسل برادون، حصار الكوت، بغداد، ١٩٧٨.
- (٣٥) عبد الله فهد النفيسي، المصدر السابق، ص ٩٠.
- (٣٦) المصدر نفسه، ص ٩١.
- (٣٧) غسان العطية، المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

^(٣٩) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٢٠.

^(٤٠) المس بل، المصدر السابق، ص ٢٠١.

^(٤١) وتسمى هذه المدرسة ايضا مدرسة بلاد العرب الشرقية او المدرسة السعودية، لانها كانت تعني برعاية وتنظيم علاقات بريطانيا اما في منطقة الخليج وشرق شبه الجزيرة العربية والعراق من جنوب ايران في عدن، للمزيد من التفاصيل ينظر:-

سلطان Ernest Main, Iraq, from Mansate to Indendemee, Lndon, 1935, pp.50.53.
^(٤٢) وتسمى هذه المدرسة ايضا مدرسة بلاد العرب الغربية أو المدرسة الهاشمية وترى ضرورة السيطرة على مصر وسوريا والأردن مع الاستعداد على مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس، من خلال استقلال الحركة القومية العربية ومكانه الشريف حسين بن علي لمصالحهم في تأسيس دولة عربية تحت السيطرة البريطانية.
 لمزيد من التفاصيل انظر:-

Georgy Lenczowski, the Middle East in world Affairs, newyork. 1956, pp.70.73 سلطان

^(٤٣) seton William, Britain and the Arab states Asurvey of Anglo- Arab Relations 1920-1948, London, 1948, pp.18-19

^(٤٤) نقلا عن : كاظم نعمة، الملك فيصل الأول والانكليز والاستقلال، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٣.
^(٤٥) لمزيد من التفاصيل

^(٤٦) عقدت اتفاقية سايكس - بيكو بين كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية، ومثل الحكومة البريطانية مارك سايكس والحكومة الفرنسية المسيو جورج بيكو. تم عقد الاتفاقية عن طريق تبادل المذكرات الدبلوماسية بين الحكومات الثلاث المعنية، وقد نصت الاتفاقية فيما يتعلق بالعراق ، منح القسم الأعظم من سوريا وجزء من جنوب سوريا وولاية الموصل الى فرنسا، ومنح بريطانيا شريط ارضي يمتد من جنوب سورية عبر العراق، الذي خصصت له المساحة الممتدة بين الخليج العربي والى الشمال من بغداد. انظر:-

سلطان Lenczowski op. cit.p.70, Philip Graves, op. cit,p;219

^(٤٧) تمت التسوية رسميا بين الطرفين البريطاني والفرنسي حول المنطقة الشمالية من العراق في مؤتمر سان ريمو، نيسان ١٩٢٠، وعلى اساس ضم ولاية الموصل الى منطقة الاحتلال البريطاني لقاء تأييد بريطانيا لفرنسا في احتلالهما دمشق، حمص، وحما، وحلب، لمزيد من التفاصيل حول قضية ولاية الموصل وتطوراتها ينظر:- فاضل حسين، مشكلة الموصل، ط ٢: بغداد، ١٩٦٧.

⁴⁸) P.R.o F.O.371.u178.3503.Anglo- French Decleration tegarsiing. Syria Mnesopotamia. سلطان

⁴⁹) I.Martlow, the late. Vietoriam.the life if sir Wilson,London,1967.p.137. سلطان

⁵⁰) P.R. F.O 3718-3503 Anglo French Decleration regarding syeia and Mesopotamia. سلطان

⁵¹) secert and comfidential.from office of the covet commissioner, Baghdad, Date 30.th November1918.p.1. سلطان

^{٥٢}) فيليب ويلارد ايرلند ، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٠ .

^{٥٣}) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

⁵⁴) P.R.O.FKo.371.n178.from office of tge civil commissionet, Pated 30 tge November 1918, p.2. سلطان

^{٥٥}) نقلا عن فيليب ويلارد ايرلند، المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

^{٥٦}) وقف اوده .

^{٥٧}) نقلا عن عبدالرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، ج ١، بغداد ، ١٩٠٩ ، ص ٧٢ ، علك عبد شناوة ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .

^{٥٨}) نقلا عن : - فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٧٨ .

^{٥٩}) نقلا عن: F.O.from civil commissioner Baghdad to

^{٦٠}) منها على سبيل المثال عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٩٢ . ص ٧٣ .

^{٦١}) نقلا عن :- عبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي، ج ١ ، ص ١٢٣

^{٦٢}) اخلاص لفتة حريز الكعبي، دور المرجعية الدينية في النجف من التطورات السياسية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية -الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥ ، ص ٦٥ .

^{٦٣}) جعفر باقر آل محبوبية، المصدر السابق، ص ٢٥٩ .

^{٦٤}) نديم عيسى ، الفكر السياسي لثورة العشرين ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص ٦٦ .

موقف المرجعية الدينية في العراق من قضايا الامة الاسلامية

الثورتان الدستوريتان العثمانية ١٩٠٨ والايروانية ١٩٠٩ انموزجا

ا.م.د. الهام فاضل عباس علي

كلية التربية للبنات /جامعة بغداد

المقدمة:

ان دراسة موضوع دور المرجعية الدينية عموما ،والمرجعية الشيعية بالذات لابد وان تقودنا الى معرفة معالمها واسسها،فضلا عن تأكيد مشروعاتها واهميتها في حياة الامة والمجتمع لما تمثله من ضرورات اجتماعية ودينية واخلاقية فضلا عن الجوانب التي تهم شؤون الامة في مجالات السياسة والاقتصاد وغيرها، على ان كل مايتعلق بالاسس التي يعتمد عليها نهج المرجعية كان له اثر ذلك رسم معالم الحياة العامة للامة الاسلامية عموما، والشيعية منها بوجه خاص.من خلال الادوار التي لعبتها المرجعية في القضايا السياسية والاجتماعية، ليس في العراق وحده،فحسب، وانما تعدى ذلك الى اطار اشمع واعم تمثل في دعم حركات التحرر الاسلامي ضد الاستعمار والاستبداد بكافة اشكاله. وخصوصا في ايران والدولة العثمانية..

لعبت المرجعية الدينية في العراق دوراً فاعلاً ومحورياً في الاحداث التي اعقبت تسلم الشاه مظفر الدين مقاليد الحكم في ايران عام ١٨٩٦م بعد اغتيال والده ناصر الدين شاه في ايار ١٨٩٦ في طهران على يد احد انصار المصلح السيد جمال الدين الافغاني، اذ دب الفساد في كافة اجهزة الدولة وغرقت ايران في الديون نتيجة سفريات مظفر الدين شاه المتعددة الى اوربا . الامر الذي مهد فيما بعد لحصول ثورة عارمة في انحاء البلاد وهي الثورة الدستورية الايرانية التي انطلقت شراراتها الاولى منذ بداية

العام ١٩٠٥ وحتى العام ١٩٠٩م.

في الدولة العثمانية لم يختلف الامر عما حصل في ايران اذ كانت ارجاء الدولة ومنها العراق والدول العربية تغط في الجمود والتاخر والظلم والاستبداد ، نتيجة سياسات السلاطين والولاة المستبدين ، الامر الذي عجل في تنامي الروح الوطنية والشعور الديني الحماسي ضد الاستبداد واعوانه، مما اسفر عن قيام العديد من الثورات والانتفاضات في ارجاء الدولة العثمانية، التي ساهمت في اجبار السلطان العثماني عبد الحميد الثاني على اعلان الدستور عام ١٨٧٦م. ومع ذلك استمرت الاوضاع المتردية على حالها نتيجة تعطيل الدستور لكثر من ثلاثين عاما- ليقوم الثورا بالحركة الدستورية العثمانية عام ١٩٠٨م اسوة بما حصل في ايران. بيد ان المرجعية الدينية في العراق كان لها الدور المهم والواضح في تلکم الاحداث التي حصلت في كلتا الدولتين المسلمتين، الامر الذي شكل دافعا: اساسيا: لاختيار البحث الموسوم (موقف المرجعية الدينية في العراق من قضايا الامة الاسلامية، الثورتان الدستوريتان العثمانية ١٩٠٨ والاييرانية ١٩٠٩ انموذجا:) لغرض تسليط الضوء على طبيعة مواقف المرجعية ودورها في تلك الاحداث واثر ذلك في المجتمع العراقي.

تألف البحث من ثلاثة مباحث، كان الاول (المرجعية مفهومها مواقفها من الاحداث السياسية في ايران) بينما كان الثاني (دور المرجعية الدينية في النجف في الاحداث الايرانية واثر ذلك على المجتمع العراقي) في حين كان المبحث الثالث (الحركة الدستورية العثمانية وموقف المرجعية و الشعب العراقي منها) ، فضلا عن مقدمة وخاتمة وثبت بالمصادر المستخدمة في البحث.

ومهما عمل الانسان فان عمله سيكون ناقصا- حتما- فالكمال لله وحده جلت قدرته، نسأله التوفيق وبه نستعين.

المبحث الاول: المرجعية مفهومها مواقفها من الاحداث السياسية في ايران

تمهيد: المرجعية مفهومها وعملها

ان كلمة المرجعية من الناحية اللغوية مركبة من المرجع وياء النسبة وتاء المبالغة وأصل كلمة المرجع هو رجوع أو الرجوع بمعنى عاد إليه ما كان من البدء^(١). وتعرف كذلك بأنها الجهة المتولية لشؤون الأمة أو الطائفة أو الفرقة بأجمعها ، وببيدها الإدارة لتدبير أحوالها و أوضاعها الدينية ، ويسمى من يتولى قيادة تلك المرجعية بر(المرجع)^(٢).

اما معنى الحوزة العلمية مأخوذ من كلمة الفعل حاز ، وحاز الشيء ؛ حوزا واحتيازا يراد به الشيء اذا ضمه وجمعه وعلى ذلك فالمعنى العام هي الناحية ، ومن هنا فإن حوز الدار ما أنضم اليها من المرافق و المنافع ، وهكذا هي المكان او الناحية اذا ما خصصت للدرس والتحصيل جازان تسمى حوزة علمية ، وتبعاً للأصل فإنها يمكن أن تخصص لمختلف أوجه النشاط الإنساني ، الا انها ارتبطت بلغة علماء الدين عند الشيعة^(٣) ، بتلقي العلم ، حتى بات مفهوما تلقائيا ، ان الحوزة لا بد ان تكون علمية ، فهي اذا كيان علمي وبشري يؤهل للاجتهاد في علوم الشريعة الإسلامية و يتحمل عبئ تبليغ الرسالة الإسلامية للامة و قيادتها^(٤)، أما من الناحية الاصطلاحية فمعنى الحوزة جاء متأخرا ، وتعرف بأنها الجهة المتولية لشؤون الأمة أو الطائفة بأجمعها وببيدها الإدارة لتدبير أحوالها وأوضاعها الدينية^(٥).

وتتلقى مجاميع من طلبة العلوم الدينية الدروس العلمية و الفقهية على المرجع الديني (المجتهد) العادل الذي يرجع اليه الناس للفتوى لعبادتهم و معاملاتهم^(٦). ولكي يصبح الإنسان مجتهدا يجب ان يدرس ويتعلم ويتفقه حتى يصل الى مرتبة تؤهله لاقتباس الحكم من الأدلة الشرعية ؛ وعملية الاجتهاد تتوقف على عدة علوم يجب على الفرد تحصيلها وهي علم الكلام و المعتبر منه ما يعرف به الانسان ربه و

صفات الله الجلالية والكمالية وعدله وحكمته والنبوة ودليل عصمتها وعلم الأصول والمعتبر منه ما يعرف به ادلة الاحكام من الامر بالمعروف والنهي والعام والخاص والمطلق والمقيد ، وعلم التصريف والمعتبر منه معرفة ما يختلف المعنى باختلافه ليحصل بسببه معرفة المراد من الخطاب ، وعلم اللغة والمعتبر منه ما يفهم به كلام الله المنزل وكلام الرسول محمد (ص) وأهل البيت (عليهم السلام) ، أما يحفظه أو بالاحتفاظ بما يرجع اليه عند الحاجة وغيرها (٧). ولا بد للمجتهد ان يحصل على الشروط الأساسية للاجتهد ومنها ان يكون واقفا على منظومة او مجموعة دوائر المعرفة الدينية في القرآن الكريم ودوائر المعرفة الدينية في السنة النبوية وبعبارة أدق عترة اهل البيت (عليهم السلام) بالإضافة الى هذين المحورين الأساسيين لا بد ان يتوفر على مجموعة من الأبحاث التي تعد كمقدمات (٨) ، أي يكون قد أكمل مرحلة البحث الخارج ووصل الى درجة الاجتهاد ويستطيع الوصول الى المسائل الشرعية واستنتاجها من مصادرها (٩).

ومن ذلك فإن المرجعية في التقليد والفتوى انما هي مركز قياسي أعلى يتولى شؤون الامة ويدير احوالها الدينية وأوضاعها ، ويسمى القائم بها (المرجع) بفتح الميم وكسر الجيم ، ويجب أن يتصف المرجع بصفات هي الركيزة الأساسية التي يستند اليها في اختيار من تقع على كاهله مسؤولية القيادة المرجعية ، وتختلف طريقة المسلمون الشيعة في اختيار المرجع الديني الأعلى كما هو الحال السائد في بقية الطوائف الإسلامية الأخرى فمن يشغل هذا المنصب لا يتم تعيينه بل هناك شروط صعبة وقاسية وضعت لمن يتقلد منصب الزعامة الدينية وهذه الشروط لا تتوفر الا بالقليل من الأشخاص المجتهدين الحاصلين على إجازات راقية (١٠).

وتثبت المرجعية للفقهاء المجتهدين العادل العارفين بمجاري الأمور ويكون التقليد العام له والاحكام الشرعية التي تخص الأمة الإسلامية مثل الجهاد والعلاقات الدولية

وسياسة البلاد و تسيير أمور العباد ونحو ذلك ، ولا يجوز لكل فقيه و مجتهد أن يتقمصها بل لا بد لها من شروط تتوفر فيه إضافة الى شروط المجتهد منها الأعلـم بالأحكام الشرعية و البصير بمجاري الأمور و العارف بتدبير الوقائع و المحافظ على بيضة الإسلام و المدافع عن المسلمين في سائر الحوادث و المخالف لهواه الموقع للمهالك و المقبل على آخرته ، فأصبح من المهم جداً أن تفحص النقيـد الصريف للرجال لمن يدعي هذا المنصب العظيم ، وبالإضافة الى الشروط المذكورة أنفا ان يعرف نسبه وبيئته و حسن سلوكه في ماضيه و حاضره (١١). إضافة لما ذكر يبدو ان جميع الفقهاء يجمعون على ان يجب على المرجع الأعلى أن يتصف بالصفات التالية :

١- الاجتهاد : بمعنى وجود الملكة النفسية لتحصيل الدليل على الحكم الشرعي من القران و السنة .

٢- العدالة : وهي الاستقامة على شرع الله و طريقته .

٣- الاعلمية : بمعنى ان يكون صاحبها اقوى ملكة من غيره في مجالات استنباط الحكم الشرعي ، ومن المراجع من لا يشترط الاعلمية في المجتهد .

٤- الحياة : فلا يجوز تقليد الميت ابتداء (١٢).

وفي جواب للسيد محمد سعيد الطباطبائي (١٣) ، عن احد الأسئلة من أحد المؤمنين عن الشروط الأساسية في مرجع التقليد : أجاب سماحته "ان الأساس في ذلك هو الاجتهاد و العدالة ، اما العدالة فنقصد فيها المرتبة العالية ، وهي تمتع الشخص عادة من مخالفة التكليف الشرعي ومن الوقوع في المعصية وان كانت صغيرة ، بحيث لو صدرت منه نادرا لاسرع للتوبة والانابة لله تعالى ، اما الاجتهاد فهو عبارة عن القدرة على أخذ الحكم الشرعي والوظيفة العلمية من الأدلة المعتبرة الكافية في الخروج عن المسؤولية امام الله ... هذان هما الشرطان الاساسيان ، نعم مع العلم باختلاف

المجتهدين كما هو حاصل الان ، لا بد من ترجيح العلم مع الإمكان ومن هنا تعد الاعلمية شرطاً ثالثاً^(١٤) . وهناك عدة القاب لطالب العلم في المرحلة البحث الخارج في الحوزة العلمية منها (الفاضل ، ثقة الإسلام ، حجة الإسلام) وهناك من العناوين و الألقاب التفخيمية التي تمنح العلماء الذين انهو دورتي بحث الخارج من الفقة و الأصول ونالوا درجة مثل لقب (حجة الإسلام والمسلمين) ، اما لقب آية الله فهو من الألقاب التفخيمية ايضاً التي تطلق على الحوزويين الذين هم من ذوي المقامات العالية الاجتهادية من الذين لهم صلاحية الإفتاء و القيادة بالإضافة الى كونهم من الذين يشتغلون في احدى الحوزات العلمية بتدريس دورات بحث الخارج فقها وأصولاً حتى ولو لم يمتلك احدهم رسالة علمية و من الألقاب التفخيمية ايضاً (آية الله العظمى) ، ويطلق على كل شخص يعتبره الشيعة والحوزويون في جميع انحاء العالم ، من المقامات العالية من الدرجة الأولى ممن لهم رتبة اجتهاد و صلاحيات الفتوى و القيادة ، وان الامة اجتمعت على مرجعيته و تقليده بالإضافة الى امتلاكه لرسالة علمية و يمارس التدريس في احدى الحوزات العلمية الشيعية الكبرى مثل حوزة النجف الاشرف او كربلاء المقدسة او قم المقدسة ، فضلاً لتدريسه لدورة بحث الخارج و يتبنى تربية الطلاب و النظارة على الحوزة^(١٥) .

لم يقتصر دور المرجعية الشيعية على الامور الفقهية والدينية البحتة، وانما تعدى ذلك ضمن نطاق تكليفهم الشرعي ، الى الواجبات الاخلاقية والانسانية المتمثلة بالوقوف ضد الظلم والاستبداد ، ايا كان مصدره ونوعه، ولذلك كان لمراجع الدين في النجف الاشرف ، دور كبير في تبني امال وطموحات ، الشعب الايراني المسلم الذي ابتلى بملوك طغاة مستبدين وفاسدين على شاكلة ملوك الاسرة القاجارية

وخصوصا ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦) وابنه مظفر الدين (١٨٩٦-١٩٠٧) والذين جعلوا من ايران بلداً غارقاً في الظلم والفساد والاستبداد.

كان الشاه مظفر الدين (١٦) الذي تبوأ عرش ايران ١٨٩٦-١٩٠٧م بعد مقتل والده ناصر الدين شاه، مريضاً وضعيف الشخصية، وكان الانحلال والانحطاط والتردي سمة عهده وحكمه، وكان قد قضى شبابه في الكسل والبحث عن الملذات، وعندما اصبح شاهاً لم يظهر أي مجهود او اهتمام بمهام الدولة، ولم يمر عام على تسلمه العرش حتى عزل امين السلطان من منصب الصدارة (رئيس الوزارة) وعين بدلاً عنه ميرزا علي خان (امين الدولة) الذي سعى لازدهار الدولة ورفيها، وبعد تردي اوضاع ايران اعطى منصب الصدارة لصهره (عين الدولة) وقد ادى انقياده العلني للأجانب أدى الى تفاقم السلبات الاقتصادية والسياسية وساعد في تصعيد نشاطات المعارضة للحكومة،^(١٧) فخلال السنوات ١٨٩٩ - ١٩٠٦م، شكلت في طهران وتبريز ومدن إيرانية أخرى جمعيات وأحزاب سرية قامت بتوزيع بيانات معادية للحكومة عرفت بالبيانات الليلية لأنها كانت توزع ليلاً، كان في مقدمتها جمعية الاخوة - أنجمن أخوت التي تأسست عام ١٨٩٩م او جمعية الترفي الإسلامي - حوزة ترقى إسلامي عام ١٩٠٢م في طهران، فضلاً عن جمعية الرجال الاحرار (انجمن ازاد مردان) عام ١٩٠٣م في طهران، كما أسست الجمعية السرية (انجمن مخفي) عام ١٩٠٤م في طهران، وجمعية تبريز الوطنية (انجمن - علي تبريز) عام ١٩٠٥م، وكذلك الرابطة الإنسانية جامع ادميت (عام ١٩٠٦م)، وتزامن مع ذلك تأسيس بعض الأحزاب السرية منها " المركز السري في تبريز " و الحزب الاجتماعي الديمقراطي في باكو وغيرها^(١٨).

كان الشاه مظفر الدين مولعا كأبيه ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦ م)، بالسفر الى البلاد الاوربية غير ان الخزينة كانت في أيامه فارغة فأضطر الى اللجوء الى القروض الأجنبية من روسيا وإنكلترا و التي انفقها في رحلتين الى اوربا لغرض العلاج والاستشفاء، ثم قصد اوربا ثالثة عام ١٩٠٢ م، ولم يستفد صحيا وقد استغلت روسيا وضع الشاه الضعيف وامتدته بالقروض وحصلت منه على عدة امتيازات، و كانت تخطط من سياستها تلك الوصول الى البحار المحيطة بها و التي تعرف بالمياه الدافئة (١٩).

لقد اثار الشاه بسياسته سخط التجار وأهل (البازار) (٢٠)، أي الحرفيين وأصحاب الدكاكين الذين يؤلفون في ايران طبقة ذات أهمية غير قليلة في الحياة الاجتماعية و السياسية، ولهم رؤسائهم و تقاليدهم النقابية التي تسمى قواعد الصنف، واذا قرروا اغلاق دكاكينهم احتجاجا على امر ما كان ذلك بمثابة نوع من أنواع الاضراب العام، واصابوا الحياة الاقتصادية بالشلل، اصف الى ذلك ما كان لاهل البازار من تأثير في رجال الدين وصلته معاشية معهم فإذا اشتكوا من شيء فسرعان ماتسري شكواهم الى رجال الدين ويصدر هؤلاء لهم الفتاوى المناسبة وفق الشريعة الإسلامية لانصاف حقوقهم من الدولة الفاجارية التي كثيرا ما تظلمهم (٢١). كان تعيين عين الدولة (٢٢)، صهر مظفر الدين شاه للصدارة العظمى في ايران عام ١٩٠٣ م عاملا مهما للتعجيل في اندلاع الثورة الدستورية، ففوة هذا الأمير القاجاري (٢٣) و اسلوبه الشديد وكتبته للمعارض الشعبية من خلال سياسته القائمة على الاستبداد وأتباعه الإجراءات القاسية في التعامل مع الفئات الاجتماعية الإيرانية المختلفة التي كانت تطالب وبقوة في التغيير (٢٤). وقد اشعلت فتيل الثورة حادثة بسيطة حدثت في عام ١٩٠٥ م خلاصتها ان نفر من اهل البازار خالفوا بعض الأوامر

الحكومية فأمرت الحكومة بشد اقدمهم في (الفلقة) وجلدهم بالسياط وكانت تلك عادة متبعة تقع بين الحين و الاخر في عهد الشاه السابق دون ان يعيرها الناس اهتماما كبيرا ، اما الآن فقد اهتم الناس لها ، وتجمع عدد كبير منهم بينهم جماعة من رجال الدين فذهبوا الى مسجد الشاه القريب من سوق (البازار) الكبير بغية الالتجاء فيه ، فمنعوا فالتجأوا الى بلدة الشاه عبد العظيم على بضعة اميال من طهران ليلة ١٣ تشرين الثاني ١٩٠٥ م / ١٥ رمضان ١٣٢٣ هـ ، وطالبوا بعدة مطالب منها عزل (عين الدولة) من منصبه وتأسيس دار للعدالة أطلقوا عليها اسم (عدالة خانة) (٢٥).

وعندما عظم أمر الناس المتجمعين في بلدة شاه عبد العظيم وكان من بين المتجئين أكبر علماء طهران وهما السيد محمد (٢٦) ، الطبطبائي ، و السيد عبد الله البهبهاني (٢٧) ، كان بينهم الواعظ المشهور أغا (٢٨) سيد جمال الدين ، ارسل الشاه لهم رسوله الخاص ليسترضيهم فقابلوا الرسول بجفاء وأرجعوه خائبا ، واضطر الشاه أخيرا ان يرسل اليهم كتابا مسجلا بخط يده يتعهد لهم فيه باجابة مطالبهم ، وعند هذا وافقوا على العودة الى طهران وقد جهزهم الشاه بعربات ملكية فركب كبراؤهم فيها ، وأستقبلتهم الجماهير في طهران استقبال الفاتحين ولم يستطيع الشاه تحقيق وعده حيث أخذ على يده صهره (عين الدولة) (٢٩).

وفي منتصف أيار ١٩٠٦ م اصيب الشاه بالشلل فأنتهز (عين الدولة) الفرصة ليضرب ضريته ، فقد اصدر امره بالقاء القبض على السيد محمد الطباطبائي ، وحين جاء الجنود للقبض على هذا المجتهد الكبير تجمع الناس لتخليصه من ايديهم ، فوقع من جراء ذلك اصطدم بين الجنود و الاهالي و سقط فيه واحد من الاهالي وكان طالب

علم وسيد من ذرية رسول الله (ص) وعندما جرى تشييع السيد القتيل، وقع اصطدام آخر سقط فيه خمسة عشر قتيلًا (٣٠).

توتر الوضع في طهران الى الدرجة القصوى وغادر طهران الكثير من المجتهدين حيث ذهبوا الى بلدة قم المقدسة للالتجاء فيها ، ثم اصدروا بياناً هددوا الشاه فيه انهم سيغادرون ايران جميعاً الى العراق ما لم يوف بوعده في تحقيق مطالبهم الشعبية واعلق اهل البازار دكاكينهم تاييدا للمجتهدين ، فأصدرت الحكومة امراً بنهب كل دكان يغلقه صاحبه ، كما ذهب فريق من اهل البازار الى المفوضية البريطانية ينشدون معونتها و خيموا في حديقته الواسعة الواقعة في ضواحي (قولهاك) ، واخذ عددهم يزداد يوماً بعد آخر واعلنوا انهم لن يرجعوا الى فتح دكاكينهم حتى تجاب مطالب المجتهدين ، امام ذلك اضطر الشاه الى الرضوخ لارادة الشعب فعزل ، عين الدولة من منصبه ونصب في مكانه رجلاً من انصار المشرطية هو نصر الله خان ثم اصدر امره بأجراء الانتخابات للمجلس النيابي الذي سمي بالمجلس الشوروي الملي (٣١)

وفي مجرى الثورة الايرانية اوضح المجتهدين الكبيران محمد كاظم الخراساني وعبد الله المازندراني (٣٢)، ان هديهما الرئيسيين من دعم الدستور هو حماية الدين و اسقاط مظفر الدين شاه الذي يعتبر حاكماً لا اسلامياً وكانت الدستورية تعني الشرع الاسلامي في ذهن المجتهدين ، وفي حين ان المجتهدين قبلاً بضرورة وجود نظام ملكي يرأسه ملك (شاه)، فقد جادلاً قائلين: ان الملك يمكن ان يخلع عن العرش اذا اصبح مستهترا وفاسقا ، وفي ٥ آب ١٩٠٦ م، اجبر مظفر الدين شاه على توقيع اعلان يدعو الى عقد مجلس وطني (ملي) ولفترة من الزمن ابدى بعض المجتهدين تأييدهم للمجلس لانهم اعتبروا مؤسسة قادرة على مراقبة افعال الشاه و ممارسة عملية

التشريع ، وهكذا قضى التعديل الثاني الذي ادخله مندوبو المجلس الى الدستور بأن اللجنة العليا المؤلفة من خمسة مجتهدين تدقق في مشاريع القوانين التي تطرح في البرلمان لتأمين عدم تناقض اي قانون منها مع الشريعة (٣٣).

عاد علماء الدين الى طهران و جرت انتخابات المجلس الملي (مجلس الشورى في ١٢ ايلول ١٩٠٦/ ٢٣ رجب ١٣٢٤ هـ) وافتتح المجلس الملي في طهران في ٧ تشرين الاول عام ١٩٠٦ الموافق ١٨ شعبان ١٣٢٤ هـ، وقد حضر الشاه مظفر الدين حفلة الافتتاح رغم مرضه ، واول عمل اهتم به المجلس الملي هو تأليف لجنة لصياغة مواد الدستور وقد تمت صياغة الدستور وصادق عليه الشاه في شهر كانون الثاني عام ١٩٠٧ م ثم مات الشاه بعد ذلك بأيام معدودة وذلك في ٤ كانون الثاني ١٩٠٧ م (٣٤)

وكان الدستور الايراني في كثير من نصوصه عبارة عن ترجمة حرفية للدستور البلجيكي الصادر عام ١٨٣٠ م فهو يقوم على اساس المبادئ الديمقراطية التي كانت شائعة في اوربا من حيث الاعتقاد بالقانون الطبيعي وحقوق الانسان، وقد تصدى الشيخ فضل الله النوري (٣٥) بقوة لمواجهة الانحراف الذي حدث في الحركة الدستورية وتصدى لمظاهر الانحراف بشدة و استطاع ان يحقق بعض المكاسب ومنها حصوله على تعهد من المجلس بأن تكون ايران دولة اسلامية وان احكام الاسلام ثابتة غير تغييرية وان المشروطة ان لا تخالف الشريعة الاسلامية مما دعا لجنة صياغة الدستور ان تجعله موافقا للشريعة الاسلامية لا يخالفها في شيء وهذا ما تؤكداه المادتين الاولى والثانية منه وفيما يلي نصهما :

المادة الاولى : الدين الرسمي للدولة هو المذهب الجعفري الاثنى عشري الحق من الاسلام ، ويجب على الشاه ان يقرب هذا المذهب و يحميه . المادة الثانية : ان المجلس الذي تم تشكيله ببركة امام العصر عجل الله فرجه ، وتفضل جلالة الشاه ، وسعي العلماء

كثر الله امثالهم ، و الامة الايرانية ، لا يجوز له ابدأ ان يسن اي قانون مناقض لشرائع الاسلام المقدسة (٣٦).

تولى محمد علي شاه عرش ايران في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٠٧ م ، بعد وفاة والده مظفر الدين ١٩٠٧ شاه في الرابع من الشهر ذاته ، وبدأ هذا الداهية يعمل على تحطيم الدستور الايراني وعلى حل المجلس النيابي هذا المجلس وذاك الدستور اللذين بذل العلماء جهودا جبارة مع فئات الشعب الايراني لتشكيلهما سنة ١٩٠٧ م على عهد والده مظفر الدين شاه ، لقد تمكن محمد علي شاه من هدم المجلس وتعطيل الدستور وقتل وسجن ونفي أبطاله في حزيران ١٩٠٨ الموافق ٢٣ جمادي الاولى ١٣٢٦ هـ (٣٧) ، وبذل الشاه محمد علي شاه الاموال وحشد الانصار في سبيل القضاء على حركة المشروطية في بلاده وكان الشعار الذي رفعه في ذلك هو ان الدستور بدعة مخالفة للشريعة الاسلامية ، وقد أيد الشاه في موقفه هذا لفيف من رجال الدين الكبار على رأسهم الشيخ فضل الله النوري وكان هذا الرجل من انصار المشروطية في اول الامر ثم انفصل عنهم واخذهم يحاربهم حربا لا هوادة فيها ويتهمهم بأنهم باييون (٣٨) .

وبعد ان انتصر الشاه في طهران ابرق الى ولاته في انحاء ايران يأمرهم بالغاء المشروطية وتشتيت شمل انصارها وسد نواديهم ، واخذ الولاة ينتقمون من انصار المشروطية ، فكانوا يجلدون من يقع في ايديهم منهم او يبعدونه او يحبسونه (٣٩) .، وجاء في نص بيان الشاه "اني وان قد وعدت اني يفتتح مجلسكم في ١٤ تشرين الثاني ١٩٠٨ م الا ان الاكثريه من اعضاء المجلس و الاهلين يلحون على صرف النظر عن افتتاحه ، ومن هذه الجهة صممت ان احقق رغبة الناس لان افتتاح المجلس وتحقيق الاسلام توأمان " (٤٠).

وقد رد المصلح الشيخ محمد كاظم الخراساني (٤١) على برقية الشاه بما نصه : "يا منكر الدين يا ايها الضال الذي لا نستطيع مخاطبتك بلقب "شاه" كان المرحوم ابوك اعطى الدستور ليرفع الظلم والتصرفات الغير قانونية عن الشعب الذي كان في ظلام دامس قرونا عديدة ، حيث انه لا يوجد في المشروطة شيء يخالف الدين وكنا ننتظر من شجرة الدستور ان تثمر السعادة للشعب المظلوم ويحافظ عليه بعد جلوسك على العرش ، ومن هذا الوجه اعترفنا لك بولاية العهد الدستوري ، وكذلك من اليوم الاول الذي تبوأ في عرش السلطنة ، وضعت تحت اقدامك جميع الوعود والايمان وعملت بجميع الحيل ضد المشروطة ، وقد تجلى لنا خطأنا فيك حيث سعيت ان تجعلنا آلة بيدك ضد المجلس وحاولت ان ترشونا بقانون اساسي تافه نظمته انت ، والذي كان فيه ضرر للناس وارادت ان نصادق عليه (والآن سمعنا انك ارسلت الينا احد رجالك المقربين لشراء ذممنا بالذهب ولست عالما ان سعادة الشعب اثم كثيرا من ذهبك) اننا نظن ان البيان الذي نشرته لأحياء المشروطة كان بتأثير الاجانب وكان كاتبه احد المجتهدين المعادين للاسلام من باع دينه وايمانه ووجدانه بالمال وهو من اتباع الشيطان ، وفي بيانه المذكور بحث عن الدين والشرعية ، ونحن بامر الله وأرادة الشعب وبأسم الشيعة المدافعين نقول له : إن ذكرك للدين والشرعية كذب وهراء ، اردت بكذبك هذا استغفال البسطاء المتمسكين بالدين لتمنع الدستور وتجعل الناس في ذل وفقر ، وعلى هذا انت عدو للدين المقدس وخائن للوطن وتشبه السارق الذي يسرق الناس بأسم الدين والشرعية . نحن الروحانيين من اهالي ايران نبلغك ان ننظر بدقة وتفكر في سعادة الشعب ، والافسوف يلعبك الشعب بالخيانة والمنكر ويلعنك الى الابد ، اعمل معروفًا مرة واحدة في حياتك بأن تعطي للشعب المظلوم الحرية ، انك انت و المجتهدين المرتزقة الذين يدعون بمخالفة المشروطة للشرع يتجاهلون حقيقة الدين بأن العدالة شرط حتى في الامور الجزئية ، ونحن بحسب

اطلاعنا عن البلاد المطبق فيها الدستور انها تدار بحسب القوانين و العدالة ، ونحن نقول بصراحة : ليس في المشروطة نقطة تخالف الدين الاسلامي بل انها تتفق مع احكام الدين واوامر الانبياء بخصوص العدالة ورفع الظلم عن الناس ، يقول المثل : كن في حراستك سارقا ولكن امنع الظلم عن الشعب ، اعط الشعب الدستور الحر لتتحسن احواله ، واحرق السند الشيطاني وانشر بيانا آخر تعطي فيه الحرية ، واذا حصل تأخر منك عما قلناه فإننا سوف نحضر جميعا في ايران ونعلن الجهاد ضدك ، ولنا في ايران اتباع كثيرون والمسلمون كثيرون ايضا فأنا أقسمنا على ذلك^(٤٢).

وكيل المجتهدين محمد كاظم الخراساني

استمر رجال الدين و الشعب في ضغطهم على الشاه حتى سقوطه على يد الثوار الايرانيين يوم ١٣ تموز ١٩١٣ ، فلجأ الشاه محمد علي وزوجته الى مبنى المفوضية الروسية في طهران ، بينما استقبل سكان طهران الثوار بحماس كبير ، ومباشرة عقد من تبقى من اعضاء المجلس الايراني اجتماعا استثنائيا قرروا خلاله خلع محمد علي شاه وتنصيب ابنه احمد على العرش الايراني باسم احمد شاه وكان وقتذاك يبلغ من العمر ١٤ سنة، فتم وضعه تحت وصاية عضد الدولة^(٤٣).

لقد وفرت الثورة الدستورية الايرانية في الفترة من ١٩٠٥-١٩١١ م ، رؤية لما ينبغي ان تكون عليه الحكومة الاسلامية للمجتهدين وكان مؤلف محمد حسن النائيني : " تنبيه الامة وتنزيه المله اشهر الاعمال النظرية والمنهجية التي كتبها فقيه شيعي دعما للدستور الايراني ، وكانت اهمية مؤلف النائيني الذي نشر في النجف في حوالي ١٩٠٩ م تكمن في صياغته نظرية سياسية تحدد مسؤولية الحكم بنظر المجتهدين وتسطر مبادئ مقاومتهم للحاكم وتمثيلهم في شؤون الدولة دون تعطيل الشريعة^(٤٤).

المبحث الثاني:

دور المرجعية الدينية في النجف في الاحداث الايرانية واثرت ذلك على المجتمع العراقي لآقت الثورة الدستورية الايرانية اهدافا" وتطورات، استجابة وتفاعلا"، توافقا" أو تضادا" مع المجتمع العراقي سيما موقف الطبقة المثقفة التي شكل لها هذا التفاعل في محصلته النهائية رافدا" مهما" من روافد بلورة وعيها السياسي وانضاج مفاهيمها الدستورية الديمقراطية المبكرة^(١)، ولفهم طبيعة هذا التفاعل وجذوره حري بنا أن نسلط الضوء على موقف رجال الدين في النجف وكربلاء من تطورات الاوضاع الداخلية الايرانية في عهد محمد علي شاه^(٢).

كان رجال الدين في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء في مقدمة المواكبين لأحداث الثورة الدستورية الايرانية، الامر الذي انعكس بشكل واضح في مواقفهم، تأييدا" ورفضاً" ^(٣)، وكان وجود المرجع الديني الاعلى في هذه المدن المقديية من العوامل التي قوت مركز قادة الثورة الدستورية الايرانية من رجال المؤسسة الدينية في ايران وشكلت عاملا" فاعلا" وقويا" في اسناد الحركة الدستورية هناك^(٤) الامر الذي عد، من اهم اسباب انتصارها ^(٥).

تلقت الحوزة العلمية في النجف الرسائل و الاستفتاءات من الشعب الايراني يستفسرون ويسألون من المجتهدين في النجف عن المشروعية هل هي حلال ام حرام، وكان جواب المجتهدين في اول الامر ان المشروعية موافقة للشريعة الاسلامية غير انهم انقسموا بعدئذ على منوال ما انقسم علماء ايران فأدى ذلك الى ظهور الجدل و التنازع في اوساط العامة مما كان له اثر البالغ في المجتمع العراقي و تطور وعيه السياسي (٤٥).

كانت اهمية الفترة الدستورية في العراق اهمية مزدوجة فهي اولا مكنت المجتهدين الشيعة في صياغة نظرية سياسية أرست اسس تمثيلهم في شؤون الدولة ، وثانيا ان الفترة الدستورية اتاحت للشيعة في العراق فرصة مناقشة وايضاح الافكار التي نادى بها المحدثون الاسلاميون ، وكان العامل المساعد الاخر هو الضغوط الاوربية المتزايدة و عمليات الغزو التي اشتدت على الارضي الايرانية و العثمانية منذ زمن الفترة الدستورية ، فان احتلال الاوربيين لاراضي اسلامية ثار الشعور والحماس الديني و السياسي ومكن المجتهدين الشيعة من الظهور بوصفهم قادة المعارضة الاسلامية في العراق(٤٦)

وصل الى العراق في اواخر اذار ١٩١٢م خبر مفاده ان الجيوش الروسية قصفت بالمدافع مشهد الرضا (ع) في خراسان فأنهدم جزء من القبة والسقف ، وأدى ذلك الى قتل و جرح عدد من الزوار الذين كانوا يتجهدون فيه ، فكان هذا الخبر بمثابة الشرارة التي الهبت حماس المسلمين،فساد الهياج في مختلف انحاء ايران و العراق ، ووجد المجتهدون في العراق أن من الضروري استئناف حركة الجهاد التي بدأها ودعا اليها السيد الملا محمد كاظم الخراساني في النجف الأشرف، ولكن وفاته في ليلة ١٢ كانون الاول ١٩١١م حالت دون ذلك (٤٧).

اجتمع في الكاظمية لفيف من المجتهدين لذات السبب المذكور آنفاً، وكان فيهم السيد مهدي الحيدري (٤٨)، و الشيخ مهدي الخالصي (٤٩)، و السيد اسماعيل الصدر (٥٠)، و الشيخ عبد الله المازندراني و الشيخ فتح الله الاصفهاني (٥١). و الشيخ محمد حسين القموشي (٥٢)، و السيد علي الداماد (٥٣)، و السيد مصطفى الكاشاني و صدر عن اجتماعهم قراراً " باعلان الجهاد على روسيا على منوال ما فعل الشيخ الخراساني الراحل ، وأمام ذلك امتنع مجتهدان كبيران عن الحضور الى مؤتمر

الكاظمية وعن الانضمام الى حركة الجهاد وهما الميرزا محمد تقي الشيرازي (٥٤) في سامراء والسيد كاظم اليزدي في النجف، وعندها قرر الشيخ مهدي الخالسي ان يسافر بنفسه اليهما بغية اقناعهما بالانضمام الى حركة الجهاد فلم يجد صعوبة في اقناع الشيرازي عندما ذهب اليه في سامراء غير ان عند ذهابه الى النجف لم يتمكن من الاجتماع باليزدي لمحدثته في الموضوع اذ كان الاخير يتهرب من لقياء المرة بعد الأخرى (٥٥) ..

من هذا يتبين ان اعلان الدستور في ايران آب ١٩٠٦م قد ادى الى حدوث انقسام حاد بين رجال الدين في النجف، اذ وقف بعضهم الى جانب الحركة الاصلاحية وأطلق على هؤلاء تسمية (المشروطية)، بينما وقف الآخرون الى جانب الحركة التي تنادي بالسلطة المطلقة للحكام وترفض الدستور وأطلق على هؤلاء (المستبدة) (٥٦). وقد ادرك بعض علماء الشيعة من ناصري المشروطية أن المشاكل التي يعانون منها سيكون بالامكان معالجتها بصورة افضل بالتنسيق مع صناع القرار (الحكام الدنيويين)، بزعامة الملا كاظم الخراساني (١٨٣٩-١٩١١م)، وهم الذين ساندوا الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١م، وايدوا قيام الاتحاديين باعادة الدستور العثماني (٥٧) للبلاد على أمل ان يأتي بالمساواة لهم مع الحكام السنة (٥٨)،

كان هؤلاء العلماء، يرون ان للمرجع المجتهد الولاية العامة على المؤمنين وقياداتهم، وله القرار الاخير في القضايا السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و حتى العسكرية، ومنها قيادة عمليات الجهاد ضد العدو الاجنبي المحتل، وبذلك لابد للمرجع الديني من معرفة قوة المسلمين وقوة اعدائهم والظروف الكيفية التي يعمل بها من اجل التصدي لهم، وكما لابد من الاستفادة من المختصين وخبرتهم في الامور

المذكورة سابقا لاعطاء رايته وقراره بكل قضية تمس حياة الشعب بعد النظر فيها (٥٩).

أما الرأي الآخر الذي تبناه مؤيدوا المستبدة و التفوا حول السيد محمد كاظم اليزدي وايدوا الحكم المطلق للملوك والحكام، فقد اعتبروا منصب المرجع هو منصب ديني ويقتصر مفهوم المرجعية على الافتاء للناس، ومراجعتهم له في احكامهم ونزاعاتهم وادارة امور المسلمين في عصر الغيبة و المتعلقة بشؤون المساجد و الاوقاف ورعاية القاصرين، وهذا يحدد دور المرجع المجتهدين على الفتيا و القضاء، ورجوع المسلمين اليه في احكام الشريعة الاسلامية دون الامور الاخرى (٦٠). وقد لمس هذا الرأي جليا، عندما استفتى لفيف من رؤساء العشائر في الفرات الاوسط السيد محمد كاظم اليزدي في موضوع الاستفتاء الذي طرحته الحكومة البريطانية على الشعب العراقي عام ١٩١٨م والذي تضمن ثلاث اسئلة و التي بني عليها الاستفتاء هي :

هل يرغبون في دولة عربية تحت الوصايا البريطانية ؟

هل يرغبون في هذه الحالة برئيس عربي؟

ومن هو الرئيس الذي يريدونه في هذه الحالة ؟

فقد حاول السيد اليزدي التخلي عن مسؤوليته وأجاب بأنه كرجل دين لا يعرف غير الحلال و الحرام ولا دخل له بالسياسة مطلقا وأن الامر خطير، ولكل واحد الحق في ابداء الرأي سواء اكان تاجرا ام بقالا، زعيما ام حمالا (٦١)، ثم قال : اختاروا ما هو اصلح للمسلمين (٦٢).

وهذا الرأي يغاير ما كان قد تبناه انصار المشروعية تماما سوى في الافتاء بالجهاد و امور السياسة والاقتصاد، ونستطيع ان نقول ان المشروعية كانت ذات اثر اجتماعي وفكري لا يستهان به في تطور المجتمع العراقي، ينبغي ان لا ننسى ان انصار

المشروطية كانوا في ذلك الحين يمثلون "الجهة التقدمية" بالنسبة للمرحلة الاجتماعية التي عاشوا فيها ، فهم كانوا يدعون الى تأسيس المدارس الحديثة وتعلم اللغات والعلوم الاوربية ومطالعة الجرائد و المجلات وهذه كانت يومذاك من الامور المستنكرة او المحرمة في نظر العامة والكثير من رجال الدين(٦٣) ..

كان شباب المشروطية في النجف من اكثر الناس اندفاعا في التطلع الى الحضارة الحديثة و الاقتباس منها فكانت الكتب و المجلات و الجرائد الحديثة ترد اليهم خلصة وكانوا يجتمعون في بيت احدهم سرا لمطالعتها ، واذا خرجوا من البيت اخفوها تحت عباءاتهم خوفا من العامة او المتزمتين من رجال الدين (٦٤). وحتى يتخلص اصحاب المشروطية من التناقض الخطير مع الاساس الفكري الذي قامت عليه ايدولوجية الشيعة الامامية ، حاول مفكرهم حل هذا الاشكال ، وكان ابرزهم في هذا المجال الشيخ محمد حسين النائيني (٦٥)، الذي صاغ نظرية طرحها في كتاب اسماء (تنبيه الامة و تنزيه الملة) في وجوب المشروطية ، طبعه بين عام ١٩١٧-١٩١٩م وهو نظرية سياسية جديدة تدعو لاقامة الحكم على اساس الدستور و الانتخاب و حكم الشعب من خلال ممثليه كحل لمرحلة الاستبداد و السلطة الجائرة (٦٦).

وفي تشرين الاول وتشرين الثاني ١٩١١م احتلت القوات الروسية و البريطانية اجزاء من شمال و جنوب ايران ، وكان اهم تطور في ذلك الوقت اتفاق مجتهدي مدن العتبات المقدسة كافة على الضرورة الملحة للدفاع عن الاسلام وعلى هذا الاساس ، نحى السيد محمد كاظم اليزدي الذي كان له اتباع كثيرون بين العشائر العربية الشيعية خلافاته العميقة مع المجتهدين المؤيدين للدستورية جانبا ، واصدر فتوى تدعوا المسلمين الى التضحية بارواحهم من اجل طرد القوات الايطالية و القوات

الانكلو - روسية من طرابلس الغرب (٦٧) وايران على التوالي ، واثارت دعوة المجتهدين الى الجهاد السكان المحليين ، لا سيما وانه اشيع ان الملا محمد كاظم الخراساني نفسه يعتزم قيادة المحاربين الى ايران، ووافق شيوخ العشائر على المساهمة بالسلاح وجند المتطوعين، وانجزت كل الترتيبات اللازمة للرحلة ولكن وفاة الخراساني المفاجئة في عشية الرحيل ادت الى الغاء العملية (٦٨).

برزت في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مؤشرات لميلاد فكر جديد مناقص للفكر التقليدي المحافظ في العراق و كان رواده يدعون الى التغيير في جوانب الحياة السياسية و الاجتماعية و الثقافية وفق اسس جديدة و متطورة ، متأثرين بالدعوات الاصلاحية لبعض المفكرين والمصلحين في العالم الاسلامي وكان على راسهم السيد جمال الدين الافغاني (٦٩) الذي كان لطروحاته وآراؤه الاصلاحية اثر كبير في توجيه اذهان الشباب والفئة الواعية من العلماء والمثقفين صوب الاصلاح والتجديد ونبد الحكم الاستبدادي والفردية في الحكم ، والتحرير على الدستور وسيادة القانون ، مع الحض على التمسك بقيم الاسلام الاصيل (٧٠) ومن رواد ذلك الفكر السيد محمد سعيد الحبوبى (٧١)، ومعروف عبد الغني الرصافي (٧٢)، وجميل صدقي الزهاوي (٧٣)، وعبد المحسن الكاظمي فقد خلقوا مدرسة جديدة في التفكير ونادوا ببعض الافكار ذات الاتجاه القومي التحرري الواردة من مصر وبلاد الشام وباريس اذ كانت تصدر مجلة العروة الوثقى التي كان يصدرها السيد الافغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده، وكان الزهاوي و الرصافي قد عبروا في نتاجهما الادبي عن النزعة التجديدية في العراق (٧٤).

الحركة الدستورية العثمانية وموقف المرجعية و الشعب العراقي منها:

تم في ٢٣ كانون الثاني ١٨٧٦م اعلان الدستور العثماني (٧٥) ، وقد شكل ذلك الاعلان، نصرا للمفكرين ودعاة الاصلاح في الولايات العثمانية واستبشروا الجميع بذلك، وتأملوا خيرا بالايام المقبلة (٧٦). وبموجب الدستور تم تشكيل عمومي متكون من هيأتين هما : هيئة الاعيان و هيئة المبعوثان (٧٧)، وحدد فترة انعقادهما بأربعة اشهر ويتم انتخاب هيئة المبعوثان من قبل الدوائر الانتخابية وبعثوا واحد من كل خمسين ألف شخص ، واجتمع مجلس المبعوثان لأول مرة في ١٩ آذار ١٨٧٧م (٧٨) ، في دار الفنون (جامعة اسطنبول العثمانية القديمة) وحضر الجلسة آنذاك اربعة وثمانون من اعضاء مجلس المبعوثان واثنان وثلاثون من اعضاء مجلس الاعيان (٧٩) ، ونص اعلان الدستور على حرية اعضاء البرلمان في ابداء اراءهم وفي التصويت ، وحددت رواتبهم ، وكذلك تضمن ان يجري انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان كل اربعة سنوات ، ويمثل النائب المنتخب جميع العثمانيين وليس ناخبه فقط ، وتجري الانتخابات بالاقتراع السري (٨٠).

لقد حفت بالسلطان عبد الحميد الثاني (٨١)، ظروف في غاية الصعوبة في بداية استلامه لمقاليده السلطنة في اسطنبول، ومنها انداز روسيا القيصرية الى الدولة العثمانية اثر الحرب بين الدولة العثمانية من جهة والصرب والجبل الاسود من جهة اخرى ، وطلبت فيه روسيا وقف القتال خلال ثمان واربعين ساعة ، واعلان هدنة تتراوح مابين ستة الى ثمانية اسابيع واعلنت التعبئة الجزئية ، فخشيت بريطانيا من ان تنفرد روسيا بالدولة العثمانية وواعزت الى سفيرها في روسيا لمقابلة القيصر الكسندر الثاني لمعرفة نواياه ، وقد طلب القيصر عقد مؤتمر دولي فورا لمبحث المسألة

الشرقية^(٨٢)، والقضية البلقانية، والا فان روسيا ستنجز المهمة لوحدها، لذا تم عقد مؤتمر في اسطنبول بدعوة من بريطانيا و الدول الكبرى، فحضرت المؤتمر كل من الدولة العثمانية و الامبراطورية الالمانية و امبراطورية النمسا و المجر و الجمهورية الفرنسية و بريطانيا و ايطاليا و روسيا و افتتح المؤتمر في ٢٢ كانون الاول ١٨٧٦ م، واستمر لغاية ٢٠ كانون الثاني ١٨٧٦ م، واثناء انعقاد اعمال المؤتمر وتحديد في ٢٢ كانون ١٨٧٦ م ثم الاعلان عن الدستور كما بينا سابقا^(٨٣).

في شهر آيار في عام ١٨٧٧ م اي بعد مرور عشرة اشهر على تسلم عبد الحميد الثاني زمام الحكم نشبت حرب اخرى بين روسيا و الدولة العثمانية، وقد اندحرت الدولة العثمانية في تلك الحرب واندفعت القوات الروسية نحو اسطنبول بزخم شديد، فأحتلت مدينة أدرنة في ٢٨ كانون الثاني ١٨٧٨ م، وسرعان ماوصلت الى سواحل بحر مرمرة، حيث اصبح بمقدور الناظر من هناك ان يلمح منائر اسطنبول وهي تتراءى له في الافق، امام ذلك الموقف جرت على عجل مفاوضات بين روسيا و الدولة العثمانية، عقدت في اثر ذلك، معاهدة مؤقتة بينهما في ٣ آذار ١٨٧٨ م، عرفت بأسم (معاهدة سان ستيفانو)^(٨٤)، وقد حصلت روسيا بهذه المعاهدة على قلعة قارص في ارمينيا وكذلك على باطوم، ووافقت الدولة العثمانية على استقلال بلغاريا، وفي مؤتمر برلين^(٨٥) الذي عقد في شهر حزيران لم تصادق بريطانيا على اتفاق سان ستيفانو الا بعد ان حصلت من الدولة العثمانية على جزيرة قبرص وكأنها ارادت بذلك ان تأخذ تعويضا عن مساعدتها للدولة العثمانية في ساعة المحنة^(٨٦).

شعر السلطان عبد الحميد ان بريطانيا لا تختلف عن روسيا من حيث اطماعها في امتلاك الدولة العثمانية، وتبين له اخيرا، انه يتوجب عليه الحذر من الدولة الاوربية كلها على حد سواء عملا بالمبدأ الاسلامي القائل: "الكفر ملته واحدة"، وكان

هذا هو المبدأ الذي سيطر على عقله فيما بعد حتى آخر يوم من حياته ، وهذا التحول الذهني لدى السلطان عبد الحميد جعله يزداد نفورا من الحركة الدستورية ودعاتها ، وكأنه ادرك ان هذه الحركة ليست سوى دسيسة من الدول الغربية يراد منها هدم الدولة العثمانية ونهبها وأن دعاة تلك الحركة ليسوا سوى صنائع لتلك الدولة او عملاء لها (٨٧).

أمام هذا الشعور جعل السلطان عبد الحميد يصدر اوامره بتعطيل الدستور مؤقتا، وطلب من الاعضاء العودة الى بلادهم، ونفى البارزين منهم وسجن البعض الآخر (٨٨). وظل الدستور معطلا مدة ثلاثين سنة و خمسة اشهر وتسعة ايام، ولغرض معالجة تلك الانتكاسة في مجال الاصلاح السياسي الدستوري تحرك بين الاعوام ١٧٨-١٩٠٨م، رجال الاصلاح والسياسيون لاعادة العمل بالدستور ونشط المثقفون و المتنورون الاصلاحيون وتحول نشاطهم الثقافي الى نشاط سياسي سري، فتأسست في أيار ١٨٨٩م جمعية الاتحاد والترقي (٨٩)، وكانت غايتها الاساسية اعادة الحياة الدستورية الى البلاد (٩٠).

نشط السلطان عبد الحميد الثاني مقابل ذلك، في نشر فكرة الجامعة الاسلامية واستخدم السلطان كل الامكانيات المتاحة في ذلك الوقت من اتخاذ الدعاة من مختلف جنسيات العالم الاسلامي من العلماء المبرزين في مجالات السياسة و الدعاة الذين يمكن ان يذهبوا الى ارجاء العالم الاسلامي المختلفة للالتقاء بالشعوب الاسلامية وفهم ما عندهم وابلاغهم وبآراء وتوجيهات السلطان ونشر العلوم الاسلامية (٩١).

اصبح شعار الجامعة الاسلامية محورا للسياسة العثمانية طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد مثل هذا الشعار في الاساس التيار الفكري والسياسي ضد

التحديات التي تواجه الفكر الاسلامي و الامة الاسلامية سواء كانت التحديات من داخل الاوطان الاسلامية أو من خارجها ، وقد التقت الدعوة الى شعار (الجامعة الاسلامية) ، بالافكار التي كان يدعوا اليها السيد جمال الدين الافغاني^(٩٢)، بخصوص الجامعة الاسلامية تحت راية السلطان العثماني^(٩٣). و الثابت ان المرجعية الدينية وما تمثله من ثقل في قيادة جماهير الشيعة، قد قابلت دعوة السلطان عبد الحميد للجامعة الاسلامية بالفتور كنتيجة منطقية لانتفاء الشرعية في نظرهم بالسلطة القائمة وكل سلطة قامت قبلها^(٩٤).

وقد لمس موقف المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف وجميع المدن العراقية المقدسة من الاحداث السياسية حول فتني المشروطية والمستبدة بوضوح من خلال الصراع الذي كان سائدا^(٩٥) بينهما. كان موقف المرجعية بغالبية علمائها واضح ومساند للمشروطية و الدستورية ، في ايران وهذا ما مر ذكرناه في سياق بحثنا . كذلك كان الموقف التوجيهي للمرجعية الدينية الشيعية المتمثلة بالشيخ محمد كاظم الخراساني ، من ثورة الدستور العثماني داعم ومساند فقد بعث برقية مفصلة الى السلطان عبد الحميد قبيل ثورة الدستور تتضمنت ارشادات ونذر، الى جانب الدعوة الملحة للاستجابة للحياة الدستورية في البلاد واكثر من ذلك ، لقد بعث الشيخ الخراساني رسالة شديدة اللهجة الى السلطان عبد الحميد الثاني في ايامه الاخيرة، يطالبه بمعالجة الموقف و اقرار الحياة الدستورية وتفويت الفرصة على الاتحاديين في ثورتهم مما اثار بعض العلماء ضده خوفا من انتقام السلطان من المرجعية الدينية الشيعية وعموم الشيعة، الا انه طمأنهم بقوله : "لا تخافوا ولا تلومونني فقد استخرت الله فخار لي ذلك وانه معنا وسينصرنا على القوم الكافرين"^(٩٦).

لقد تزامن نجاح جمعية الاتحاد والترقية بفرض الدستور على السلطان عبد الحميد في ٢٣ تموز ١٩٠٨م عن طريق قيام الانقلاب ضده ، وفي اليوم الثاني من الانقلاب فرض دستور ١٨٧٦م ثم جرت الانتخابات البرلمانية وصدرت أوامر بإلغاء الرقابة على المطبوعات وعلى مؤسسات الدولة والمجتمع، وبذلك لم يستطع السلطان عمل شيء تجاه رسالة المرجع الخرساني الشديدة اللهجة التي بعثها الى السلطان قبيل ثورة الاتحاديين بقليل (٩٧). وفي ظل الظروف المعقدة والحرجة اعلن عبد الحميد الثاني مضطرا "ان دستور عام ١٨٧٦م كان يدخره لشعبه حتى يحين الوقت للانتفاع به" (٩٨).

اجراء انتخابات مجلس المبعوثان العثماني:

صدر الفرمان (٩٩) السلطاني، بعد اعلان الدستور، باجراء الانتخابات لأعضاء مجلس المبعوثان في كافة الولايات العثمانية، فاستغل الاتحاديون جهل العراقيين بقضايا الانتخابات واهميتها ، وبذلك فقد نفذوا اغراضهم في انتخاب وتحديد عدد المرشحين من العراق بسبعة عشر نائبا . وكانت عملية الانتخاب سهلة لانه لم يكن هناك غير امرشحي جمعية الاتحاد والترقي ، وقد فاز كل من الاسماء التالية من المدن العراقية .

بغداد : اسماعيل حقي بابان ، الحاج علي علاء الدين الالوسي ، ساسون حسقييل.

الديوانية : شوكت باشا ، السيد مصطفى نور الدين الواعظ .

كربلاء : الحاج عبد المهدي الحافظ .

البصرة : السيد طالب النقيب ، احمد باشا الزهيري .

المنتفك (الناصرية) : رأفت السندي ، خضر لطفي.

الموصل : محمد علي حافظ ، داوود يوسفاي .

السيلمانية: الحاج ملا سعيد كركوكلي زادة.

كركوك: الحاج علي بن الحاج مصطفى قبردار، صالح باشا النفطجي.

العمارة: عبد المحسن السعدون، عبد المجيد الشاوي (١٠٠).

يبدو ان عودة الدستور العثماني لم تقبل بالحماس في العراق وكان الموقف العام مشوبا بالشك والحذر من التغيير الجاري، على ان الاستجابة اختلفت باختلاف الجماعات، فقد تحيرت العامة التي استعصت عليها الامور من التغيير المفاجئ، ولم تفهم الدعايات العريضة و الشعارات الخاصة بالنظام الجديد، وفهم البعض من كلمة المساواة التي رفعتها جمعية الاتحاد والترقي، انها تعني المساواة بين المسلمين وغير المسلمين الامر الذي اثار المخاوف الكبيرة، باعتباره اجراء يجردهم من حقوقهم الثابتة.

اما بالنسبة للآخرين فكانت الحرية تعني لهم الرذيلة، اما في النجف وكربلاء فقد جرى الترحيب بالثورة من قبل العرب والايروانيين القاطنين في تلك المدينتين، لانها من جهة قد تؤدي الى تقديم العون والمساعدة من قبل الاتراك لصالح الحركة الدستورية الايرانية، وعلى امل ان تأتي الثورة من جهة اخرى بالمساواة للشيعنة مع السنة الحاكمين، وهذا وقد رفضت مدن العتبات المقدسة من ناحية اخرى المساواة مع الاديان الاخرى (١٠١).

ومما لاشك فيه ان قيام الثورة الدستورية في الدولة العثمانية وان اختلفت في العديد من مساراتها عن الثورة الدستورية الايرانية، الا انها في المحصلة النهائية وفرت مناخا مناسباً اثر ايجابيا في موقف العراقيين المؤيدين للثورة الدستورية الايرانية وفعاليتهم (١٠٢).

لم تمض على اعلان الدستور العثماني سوى مدة قصيرة حتى تألفت في اسطنبول جمعية بأسم (الجمعية المحمدية) تحمل الصبغة الدينية في مظهرها الخارجي،

بينما هي في الواقع ذات هدف سياسي تعمل لمحاربة العهد الجديد و القضاء عليه ، واستطاعت هذه الجمعية ، القيام بانتفاضة ضد جمعية الاتحاد و الترقى في اسطنبول، مطالبة بحكم الشريعة الاسلامية (١٠٣) ، ولكن بعد ثلاثة ايام من الواقعة استطاعت جمعية الاتحاد و الترقى من سحق الانتفاضة و خلع السلطان عبد الحميد و نصبت مكانه محمد رشاد (١٠٤)، الذي كان تحت سيطرتها (١٠٥)، ومنذ ذلك الحين دأبت جمعية الاتحاد و الترقى الى تطبيق سياسة التتريك و العثمنة التي تدعوا الى التركيز على اللغة و الاداب التركية و اجبار القوميات الاخرى السير في هذا الاتجاه .

وقفنا فيما تقدم على دور المرجعية الدينية في العراق من الاحداث في العالم الاسلامي ، وخصوصا الثورتين الدستوريتين الايرانية و العثمانية، من خلال المشاركة الفاعلة في بث روح الحماس و الثورة في صفوف المسلمين و الثوار في البلدين و تقديم كل العون لهم من اجل و المساهمة في تخليصهم من الظلم و الاستبداد . و حماية بلاد الاسلام من الاعيب الاستعمار و سياساته العدوانية .

الخاتمة:

لم يقتصر دور المرجعية الشيعية على الامور الفقهية و الدينية البحتة، و انما تعدى ذلك ضمن نطاق تكليفهم الشرعي، الى الواجبات الاخلاقية و الانسانية المتمثلة بالوقوف ضد الظلم و الاستبداد، ايا كان مصدره و نوعه، و لذلك كان لمراجع الدين في النجف الاشرف ، دور كبير في تبني امال و طموحات ، الشعب الايراني المسلم الذي ابتلى بملوك طغاة مستبدين و فاسدين على شاكلته ملوك الاسرة القاجارية و خصوصا ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦) و ابنه مظفر الدين (١٨٩٦-١٩٠٧)

والذين جعلوا من ايران بلداً غارقاً في الظلم والفساد والاستبداد. مما عجل في قيام

الثورة الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١.

لاقت الثورة الدستورية الايرانية اهدافاً وتطورات، استجابة وتفاعلاً، "توافقاً" أو تضاداً مع المجتمع العراقي سيما موقف الطبقة المثقفة التي شكل لها هذا التفاعل في محصلته النهائية رافداً مهماً من روافد بلورة وعيها السياسي وانضاج مفاهيمها الدستورية الديمقراطية المبكرة. وكان رجال الدين في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء في مقدمة المواقبين لأحداث الثورة الدستورية الايرانية، الامر الذي انعكس بشكل واضح في مواقفهم، تأييداً ورفضاً، وكان وجود المرجع الديني الاعلى في هذه المدن المقدية من العوامل التي قوت مركز قادة الثورة الدستورية الايرانية من رجال المؤسسة الدينية في ايران وشكلت عاملاً فاعلاً وقوياً في اسناد الحركة الدستورية هناك الامر الذي عد، من اهم اسباب انتصارها.

كانت اهمية الفترة الدستورية في العراق اهمية مزدوجة فهي اولاً مكنتم المجتهدين الشيعة في صياغة نظرية سياسية أرست اسس تمثيلهم في شؤون الدولة ، وثانياً ان الفترة الدستورية اتاحت للشيعة في العراق فرصة مناقشة وايضاح الافكار التي نادى بها المحدثون الاسلاميون ، وكان العامل المساعد الاخر هو الضغوط الاوربية المتزايدة وعمليات الغزو التي اشتدت على الاراضي الايرانية والعثمانية منذ زمن الفترة الدستورية ، فان احتلال الاوربيين لاراضي اسلامية ثار الشعور والحماس الديني والسياسي ومكن المجتهدين الشيعة من الظهور بوصفهم قادة المعارضة الاسلامية في العراق.

كذلك كان الموقف التوجيهي للمرجعية الدينية الشيعية المتمثلة بالشيخ محمد كاظم الخراساني، من ثورة الدستور العثماني داعم ومساند فقد بعث برقية مفصلة

الى السلطان عبد الحميد قبيل ثورة الدستور تتضمنت ارشادات ونذر، الى جانب الدعوة الملحة للاستجابة للحياة الدستورية في البلاد واكثر من ذلك ، لقد بعث الشيخ الخراساني رسالة شديدة اللهجة الى السلطان عبد الحميد الثاني في ايامه الاخيرة، يطالبه بمعالجة الموقف وقرار الحياة الدستورية وتفويت الفرصة على الاتحاديين في ثورتهم مما اثار بعض العلماء ضده خوفا من انتقام السلطان من المرجعية الدينية الشيعية وعموم الشيعة، الا انه طمأنهم بقوله : "لا تخافوا ولا تلموموني فقد استخرت الله فخار لي ذلك وانه معنا وسينصرنا على القوم الكافرين".

ان عودة الدستور العثماني لم تقابل بالحماس في العراق وكان الموقف العام مشوبا بالشك والحذر من التغيير الجاري، على ان الاستجابة اختلفت باختلاف الجماعات ، فقد تحيرت العامة التي استعصت عليها الامور من التغيير المفاجئ ، ولم تفهم الدعايات العريضة والشعارات الخاصة بالنظام الجديد ، وفهم البعض من كلمة المساواة التي رفعتها جمعية الاتحاد والترقي، انها تعني المساواة بين المسلمين وغير المسلمين الامر الذي اثار المخاوف الكبيرة ، باعتباره اجراء يجردهم من حقوقهم الثابتة . اما بالنسبة للآخرين فكانت الحرية تعني لهم الرذيلة ، اما في النجف و كربلاء فقد جرى الترحيب بالثورة من قبل العرب و الايرانيين القاطنين في تلك المدينتين ، لانها من جهة قد تؤدي الى تقديم العون والمساعدة من قبل الاتراك لصالح الحركة الدستورية الايرانية ، وعلى امل ان تأتي الثورة من جهة اخرى بالمساواة للشيعة مع السنة الحاكمين ، وهذا وقد رفضت مدن العتبات المقدسة من ناحية اخرى المساواة مع الاديان الاخرى .

ومما لاشك فيه ان قيام الثورة الدستورية في الدولة العثمانية وان اختلفت في العديد من مساراتها عن الثورة الدستورية الايرانية، الا انها في المحصلة النهائية وفرت مناخا

مناسباً" أثر ايجابيا في موقف العراقيين المؤيدين للثورة الدستورية الايرانية وفعاليتهم بقيادة المرجعية الدينية ومواقفها المسؤول

الهوامش:

^١()الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، بيروت، دار القلم للطباعة والنشر، ١٩٩٦م، ص ٣٤٢.

^٢() علاء عزيز كريم، موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩٢١ (٢) ١٩٢٤، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بابل: كلية التربية، ٢٠٠٧م)، ص ٢٦.

^٣() الشيعة: الشيعة في اللغة هو الاتباع والانصار والاعوان ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، وأصل ذلك في المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة، وقد اختص هذا اللفظ بمن تولى عليا (ع) وبنيه (عليهم السلام)، وأقر بأمامتهم، حتى صار يتصرف اليهم اذا اطلق عند الاستعمال من دون قرينة واسارة: قال ابن خلدون: "أعلم ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلق والسلف على اتباع علي وبنيه (عليهم السلام) " للمزيد ينظر: محمد حسين المظفر، تاريخ الشيعة، مراجعة وتحقيق: احمد كاظم البغدادي، قم: مطبعة شريعة، ٢٠١٢)، ص ٢٩-٣٠؛ محمد حسين آل كاشف الغطاء، اصل الشيعة وأصولها، تقديم مرتضى العسكري، (بيروت: مؤسسة المرشد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م)، ص ٧-٣٣.

^٤() حسين محمد علي الفاضلي، لمحة في تاريخ انشاء الحوزات العلمية، "المرشد"، (مجلة)، قم، العددان (١٧-١٨)، بيروت: مطبعة دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٤م، ص ٢٩٢.

^٥() حيدر نزار السيد سلمان، المرجعية الدينية في النجف ومواقفها السياسية في العراق من ١٩٥٨م - ١٩٦٨م، (بيروت: دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر، ٢٠١٠م)، ص ١٧.

^٦() حيدر نزار السيد سلمان، المصدر نفسه، ص ١٧.

^٧() محمد جواد مالك، الحوزات والجامعات (تقويم ومقارنة)، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٩٩٤م)، ص ٦٤-٦٥.

^٨() مجموعة من الباحثين، مشروع المرجعية الدينية وآفاق المستقبل لدى السيد كمال الحيدري، بيروت، مؤسسة الثقليين للثقافة والاعلام، ٢٠١١)، ص ٨١.

^٩() علاء عزيز كريم، المصدر السابق، ص ٢٩.

^{١٠}() حيدر نزار السيد سلمان، المصدر السابق، ص ٢٤؛ مرتضى علي الالوسي، كريلاء في دليل الخليج العربي، (الحدة، مطبعة دار الفرات، ٢٠١٤م)، ص ١٠٢.

١١) عباس كاشف الغطاء، المدخل الى الشريعة الاسلامية، (بيروت: شركة صبح للطباعة والتجليد، ٢٠١٢م)، ط٤، ص٣.

١٢) حسين محمد علي الفاضلي، المصدر السابق، ص٣٠٧-٣٠٨.

١٣) ولد السيد محمد سعيد الحكيم في النجف الاشرف في الثامن من شهر ذي العقدة الحرام عام ١٣٥٤ هـ وقد حظي من طفولته برعايته والده، ومن اساتذته الذي اشرفوا على تدريسه والده، واية الله الشيخ حسين الحلي، واية الله العظمى السيد الخوئي، وبعد وفاة السيد الخوئي كثر الرجوع الى سماحته في كثير من الامور اما مؤلفاته فعديدة منها منهاج الصالحين الجزء الاول والثاني، و مناسك الحج و العمرة و المحكم في اصول الفقه وغيرها، ينظر: احمد عبد الرسول جبر عباس الشجيري، الموسوعة الشاملة لشخصيات عراقية معاصرة، (بيروت: الدار البيضاء، للطباعة والنشر، ٢٠١٤م)، ص٧٠٦-٧١٠.

١٤) محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، المرجعية الدينية وقضايا اخرى، (النجف الاشرف: دارالهلال للطباعة والنشر، د.ت)، ط٥، ص٢٦.

١٥) عبد الحسين الصالحي، الحوزات الاسلامية في الاقطار الاسلامية، (بيروت: بيت العلم للنهابين، ٢٠٠٤م)، ص٥٦-٥٧.

١٦) مظفر الدين شاه (١٨٥٣-١٩٠٦م) ولد في تبريز تبوأ عرش ايران ١٨٩٦-١٩٠٨م بعد مقتل والده ناصر الدين شاه، وكان هذا الشاه مريض وضعيف الشخصية وكان الانحلال والانحطاط والتردي سمه عهده وحكمه وقضي شبابه في الكسل والبحث عن الملذات، وعندما اصبح شاهاً لم يظهر أي مجهود او اهتمام بهام الدولة، ولم يمر عام على تسلمه العرش حتى عزل امين السلطان من منصب الصدارة (رئيس الوزارة) وعين بدلا عنه ميرزا علي خان (امين الدولة) الذي سعى لازدهار الدولة ورفقيها، وبعد تردي اوضاع ايران اعطى منصب الصدارة لصهره (عين الدولة) للمزيد، انظر: وداد جابر غازي، الحياة النيابية في ايران ١٩٤١-١٩٧٩م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠١٠م)، ص١٦-١٧؛ لازم لفته ذياب، ايران في عهد مظفر الدين شاه ١٨٩٦-١٩٠٧م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة البصرة: كلية الاداب، ١٩٩٧)، ص٣٩-١٨٠.

١٧) صباح كريم رباح الفتلاوي: ايران في عهد محمد علي شاه ١٩٠٧-١٩٠٩م دراسة تاريخية في التطورات السياسية الداخلية، (النجف الاشرف: دار التميمي للنشر والتوزيع، ١٤٣٢م/٢٠١١م)، ص٨٨.

١٨) خضير مظلوم فرحان البديري، التأريخ المعاصر لايران وتركيا، مطبعة دار الضياء، النجف الاشرف، ٢٠٠٩م، ص٤٣.

١٩) المصدر نفسه، ص٤٤.

٢٠) (البازار : كلمة فارسية تعني السوق التجاري ، ولم يكن البازار في الحقيقة مجرد سوق لتجمع صغار التجار فاحسب ، بل شبكة واسعة جدا في الاتصالات والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي تربط بين مكونات البازار نفسه من الزبائن ، فهو مخزن للمواد ومكان لعمل ومركز ثقافي وفكري للمجتمع وسوق لبيع الذهب والفضة وكذلك المواد الغذائية والمنزلية ، فضلا عن الصناعات الحرفية التقليدية الاخرى : للمزيد انظر غانم ناصر حسين البديري ، الدور السياسي للبازار في التطورات الداخلية في ايران (١٩٦٣-١٩٧٩م) رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الكوفة : كلية الاداب ، ٢٠٠٦م) ، ص ٨-١٣ .

٢١) (كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي (قم: مطبعة برهان، ٢٠٠٦م) ، ص ١٦٢-١٦٣ .

٢٢) (عين الدولة : هو السلطان عبد المجيد ميزابن احمد ميرزابن فتح علي شاه الملقب بـ (عين الدولة) ولد في طهران وتعرف على مظفر الدين شاه عندما كان وليا للعهد في اذربيجان وتدرج في المناصب العليا المختلفة من وزير الى منصب الصدارة العظمى ، دخل في صراع عنيف مع الدستوريين وكان مكروها من قبلهم وتنحى عن الصدار العظمى عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م تحت ضغط الدستوريين ، للمزيد ينظر: حسن كريم الجاف ، الوجيز في تاريخ ايران - دراسة في التاريخ السياسي منذ ظهور الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية - ج ٣ ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٦١) ؛ نجده فتحي صفوة ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) ١٩١٤-١٩١٥م ، مج ١ ، (بيروت : دار الساقى ، ١٩٩٦م) ، ص ١١٣ .

٢٣) (القاجار : قبيلة تركمانية تنسب الى قاجار توبان بن سرتق احد جنود هولاكو خان ، وقد استقرت مدة طويلة في ارمينية ، وكان تيمورلنك هو الذي احضرها الى بلاد فارس ، وهي احدى قبائل قزل باش التي كانت تساند الاسرة الصفوية ، ويذكر ان القبيلة المذكورة نزحت من مساكنها الاصلية في اسيا الوسطى الى الشرق الاوسط خلال القرن الرابع عشر ميلادي واستقرت في اذربيجان ومازندران قبل ان يقوم مؤسسها اغا محمد خان ويجعل السلطة في سلالته ، ولم تظهر هذه القبيلة على المسرح السياسي الايراني الا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، اذ كانت تمد الدولة الصفوية انذاك بالجند ، وعدت احدى القبائل السبع التي اسهمت في تأسيسها ، للمزيد، ينظر: علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠ (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩م) ، ص ١٣٠ ؛ خضير مظلوم فرحان البديري، التاريخ المعاصر لايران وتركيا ، المصدر السابق ، ص ٥ .

٢٤) (خضير مظلوم فرحان البديري ، المصدر السابق ، ص ٤٣-٤٤ .

٢٥) (كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي ، المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

٢٦) (السيد محمد الطباطبائي ، (١٢٥٧-١٣٣٩هـ) ، علامة جليل ، ولد في كربلاء ، ١٩ ذي الحجة ، في السادس من عمره هاجر والده السيد عبد الله الى طهران ، وحضر عليه وعلى السيد ابو الحسن

جلوه والشيخ هادي النجم آبادي وصار من اعلامها البارزين وكان له مع السيد عبد الله الهبهاني صداقة اخوية حتى استشهد في سبيل الله. ينظر: احمد الحائري الاسدي، مشاهير الاعلام في عالم الصور، مج ١، (كربلاء: مركز الطبع و التوزيع في مكتبة العلامة ابن فهد الحلي، ٢٠١٤م)، ص ٢٢٣.

٢٧) السيد عبد الله الهبهاني: (١٢٥٦-١٣٢٨هـ) فقيه كبير وزعيم مناضل، ولد في النجف يوم ١٢ ربيع الاول ١٢٥٦هـ وحضر على اعلامها منهم والده السيد اسماعيل والسيد حسين الكوهكمري والشيخ راضي الشيخ حبيب الله الرشتي والفاضل الايرواني وغيرهم، ثم انتقل الى طهران وصار الزعيم المبرز والمشهور بين الاوساط العلمية. وخدماته معروفة حتى ادى شهادته في ٨ رجب. ومن مؤلفاته: تقارير اساتذته، الرسائل الفقهية، رسالته العلمية. ينظر: احمد الحائري الاسدي، مشاهير الاعلام في عالم الصور، المصدر السابق، ص ١٣٥.

٢٨) أغا: كلمة فارسية تطلق للتعبير عن الاحترام، وقد اطلق هذا اللقب على شيوخ الاكراد و كبارهم ايضا وهي لفظة تعني بالتركية السيد او القائد او الاخ الاكبر، كما اطلقت على رؤساء الفرق العسكرية عامة و منهم الانكشارية، فقد سمي قائد الانكشارية ب(أغا الانكشارية) وهي لفظة تد على الاحترام والتعظيم في الشرق للمزيد انظر: ضياء محمد جميل عباس علي، الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني الفاتح، (١٤١٥-١٤١)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل: كلية الاداب، ٢٠٠٢)، ص ٩٩.

٢٩) (علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٣، بيروت: دار الراشد، ٢٠٠٥م)، ط ٢، ص ١٢٢-١٢٣.

٣٠) (كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي، المصدر السابق، ص ١٦٤).

٣١) (علي الوردي، لمحات اجتماعية ...، المصدر السابق، ص ١٢٣-١٢٤).

٣٢) (عبد الله المازندي: هو عبدالله بن محمد نصير الجيلاني المازندراني، ولد في بارقروشه مازندران سنة ١٢٥٦ ÷ ونشأ فيها قرأ المقدمات الادبية والشعية في بلاده ثم هاجر الى كربلاء وحضر على الشيخ زين العابدين المازندراني ومنها انتقل الى النجف وحضر على الشيخ مهدي ال كاشف الغطاء والفاضل الايرواني والشيخ حبيب الله الرشتي واختص به، استقل بالزعامة الدنية بعد وفاة استاذة الرشتي ورجع اليه بالتقليد كثير من اهل العراق وايران، له عدة مؤلفات، توفي في النجف يوم ١٤ ذي الحجة ١٢٣٠هـ، ودفن في الصحن الشريف، ينظر: كاظم عبود الفتلاوي، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، (النجف: مطبعة التعارف، ٢٠١٠م)، ط ٢، النجف، ص ٢٢٠.

٣٣) (اسحاق نقاش، شيعة العراق، (قم: مطبعة امير رقم، ١٩٩٨م)، ص ٧٥).

٣٤) (صباح كريم رياح الفتلاوي، ايران في عهد محمد علي شاه، مصدر سابق، ص ١١٣).

٣٥ (الشيخ فضل الله النوري: (١٢٥٨-١٣٢٧هـ) فقيه مناضل ومدرس جامع ، ولد في مازندران وحضر على اعلامها ثم هاجر الى النجف ودرس عند مشاهيرها امثال شيخ ثم هاجر الى سامراء مع خالة المحدث النوري وحضر عند السيد محمد حسن الشيرازي ثم هاجر الى طهران واستقر بها واشتغل بالوظائف شرعية حتى استشهد يوم ١٣ رجب ، مؤلفاته : الصحيفة المهدية ، رسائل في الفقه و الاصول ، تذكر الغافل وغيرها ، ينظر: احمد الحائري الاسدي ، مشاهير لاعلام ، المصدر السابق ، ص ١٨٨.

٣٦ (للاطلاع على نصوص الدستور واصلاحياته ينظر: كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي، المصدر السابق ، ص ١٧٢-١٧٣.

٣٧ (محمد كمال الدين النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨ م ، تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري، (بيروت: دار القاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥م، ص ١٣٣.

٣٨ (البابية : حركة مذهبية ظهرت في عهد محمد شاه ثالث الحكام القاجاريين في ايران ، ثم انتشر في عهد ابنه ناصر الدين شاه ، حيث ظهر سيد علي محمد الشيرازي سنة ١٨٤٤م ، في شيراز وادعى انه المهدي المنتظر و لقب نفس بر (باب الامام الغائب) لذلك عرف دعوته بالبابية، للمزيد ينظر: صباح كريم رياح الفتلاوي ، جمال الدين الافغاني ، و لعراق -دراسة تحليلية في التأثير و التأثير المتبادل ، مراجعة كمال مظهر احمد ، (بيروت: العارف للمطبوعات ، ٢٠١٤م، ص ٣٧٦-٣٧٧ (هامش ٥) ينظر: الوثيقة رقم (٣) التي اُفتى بها علماء النجف وكربلاء والكاظمية وعلماء اهل السنة ضد علي محمد الشيرازي.

٣٩ (علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٣، المصدر السابق ، ص ١٢٨.

٤٠ (كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي ، المصدر السابق ، ص ١٧٩.

٤١ (محمد كاظم الخراساني : ابن الملا حسين الهروي النجفي (١٢٥٥-١٣٢٩هـ) ، زعيم ديني وفقه اصولي وعالم متبع متبحر في الفقه و الاصول جامع للمنقول و المعقول من كبار اساتذته الجامعة النجفية ، انتهت اليه زعامة الحوزة العلمية في كل مكان ، وصارت تش اليه رجال طلبة العلم من ' اقطار الاراض و عمرم. جلسه بمئات من العلماء والمجتهدين ولد في مشهد خراسان وتوفي في النجف في ذي الحجة ١٣٢٩هـ اتخذت اسرته وذريته لنفسهم لقب (الكفائي) نسبة الى مؤلفه (كفاية الاصول) ، انظر: كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي ، المصدر السابق ، ص ١٦٥.

٤٢ (مقتبس من كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي ، المصدر السابق ، ص ١٨٠-١٧٩.

٤٣ (خضير مظلوم فرحان البديري ، التاريخ المعاصر لايران وتركيا، المصدر نفسه، ص ٥٢.

٤٤ (صباح كريم رياح الفتلاوي ، ايران في عهد محمد علي شاه ، مصدر سابق، ص ٢٦٩.

٤٥ (علي الوردي : لمحات اجتماعية، ج ٣ ، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٤٦) رسول فرهود الحسنائوي (الدكتور)، المرجعية الدينية والعشائر و دورهم في اهم الاحداث السياسية في الفرات الاوسط ١٩٠٨-١٩٣٩، (الحلة: دار الفرات، ١٣٧٠/٥/٢٠١٦م)، ص ٥٥.

(٤٧) (علي الوردي: لمحات اجتماعية، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٠).

(٤٨) السيد مهدي الحيدري: هو السيد مهدي بن احمد بن حيدر البغدادي الكاظمي وهو فقيه كبير ومن اقطاب العلماء الثائرين في الكاظمية وقد عرف بالوعظ و التحريض ضد البريطانيين، وقد شارك بنفسه في ميادين الجهاد مع جماعة من اهل بيته و متعلقيه وقد تجاوز عمره الثمانين عاماً، انظر: احمد الحسيني، الامام الثائر السيد مهدي الحيدري، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ص ٣٠-٣١.

(٤٩) مهدي الخالصي: هو الشيخ مهدي بن الشيخ حسين بن الشيخ عزيز الخالصي، ولد في الكاظمية عام ١٨٦٠م، وتلقى علومه في النجف و الكاظمية و سامراء، وهو عالم و مجتهد و فقيه، توفي بخراساني في ايران عام ١٩٢٤: ينظر محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء و الادباء، تعليق محمد حسين حرز الدين، ج ٣، (النجف الاشرف: مطبعة الاداب، ١٩٦٤م)، ص ١٤٧.

(٥٠) السيد اسماعيل الصدر: هو السيد اسماعيل بن حيدر بن اسماعيل بن صدر الدين محمد الموسوي الكاظمي، ولد في الكاظمة في شهر رمضان سنة ١٣٤٠هـ ونشأ بها، انتقل الى النجف سنة ١٣٦٥هـ و حضر الابحاث العالية على يد فطاحل العلماء ثم عاد الى الكاظمية سنة ١٣٨٠ بطلب اهلها و اشتغل بالتدريس توفي بالكاظمية في يوم ٦ ذي الحجة سنة ١٣٨٨هـ ونقل الى النجف ودفن في الصحن الشريف: ينظر: كاظم عبود الفتلاوي، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، المصدر السابق، ص ٦٣.

(٥١) الشيخ فتح الله الاصفهاني: الشيخ فتح الله بن محمد جواد التمازي الشيرازي الاصفهاني الشهير بـ (شيخ الشريعة) فقيه و محقق و عالم معروف ولد في اصفهان ١٢ ربيع الاول سنة ١٢٦٦هـ و غفي سنة ١٢٩٥م هاجر الى النجف، ولما توفي زعيم الثورة العراقية الشيخ محمد تقي الشيرازي خلفه و قام بأعباء الزعامة و الامامة و جابه الحكام الغازين برجولة و شجاعة نادرة، و توفي في النجف يوم ٨ ربيع الاخر ١٣٣٩هـ و دفن في الصحن الشريفينظر: كاظم عبود الفتلاوي، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، مطبعة التعارف، ط ٢، النجف، ٢٠١٠م، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٥٢) محمد حسين القمشهري: هو الشيخ محمد حسين القمشهري الصغير العالم الجليل و رع، تتلمذ بالنجف على يد الشيخ حسين قلى الهمداني و الشيخ محمد حسين القشهري الكبير و الشيخ حسين الخليل و الشيخ محمد كاظم الخراساني كان من العلماء الاخيار و المجاهدين خرج لصد الانكليز عن الشعبة عام ١٩١٥م توفي في النجف الاشرف يوم ٢ محرم سنة ١٣٢٧هـ و دفن في الصحن الشريف، للمزيد ينظر: كاظم عبود الفتلاوي، المصدر سابق، ص ٣٢٩.

٥٣) السيد علي الداماد: هو السيد محمد بن علي الرضوي التبريزي الشهير ب (الداماد) عالم فقيه مجاهد ولد في تبريز سنة ١٢٧٥ هـ ونشأ بها هاجر الى النجف سنة ١٢٩٤ هـ فأكمل دراسته، شارك في صف العلماء بالثورة لصد الانكليز خلال احتلالهم العراق وابلى فيها البلاء الحسن، صاهر استاذ المامقاني على ابنته فلقب ب (الداماد) اي الصهر، توفي في النجف في ٢٢ صفر سنة ١٣٣٦ هـ ودفن في الصحن الحيدري الشريف في ايوان العلماء: ينظر: كاظم عبود الفتلاوي، المصدر السابق ص ٢٥٩.

٥٤) محمد تقي الشيرازي (١٨٤٠-١٩٢٠ هـ) ولد في مدينة شيراز ونشأ بها، هاجر الى كربلاء المقدسة عام ١٨٥٥ و دخل في حوزتها، أصبح مرجعاً عام ١٩٠٣ م، أعلن الجهاد ضد بريطانيا عندما احتلت العراق عام ١٩١٤ م، وأعلن الجهاد في ثورة العشرين، وتوفي في كربلاء المقدسة ودفن في الصحن الحيدري الشريف، ينظر: كامل سلمان الجبوري، محمد تقي الشيرازي، (ق: مطبعة برهان، ٢٠٠٦).

٥٥) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٣، المصدر السابق ص ١٤٠-١٤١.

٥٦) علي الشرقي، الاحلام، (بغداد: شركة الطبع والنشر الاهلية، ١٩٦٣ م)، ص ٥٧.

٥٧) الدستور العثماني، أعلن السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٧٦ عن تشكيل دستور للبلاد اثناء المفاوضات ابينه وبين مدحت باشا، وأمر السلطان المذكور بتشكيل لجنة برئاسة مدحت باشا ضمنت مجموعة من رموز الحركة الاصلاحية في الدولة العثمانية، بعدها قدم مدحت باشا مسودة دستور مؤلفة من ١٤٠ مادة ونوقشت باسهاب وعدله عدة مرات وأعلن عام ١٨٧٦ وضمن الدستور اقامة الحياة النيابية البرلمانية من خلال تأسيس مجلس عمومي يتكون من مجلسي عمومي يتكون من مجلسين هما: (الاعيان) و (المبعوثان) وتضمن الدستور عدة مواد مختلفة، ينظر: كاظم حسن جاسم الاسدي، موقف سوريا ولبنان من الثورة الدستورية العثمانية ١٩٠٨-١٩١٤ م، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الكوفة: كلية الاداب، ٢٠٠٤ م)، ص ٩١.

٥٨) محمد جبار ابراهيم، بيئة العراق الحديثة-تأثيرها الفكري السياسي ١٨٦٩-١٩١٤ م، مراجعة أ.د. كمال مظهر احمد، (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠١٠)، ص ١٢٨.

٥٩) محمد باقر الحكيم، موسوعة الحوزة العلمية والامام الحكيم، ج ٣، (النجف: بلا، ٢٠٠٥)، ص ١٨٦-١٨٧.

٦٠) محمد باقر البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الاشرف ١٩٢١-١٩٤٥ م (بيروت: مطبعة ستارة، ٢٠٠٤ م)، ص ١٤٣-١٤٥؛ كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي، المصدر السابق، ص ١٨٥.

٦١) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، (لبنان: صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٦٥ م)، ط ٢، ص ٤٢.

- ٦٢ () كامل سلمان الجبوري ، الكوفة في ثورة العشرين ، (النجف الاشرف: مطبعة الاداب، ١٩٧٣م)، ص ٥٧.
- ٦٣ () رسول فرهود الحسنائي (الدكتور)، مصدر سابق، ص ٦٠.
- ٦٤ () علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٣، ص ١٤٢.
- ٦٥ () محمد حسين النائي : ولد عام ١٨٦٠م، في ايران وكان من اعظم المحققين في الفقه و الاصول ، تتلمذ على يد الشيخ محمد كاظم الخراساني و محمد حسين الشيرازي ، وكان من مؤيدي المشروطية وعمل بالسياسية اضافة الى الدين ، توفي سنة ١٩٣٦م، ينظر: محمد هادي الاميني ، معجم رجال الفكر الادب في النجف الاشرف خلال الف عام ، (النجف الاشرف: بلا ، ١٩٦٤م)، ص ٤٣٥.
- ٦٦ () آية الله المحقق النائي، تنبيه الامة وتنزية الملة، ترجمة عبد الحسين ال نجف ، (قم: مطبعة سبهر، ١٩٩٨).
- ٦٧ () عن الغزو الايطالي للبيبا ينظر: زاهية مصطفى قدورة، تأريخ العرب الحديث، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٠)، ص ٤٠٩-٤٤٥.
- ٦٨ () اسحاق نقاش ، المصدر السابق ، ص ٥.
- ٦٩ () للمزيد ينظر: صباح كريم رياح الفتلاوي، جمال الدين الافغاني والعراق ، مصدر سابق، ص ٢٣ وما بعدها.
- ٧٠ () صباح كريم رياح، ايران في عهد محمد علي شاه، مصدر سابق، ص ٥٣.
- ٧١ () السيد محمد سعيد الحبوبى : ينتسب الى اسرة عربية الاصل حسينية النسب ولد في ٢٠ شباط عام ١٨٤٩ في مدينة النجف ، كان عالما ومصلحا وشاعرا واشترك في الحرب الجهادية ضد الانكليز عام ١٩١٥م في الشعبية وتوفي يوم ١٨ حزيران ١٩١٥ : للمزيد ينظر : علي فاروق محمود عبد الله الحبوبى، (النجف الاشرف: مطبعة الروضة الحيدرية ، د.ت).
- ٧٢ () معروف عبد الغني الرصافي : ولد في بغداد عام ١٨٧٥ في جانب الرصافة شاعر كبير انتخب في البرلمان الملكي له مؤلفات عدة ، توفي في بغداد عام ١٩٤٥ ، للمزيد ينظر قاسم الخطاط وآخرون ، معروف الرصافي شاعر العرب الكبير_حياته وشعره ، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١م)، ص ٤١.
- ٧٣ () جميل صدقي الزهاوي ، هو نجل الزهاوي الكبير محمد فيضي مفتي بغداد يرجع نسبه الى امراء السليمانية المعروف بالبابان ، وشهرته بالزهاوي لشهرة ابيه بذلك لكون والدته زهاوية (نسبة الى زهاء بلدة في ولاية كرمنشاه الايرانية) ولد في بغداد سنة ١٨٦٣ وتوفي سنة ١٩٣٦م ، ودفن في مقبرة الامام الاعظم ابي حنيفة ، ينظر: مير بصري، اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧١م)، ص ٣١؛ هلال ناجي، الزهاوي وديوانه المفقود، (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٦٣م)، ص ١٠.

(٧٤) عبد المحسن الكاظمي ، ولد في بغداد سنة ١٨٦٥ م ، ونشأ في الكاظمية ، تعلم مبادئ القراءة والكتابة ودرس الادب ونظم الشعر وعمل في التجارة وكان معارضا للسلطة العثمانية وتخفي عن سلطة عبد الحميد الثاني وسافر الى عدة دول منها مصر واوروبا ونادى جهارا بالوحدة العربية ونظم شعرا في ذلك المجال ، ينظر:خير الدين الزركلي، الاعلام لاشهر رجال ونساء العرب و المستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحديث، ج٤، (القاهرة: بلا ، ١٩٢٧م)، ص٢٩٦؛ يوسف عز الدين، تطور الفكر القومي، (بغداد: بلا ، ١٩٦٧م)، ص١٩-٢٠.

(٧٥) محمد عصفور سلمان الاموي ، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية واثرها في المشرق العربي ، ١٨٣٩-١٩٠٨ م ، اطروحة دكتوراة غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الاداب، ٢٠١٠م) ، ص٣٥٦-٣٥٧.

(٧٦) محمد عبد الرحمن يونس العبيدي، السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الاسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل: كلية التربية ، ٢٠٠٠م)، ص١٨.

(٧٧) عبد الزهرة مكطوف الجوراني، الفكر السياسي في المشرق العربي اواخر القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٤م، (بغداد: ، ٢٠٠١م)، ص١١٤.

(٧٨) (المبعوثان : ويعني البرلمان العثماني الذي تأسس في ١٩ اذار ١٨٧٧ : للمزيد ينظر، عصمت برهان الدين عبد القادر ، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني ١٩٠٨-١٩١٤)، بيروت: الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٦م)، ص٣٤.

(٧٩) (ماري ملز ، سلاطين بني عثمان ، صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي و السياسي و الاسلامي، (بيروت: ، ١٩٨٦م)، ص١١٥.

(٨٠) (مجلس الاعيان: أي مجلس الشيوخ المعين من قبل السلطان مدى الحياة: ينظر: ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، (بيروت: م)، ١٩٦٠، ص٢٥٧-٢٨٨.

(٨١) (ساطع الحصري، مصدر سابق ، ص٢٨٨.

(٨٢) (السلطان عبد الحميد الثاني : ولد في ٢١ ايلول ١٨٤٢م وهو ابن السلطان عبد المجيد من زوجته الثانية (تيري موجكان) الجارية الشركسية ، درس عدة لغات واجاد اللغة الفارسية والعربية و الفرنسية ، واهتم بمطالعة والفروسيّة و الرماية و المبارزة وغيرها ، توفي في ١٠ شباط عام ١٩١٨ ، احيط منذ ولادته باشاعات غير حسنة وسذكر ان اباه السلطان عبد لمجيد لم يعترف بابوته الا بعد مرور اسبوع على مولده للمزيد انظر: علي الوردي ، لمحات اجتماعية، ج٣، المصدر السابق، ص١٥، محمد هاشم الكتبي ، عصر السلطان عبد الحميد الثاني واثره في الاقطار العربية، ج٣، (بيروت: ، د.ت. بلا، ص٧٤-٧٥.

(٨٣) (المسألة الشرقية : تعني اطماع الدول الاوربية بالدولة العثمانية الضعيفه عسكريا واقتصاديا وسياسيا ومحاولة تقسيم ممتلكاتهم بين الدول العظمى انظر: عبد العزيز سليمان

- نوار وعبد المجيد نعنعي ، اوريا في الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية ، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)، ص٤٩.؛
- رسول فرهود هاني الحسناوي ، العراق من الملكية الى الجمهورية، (النجف الاشرف: مطبعة النبراس ، ٢٠١١م)، ص٣٥ (هامش).
- ٨٤) (ماجد محمد يونس زاخوبي ، الدولة العثمانية - الاوضاع السياسية من منتصف القرن التاسع عشر الى تشكيل فرسان الحميدية ١٨٩١-١٩٢٣، (بيروت :الدار العربية للموسوعات، ٢٠١١م)، ص٣٦-٣٧.
- ٨٥) (ينظر تفاصيل المعاهدة: محمد صالح واخرون، تاريخ اوريا في القرن التاسع عشر،) بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٥م)، ص٣٧١-٣٧٢.
- ٨٦) (ينظر التفاصيل وبنود المؤتمر: علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، (مصر: المنصورة: مكتبة الايمان ، ٢٠٠٦م)، ص٣٧٥.
- ٨٧) (علي الوردي ، لمحات اجتماعية، ج٣، المصدر السابق، ص١٩-٢٠.
- ٨٨) (ماجد محمد يونس زاخوبي ، المصدر السابق، ص٣٨.
- ٨٩) (للمزيد ينظر: مذكرات جعفر العسكري ، تحقيق وتقديم نجدة صفوة ، (لندن: دار اللام ، ١٩٨٨م)، ص٤٠٨-٤١٠. رسول فرهود هاني الحسناوي ، العراق من الملكية الى الجمهورية، المصدر السابق، ص٣٤.
- ٩٠) (محمد عصفور سلمان الاموي ، المصدر السابق، ص٨٢.
- ٩١) (علي محمد الصلابي ، المدر السابق، ص٣٧١-٣٧٩.
- ٩٢) (للمزيد ينظر: صباح كريم رياح الفتلاوي، جمال الدين الافغاني والعراق..... ،مصدر سابق
- ٩٣) (المصدر نفسه ، ص٢٥١-٢٥٢
- ٩٤) (محمود اسماعيل ، فرق الشيعة بين التفكير السياسي و التقى الديني ، (القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٥م)، ص٩٣-١٢٨ ، حسين مروة ، النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية ، ج١، (بيروت: دار الغرابي، ١٩٧٨م)، ص٤٩٣-٥٠٤.
- ٩٥) (صباح كريم رياح، ايران في عهد محمد علي شاه، مصدر سابق، ص٢٦٠،
- ٩٦) (محمد جواد مالك ، شيعة العراق وبناء الوطن، (بيروت: مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، ٢٠١٢/٥١٤٣٣م)، ص٢٥٥.
- ٩٧) (ارنست رامزور ، تركيا الفتاة و ثورة ١٩٠٨م ، ترجمة احمد صالح العلي ، (بيروت :بلا، ١٩٦٠)، ص١٤٩.
- ٩٨) (المصدر نفسه، ص١٤٦.

٩٩) (الفرمان : كلمة فارسية تعني القرار او المرسوم الذي يصدره الحاكم وحيانا كانت تعني الاوامر او القرارات التي يصدرها الوزراء و القادة العسكريين هم من يحملون الختم السلطاني: ينظر: علي سيدي، رسمي قاموس عثماني، ج٢، (اسطنبول: بلا، ١٩١١م)، ص ٧٣١.

١٠٠) (منذر جواد مرزة ، تاريخ العراق في عقدين ١٩٠٠-١٩٢٠، (النجف الاشرف: مطبعة النبراس، ٢٠٠٩م)، ص ١٦٩.

(١٠١) (علي الوردي ، لمحات اجتماعية ، ج ٣ ' المصدر السابق ، ص ١٦٠.

١٠٢) (صباح كريم رياح، ايران في عهد محمد علي شاه، مصدر سابق، ص ٢٦٠،

١٠٣) (غسان العطية ، العراق - نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، (لندن: دار اللام، ١٩٨٨م)، ص ٧٦-٧٧.

١٠٤) (السلطان محمد رشاد (١٨٤٤-١٩١٨م) نصبه جماعة الاتحاد و الترقية على عرش السلطنة بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني ، وفي ايامه فقدت البوسنة وافرست و تحررت بلغاريا واخذ ايطاليا بلاد طرابلس الغرب من املاك الامبراطورية العثمانية ، وابتلت الامبراطورية المذكورة بحرب البلقان و بالحرب العالمية الاولى :ينظر لويس معلوف المنجد في اللغة و الاداب و العلوم ، ط ١٨، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٥م)، ص ٤١

١٠٥) (غسان العطية، المصدر السابق، ص ٧٥، بغية معرفة تفاصيل الانتفاضة ضد جمعية الاتحاد و الترقية و الثورة المضادة ، ينظر: علي الوردي ، لمحات اجتماعية ، ج ٣، المصدر السابق ، ص ١٥٨-١٦٤.

المصادر والمراجع

اولاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

١- ضياء محمد جميل عباس علي، الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني الفاتح، (١٤١٥-١٤١)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل: كلية الاداب، ٢٠٠٢)،

٢- علاء عزيز كريم ، موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٢٤، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بابل: كلية التربية، ٢٠٠٧م)

٣- كاظم حسن جاسم الاسدي، موقف سوريا ولبنان من الثورة الدستورية العثمانية ١٩٠٨-١٩١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الكوفة: كلية الاداب، ٢٠٠٤م)،

٤- لازم لفته ذياب ، ايران في عهد مظفر الدين شاه ١٨٩٦-١٩٠٧م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (، جامعة البصرة: كلية الاداب، ١٩٩٧م)،

٥- وداد جابر غازي، الحياة النيابية في ايران ١٩٤١-١٩٧٩م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠١٠م)،

٦- محمد عبد الرحمن يونس العبيدي، السلطان عبد الحميد الثاني و الجامعة الاسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل: كلية التربية ، ٢٠٠٠م)،

٧- محمد عصفور سلمان الاموي ، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية واثرها في المشرق العربي ، ١٨٣٩-١٩٠٨م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الاداب، ٢٠١٠م)،

ثانياً: المصادر العربية والمعرّبة

١- احمد الحائري الاسدي، مشاهير الاعلام في عالم الصور، مج ١، (كربلاء: مركز الطبع والتوزيع في مكتبة العلامة ابن فهد الحلبي، ٢٠١٤م)،

٢- احمد عبد الرسول جبر عباس الشجيري، الموسوعة الشاملة لشخصيات عراقية معاصرة، (بيروت: الدار البيضاء للطباعة، ٢٠١٤م)،

٣- اسحاق نقاش ، شيعة العراق، (قم : مطبعة امير قم، ١٩٩٨م)

٤- الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، بيروت، دار القلم للطباعة والنشر، ١٩٩٦م.

٥- آية الله المحقق النائيني، تنبيه الامة وتنزية الملة، ترجمة عبد الحسين ال نجف، (قم: مطبعة سبهر، ١٩٩٨).

٦- حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ ايران - دراسة في التاريخ السياسي منذ ظهور الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية - ج ٣، (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٥م)
٧- خضير مظلوم فرحان البديري، التاريخ المعاصر لايران وتركيا، (النجف الاشرف: مطبعة دار الضياء، ٢٠٠٩م).

٨- حيدر نزار السيد سلمان المرجعية الدينية في النجف ومواقفها السياسية في العراق من ١٩٥٨م - ١٩٦٨م، (بيروت: دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر، ٢٠١٠م)
٩- جعفر العسكري، مذكرات جعفر العسكري، تحقيق وتقديم نجدة صفوة، (لندن: دار اللام، ١٩٨٨م)

١٠- رسول فرهود الحسناوي (الدكتور)، المرجعية الدينية والعشائر ودورهم في اهم الاحداث السياسية في الفرات الاوسط ١٩٠٨-١٩٣٩، (الحلة: دار الفرات، ١٣٧٥/٢٠١٦م)،

١١- زاهية مصطفى قدورة، تأريخ العرب الحديث، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٠)،

١٢- حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية، ج ١، (بيروت: دار الغرابي، ١٩٧٨م)

- ١٣- صباح كريم رياح الفتلاوي: ايران في عهد محمد علي شاه ١٩٠٧-١٩٠٩م دراسة تاريخية في التطورات السياسية الداخلية، (النجف الاشرف: دار التميمي للنشر والتوزيع، ١٤٣٢م/٢٠١١م)،
- ١٤- صباح كريم رياح الفتلاوي، جمال الدين الافغاني والعراق- دراسة تحليلية في التأثير و التأثير المتبادل ، مراجعة: كمال مظهر احمد ، (بيروت: دار العارف للمطبوعات، ٢٠١٤م)،
- ١٥- عباس كاشف الغطاء، المدخل الى الشريعة الاسلامية ، (بيروت: شركة صبح للطباعة والتجليد، ٢٠١٢م)، ط ٤،
- ١٦- عبد الحسين الصالحي، الحوزات الاسلامية في الاقطار الاسلامية ، (بيروت: بيت العلم للنابهين، ٢٠٠٤م)
- ١٧- عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، (لبنان-صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٦٥م)، ط ٢،
- ١٨- علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠م، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩م)،
- ١٩- علي الشرقي، الاحلام، (بغداد: شركة الطبع والنشر الاهلية، ١٩٦٣م)
- ٢٠- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج ٣، (بيروت: دار الراشد، ٢٠٠٥م)، ط ٢،
- ٢١- علي فاروق محمود عبد الله الحبوبى، (النجف الاشرف: مطبعة الروضة الحيدرية، د.ت).
- ٢٢- قاسم الخطاط وآخرون، معروف الرصافي شاعر العرب الكبير _ حياته وشعره، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م)

- ٢٣- خير الدين الزركلي، الاعلام لاشهر رجال ونساء العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحديث، ج٤، (القاهرة: بلا، ١٩٢٧م)،
- ٢٤- يوسف عز الدين، تطور الفكر القومي، (بغداد: بلا، ١٩٦٧م)،
- ٢٥- عبد الزهرة مكطوف الجوراني، الفكر السياسي في المشرق العربي اواخر القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٤م، (بغداد: ، ٢٠٠١م)،
- ٢٦- عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي ، اوربا في الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية ، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)،
- ٢٧- رسول فهود هاني الحسناوي، العراق من الملكية الى الجمهورية، (النجف الاشرف: مطبعة النبراس، ٢٠١١م)،
- ٢٨- غانم باصر حسين البديري، الدور السياسي للبازار في التطورات الداخلية في ايران (١٩٦٣-١٩٧٩م) (بيروت: دار العارف، ٢٠١٢م)
- ٢٩- غسان العطية ، العراق - نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، (لندن: دار اللام، ١٩٨٨م)،
- ٣٠- كاظم عبود الفتلاوي، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، (النجف: مطبعة التعارف، ٢٠١٠م)، ط٢..
- ٣١- كامل سلمان الجبوري ، الكوفة في ثورة العشرين ، (النجف الاشرف: مطبعة الاداب، ١٩٧٣م)
- ٣٢- كامل سلمان الجبوري ، محمد تقى الشيرازي، (قم: مطبعة برهان، ٢٠٠٦).
- ٣٣- كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي (قم: مطبعة برهان، ٢٠٠٦م)،

٣٤- ماجد محمد يونس زاخوبي ، الدولة العثمانية - الاوضاع السياسية من منتصف القرن التاسع عشر الى تشكيل فرسان الحميدية ١٨٩١-١٩٢٣، (بيروت :الدار العربية للموسوعات، ٢٠١١م)

٣٥- محمد صالح واخرون، تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٥م)،

٣٦- علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، (مصر- المنصورة: مكتبة الايمان ، ٢٠٠٦م)،

٣٧- محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء ، تعليق محمد حسين حرز الدين ، ج٣، (النجف الاشرف: مطبعة الاداب، ١٩٦٤م)،

٣٨- محمد جبار ابراهيم، بيئة العراق الحديثة -تأثيرها الفكري السياسي ١٨٦٩-١٩١٤م، مراجعة أ.د.كمال مظهر ٣٩-احمد، (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠١٠)،

٤٠- محمد باقر الحكيم ، موسوعة الحوزة العلمية و الامام الحكيم ، ج٣، (النجف: بلا، ٢٠٠٥)،

٤١- محمد باقر البهادلي ، الحياة الفكرية في النجف الاشرف ١٩٢١-١٩٤٥م (بيروت: مطبعة ستارة، ٢٠٠٤م)،

٤٢- محمد حسين المظفر، تاريخ الشيعة، مراجعة وتحقيق: احمد كاظم البغدادي، (قم : مطبعة شريعة، ٢٠١٢)

٤٣- محمد حسين الكاشف الغطاء، اصل الشيعة وأصولها، تقديم مرتضى العسكري، (بيروت: مؤسسة المرشد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م)

- ٤٤- محمد جواد مالك ، الحوزات و الجامعات (تقويم ومقارنة) ، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٩٩٤م)
- ٤٥- عصمت برهان الدين عبد القادر ، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني ١٩٠٨-١٩١٤ ، (بيروت: الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٦م)،
- ٤٦- ماري ملز، سلاطين بني عثمان، صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي والسياسي والاسلامي، (بيروت: بلا، ١٩٨٦م)،.
- ٤٧- ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية ، (بيروت: بلا، ١٩٦٠م).
- ٤٨- محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، المرجعية الدينية وقضايا اخرى، (النجف الاشرف: دارالهلال للطباعة والنشر، د.ت)، ط ٥.
- ٤٩- مجموعة من الباحثين، مشروع المرجعية الدينية وآفاق المستقبل لدى السيد كمال الحيدري، (بيروت: مؤسسة الثقلين للثقافة والاعلام، والاعلام، ٢٠١١م)
- ٥٠- محمد كمال الدين النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨م ، تحقيق و تعليق كامل سلمان الجبوري، (بيروت: دار القاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥م)،
- ٥١- محمد هادي الاميني، معجم رجال الفكر الادب في النجف الاشرف خلال الف عام ، (النجف الاشرف: بلا ، ١٩٦٤م)،
- ٥٢- محمد هاشم الكتبي ، عصر السلطان عبد الحميد الثاني واثره في الاقطار العربية، ج ٣، (بيروت: د.ت، بلا)
- ٥٤- محمود اسماعيل فرق الشيعة بين التفكير السياسي و التقى الديني ، (القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٥م)

٥٥-مرتضى علي الالوسي، كربلاء في دليل الخليج العربي، (الحلة، مطبعة دار الفرات، ٢٠١٤م)

٥٦-مير بصري، اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧١م)، م

٥٧-نجده فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز ١٩١٤-١٩١٥م، مج ١، (بيروت: دار الساقى، ١٩٩٦م)،

٥٨-لويس معلوف، المنجد في اللغة و الاداب و العلوم ، ، ط ١٨ ، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٥م)

٥٩-هلال ناجي، الزهاوي وديوانه المفقود، (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٦٣م).

٦٠-محمد جواد مالك ، شيعة العراق وبناء الوطن، (بيروت: مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، ٢٠١٢/٥١٤٣٣م)

٦١-ارنست رامزور، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م، ترجمة احمد صالح العلي، (بيروت: بلا، ١٩٦٠)،

٦٢-علي سيدي، (رسمي قاموس عثماني، ج ٢، (اسطنبول: بلا، ١٩١١م)،

٦٣-منذر جواد مرزة ، تاريخ العراق في عقدين ١٩٠٠-١٩٢٠، (النجف الاشرف: مطبعة النبراس، ٢٠٠٩م)

المقالات المنشورة

١-حسين محمد علي الفاضلي، لمحة في تاريخ انشاء الحوزات العلمية، "المرشد"، (مجلة)، قم، العددان (١٧-١٨)، (بيروت: مطبعة دار المحجة البيضاء : ٢٠٠٤م)،

English research summary

The study of the role of the religious authority in general, and the Shiite authority in particular, should lead us to the knowledge of its features and foundations, as well as its legitimacy and importance in the life of the nation and the society, as it represents social, religious and moral necessities. All that is related to the foundations on which the reference approach is based has been the impact on the shaping of the general life of the Islamic nation in general, and the Shia in particular. Through the roles played by reference in political and social issues, not only in Iraq, Wa'am represents the support of Islamic liberation movements against colonialism and tyranny in all its forms, especially in Iran and the Ottoman Empire

The religious authority in Iraq played an active and pivotal role in the events that followed the arrival of Shah Muzaffaruddin in 1896 after the assassination of his father Nasiruddin Shah in May 1896 in Tehran by a reformist supporter, Mr. Jamal al-Din al-Afghani. Iran is in debt as a result of Muzaffaruddin Shah's multiple trips to Europe. Which was then paved for a major revolution throughout the country, the Iranian constitutional revolution, which began its first sparks from the beginning of 1905 until 1909.

The guiding position of the Shiite religious authority of Shaykh Muhammad Kazem al-Kharasani, from the Ottoman constitution revolution, supported and supported a detailed telegram to Sultan Abdul Hamid before the constitutional revolution, which included guidance and vows, as well as the urgent call to respond to constitutional life in the country and more. Kharasani sent a strongly worded message to Sultan Abdul Hamid II in his last days, demanding that he address the situation and approve the constitutional life and miss the opportunity of the federalists in their revolution, which raised some scholars against him for fear of retaliation of the Sultan of the Shiite religious authority and Pan Ah, but he reassured them by saying: "Do not be afraid not blame me God has prayed istikhaarah pottery to me and that with us and Sanasrna the unbeli"

The return of the Ottoman constitution was not met with enthusiasm in Iraq, and the general situation was suspicious of the current change, but the response differed according to the different groups. The general public was distracted by the sudden change and did not understand the broad propaganda and slogans of the new regime.

The equality brought up by the Association of the Union and Promotion, it means equality between Muslims and non-Muslims, which raised the great fears, as a process deprives them of their

rights fixed. As for the others, freedom meant to them vice. In Najaf and Karbala, the revolution was welcomed by the Arabs and the Iranians living in these two cities. On the one hand, it might lead to the assistance and assistance of the Turks in favor of the Iranian constitutional movement. On the other hand, the equality of the Shiites with the ruling Sunnis, and this has been rejected by the holy shrines on the other hand, equality with other religions. There is no doubt that the establishment of the constitutional revolution in the Ottoman Empire differed in many of its tracks from the Iranian constitutional revolution, but in the end it provided an "appropriate" atmosphere that positively affected the position of the Iraqis who supported the Iranian constitutional revolution and their effectiveness under the leadership of the religious authority and its responsible positions

(المرجعية الدينية في العراق وموقفها من الاحداث الوطنية حتى العام**(١٩٢٣)**

أ.م.د. صباح كريم رباح الفتلاوي / كلية العلوم السياسية/ جامعة الكوفة

أ.م.د. بشرى ناصر هاشم الساعدي / كلية الاداب/ الجامعة المستنصرية

المقدمة:

مثلت الحرب العالمية الاولى بداية مرحلة جديدة في النشاط السياسي لعلماء الدين الشيعة ضد المشاريع الاستعمارية ، ولقد كانت هذه المرحلة تحولا حضاريا كبيرا في كل الواقع الاسلامي .حيث افرزت نتائج خطيرة على مختلف الجوانب و المجالات في حياة المسلمين ، بدءا من السلطة السياسية و انتهاء بالشؤون الفردية للانسان المسلم . فكانت بذلك البداية الفعلية للسيطرة الحضارية الغربية على العالم الاسلامي ، وتوجيه القرار الغربي لمسارات الحياة في البلاد الاسلامية ، في تحولات ثقافية وسياسية واجتماعية كانت تتكون بسرعة مذهلة و تعطي نتائج مؤثرة ومتلاحقة.

اتخذت المرجعية الدينية في المدن المقدسة كالنجف الاشرف و كربلاء والكاظمية وسامراء . موقفا مشرفا ضد الاحتلال البريطاني في العراق خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨). تلك الحرب التي لا يعرف أصحابها رافة بالإنسانية ولا يبالون بإزهاق الأرواح وانتهاك حرمة الدور ، حيث انتهز البريطانيون فرصة دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا فأنزلوا قواتهم الغازية في ١١/٦/١٩١٤ في الفاو. وأكدوا للأهالي ان القوات البريطانية ستساعدهم على ان يخرجوا من الحرب بمعونتها اشد قوة واكثر حرية ، وعلى الرغم من معاناة أبناء

العراق من حكم الدولة العثمانية خصوصا الشيعة منهم الذين عانوا ظلم العثمانيين وعسفهم وتجاهلهم ، إلا أن رجال الدين الشيعة أفتوا بالجهاد ضد بريطانيا حفاظا على بيضة الإسلام، ولم يكتف رجال المرجعية بإصدار فتوى الجهاد فحسب بل انهم خاضوا المعارك بأنفسهم ضد القوات البريطانية ..

وفيما كان الكثير من أبناء العراق تقاتل مع القوات العثمانية ليس حبا بالعثمانيين الذين أذاقوا العراقيين الأمرين ولكن تلبية لدعوة الجهاد التي أطلقها رجال الدين للحفاظ على الإسلام لكن الإدارة العثمانية في العراق لا سيما بعد انكسار الجيش العثماني في معركة الشعبة سلكت سبيل الشدة والقمع والتنكيل بالعراقيين . حتى أن ولاية الأمور في بغداد أرسلوا حملة عسكرية إلى النجف لتأديب سكانها ولكن الحملة فشلت أمام دفاع المدنيين عن مدينتهم ولاذت قواتها بالفرار ومنذ ذلك التاريخ تسلم النجفيون بقيادة المرجعية الدينية، دفعة الحكم فيها ، ولم يكتف النجفيون بذلك بل راحوا يعملون على تقويض أركان الدولة العثمانية في العراق فكان لهم دور في أكثر الحوادث التي وقعت في مدن الفرات الأوسط الأخرى. ولغرض الوقوف على مواقف ودور المرجعية الدينية تجاه الاستعمار البريطاني ، جاء البحث الموسوم (المرجعية الدينية في العراق وموقفها من الاحداث الوطنية حتى العام ١٩٢٣) ليسلط الاضواء على تلك المواقف المشرقة للمرجعية الدينية في قيادة النضال والجهاد ضد الاستعمار البريطاني للعراق، الذي حاول بشتى الوسائل ايقاف هذا المد الثوري العقائدي والحماس الوطني والديني الكبير في نفوس كل فئات الشعب العراقي، وتحجيم دور المرجعية الدينية الريادي ، ومن تلك الوسائل التضيق على علماء الدين ونفيعهم خارج البلاد تباعا خصوصا في العام ١٩٢٣ م والذي مثل علامة فاصلة في طريق الجهاد.

تكون البحث من مقدمة ومبحثين كان الاول بعنوان (حركات الجهاد الاولى ١٩١٤ - ثورة النجف ١٩١٨ ومواقف المرجعية ودورها فيها) بينما جاء المبحث الثاني تحت عنوان (ثورة العشرين ومواقف المرجعية ودورها فيها). فضلاً عن الخاتمة التي تضمنت اهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث ، اضافة الى ثبت بالمصادر التي استخدمت في البحث.

اخيراً وليس اخراً" لاندعي الكمال اطلاقاً" فهو للباري عز وجل وحده جلت قدرته، نسأله الفلاح والتوفيق.

المبحث الاول

حركات الجهاد الاولى ١٩١٤ - ثورة النجف ١٩١٨ ومواقف المرجعية ودورها فيها

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م، نجحت بريطانيا العظمى في بسط نفوذها وسيطرتها على العديد من الدول، وبالأخص الإسلامية منها، ففي العراق، تقدم الجيش البريطاني واحتل البصرة في ٥ تشرين الأول ١٩١٤ م. وكانت هذه الحملة البريطانية على العراق هي أولى عملياتها الحربية ضد الدول العثمانية. يوم كان العثمانيون حلفاء لألمانيا. وقد ضم الجيش العثماني الذي واجه الغزو البريطاني، إضافة الى الجيش النظامي، مجاميع كبيرة من المجاهدين العراقيين بزعامة علماء الدين، الذين وجدوا أن مصلحة الإسلام والوطن الإسلامي وأبنائه توجب الوقوف مع الدولة العثمانية في مواجهة الغزو البريطاني، انطلاقاً من الرؤية الإسلامية الجامعة بينهما (١).

بدأت حركة الجهاد في العراق في ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ م (٢) عندما ابرق أهالي البصرة الى علماء الدين في النجف ومختلف المدن العراقية. يستجدونهم لمقاومة الخطر المهدد لكيان العراق والكيان الإسلامي بالذات. وجاء في البرقية

:ثغر البصرة، الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع" (٣). وقد تليت هذه البرقية في المساجد والأسواق وألهمت مشاعر الناس أثرا ما قام به الوعاظ والخطباء من إلقاء خطب حماسية أكدوا فيها أن الإنجليز إذا دخلوا سيهدمون المساجد والعتبات المقدسة ويحرقون القرآن وينتهكون الحرمات ويذبحون الأطفال والشيوخ. فقد كان لهذه الخطب أثرا كبيرا وفاعلا في نفوس الناس مما أدى الى الاستجابة الكبيرة لفتاوى العلماء الفاعلين الذين تقدموا الجموع الغفيرة في ساحات الجهاد فأعادوا بذلك ذكريات صدر الإسلام مستصحبين تلك المواقف في أروع حركة جهادية معاصرة، حاكت العقول البشرية بقوة المبادئ وفاعليتها في اتخاذ الموقف في بناء المجتمع الإسلامي(٤).

إن عملية تعبئة الجماهير المسلمة، بمختلف الطوائف في بداية التصدي لدخول الانجليز لثغر البصرة تمت من خلال الشعور الإسلامي والواجب الشرعي الذي يحتم على الفرد المسلم إتخاذ موقف الجهاد. فلم تتم التعبئة عن طريق المفاهيم الوطنية المجردة، أو عن طريق استمالة العشائر بالترغيب والترهيب، وإنما كان انقيادا تاما للفتوى والأحكام الشرعية. فصدرت في الشهر الأول من دخول تركيا في الحرب. عن شيخ الإسلام، فتوى الجهاد باعتباره صاحب أرفع منصب ديني في الدولة العثمانية، أنه "فرض عين" على جميع المسلمين في العالم، ومن بينهم الذين يعيشون تحت حكم بريطانيا وفرنسا وروسيا أن يتحدوا لمقاومة هذه الدول الثلاث عدوة الإسلام وأن يحاربوا حلفاءها (٥).

تحركت القوات البريطانية تساندها الزوارق الحربية البحرية متجهة نحو منطقة (الروطة)، بعدما كانت متجفلة في منطقة (المزيرعة) في فجر يوم ٢٠ كانون

الثاني ١٩١٥. وعند شروق الشمس بدأت بقصفها المدفعي الكثيف على قوات الدولة العثمانية (الجيش والمجاهدين) وأوقعت خسائر كبيرة في صفوف العثمانيين ، فيما كانت خسائر الانجليز قليلة قياسا بالعثمانيين .. دامت المعركة أربع ساعات (٦).

كانت هذه المعركة أول معركة حصلت بعد تجمع القوات العثمانية والمجاهدين بقيادة العلماء الإعلام والقادة العسكريين من الأتراك . ومما يذكر أن القائد العسكري سليمان عسكري بك أصيب بجروح في ساقه فنقل على أثرها الى بغداد للمعالجة . وبدأ المجاهدين العراقيين مع الجيش العثماني، القتال ضد الجيش البريطاني في العراق، وأثبت علماء الشيعة مواقف جهادية رائعة بأعتراف كبار قادة الجيش العثماني . فحينما أصيب القائد العسكري العثماني (سليمان عسكري بك) في المعركة وخمل الى بغداد للمعالجة ، وبينما هو راقد في المستشفى دخل عليه أحد الزعماء الروحانيين، من موظفي الدولة، عائدا له. فلما وقع نظر القائد عليه قال له وهو يهز يديه مستنكرا من قعوده عن الجهاد: " أنت ها هنا ترفل بالراحة والطمأنينة والنعيم مع أنك تتقاضى راتبا ضخما من الدولة طيلة عمرك، وإن آية الله السيد مهدي السيد حيدر يحارب بنفسه الانجليز على شيخوخته وعظمته ، وهو الآن في الصفوف الأولى . مع أنه لم يقبض من أموال الدولة قليلا ولا كثيرا طيلة عمره". (٧)

لقد كانت المرجعية الشيعية ترى في جهاد الانجليز حكما قاطعا لا يمكن التخلي عنه او التردد فيه ، فلم تكن حركتها (الجهاد) منبعثة من نظرة سياسية بحتة ولا أبعاد طائفية تستوقفها او تجعلها تشك في وجوب الجهاد ضد الانجليز ، وإنما كانت النظرة شاملة وكاملة في الحفاظ على بيضة الإسلام ، بغض النظر

عن السياسة الطائفية التي مورست وتمارس من قبل سلطات الدولة العثمانية ، وبشكل إجمالي لا يختلف فيه (اثنان) فإن التعبئة الجماهيرية لم تتم بدافع قومي ولا بدافع وطني مجرد ؛ وإنما كانت بدافع ديني كبير ، ودليل ذلك هو جهد العلماء التاريخي في تعبئة الجماهير ، فقد أكدت المصادر التاريخية هذا الجهد العلمائي . سواء كان شيعيا او سنيا . في عملية التعبئة وصمود الجماهير المسلمة والتفافها حول قادتها من العلماء (٨) .

قوات المجاهدين وزعت مع القوات النظامية للجيش التركي، على ثلاثة محاور : محور الشعبية، ومحور القرنه، ومحور خوزستان ، واعتبرت منطقة (القرنة) بمثابة القلب. اذ رابط فيها العلماء والمجاهدين، كل من: المجاهد آية الله السيد مهدي الحيدري ومعه أولاده ؛ السيد أسد الله ؛ والسيد احمد ؛ والسيد راضي وبعض أقربائه كالسيد عبد الكريم، والسيد عبد الحسين، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والسيد علي الداماد، والسيد عبد الرزاق الحلو، ومعهم جموع غفيرة من المجاهدين قدر عددهم بأربعين الفا (٩) وقد ضم هذا المحور مجاهدين اكراد، برئاسة الشيخ كاكا احمد . اما الجناح الأيمن وهو (الشعبية) فقد كان على رأس المجاهدين فيه، كل من: السيد محمد سعيد الحبوبى، والشيخ جعفر الشيخ راضي، والسيد محمد نجل آية الله السيد كاظم اليزدي، والسيد عيسى كمال الدين الحلي وغيرهم العديد من المجاهدين وقد كان معهم الشيخ عبد الكريم الجزائري الذي قطع علاقته الحميمة مع الشيخ خزعل الكعبي (امير المحمرة) بسبب رفض الاخير الاشتراك في جهاد الانجليز رغم طلب الشيخ الجزائري ذلك منه (١٠) .

أ- معركة الروطة :هذه المعركة الصغيرة ، والقصيرة في مدتها ، معركة (الروطة) قدمت فيها دراسات وبحوث وتعددت فيها الآراء كل حسب ما يراه من الطرفين . فالانجليز أكدوا أنها معركة استطلاعية قدمت فيها الجيوش والمدافع

لضرب العثمانيين ومن ثم الانسحاب ، وقد أكدوا أن الانسحاب كان مقررا منذ البداية ، والدليل كما يؤكد الانجليز الخسائر التي مني بها العثمانيون . اما التحليل العثماني لهذه المعركة ؛ فقد اعتبرها انتصارا رائعا للعثمانيين ، وهزيمة كبرى لقوات الانجليز . ودليل ذلك هو الانسحاب البريطاني من المعركة وعزل الجنرال البريطاني (باريت) من منصبه نتيجة إخفاقه في هذه المعركة (١١) .

وقد كان للمجاهدين الرابضين في ارض هذه المعركة بالذات ؛ رأي آخر نابع من صميم الفطرة والولاء الديني . فالمعركة كانت انتصارا رائعا ، فهم يتفوقون مع الأتراك على النصر، ولكنهم يختلفون عنهم في تحليل هذا الانتصار

فالمجاهدون يعززون هذا النصر لثبات العلماء المجاهدين في قلب المعركة ، وأنه السبب الأساسي للانتصار، ولا سيما آية الله السيد مهدي الحيدري، الذي كانت المعركة تدور في جبهته. فقد كان ناصبا خيامه في قلب المعركة . وظل ثابتا رغم قسوة القصف المدفعي، وهذا مما شجع المجاهدين والجيش التركي على الوقوف والثبات أمام القوات البريطانية الغازية .ومما يذكر أن أحد المقربين من السيد الحيدري عرض عليه تقويض الخيام ، لأنها كانت هدفا للقصف، فأبى السيد أن يقوض الخيام وقال : "إن معنويات الجيش كله ستنكسر، إذا قوضتم خيامنا، وربما ظنوا أننا قد انسحبنا عن مراكزنا، فتضعف عزيمتهم وتنهار وقوتهم، بل يجب أن نبقى هذه الخيام قوة للجيش وراية للإسلام وهيبة للمسلمين ورهبة للكافرين" (١٢) . ويذكر المؤرخون أنه نهض كالليث الهصور وهو شيخ ابن ثمانين عاما . وتقلد سيفه وحمل قرآنه، وندب أصحابه، وحثهم على الثبات وحرصهم على القتال وأمرهم بالثبات ، ودعا لهم بالنصر على الأعداء . أن تحليل المجاهدين اعتمد على الغيب الإلهي الذي كان مصداقه السيد الحيدري (رحمه الله) (١٣) .

بـ معركة الغدير : أما الجناح الأيسر خوزستان وقد كان الحاكم الفعلي فيها الشيخ خزعل، وإن كانت تابعة إداريا إلى الحكومة الإيرانية . فقد أبرق العلماء المجاهدون برقيتين إلى الشيخ خزعل تحثه على جهاد الانجليز، ولكنه رفض ، ولم يعمل بالبرقيتين اللتين بعثهما كل من الشيخ فتح الله الأصفهاني المعروف بـ (شيخ الشريعة)، والسيد مصطفى الكاشاني، والميرزا مهدي الخراساني، والسيد علي التبريزي، والشيخ محمد حسين مهدي، فيما كانت البرقية الثانية من قبل السيد محمد ابن السيد كاظم اليزدي . وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ خزعل مصمما على عدم مجابهة الانجليز ، قام البعض من العلماء بحث الشيخ عبد الكريم الجزائري على إبراق برقية إلى الشيخ خزعل ؛ ولكن الشيخ خزعل أصّر على رفضه ، مما أدى بالشيخ الجزائري إلى قطع علاقته الحميمة مع الشيخ خزعل ؛ وقد حاول الشيخ خزعل بعد الحرب أن يرجع علاقاته بالجزائري إلا أن الأخير رد عليه قائلا : "فرق ما بيني وبينك الإسلام" (١٤) .

انضمت بعض العشائر كبنو لام وبنو طرفة وربيعة وكعب والزرقان، إلى حركة الجهاد بفعل فتوى العلماء (١٥) . وقد كانت هذه العشائر ترى في حركة الجهاد فرصة للقضاء على الشيخ خزعل ، لبغضها له لشدة في جباية الضرائب . وقد أدى انضمام هذه العشائر، إلى إخراج موقف الشيخ خزعل وفقدان سيطرته ، فقام بدحرها وأرسل قسما آخر بقيادة ابنه الأكبر (جاسب) نحو عشيرة (كعب) فدحرها هي الأخرى، وكانت القوات البريطانية مرابطة في المنطقة بقيادة الجنرال (روبنسون) والقوات التركية كانت قريبة ومعسكرة في منطقة (الغدير) التي سميت المعركة باسمها (١٦) ..

وعندما أرادت القوات البريطانية مباغته القوات التركية ، بوغت من قبل العشائر بقيادة المجاهدين العلماء . وألحقت خسائر فادحة كبيرة بالطرفين . مما أدى إلى

انسحاب القوات البريطانية سريعاً وبصعوبة بالغة . ومما سهل عليهم الانسحاب، قيام القوات التركية بضرب العشائر العراقية بالمدافع بالخطأ، لشدة حماسهم ، الامر الذي أدى حصول خسائر وفوضى في صفوف العشائر. وكانت القوات البريطانية واضحة أمامها مصلحتها الكبيرة في حماية آبار نفط خوزستان ؛ ويؤكد بعض الباحثين أن تواجد القوات البريطانية في المنطقة لم يكن يستهدف الدخول الى العراق في تلك الفترة ، وإنما كانت خطتهم منصبة على حماية آبار نفط خوزستان . ومن ثم تأتي مرحلة التوسع في احتلال البصرة (١٧) . وبالتأكيد إن هذا الرأي لا يخلو من محاولة لاختلاق تبرير عدم مشاركة البعض في حركة الجهاد ! فالتبرير هذا لم يكن مقنعاً ؛ لا سيما وإن القوات البريطانية كانت تهدد أمن المنطقة كاملاً .

ج. معركة الشعبية : اما الجانب الأيمن، فقد ضم من العلماء السيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ باقر حيدر وآية الله السيد محسن الحكيم ، ومعهم العديد من القبائل المجاهدة . وكانت جبهتهم هي منطقة (الشعبية) في جنوب شرق البصرة ، وفيها كانت المعركة الحاسمة والفاصلة بين طرفي الصراع . ، حاول القائد البريطاني العسكري الجنرال (باريت) تحصين هذه المنطقة بالخنادق والأسلاك الشائكة وأكياس الرمل . مما جعلها منيعة وأمنة من كل غارات الأتراك والمجاهدين . بينما تجحفل المجاهدون والجيش التركي في أدغال البرجسية التي تقع جنوب شرق الشعبية ، وقد قدر عدد الجيش التركي بأكثر من ستة آلاف جندي وأكثر من خمسين ألفاً من المجاهدين (١٨) .

كانت الخطة التي وضعها القائد العسكري سليمان بك أن يقوم بهجوم واسع على مواقع القوات البريطانية المحصنة ، على أن يكون القلب بقيادة الجيش التركي والمجاهدون على جانبيه في الميمنة والميسرة . ولكن كان هنالك رأي وضعه الألمان

حلفاء الدولة العثمانية على ان يكون الهجوم محاصرة القوات البريطانية في مواقعها من جميع الجهات ، وكان هذا الرأي أيضا للقائد المجاهد المتمرس بالحروب (عجمي السعدون) فقد كان يرى الاكتفاء بمحاصرة العدو وشن الغارات عليه وقطع خطوط مواصلاته ، إلا أن القائد سليمان عسكري بك الذي كان محمولا بنقلته بعد إصابته في المعركة الأولى - معركة الروطة - كان مصرا على مهاجمة البريطانيين مباشرة . وفي الصباح الباكر من يوم ١٢ نيسان ١٩١٥ م بدأت القوات التركية بهجومها الواسع على مواقع القوات البريطانية وفي ضوء خطة القائد العسكري سليمان بك . وقد استمر القتال بين الطرفين مدة يومين . ولم يتحقق لأحدهما النصر . وقد أبدى الجيش التركي بسالة نادرة ؛ وكذلك بعض المجاهدين أمثال عجمي السعدون (١٩) .

وفي نهاية اليوم الثاني من المعركة وصل الجنرال (ميس) من مصر وهو رجل شجاع الى حد البطش فتولى قيادة القوات البريطانية ، فأصدر أوامره بخروج الجيش من الخنادق والهجوم على القوات العثمانية . ونشب بذلك قتال ضار بالسلاح الأبيض ، وفي أثناء تواصل هذه المعركة الدامية ؛ أكدت بعض المصادر البريطانية لاحقا أن القائد (ميس) كان في نيته الانسحاب ولكنه لم يصدر أمره بذلك ؛ وإنما أراد فسخ المجال لنقل جرحاه من ارض المعركة . فأمر قواته باستخدام كافة العجلات والبغال بغية نقل الجرحى . وقد أثارت هذه العملية غبارا كثيفا ؛ فظن الأتراك والمجاهدون أن نجدة من القوات النظامية التركية ؛ لا سيما وإن هناك شائعة أخذت مداها وهي : أن القائد التركي سليمان بك قد قتل في المعركة ؛ وقد أدت تلكما الحالتان الى ضعف العزيمة في نفوس المقاتلين الأتراك ، وحدث من جراء ذلك هزيمة كبرى في صفوف القوات العثمانية (٢٠) .

٣ - مواقف علمائية: حينما انكسر الجيش العثماني في القرنه اندحرت القوات العثمانية ، وفرت من ارض المعركة وقد أشار البعض على السيد مهدي الحيدري بالمكوث في مدينة العمارة ؛ لأنها مركز القوة وموطن العشائر ، فوافق السيد وعاد الى العمارة بعدما كان مصمما على التقدم الى مجابهة قوات الاحتلال . وما أن حل فيها حتى جاءه القائد العسكري وابلغه بإخلاء مدينة العمارة والانسحاب منها . فرفض السيد الحيدري وأمر القائد وقال كلمته الخالدة : "أما انا فلا أتحرك من هذا المكان وأحاربهم هنا حتى أقتل او انتصر". فلما سمع القائد ذلك بعثت فيه روح القوة والعزم وألهمت فيه النخوة والحماس وعدل عن رأيه في الانسحاب . و حينما تمت تعبئة المجاهدين من مختلف العشائر العراقية في مدينة العمارة ، تحرك السيد الحيدري والمجاهدون الى ساحة الحرب باتجاه القرنة ونزل السيد في مقر القيادة العسكرية ، فجاءه القائد العسكري سليمان بك لزيارته والسلام عليه . ثم عرض القائد على السيد الحيدري أن يقدم ما يحتاجه المجاهدون من المؤن والأموال ، فرفض السيد الحيدري ذلك وقال له : "إننا مستغنون عن مساعدتكم ، ولو تمكنا نحن على مدكم بالمال والطعام لفعلنا " فشكر القائد له هذا الشمم العلوي والإباء الهاشمي(٢١) .

لقد كان موقع المجاهدين في معركة القرنة في مكان ليس بالمتقدم من المعركة ! وإنما كان موقع تعزيز للقوات النظامية التركية ، السيد الحيدري انتبه الى ذلك وقال : " أن المصلحة الإسلامية تتطلب تقدم قوات المجاهدين الى عمق ساحة المعركة ، وسوف أكون انا ومن معي من العلماء في مقدمة المجاهدين " ، وقد اشار عليه البعض بأن موقعه خلف المعركة سوف يكون ذا تأثير وسيطرة من حيث التعبئة والتهيئة والتنظيم ، فقال (رحمه الله) : " إن هذه الجموع الغفيرة إنما جاءت للحرب والدفاع ولا

تتقدم الى القتال ما لم نتقدم بأنفسنا أمامهم ونكون معهم في السراء والضراء". ولما رأى إصرار البعض عليه جعل من الاستخارة الفصل بذلك فكانت الآية الكريمة ﴿ وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٢) وكأن هذه الاستخارة هو الوحي المنزل ، ومن ثم قرروا الزحف معه الى الميدان . وحينما نصبت خيام السيد الحيدري (رحمه الله) في قلب المعركة وكانت هدفا لقذائف المدفعية والقنابل القريبة ، كان بعض العسكريين من الأتراك يقولون بعد انتهاء المعركة . حينما اشتد الضغط علينا هممنا بالانسحاب ؛ ولكننا كلما رأينا خيام السيد وأصحابه المجاهدين قائمة بمكانها ، تقوى عزيمتنا ويشد بأسنا . ونستحي من الانسحاب ونقول في أنفسنا : كيف ينسحب الجيش والسيد وأصحابه المجاهدون ثابتون في ميدان المعركة؟! (٢٣).

٤ - حركة الجهاد الثانية: بعد دحر القوات البريطانية في موقع الكوت ، بعثت روح الأمل في نفوس العثمانيين من جديد ، وقبل هذا النصر العثمانيون يعيشون حالة اليأس والتذمر ؛ وقد بلغ التشاؤم بين الأتراك أقصاه في أيلول وتشرين الأول ١٩١٥ م عندما كانت قوات طاووزند تزحف نحو الكوت مستهدفة بغداد ، في هذه الفترة خطر لبعض المسؤولين أن يلجأوا الى دعوة حركة الجهاد تحت شعار جديد هو (العلم الحيدري الشريف) وكان الأتراك أرادوها شيعة ليس مثلما كانت في الأولى ذات صبغة إسلامية عامة . وقد أوفدت الحكومة العثمانية القائد محمد فاضل الداغستاني على رأس مجموعة كبيرة من الخيالة . وقد شارك في هذه الحركة الثانية كل من السيد محمد بن السيد كاظم اليزدي والشيخ محمد جواد الجزائري والشيخ فتح الله الأصفهاني والسيد هبة الدين الشهرستاني والسيد علي التبريزي .

ثم توجه العلم الحيدري الشريف الى بغداد وفيها زار علماء الشيعة علماء الاعظمية وألقى الشيخ احمد الشيخ داود دعاء أمن عليه الحاضرون (٢٤).

في هذه الفترة تحركت القوات الروسية الى ايران واحتلت كرمينشاه واقتربت من مدينة خانقين ، فاضطربت بغداد بذلك اضطرابا شديدا ومن ثم غادر العلماء موقع الكوت بعد أن أرسلتهم الحكومة العثمانية لإعلان الجهاد في إيران . فمنهم من توجه الى الكاظمية ومنهم من ذهب الى الغراف لمعاونة الشيخ خيون العبيد رئيس عشيرة العبودة الذي كان مشغولا بمحاربة القوات البريطانية ، وكان على رأس من ذهب الى الغراف السيد علي التبريزي . اما القوات الانجليزية فأنها بعد أن انكسرت في جبهة الكوت حاولت تعزيز موقفها . مما جعل القوات أكثر فاعلية وسيطرة في هذه المنطقة ، ففي ١١ آذار ١٩١٦ م شن الانجليز هجوما شديدا على العشائر التي كانت بقيادة القائد محمد فاضل الداغستاني . هذا الهجوم فاجأ العشائر فجرا بإطلاق النار . فانسحبت نحو نهر الغراف، وقد هلك عدد كبير منهم ، وقد خلف هذا الهجوم انكسارا فظيعا في صفوف العشائر وجحافل الجيش التركي وحينئذ هب الداغستاني يريد إثارة حمية العشائر للصمود تجاه الهجوم الانجليزي ، وقد ذكر الوردى أن الداغستاني : "رمى كلاؤه على الأرض وأخذ يلطم رأسه، ثم أسرع الى فرسه يريد امتطاءها ، وبينما هو يضع رجله في الركاب سقط ميتا" (٢٥).

كان لكل معركة من تلك المعارك أسباب ونتائج ؛ وتختلف الوحدة عن الأخرى حسب طبيعة الوضع السياسي والوضع العسكري ، إضافة الى متطلبات أمنية لساحة المعركة ، ولكن على الإجمال نذكر الأسباب الظاهرة والمشاركة في كل معركة تقريبا ، ومنها :

١ - التملل والتذمر في صفوف العشائر : سواء كان ذلك من جراء البعد في الفترة الزمنية من معركة الى أخرى ، او كان ذلك نتيجة المعاملة السيئة من قبل الأتراك .

٢ - أسلحة القوات العثمانية قديمة : وغير متطورة قياسا لحدثة الأسلحة البريطانية.

٣ - جواسيس الانجليز المنبثين في صفوف المجاهدين .

٥ - ثورة النجف : بعد دخول القوات البريطانية الى بغداد في الحادي عشر من شهر اذار سنة ١٩١٧ م رأوا من حسن السياسة والمصلحة ترك بعض مدن الفرات الأوسط . ولا سيما مدن العتبات المقدسة تدار من قبل زعمائها وشيوخها . كما كانت في الأيام الأخيرة لحكم العثمانيين في العراق (٢٦).

ظهرت في مدينة النجف الاشرف ، بعد الاحتلال جمعية إسلامية سرية تدعى جمعية النهضة الإسلامية ؛ استهدفت تخليص العراق من براثن السيطرة البريطانية . وبث الوعي السياسي في صفوف المسلمين لمحاربة الكافرين ، ومن أعضاء هذه الجمعية العاملين : السيد محمد علي بحر العلوم ، والشيخ محمد جواد الجزائري ، والشيخ محمد علي الدمشقي ، والسيد إبراهيم البهبهاني ، والشيخ عباس الخليلي وكان الخليلي من اشد الأعضاء حماسة وأكثرهم حركة (٢٧).

نشطت الجمعية في توزيع المنشورات ولصق الإعلانات المنددة بسياسة الاحتلال البريطاني ، وانتهز كل مناسبة للتشهير بسوء إدارة الاحتلال . ثم أنها حاولت توسيع نطاق عملها بنشر دعوتها بين القبائل المحيطة بالنجف والكوفة وأبي صخير والشامية ، وبين حملة السلاح من أهالي النجف . وقد انظم إليها من الشيوخ كل من : الشيخ مرزوك العواد رئيس العوايد ، والشيخ وداي رئيس آل علي ، والشيخ سلمان الفاضل رئيس الحواتم ؛ واما من حملة السلاح النجفيين ؛ البعض من : آل صبي ، وآل

غنيم ، وآل ابو كلل ، وآل عدوة كرماشه ، وآل الروازق ، وآل العكايشي ، وآل الحاج راضي ، وآل ابو كلل ، وآل عدوة . فأصبحت جمعية النهضة الإسلامية تمتلك خطأ قياديا فكريا يتمثل بتواجد بعض العلماء ، وآخر يتمثل بحملة السلاح . وقد قرر أبطال الجمعية (٢٨) قتل الكابتن البريطاني (مارشال) في (خان عطية) الذي اتخذ مقر له ؛ وانقسموا الى ثلاثة أقسام لتنفيذ هذه العملية الاقتحامية:

القسم الأول : كان بقيادة الحاج نجم البقال .

القسم الثاني : اتخذ منهم كمائن في أماكن السراي المهمة.

القسم الثالث : بقي في المدايع قبالة (خان عطية) قوة احتياطية . وقد قدم الحاج نجم البقال في ١٩ / آذار / ١٩١٨ الى (خان عطية) وهو يحمل رسالة معنونة باسم الكابتن مارشال ، وعليها إشارة (مستعجل جدا) . وطرق باب الخان ، وما كاد الحارس يفتحها حتى عاجله محسن ابو غنيم وطعنه بالخنجر فأرداه قتيلا ، وقتل حارسا آخر . وقد أجهز الحاج نجم على الكابتن مارشال وأرداه قتيلا ايضا . ولذا الجميع بالفرار بعد ان أطلق الحراس في أعلى (الخان) النار على الجميع واستشهد احد المجاهدين (حسن جوادي) وجرح كل من : صادق الأديب ، حميد عيسى حبيبان ، حبيب جاسم خضير (٢٩) .

حاول النجفيون إبعاد مسئوليتهم عن هذه العملية ، وأخذوا بالكتمان والسرية ، وقد حاولوا اقناع بلفور الحاكم العسكري في الشامية والكوفة ، بان العملية لم تكن من أهالي مدينة النجف ، وإنما من عصابات خارج المدينة ، ولكي يظهر النجفيون له صدق ادعائهم دعوه الى جولة في شوارع وأسواق المدينة ، إن كان هناك إثريدل على اشتراك أهالي المدينة بالعملية . وفي الوقت الذي كان فيه بلفور يتجول في شوارع المدينة ، تحرش أفراد من الشرطة المسلحين الذين كانوا يتجولون في محلة المشراق بأولاد الشيخ سعد الحاج راضي ، رئيس هذه المحلة ؛ وهم الأخوة احمد ومحسن

وكريم واسمعوهم بعض الكلمات النابية ، وكان هؤلاء الأخوة أعضاء في جمعية النهضة الإسلامية وقد عز عليهم تخلفهم في العملية الأولى بقيادة الحاج نجم البقال . فأطلقوا عيار اتهم النارية صوب الشرطيين ، فخرا صريعين وكان بلفور لا يزال يتجول في شوارع المدينة ، وقد جفل حين سمع أزيز الرصاص . وعلم بمقتل الشرطيين ، وفر هاربا الى الكوفة . فهجم أهالي المدينة على دار الحكومة القديمة في البلدة بعد فرار حاميتها وحراسها . وهكذا استبد الثوار بالمدينة وخلا جوها لهم بهذه السرعة ، على ان جلهم من أهل المشراق ، اما بقية الأحياء فلم يشترك أول الأمر احد منهم بالثورة (٣٠).

اما موقف الحكومة البريطانية من هذين الحادثين فإنها أوفدت جيوشها الى المناطق القريبة والبعيدة عن المدينة ، وقد ضربت القوات البريطانية حصارا على المدينة قارب الخمسين يوما . وبعد حادثة مقتل الشرطيين ومحاولة قتل بلفور ، تكشف سر الحادثة الأولى في مصرع الكابتن مارشال ؛ ولم يبق سرا دفيننا في صدور القائمين به . فأخذت القوات البريطانية بقصف محلة المشراق في مدينة النجف مع سياسة التحفيز بالقبض على الثوار الذين ساهموا في العمليتين ؛ وذلك عن طريق بذل الجوائز والهدايا لمن يعثر على احدهم . واستطاع البريطانيون السيطرة على المدينة بعدة عوامل ؛ منها : الحصار الأليم الذي دام خمسين يوما ، وانتهاج السياسة البريطانية مع أهالي النجف وهي : الترغيب والترهيب ، وكذلك استخدامها للقوة العسكرية في تخريب ما يقارب الخمسمائة بيت من جراء القصف (٣١).

بعد ان تمكن البريطانيون من إلقاء القبض على الثائرين ، أقاموا محكمة علنية وباللغة العربية على جسر الكوفة ؛ قررت فيها إعدام (١٣) متهما ، وحبس (٧) وإبعاد (١٢٣) رجلا الى الهند بوصفهم أسرى حرب ، وقد أبدل القائد العام حكم الإعدام بحق

(عزيز الاعسم) (٣٢) الى السجن المؤبد ، وتمكن آخر من الإفلات والنجاة بنفسه . نفذ حكم الإعدام فجر الثلاثاء ٣٠ مايس ١٩١٨ في خان الحاج محسن شلاش في جسر الكوفة بحق (١١) شخصا (٣٣) . ومن ثم قررت القوات البريطانية إبعاد مجموعة من الثوار الى الهند (٣٤) . وقد عمدت السلطات الانجليزية الى تنفيذ أحكام الإعدام أمام حشد من الناس الذين أرغموا على الحضور لرؤية مشهد التنفيذ وذلك لبث الخوف في نفوسهم . اما زعيما (النهضة الإسلامية) الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم فقد حكم عليهما بالإعدام ، ولم ينفذ الحكم بهما بعد توسط آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي ، وشيخ المحمرة الأمير خزعل ، واستبدل الحكم بنفيهما الى خارج العراق(٣٥).

المبحث الثاني: ثورة العشرين ومواقف المرجعية ودورها فيها

بعد أن استقر الوضع في العراق لصالح القوات البريطانية ، وبسطة نفوذها الكامل على مناطق العراق . وبالأخص بعد احتلال مدينة بغداد فجر اليوم الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٥ هـ والحادى عشر من شهر اذار عام ١٩١٧ م . أعدت الدوائر البريطانية منشورا ليذاع على أهالي بغداد من قبل القائد العسكري (مود) . ويعتقد ان الجنرال مود لم يؤخذ رأيه في هذا المنشور ، ولكنه أذاعه على كره منه ؛ وإن ما جاء فيه من وعود جعل العراقيين يتأملون في البريطانيين خيرا . خاصة ما جاء فيه : "الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو وإخراجه من هذه الصقاع ، فإتماما لهذه المهمة ، وجهت الي السلطات العليا المطلقة على جميع الأطراف التي يحارب فيها جنودنا ، الا ان جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أعداء، بل بمنزلة محررين"(٣٦).

بالطبع هذه الوعود لم تخل من القدرة على امتصاص غضب الجماهير المستنكرة لاحتلال البريطانيين ارض الرافدين المقدسة . وقد رأى العراقيون في مقطع آخر من المنشور الطموح القومي لوحدة العرب . وان كان قبال ذلك مطامع بريطانيا المعلنة في ما يشبه عملية مقايضة بين الشعب العراقي والحكومة البريطانية ونوعا من المعاهدة بين الطرفين !!

فقول مود في المنشور في فقرته : " انني مأمور بدعوتكم بواسطة أشرافكم والمتقدمين فيكم سنا وممثليكم الى الاشتراك في إدارة مصالحكم الملكية لمعاوضة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش ، كي تناضلوا مع ذوي قرباتكم شمالا وجنوبا وشرقا وغربا في تحقيق طموحاتكم القومية " (٣٧) .

ان الوعود السياسية التي قطعها بريطانيا ، لم تنفذ وقد كان هنالك رايان ، تمثلا في مدرسة الهند (البريطانية) ومدرسة (القاهرة) البريطانية . فالإدارة البريطانية في الهند كانت تتبنى اتخاذ سياسة متشددة ضد العراقيين وتكاد تمثل الموقف المتصلب ؛ فيما الإدارة البريطانية في القاهرة كانت تدعو الى اتخاذ سياسة مرنة نوعا ما واقل تصلبا من السياسة البريطانية في الهند . وقد كان لهذه المدرسة (الهند) تأثيرا فاعلا في سياسة العراق إجمالا . فقد وضعت السياسة البريطانية نظاما لجباية الأموال الأميرية من الحاصلات الزراعية ، فوافق عليه رؤساء العشائر . وقد أبدت السلطات البريطانية نوعا من السماح والتساهل في هذا النظام . وعندما أعلنت الهدنة تغيرت السياسة البريطانية تجاه هذا النظام بالذات ؛ حيث انتفت الحاجة الى المصانعة ، وقد ظنوا انهم استمالوا شيوخ العشائر اليهم ؛ فقد فرضوا بعد ذلك ضرائب ورسوموا لا يقرها واقع الحال . ولا يرضيها الوجدان وقد مارس البريطانيون سلب الناس اموالهم واستنزاف ثرواتهم بطرق ملتوية غير مشروعة ، والانكى من ذلك انهم تفننوا بجمع الضرائب وفرضها على الشعب ، فحتى الموتى لم يسلموا من الضريبة ووضعو

رسوما على من يدفن في الحضرة الحيدرية رسم قدره (٧٥٠) ربية و (٦٣) ربية لمن يدفن في الطارمة و (٣٢) ربية في الغرف المطلة على الصحن اما في وادي السلام فكان (٦) ربيات (٣٨). وقد خلقت هذه السياسة تدمرا واستياء في نفوس الشعب بمختلف طبقاته ، وهذا التدمير لا يخلو من كونه مرحلة يمكن توظيفها للتصدي والوقوف بوجه هذا المستعمر .

١ - الأثر العلمائي في التعبئة : ان العلماء الحركيون لم يقفوا مكتوفي الأيدي ، ولم يبتعدوا عن الحدث السياسي، رغم إخفاق الحركة الجهادية فقد كان التشاور والرسائل بين بغداد والنجف متواصلة (وأسفار العاملين على بعث التدمير في النفوس في المدينتين غير منقطعة) (٣٩). فاتصال العلماء برؤساء العشائر كان مستمرا ومتواصلا ومنصبا في جانبين ؛ الجانب الديني المتمثل بإطاعة رؤساء العشائر لعلمائهم في مجالي المعاملات والعبادات ، والجانب السياسي المتمثل في الرؤية المشتركة لمحاربة الانجليز . لا سيما وان السياسة البريطانية خلقت تدمرا واسعا في صفوف العشائر ورؤسائها . وقد استثمر هذا التدمير طبقة كبيرة من العلماء العاملين في احتضان رؤساء العشائر المؤثرين في أوساط مجتمعهم من حيث التعبئة والطاعة لعلمائهم . وقد ضمنت الطبقة العلمائية الفاعلة ، موقف العشائر معها فيما لو توفرت الظروف لإعلان الثورة بوجه البريطانيين المحتلين . وتم عقد اجتماع سري ، في أواخر شهر جمادي الأولى من عام ١٣٣٨ هـ في مدينة النجف ضم وجوه ورؤساء العشائر ، وبعض الوطنيين وعلماء فاعلين عاملين ، وقد شاءت الأقدار ان هؤلاء هم ذاتهم كانوا زعماء في حركة الجهاد . واصبحوا زعماء أوائل في ثورة العشرين ووضعت في هذا الاجتماع سياسة السلطة البريطانية المحتلة قيد المناقشة فتقرر (٤٠) :

١- نشر دعوة واسعة النطاق للثورة والاستعداد الكامل لمجابهة الطواغيت ، وبالخصوص بين رؤساء القبائل لنبد الخصومات وتوحيد الكلمة .

٢- عهد الاجتماع السري الى بعض الخطباء بمهمة نشر دعوة الثورة في المناطق الوسطى والجنوبية ، كالشيخ محمد علي القسام ، والشيخ باقر الحلي ، والشيخ محسن ابو الحب ، وغيرهم .

كان هذا الاجتماع هو الركيزة الأولى الممهدة لاندلاع الثورة . ففي يوم الخامس عشر من شعبان من ذات العام ١٣٣٨ هـ وعلى العادة السنوية . قصد مدينة كربلاء للزيارة الشعبانية ولادة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) جمع كبير من رؤساء العشائر وزعماء الدين وسادات العشائر ، فعقد اجتماع تمهيدي في دار السيد ابو القاسم الكاشاني برئاسة نجل آية الله الشيخ الشيرازي الشيخ محمد رضا ، فيما عقد اجتماع آخر بحضور آية الله الشيرازي (محمد تقي الحائري الشيرازي) وتحت رئاسته مباشرة ، وفتح النقاش حول الثورة . فأنتبه الشيخ الشيرازي وقال : "ان الحمل لثقل فأخشى ان لا تكون للعشائر قابلية المحاربة للجيوش المحتلة " (٤١)؛ فأكد الحاضرون أن الثورة لابد منها وان كنا لا نرغب في الحرب ، ولكن السيد تردد في إعطاء الحسم ، اعتقاداً منه ان الحمل ثقيل ، فقال : " أخشى ان يختل النظام ، ويفقد الأمن ، فتكون البلاد في فوضى ، وانتم تعلمون ان حفظ الأمن أهم من الثورة بل واوجب منها " ، فأجابه الحضور بتمكنهم من حفظ الأمن ، فقال : "إذا كانت هذه نياتكم ، وهذه تعهداتكم بالله في عونكم" (٤٢).

اجتمع هؤلاء الزعماء في ليلة ١٦ شعبان ١٣٣٨ هـ في دار السيد نور الياسري في محلة السلامة ؛ ثم في الحضرة الحسينية . حيث أدوا اليمين وعاهدوا الله ورسوله وفرقائه المبين على انهم لا يدخرون وسعاً لإنقاذ بلادهم من البريطانيين المحتلين . وقد تمثل

حضور الزعماء كالعامة الشيخ عبد الكريم الجزائري، والزعيم البغدادي محمد جعفر ابو التمن، والسيد محمد علي هبة الدين، والسيد نور السيد عزيز الياسري، والسيد علوان عباس، والسيد هادي آل زوين. ومن الرؤساء شعلان ابو الجون، وغثيث الحرجان، والشيخ عبد الواحد آل سكر، والشيخ شعلان الجبر، والسيد عبد الوهاب آل طعنة، وعمر العلوان، ومهدي القنبر، وطليفيح الحسون، ورشيد المسرهد، وعبد الكريم العواد، ومجبل آل فرعون، وعلوان الحاج سعدون، وعبادي الحسين، وشعلان العطية، وقاطع العوادي، ومحمد رضا الصافي، ومحسن ابو طبيخ(٤٣).

قرر المجتمعون في هذه الاجتماعات الثلاثة الأخيرة في منتصف شعبان، إعلان الثورة في مواضع مختلفة في يوم واحد ليتمكنوا من مشاغلة القوات الانجليزية في ميادين مختلفة، وكلفوا الشيخين: شعلان ابو الجون، وغثيث الحرجان ان يستعدا للقاء في السماوة وان يحرضا الرؤساء على الانضمام تحت هذا اللواء المقدس (٤٤) وهذه الأحداث اظهرت بشكل قاطع ان دور العلماء كان دورا رئيسيا في تعبئة الجماهير، وهم الذين استطاعوا ان يوظفوا التذمر والنفور في نفوس العراقيين تجاه الحكومة المحتلة توظيفا صحيحا ومثمرا، ومن ثم استطاعوا الموازنة والسيطرة على اغلب الأحداث. وبالخصوص آية الله الشيخ الشيرازي، وشيخ الشريعة الأصفهاني. فقد كان لحكمتهما أثر في موازنة الأحداث؛ وبالخصوص قبل اندلاع الثورة في الرميثة. وبالذات في فترة اعتقالات ونفي الأحرار من أهالي مدينة كربلاء الى جزيرة هنجام الهندية؛ فقد كانت نصائح شيخ الشريعة الأصفهاني الى حاكم الحلة (البريطاني) ذات حكمة في تحذيره عن مغبة هذا العمل، ولكنه لم يأخذ بهذه النصائح التي وردته بكتب رسمية موقعة من قبله. فهذه النصائح لا تخلو من كونها موازنة في اسلوب الترهيب والترغيب؛ وحتى حينما اندلعت ثورة الرميثة كان لشيخ الشريعة مواصلة مستمرة في كتبه الى حاكم الحلة وحاكم الشامية

البريطانيين . واغلب كتبه كانت تحذر البريطانيين من المستقبل الذي لا تحمد عقباه ؛ اذا لم تتراجع الحكومة البريطانية عن قرارها بإعادة المنفيين ومن جملتهم ابن آية الله السيد الشيرازي الشيخ محمد رضا (٤٥).

وقد ذكرت المصادر التاريخية تشكيل مجلسين لقيادة شؤون الثورة : سمي الأول بـ (المجلس الحربي الأعلى) . وقد تألف من خمسة علماء هم : السيد هبة الله الدين الشهرستاني ، والسيد ابو القاسم الكاشاني . اما المجلس الثاني فهو (المجلس العلمي) وقد ضم سادات كربلاء وبعض رؤساء العشائر وكان السيد ابو طيخ ممثلاً عن العلماء في هذا المجلس . ويذكر ايضاً ان مجلساً ثالثاً كان قد تشكل وسمي (مجلس الإعانات للمعوزين من الثوار) (٤٦). هذان المجلسان لا يستبعد إنشاؤهما في الاجتماع السري الذي عقد في الخامس عشر من شعبان وبالذات في دار السيد نور السيد عزيز الياسري ، وهناك احتمال آخر هو : تأسيسهما بعد أحداث كربلاء التي تم فيها إبعاد الأحرار إلى جزيرة هنجام الهندية .

وقد تولى مهمة الإشراف على هذين المجلسين آية الله محمد تقي الشيرازي (٤٧) ؛ وقد خدعت صلاحيات كل منهما – أي المجلسين – فالمجلس الحربي له التوجيه وقيادة الأعمال والشؤون العسكرية ؛ فيما كان المجلس العلمي يدير الشؤون السياسية والإدارية العامة وتنظيم شؤون الأهالي . وكان من أبرز أعماله تشكيل مجلس إدارة كربلاء وتعيين السيد محسن ابو صبيح متصرفاً للواء . وطليفح الحسون مديراً عاماً للشرطة ، و خليل عزمي مديراً للتحرير (٤٨) .

اما في مدينة النجف ، فبعد وفاة آية الله الشيرازي ؛ تولى آية الله الشيخ الشريعة منصب المرجعية العليا ، فكانت النجف تدعى (عاصمة الثورة) ، فقد أنشئت فيها ثلاث هيئات : (المجلس البلدي) و (هيئة القوة التنفيذية) و (الهيئة الدينية العليا) ، فالأولى خدعت في جباية الضرائب والرسوم والإشراف على الشؤون الصحية والبلدية

والاقتصادية والأمنية ؛ اما الثانية فضمت أعيان المدينة وزعماءها المحليين . اما الثالثة فقد ترأسها شيخ الشريعة نفسه ؛ وضمت في عضويتها خمسة عشر عالما بارزا من علماء النجف (٤٩) . وقد كان لهذه الهيئة موقع قيادي محلي قبل وفاة آية الله الشيرازي ؛ اما بعد تولي آية الله شيخ الشريعة المرجعية العليا وقيادة الثورة ؛ فقد أصبحت هذه الهيئة (الثالثة) بمثابة مجلس استشاري تنفيذي أعلى للثورة . فيما يتعلق بالسياسة العامة للثورة داخل النجف او خارجها . اما المجلس الحربي الاعلى ؛ فقد استبدل بهيئة جديدة سميت (القيادة العليا للثورة) ووضعت إشراف آية الله شيخ الشريعة في النجف . وقد ضمت العديد من كبار رؤساء العشائر وعهدت قيادتها المباشرة الى الشيخ محمد العبطان رئيس عشيرة الخزاعل (٥٠).

اما باقي المحافظات التي تم تحريرها من الاحتلال فقد تشكل فيها (مجالس محلية) لتنظيم شؤون الأهالي وكان رؤساء العشائر يتصدرون عضوية هذه المجالس يفصلون بالمنازعات طبقا للأحكام الشرعية . وقد كان تولي آية الله الشيرازي ومن بعده شيخ الشريعة إسهاما فاعلا في إدارة الأمور العسكرية والسياسية للثورة ؛ فقد كان هناك تبادل بالرسائل والتقارير التفصيلية من أعضاء قادة الثورة الميدانيين ؛ والمرجعية الدينية العليا (٥١).

ولم يتحدد دور العلماء بهذا النشاط السالف الذكر ؛ وانما قام البعض منهم بالتوجه الى جبهات الحرب للإشراف على العمليات العسكرية والمشاركة في القتال . فقد توجه السيد ابو القاسم الكاشاني ، والشيخ جواد الجزائري ، والسيد هبة الدين الشهرستاني وقادوا العمليات العسكرية مباشرة ضد القوات البريطانية (٥٢) . وقد توجه كذلك الشيخ محمد نجل المجتهد حبيب الله والشيخ عبد الحسين مطر لاستنهاض العشائر في جبهة الناصرية والقتال معها (٥٣) .

اما في دور التعبئة والتوجيه فقد انشأت (الهيئة العلمية الدينية العليا) لجنة أسمتها لجنة (إرشاد ودعاوة) (٥٤) للإشراف على ما يصدر من منشورات وبلغات (٥٥) تصدر عن الهيئة العليا ، وقد عكست هذه المنشورات المضمون الإسلامي للثورة الذي تجلّى من خلال الإشراف المباشر للعلماء على أعلام الثورة وتوجيهه : كما كان للخطباء والشعراء تأثير بارز في جعل المساجد والحسينيات مراكز للتعبئة الدينية السياسية . كما كان لهم تأثير في المناطق القبلية في وسط وجنوب العراق . اما على مستوى الصحافة بإشراف الهيئة العليا لعلماء الدين فكانت هناك صحيفتان هما صحيفة (الفرات الأسبوعية) التي كان يترأسها الشيخ باقر الشبيبي وقد صدر منها خمسة أعداد (٥٦) ؛ والصحيفة الأخرى (الاستقلال) التي كان يشرف عليها السيد محمد عبد الحسين وقد صدر منها ثمانية أعداد (٥٧) .

٢ - الشرارة الأولى من أحداث الثورة : أجمعت المصادر التاريخية على ان الاجتماع السري في الخامس من شعبان وبتأييد وموافقة آية الله الشيرازي هو النواة الأولى للتخطيط : كما أجمعت المصادر على ان هذا الاجتماع حضره رؤساء العشائر العراقية وبالخصوص الشيخ شعلان ابو الجون وابن عمه غيث الحرجان . فبعد المعاملة السيئة من قبل الانجليز لاحرار العراق وعلماء الدين ، وبالخصوص بعد ان تعهدت الحكومة البريطانية في العراق بمنح العراقيين "حكومة مستقلة تضمن استقلالها عصبة الأمم وتوكل بريطانيا وكالة بها " (٥٨) . وقد نشر بيان الانجليز بهذا الخصوص في يوم ١٧ حزيران عام ١٩٢٠ ، إلا ان العراقيون كانوا يشككون كثيرا بهذه المواعيد المعسولة ، لا سيما وأن الكثير من مواعيد الانجليز لم تطبق ، وما ان حل يوم ٢٠ حزيران ١٩٢٠ ، حتى بادر الأحرار من العراقيين بتنظيم مظاهرات صاخبة في صحن الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيه العباس

(عليه السلام) ، فقامت القوات البريطانية باحتلال المدينة وإلقاء القبض على منظمي هذه التظاهرة . وبعد مواقف عصيبة مرت على الأهالي في المدينة من قبل قوات الاحتلال ، وجه آية الله الشيرازي نداء الى ولده محمد رضا بتسليم نفسه مع إخوانه من أحرار كربلاء ؛ وقد تم ذلك فاتخذت بريطانيا قرارا بإبعادهم الى جزيرة هنجام . وقبل ان يتخذ آية الله الشيرازي قرارا بشأن تسليمهم ؛ رأى من الضرورة مخاطبة (الميجربولي) الذي لم يصغ بدوره الى نصائح آية الله الشيرازي . ثم رأى السيد الشيرازي ان يكلمه بالحسنى وان يذكره بعاقبة العمل الذي ينوي الإقدام عليه فكتب اليه : "الى حاكم سياسي الحلة الميجر بولي ...قرأنا كتابكم ، وتعجبنا غاية العجب من مضمونه ، حيث ان جلب العساكر لمقابلة الأشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعة لحياتهم ، من الأمور غير المعقولة ولا تطابق أصول العدل والمنطق بوجه من الوجوه ؛ ويحتمل ان يكون الأشخاص الذين يقصدون الإفادة من إيجاد الخلاف بين أهالي العراق والانجليز هم الذين غشوكم لينالوا بواسطته مقاصدهم ، وفي الليلة الماضية أردت مقابلتكم لرفع الشبهة من نفوسكم ، كي لا تغفلوا عن هذه النكتة ؛ ولكنكم امتنعتم عن ذلك ، وان نظرياتنا في أمور المملكة أصلح وانفع من سوق الجيوش واستقبال القوة البحرية . وادعوكم عجلة لأبلغكم ، ان توسلكم بالقوة في قبالة مطالب البلاد واستدعاءاتها مخالف للعدل وإرادة البلاد . واذا امتنعتم عن المجيء في هذه المرة ايضا ، فتصبح وصيتي للأمة بخصوص مراعاة السلم ملغاة من ذاتها ؛ واترك الأمة وشأنها وبهذه الصورة تقع مسؤولية كل نتائج السوء عليكم وعلى أصحابك وفي الختام لي الأمل ان تؤثر فيكم هذه النصيحة ؛ كي لا يقع ما يفسد النظام والأمن ؛ وكي لا تكونوا سببا لإراقة دماء الأبرياء " (٥٩) .

بيد ان مخاطبات آية الله الشيرازي الى الميجر بولي لم تجد نفعا مع عنجهية قادة الاحتلال ، وتم تفسير ونفي الأحرار ومن ضمنهم ابن الميرزا آية الله الشيرازي (الشيخ

محمد رضا) فلبى هؤلاء الأحرار نداء آية الله الميرزا الشيرازي ، وقد امر ان يكون ولده (الشيخ محمد رضا) اول من يسلم نفسه وبالفعل تم للآخرين تسليم أنفسهم بعد ان علموا بتسليم ابن الميرزا ، وكانوا (احد عشر) شخصا هم : ١- الشيخ هادي كمونة. ٢- محمد شاه هندي. ٣- عبد الكريم عواد. ٤- عمر الحاج علوان. ٥- عثمان الحاج علوان. ٦- عبد المهدي قنبر. ٧- احمد قنبر. ٨- محمد علي الطباطبائي. ٩- الشيخ كاظم ابو اذان. ١٠- ابراهيم ابو والده. ١١- السيد احمد البير (٦٠).

لم يكتف البريطانيون بتهجير الأحرار ؛ وانما حاولوا إلقاء القبض على الشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد نور الياسري والسيد علوان السيد عباس الياسري والشيخ محمد جواد صاحب الجواهر ، والحاج عبد المحسن شلاش ، من خلال دعوتهم للقاء حاكم الحلة . وقد فسر هذا اللقاء على انه استدعاء ، لكن الميجر نور بري حاكم النجف والشامية ، ومعه حميد خان ؛ عارضا اتخاذ مثل هذا التدبير . لأن مدينة النجف كانت تتظاهر بالهدوء والسكينة ، وخوفا من ان يفلت زمام الأمور في مدينة النجف من يد السلطة (٦١) . وبعد هذه الأحداث استبدل آية الله الشيرازي فتواه الأولى التي نصت على وجوب المحافظة والسكينة بفتوى الجهاد لتحقيق المطالب الوطنية المشروعة . حيث اصدر فتواه الشهيرة : "مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ، ويجب عليهم ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن ، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانجليز من قبول مطالبهم" (٦٢) .

كان لتلك الفتوى التي صدرت في العشرين من شهر حزيران عام ١٩٢٠ م ، صدى واسع في أوساط الجماهير ، اذ ، نقضت وأبطلت فتواه الشيرازي ، الأولى الداعية الى المحافظة على الأمن والاستقرار . لذلك ساهمت كل هذه الأجواء وسارعت في انطلاق الشرارة الأولى للثورة التي أطلقها شعلان ابو الجون ، هذه الأحداث التي تنفي مزاعم

القائلين بعفوية الثورة ؛ لا سيما وان الشيخ شعلان ابو الجون من الرؤساء الذين حضروا اجتماع كربلاء ١٥ شعبان . ثم ان رسل الاتصال بين زعماء العشائر والعلماء تنم عن حالة التنظيم والتواصل المستمر في إدامة روح الاستعداد والمواجهة. (٦٣) فحينما استدعى الشيخ شعلان ابو الجون الى سراي الرميثة من قبل الضابط البريطاني (هيأت) ويذكر في ضوء هذا الاستدعاء فريق المزهرة الفرعون في كتابه (الحقائق الناصعة) ان (هيأت) استقبل شعلان بالعنف والتوبيخ واسمعه كلاما مرا . لا يمكن لزعيم الظوالم ان يسمعه مهما كانت العاقبة سيئة . فقابله شعلان بشراسة وصلابة اشد (٦٤) .

فيما تذهب المس بيل في قولها : ان شعلان أبدى كثيرا من الشراسة في مقابلة (هيأت) ؛ بحيث اضطر (هيأت) الى حجزه وتوقيفه في السراي بقصد إرساله الى الديوانية (٦٥) . وبعد ذلك اخبره (هيأت) بأنه مرسل بقطار هذا اليوم الى الديوانية ، فالتفت شعلان الى تابعه الذي جاء معه وقال له : اخبر ابن عمي غيث الحرجان بأن يرسل لي عشرة ليرات عثمانية ، وانها يجب ان ترسل قبل موعد القطار . فلما وصل الى غيث الخبر ، عرف انه بحاجة الى عشرة رجال شجعان من عشيرته لإنقاذه بدلا من عشرة ليرات ، فبعثهم حالا فهاجموا على سراي الرميثة ، وكان فيه أربعة جنود ، قتلوا اثنين منهم وفر الآخرون ؛ فيما ذهب الملازم (هيأت) الى سطح السراي حاملا مسدسين ظنا منه ان الأمر هين وسوف يقضي على المهاجمين . فرأى ان الأمر ليس كذلك وقد تجمعت أعداد كبيرة من العشائر وهم يهزجون فرحين بانتصارهم ، فنزل من السطح وابرق الى الميجر ديلي في الديوانية يخبره بما حصل . اما بالنسبة الى شعلان فقد أيقن بأن العلاقة بينه وبين الانجليز قد انقطعت نهائيا . فاتخذ قرار الحرب حتى النهاية واستمرت الأحداث . وفي هذا الصدد يذكر الدكتور النفيسي (٦٦) عن سبب

استدعاء الشيخ شعلان ابو الجون من قبل الملازم (هيأت) . وينفي الذريعة التي ذكرها البعض من المؤلفين حول عدم تسديد الديون من كلفة زراعية استحق دفعها عن السنة الماضية. ويرى ان هذا السبب (تافه غاية التفاهة) ، وانما حقيقة الأمر هو اعتقاد البريطانيين من اتصالات الشيخ شعلان مع علماء مدينتي النجف وكربلاء ، كما المستر ونستون تشرشل أوضح في رده على سؤال بهذا الصدد : "أنه من المرجح ان تكون أسباب الثورة التي قامت في الرميثة ضد البريطانيين احتياج او إثارة دينية مصدرها النجف" (٦٧) .

٣- الولاء الديني للعشائر العراقية وموقف علماء الدين : يتضح ظهور هذا العامل من خلال الأحداث الساخنة بعد إنطاق الشرارة الأولى للعشائر العراقية في مواجهتها للانجليز ، فعندما بقيت عشائر منطقة الرميثة تقاتل وحدها نحو اسبوعين دون نجدة عشائر الفرات الأوسط ؛ مما أثار ألماً شديداً في كربلاء والعلماء في النجف الاشرف . ويرجح البعض ممن كتب عن ثورة العشرين ، ان فتوى آية الله الشيرازي المسماة (بالفتوى الدفاعية) التي مر ذكرها سابقاً "مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن ، ويجوز لهم التوصل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانجليز عن قبول مطالبهم " صدرت بعد ان انطلقت الشرارة الأولى في الرميثة ، وبعد ان سمع بكثرة عدد جثث القتلى المنقولة من الرميثة الى النجف الاشرف (٦٨) . اما نحن فنرى ان هذه الفتوى صدرت في العشرين من شهر حزيران عام ١٩٢٠ م أي بعد تهجير أحرار كربلاء وقبل انطلاق الشرارة الأولى في الرميثة . وان ما قام به الشيخ شعلان بعد احتلال عشيرته لمخفر الرميثة . انه جمع افراد عشيرته وما جاورها من العشائر للصمود والوقوف بوجه قوات الاحتلال فقلوه : "هل انكم تقبلون خدمة العدو الكافر الذي يبغض العرب والإسلام ؟" لم يكن قول

الشيخ شعلان عفويا وغير مدروس ؛ وانما كان كلامه ينطوي على فتوى آية الله الشيرازي ، فإن مثل هذا الموقف الخطير لا يمكن ان يستقل به وحده دون معرفة النتائج المترتبة عليه في حالة عدم موافقة مراجع الأمة وزعماء العشائر . فمن خلال دراسة الأحداث بدقة نرى التسلسل المنطقي والواقعي في جريانها دون الشذوذ والابتعاد عن اراء آية الله الشيرازي ومواقف العلماء الآخرين . اما رأي الدكتور الوردي فهو غير دقيق . وجرى في ذلك مع ما ذهب اليه الشيخ علي الشرقي من ان موقف الشيخ شعلان ابو الجون كان عفويا من دون تخطيط سابق .

قرر آية الله الشيرازي بعد المشاورة مع المقربين منه من العلماء ، ان يرسل وفدا الى ويلسون في بغداد للمفاوضة بشأن إيقاف القتال حقنا للدماء ، وقد اختار لهذه المهمة السيد هبة الدين الشهرستاني والميرزا احمد الخراساني ، وأرسل معهما رسالة الى ويلسون يعرض فيها بعض الشروط ١- سحب القوات الانجليزية من منطقة القتال ٢- إعلان العفو العام ٣- إعادة المنفيين . وقد اتصل موفدا آية الله الشيرازي بالقنصل الإيراني العام ليكون وسيطا لهما عند ويلسون ومترجما . وقد اهتم القنصل الإيراني بذلك الا ان ويلسون رفض مقابلتهما وعادا الى كربلاء خائبين (٦٩) وفي مدينة النجف الاشرف قام الشيخ فتح الله الأصفهاني بمحاولة التوسط لإيقاف القتال في الرميثة ؛ فقد كتب رسالتين : الرسالة الأولى : كانت الى العشائر الثائرة في الرميثة يطلب منها إيقاف القتال من جانب واحد ، وقد كتبت بتاريخ ٢١ شوال ١٣٣٨ هـ . اما الرسالة الثانية : فكانت مرسلتة الى ويلسون في بغداد وطلب فيها حفظ الأمن العام وإطلاق سراح المنفيين . ولحد هذه الأحداث فان جميع ما كتبه الشيخ الأصفهاني يمثل دعوة الى البريطانيين لإعادة الأمن والسلام داخل العراق ؛ ويؤكد في اغلبها على إطلاق سراح المنفيين من أحرار كربلاء . لانه يرى في حالة

السلم يستطيع العراقيون ان يحققوا طموحهم الموعود من قبل قوات الاحتلال والدوائر السياسية في بريطانيا . فمن قوله في الرسالة الموجهة الى عشائر الرميثة تؤكد ذلك : " ان اللازم فعلا السكون وترك مضادة الحكومة وسلوك الطرق السلمية والاقتصار على مطالبة الحقوق الشرعية من غير ثورة ولا فتنة حتى تقدر الحكومة بقول او فعل ينافي مطلوبنا ومطلوبكم ؛ وارجو من جميعكم عدم الخروج عن هذه الخطة ان شاء الله ١٣٣٨ هـ ٨ تموز ١٩٢٠ م " (٧٠) .

ان هاتين الرسالتان كتبتا في نفس التاريخ من ٢١ شوال من خلال التسلسل الزمني للوثائق المؤرخة ، ومن خلال فتاوى العلماء ، قد يبدو للدارس ان هناك عدم توافق في إعلان الثورة . كأن آية الله الشيرازي افتى بوجوب الثورة من خلال فتواه المعروفة (الفتوى الدفاعية) والشيخ فتح الله الأصفهاني لا يرغب بالثورة المسلحة واراقة الدماء ، هذان الموقفان للشخصيتين يبديان حالة تناقضية في الموقف الموحد !!! الا ان حقيقة الموقف للدارس الباحث لا يخرج عن إطار السياسة التي اتبعها العلماء في هذه الفترة ، حيث ان الفتوى الدفاعية لآية الله الشيرازي كانت في العشرين من شهر حزيران ، أي قبل اندلاع الثورة . اما ما كتبه شيخ الشريعة الأصفهاني فأنها لم تكن فتوى ؛ وانما كانت رسائل موجهة للعشائر العراقية بدليل استخدامه لكلمة (الرجاء) .. وارجو من جميعكم عدم الخروج عن هذه الخطة ان شاء الله " . وكانت تلك في ٨ تموز ١٩٢٩ م أي بعد اندلاع الشرارة الأولى في الرميثة بثمانية أيام . حيث ان الشرارة اندلعت يوم ٣٠ حزيران فلابد من ان الأمر يخرج عن اتفاق سياسي بين علماء الدين ، لإظهار رغبة العراقيين امام بريطانيا ، بأنهم ليسوا محاربين وانما خاضوا الحرب دفاعا عن أنفسهم . وهذا ما أكده الزعماء في اللقاء الذي تم مع آية الله الشيرازي في الخامس عشر من شعبان من ذات السنة "وان كنا لا نريد الحرب ولا نرغب فيها" (٧١) .

ان كتاب شيخ الشريعة الى ويلسون يدل على انه أراد من الأخير تليين الموقف تجاه عشائر الرميثة ؛ لا سيما وان قوات الاحتلال بعدتها الحديثة واجهت العشائر الثائرة في منطقة الرميثة الذين لا يمتلكون سوى البندقية البسيطة والسلاح اليدوي (الفالته والمكوار) وبقيت عشائر الرميثة تقاتل وحدها دون نجدة عشائر القوات الأوسط لمدة أكثر من اسبوعين . اما موقف العشائر وبالأخص العشائر المحاربة الثائرة فقد كانت مطيعة لمواقف علمائها ؛ حيث انها أبدت ولاء مطلقا للمرجع الأعلى آية الله الميرزا الشيرازي، ملتزمة بفتواه الأخيرة (الفتوى الدفاعية)، اما ما كتبه في ٨ تموز ١٩٢٠ م العالم شيخ الشريعة، فإنه كان تكتيكا سياسيا أمام بريطانيا، لكن زعماء العشائر وبالأخص الثائرة منها لم يلتزموا بهذا الكتاب ، وذلك لوجود التنظيم المنسق بين زعماء العشائر وآية الله الشيرازي ، وكان شيخ الشريعة الأصفهاني عارفا وعالما بهذا الموقف ، وهذه الأحداث هي مصداق للآراء التي تثبت عملية التنظيم والتخطيط لأحداث الثورة ، بعيدا عن اتهامها بالنعرات العصبية وفقدان هويتها وحقيقتها ، او ما ذهب اليه البعض من عفويتها .

من خلال هذا الاستعراض لأحداث الثورة العراقية الكبرى ، وبالأخص دور المرجعية وعلماء الدين ، يتضح الإخلاص والصدق في إعطاء المصايدق الفاعلة لمبادئ الشريعة السماوية ، إضافة الى تبيان الدور الحقيقي لقيادة الثورة المتمثلة بالمرجعية ؛ التي أظهرت موقفها الصريح المستمر في متابعة قيادة الأحداث الجسيمة والجريئة في الحفاظ على وحدة تراب هذا الوطن ولحمة المجتمع . وان هذه المواقف الصريحة لن تعطي منفذا ولو جزئيا لبعض المغرضين ممن حاول ويحاول إعادة كتابة التاريخ في ضوء تحريف الحقائق مع ما ينسجم من رغبات وشهوات حكام التسلط !! وان كتب العديد من البحوث والدراسات مع ما ينطبق وتوجهات النظرية الماركسية (٧٢)

والأفكار القومية (٧٣). إلا أنها بقيت بعيدة عن حقيقة الوقائع التاريخية. فأن اغلب الدراسات التاريخية ، أثبتت صدق هوية الثورة وموقع المرجعية وعلماء الدين فيها سواء كانت دراسات مختصة في تناولها وأثرها في الثورة (٧٤) او من خلال بعض الدراسات التي تشير إليها بشكل هامشي (٧٥) وان اختصت - الدراسة - بهدف قومي او هدف تجريدي لايجاد ادوار التشابه بينها وبين الثورة البلشفية ، فأغلب المصادر التي غنيت بالثورة العراقية الكبرى أثبتت التحرك الإسلامي وأثره الفاعل في إشعال فتيل الثورة ، وان كانت النتائج بعكس ما طمحت مسلمة لها ، ونتائج الثورة لم تعط ثمار التحرك الإسلامي ، فالدوائر البريطانية سلبت هوية الثورة ، وركزت عناصر قومية موالية لسياستها . ومن مجمل حركة المرجعية والعلماء الفاعلين ، واتساع التحرك الإسلامي والنتائج التي ترتبت في ما بعد ، يتضح قلة الوعي السياسي في الأمة وهذا ما نجده سببا رئيسيا في تغيير هوية الثورة وسرقة جهود قياداتها المخلصة .

٤ - مواقف علمائية : لا شك، من مجمل هذه الأحداث يظهر الدور العلمائي وتأثير الحوزة العلمية بشكل واضح ومؤثر في كل الأحداث، ولكن هناك خصائص مميزة توجب الذكر وبالأخص عند البعض ممن انحنى التاريخ لأقدامهم، ومنها موقف آية الله محمد تقي الشيرازي الزعيم الروحي لثورة العشرين، فحينما كتب إليه بعض رؤساء القبائل بعد القبض على ولده بقولهم : "إن أعمال الانجليز في القبض على ولدك قد بلغت الغاية من القسوة والظلم وهتك الحرمات، فأمرنا ان ندافع عن أنفسنا بالسلاح". فأجابهم: "ان ابني ومن معه ابعدا في سبيل القضية العراقية، فلا ينسكم إبعادهم قضيتكم . ولا تشتغلوا بطلب عودتهم عن المطالبة بحقوقكم، ولا تجعلوا القبض عليهم سببا لحما السلاح، فتلهيكم القضايا

الشخصية عن المطالب العامة^(٧٦). هذا الموقف يعطي أبعادا كثيرة، ويوقف على رأسها مصداق التقوى والإيمان. وقد أصدر فتواه الدفاعية في الوقت المناسب، حينما تطلبت الظروف إعلان الجهاد بعد ان نقض فتواه السابقة، التي كان يطال فيها باستتباب الأمن والاستقرار، رغم ما كان يتعرض له الشعب العراقي من مضايقات قاسية جراء سياسة قوات الاحتلال البريطانية فجاءت الفتوى الثانية بعد ان بلغ السيل الزبى .

المبحث الثالث / مقاومة الحوزة العلمية لتشكيل المجلس التأسيسي

حينما كانت الثورة العراقية في اوج ذروتها ؛ أعلنت قوات الاحتلال عن قدوم أول مندوب سامي للعراق هو (السير كوكس) حاملا مشروعا مهما يخدم المخطط البريطاني في ضوء الاتفاقية السرية (سايكس بيكو) مع الحكومة الفرنسية في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ م، وهو ذات المشروع الذي أذاعه نائب الحاكم الملكي العام في بغداد ١٧ حزيران ١٩٢٠ كما تقدم ذكره. فعند قدوم السير برسي كوكس بهذا المشروع، أيقنت القيادة الدينية بخطر احتواء الثورة بقيام حكم الانتداب، لذلك وقبل وصول كوكس الى بغداد قامت (الهيئة العلمية العليا) المسئولة عن قيام الثورة بشن حملة إعلامية واسعة تحذر بها من السياسة الماكرة التي سوف يتبعها الانجليز؛ وطالبت الجميع من زعماء ورؤساء عشائر وعلماء الدين بالروية والتفكير الرصين^(٧٧).

كان آية الله شيخ الشريعة الأصفهاني المرجع الأول بعد وفاة آية الله الشيرازي ، في هذه الفترة فقد قام بتحريض المعارضة على الاحتلال وتشكيل الحكومة المؤقتة حتى وفاته في كانون الأول ١٩٢٠ م ، في الوقت ذاته واصل علماء الدين دعواتهم للعشائر الفراتية لاستمرار المقاومة المسلحة ، فالمعارضة الإسلامية لجأت الى

تكييف نفسها تبعاً للظروف المستجدة. فهي فضلاً عن مطالبتها بالاستقلال اللتان، رفعت شعارات ومطالب ترتبط بوضع ما بعد الثورة، فهي تنهياً إلى إعادة الثورة ثانية بعد انحسارها في الأولى. تجاه جميع هذه الاستعدادات والظروف. كانت الحكومة البريطانية دقيقة في حساباتها لضرب هذا التوجه العلماني والمعارضة الإسلامية بشكل عام. فقد جاء تشكيل الحكومة المؤقتة بهيئتها المعروفة دليلاً قاطعاً على تخطي العلماء وزعماء الثورة الذين رفضوا منذ شهر آب ١٩٢٠ م التفاوض مع إدارة الاحتلال في التشاور بشأن الحكومة. وبذلك فقد جاءت الحكومة المؤقتة ليست حالة صحيحة في حسم الصراع بين العراقيين والانجليز. ولم تكن ممثلة أو مستجيبة لبعض مطامح وأهداف العراقيين (٧٨).

أبدى علماء النجف والكاظمية مشاعر الخوف والريبة والشك بصحة تمثيل هذه الحكومة للشعب؛ وطالبوا بوجوب قيام حكومة منتخبة من قبل الشعب، كما عارض هذه الحكومة العديد من قادة الثورة الذين لجأوا إلى الحجاز ومن ضمنهم عدد من وجهاء بغداد، ووصفوها بأنها حكومة عربية كاذبة تتكون من رجال هم صنيعة الانجليز. وكان علماء الدين يعون أن الهدف الأساسي من تشكيل الحكومة هو تطويق الثورة، واحتواء أهدافها وتهدئة الوضع، وقد رأت الحكومة البريطانية أن للقيادة الدينية فاعلية وتأثيراً في الوسط العراقي. وبالخصوص العشائر الثائرة منها. في الوقت ذاته كانت الحكومة المؤقتة ضعيفة وممزقة؛ مما ساهم في دفع إدارة الانتداب إلى توسيع القاعدة الاجتماعية في الحكم. والشروع بترشيح ملك لعرش العراق، وبذلك طرحت إدارة الانتداب مسألة نوع الحكم المقترح، فيما إذا كان جمهورياً أم ملكياً، ثم إطلاق الجدل حول عدد الأسماء المرشحة للعرش (٧٩).

ان هذه الاثار جميعها ساهمت في تمهيد الثورة وأهدافها مستغلة إدارة الانتداب الزمن والاثارات في إخماد الثورة ، وتعلق آمال العراقيين بنوعية الحكم مستقبلا . وقد نجحت إدارة الانتداب الى حد ما في إظهار اتجاه جديد عند البعض من علماء الدين يدعو الى ترشيح أمير المحمرة الشيخ خزعل ملكا على العراق . وقد مثل هذا الاتجاه الشيخ عبد الكريم الجزائري ، والشيخ علي كاشف الغطاء ولكن الأمير خزعل تراجع أثر ترشيح الملك فيصل (٨٠) وقد كانت هناك دعوات لرئاسة العراق ، ومن جملة المرشحين رجل تركي يدعى برهان الدين ؛ وكان ذا شعبية واسعة النطاق في منطقة كركوك ، وأيضا كان هناك هادي العمري من كبار الموظفين في الموصل (٨١) إضافة الى دعوة طالب النقيب (في البصرة) والذي رفضه الانجليز رفضا باتا ، رغم خدماته لهم وقد ارتأت إدارة الانتداب ان تنفي طالب النقيب الى جزيرة هنجام لقوله : "ان لم يكن هو ملك العراق ، فيجب ان يكون العراق محكوما مباشرا من قبل الانجليز" وهذا ما كان يعارض سياسة الإدارة البريطانية . اما بخصوص موقف العلماء ، فإنه لم يكن موقفا موحدا ، فقد برز اتجاهان رئيسيان مختلفان احدهما الاتجاه المعارض لترشيح الملك ومثله كل من العلماء السيد ابو الحسن الأصفهاني والشيخ محمد حسين النائيني ، في حين مثل الاتجاه الثاني غير المعارض لترشيح الملك تحت الانتداب ، عالمان بارزان في الكاظمية هما آية الله الشيخ محمد مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر ، الا ان الخالصي عبر عن موقفه بالمبايعة المشروطة ، حين زاره الملك فيصل خاطبه بالقول : "اننا نبايعكم ملكا على ان تسيروا بالحكم سيرة عادلة وعلى ان يكون الحكم دستوريا ونيابيا ؛ وان لا يتقيد العراق في عهدكم بأية قوة أجنبية" (٨٢).

كان لهذا التأثير في الأوساط الشيعية ، وبالأخص حينما امتنع الغالبية عن استقباله عند وصوله للبصرة ، ومروره بمناطق الثورة ؛ اثر تحريض علماء النجف ،

اما في مدينتي النجف وكربلاء فقد استقبل الملك استقبالا فاترا اقتصر على المؤيدين للحكومة المؤقتة . والبعض من رجال المؤيدين لترشيحه تحت الانتداب البريطاني . اما مدينة الكاظمية فإن كبار علمائها هما السيد محمد الصدر والشيخ مهدي الخالصي ، قد ابديا تأييدهما لترشيح فيصل ملكا ، وقد ابرق السيد محمد الصدر الذي كان حينها لاجئا في الحجاز الشريف حسين يطالبه بالموافقة على ترشيح نجله فيصل لعرش العراق . ثم انه ساهم مع عدد من اللاجئين برفقة الأمير فيصل أثناء قدومه الى العراق في حزيران ١٩٢١ م . كما قام بعد ذلك بإعداد مذكرة بيعة ترشح الملك فيصل (ملكاً لدولة عراقية مستقلة دستورية) وقد وقع عليها مواطنون من مختلف أنحاء العراق ، اما بعد تتويج فيصل ، فقد كرر السيد الصدر رهبانه بأن "يذود الملك عن الكيان السياسي القومي للأمة العراقية" (٨٣)

اما الشيخ مهدي الخالصي فقد كان له موقف خاص ؛ حيث عبر عن مبايعة مشروطة لترشيح الملك فيصل ، ويستفاد هذا من قوله للملك فيصل عند زيارة الأخير له بعد إعلان قرار الحكومة المؤقتة في ١١ تموز ١٩٢١ : "اننا نبايعكم ملكا على ان تسيروا بالحكم دستوريا ونيابيا ، وان لا يتقيد العراق في عهدكم بأية قوة أجنبية" (٨٤) . بيد ان هذا الاختلاف الحاصل في مواقف العلماء ؛ ساهم بلا شك في إضعاف المعارضة الإسلامية ، مما شجع وساهم مع المواقف الأخرى في انتقال رؤساء العشائر الى جانب الحكومة وموالاة الانجليز أحيانا . بيد ان الطرفين المختلفين تمسكا بالمطالبة بالاستقلال التام هدفا أساسيا وهذا ما أكد أنهما لم يصلا الى حد من التصادم والقطيعة . ولابد من الإشارة هنا الى ان هناك أهدافا مهمة جمعت بينهما في مواقف مشتركة منها :

٢- المواجهة المشتركة للرد على اعتداءات الوهابيين على العراق.

٣- المواجهة المشتركة المساعدة البريطانية العراقية .

ففي الأول (الرهان على الملك بالانحسار) هذا ما أكدته الأحداث من عدم تأثير الملك فيصل على قرارات إدارة الانتداب .اما في الثانية (المواجهة المشتركة للرد على اعتداءات الوهابيين على العراق) فقد دعا العلماء في النجف الاشرف كلا من المرجع الأعلى السيد ابو الحسن الأصفهاني والشيخ محمد حسين الغروي النائيني لعقد مؤتمر عام في كربلاء بين ١٠ - ١٥ شعبان ١٣٤١ هـ / ٢ ، ٨ نيسان ١٩٢٢ م على ان يحضره زعماء الدين ورؤساء العشائر ووجهاء المدن .وقد ابرق السيد الأصفهاني والشيخ النائيني الى الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية لحضور المؤتمر ، وعليه ان يتصل برؤساء العشائر وإبلاغهم بالحضور وقد تم ذلك .و شارك في حضور المؤتمر علماء من السنة في بغداد والموصل ، ترأس وفد بغداد الشيخ عبد الوهاب النائب ؛ فيما ترأس وفد الموصل الشيخ عبد الله النعمة . وقد ضم وفد بغداد كلا من الشيخ إبراهيم الراوي ، والشيخ يوسف العطاء ، والشيخ احمد الداود ، وعبد الجبار جميل ، وقاضي بغداد الشيخ عبد الله الشواف . هذا التجمع يدل على وحدة المسلمين في العراق فضلا عن وحدة علماء الشيعة (٨٥) اما في الثالثة (المواجهة المشتركة في معارضة المعاهدة البريطانية العراقية والانتداب)، فقد اتسعت رقعة المعارضة العراقية لقرار الانتداب بعد مؤتمر كربلاء، وكانت المعارضة يجمعها القاسم المشترك لهدف الاستقلال التام . فضلا عن معارضتها المبدئية للمعاهدة المزمع عقدها بين الحكومة العراقية وبريطانيا ، بقيت المعارضة متمسكة بقوتها، وقد بذل علماء الدين جهدا كبيرا في المحافظة على هذا الموقف . بتأثيراتهم على رؤساء العشائر ووجهاء المدن، وبالأخص المعارضة في بغداد، حاول العلماء توحيد موقف المعارضة والتأثير على أصحاب المواقف

المتقلبة للبعض من رؤساء العشائر الذين يوالون الانجليز مرة والمعارضة مرة أخرى .
 فقبل ان تصادق الحكومة على المعاهدة في ١٠ تشرين الأول ١٩٢٢م حددت إدارة
 الانتداب موعدا لبدء الانتخابات ؛ حيث تركز هجوم المعارضة على الانتداب والمعاهدة
 ومبدأ الانتخابات المقترحة، ففي هذه الفترة أعلن علماء النجف وجوب مقاطعة
 الانتخابات واعلموا قيادة المعارضة في بغداد بذلك . فيما راحت المعارضة الدينية من
 علماء الكاظمية ولاسيما الشيخ مهدي الخالصي بإبلاغ الملك والحكومة في رغبة
 العراقيين بأن الانتخابات الحرة لا تتم الا على أمل الاستقلال الناجز، فمن برقية الشيخ
 الخالصي للملك فيصل الثاني حوت التهديد المبطن بقوله : "بناء على ما قلدنا
 المسلمون والشعب العراقي زمام أمورهم قولاً وكتبا وختما، جرت المسؤولية ان ترفض
 كل معاهدة تمي الاستقلال التام للشعب العراقي حسبما حققنا ذلك" (٨٦) .

وفي ضوء هذه الأحداث تجلت مظاهر المعارضة في بغداد، بتنظيم اجتماعات الاحتجاج
 في جامعي (الوزير ، والحيدر خانة) ومن ثم شكل المجتمعون لجنة من خمس
 شخصيات دينية وسياسية ضمت كل من السيد محمد الصدر ، والشيخ محمد
 الخالصي، والشيخ احمد داود، مهدي البصير، حمدي الباجي (٨٧) وقد أبرقت هذه
 اللجنة برقيات عبرت فيها عن رفض العراقيين للانتداب البريطاني، لكل من عصبة
 الأمم، والى برلمانات كل من انجلترا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة. وبعد تسرب
 أنباء مواقف الحكومة العراقية على المعاهدة، حدث إضراب عام في منطقة بغداد
 والكاظمية ، وحضر عدد من رؤساء العشائر الى بغداد ، وفي تلك الظروف كانت
 استقالة جعفر ابو التمن (٨٨) من الحكومة احتجاجاً على موافقة الحكومة على
 المعاهدة وانضمامه الى المعارضة . ولا شك في ان هذه المواقف تمت بتأثير علماء

الدين. فقد كان لهم تأثير في التوجيه والقيادة والمباشرة في اغلب الأحيان، وبالخصوص لنشاط المعارضة في بغداد والكاظمية ، فقد كانت لفتوى الشيخ مهدي الخالص لقادة المعارضة المباشرين . بعد موافقة مجلس الوزراء على المعاهدة ، "بأنهم في حل من بيعتهم لفيصل طالما انه لم يف بشرط انتخابه كملك للمحافظة على الاستقلال" (٨٩).

اما نشاط المعارضة الإسلامية في مناطق الفرات الأوسط فقد كانت العشائر العراقية وزعمائها أكثر ارتباطا وولاء للقيادة الدينية من مدينة بغداد وقد لجأت، بعض العشائر في بعض المناطق الى المقاومة المسلحة ضد أوامر الحكومة . وارسل البعض من العشائر العراقية برقيات الى الشيخ مهدي الخالصي يسحب اعترافها من رؤسائها المواليين للانجليز ؛ ونسخة منها الى الحكومة الجديدة (٩٠) وبعد ذلك اتسع نطاق المعارضة وإرسال المذكرات والبرقيات الى البلاط الملكي ، فضلا عن الحكومة . والخصوص بعد تصريحات تشرشل حول العراق فقد جرى التأكيد على طلب الاستقلال ؛ ورفض الانتداب واستبدال الموظفين الانجليز بموظفين عرب والتأكيد على الوحدة العراقية (٩١) اما رؤساء عشائر الفرات فقد ابدوا معارضتهم بعد إعلان موافقة الحكومة في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ على المعاهدة . وقد ابرقوا المذكرات التي شملت المطالب السابقة إضافة الى التنديد بالحكومة على موافقتها على المعاهدة ، واهم هذه المذكرات هي التي رفعت الى الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر في أوائل تموز ١٩٢٢ م حيث وقع فيها (٩٢) رئيسا من رؤساء عشائر الفرات ، وشكل هذا التجمع تكتلا بالمنظمة الحزبية (منظمة الميثاق العربي العراقي) . وكذلك ابرق الزعماء بعد عدة اجتماعات لهم مع علماء الدين في النجف

وكربلاء والكاظمية ، العديد من المذكرات وأهمها المذكرة في اجتماع آب عام

١٩٢٢ م مرسلته الى الملك والمندوب السامي وقد تضمنت مطلبين :

١- رفض الانتداب رفضا باتا . ٢- إزالة أية سلطة أجنبية عن الحكومة العراقية. (٩٢).

اما العلماء فأنهم بالإضافة الى التوجيه لرؤساء العشائر ووجهاء المدن أرسلوا ايضا

مذكرة اعتبرت بمثابة فتوى دينية بتاريخ ١٢ تموز ١٩٢٢ م "عبروا فيها عن رفضهم

كل ما يمس استقلال وكرامة الحكومة العراقية ، واعتبار كل قرار او معاهدة او

قانون بدون قبول الامة منافيا لمبدأ الاستقلال لا ينفذ عليها " (٩٣) . ومما يذكر ان

الاجتماع الكبير الذي عقد في (جامع الهندي) بمدينة النجف حضره (٥٠٠) شخصية

دينية وسياسية ونوقشت فيه فتوى العلماء في ٢٢ تموز ١٩٢٢ م ؛ وجرى التأكيد

على مضمونها. وفي ٢٢ آب ١٩٢٢ م عقد اجتماع آخر كبير في منزل السيد ابو

الحسن الأصفهانى جرى فيه التأكيد على مضمون برقيتين، كان قد بعث بهما

زعماء عشائر الفرات الى الملك والمندوب السامي في ٣ آب . ثم اقر المجتمعون رفع

مذكرة مماثلة الى الملك عن طريق محافظ كربلاء عبد العزيز القصاب الذي

استدعاه المرجع الأعلى الى داره لتسليمه المذكرة وابلاغه قرارات الاجتماع . هذه

المذكرات كانت تصاحبها مظاهرات واسعة ، وخاصة في مناطق المدن المقدسة

النجف وكربلاء والكاظمية . بيد ان الدور العلماني قد جعل الوضع في العراق

ينبئ بثورة لا تقل خطورة من تلك التي حدثت عام ١٩٢٠ م (٩٤) . إلا ان برسي

كوكس قبض على كل السلطة في البلاط ، واستخدمها بنفسه فقام بحملة

قمعية واسعة للانتفاضة بدأها بإصدار بلاغ عرفي في ٢٦ آب ١٩٢٢ م، قضى

بتعطيل الحزب الوطني ؛ وحزب النهضة، واعتقال رئيسا تحرير صحيفتي المفيد و

الرافدان) وإبعادهم الى جزيرة هنجام . وإبعاد الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمد

الصدر خارج العراق ، وأمر الطائرات الحربية البريطانية بقصف المناطق العشائرية المعارضة . وفصل كل الموظفين العراقيين المتعاونين مع الانتفاضة (٩٥) .

اما في الرابعة (المواجهة المشتركة في مقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي) بعد تشكيل الحكومة النقيبية الثالثة في ٢٠ أيلول ١٩٢٢م وقرارها السابق على توقيع المعاهدة مع بريطانيا ؛ وربط هذا التوقيع بإجراء انتخابات المجلس التأسيسي ، فقد حددت إدارة الانتداب موعد البدء بالانتخابات في ٢٤ تشرين الأول ١٩٢٢م. وكان لعلماء الدين نشاط بارز وذو أهمية كبيرة في قمع الانتخابات وإسقاط وزارة عبد الرحمن الكيلاني الثالثة ؛ فأصدر العلماء في النجف والكاظمية فتاوى تحرم الدخول في الانتخابات إذا لم تستجب الحكومة الى المطالب العادلة ، وهي : ١- إلغاء الإدارة العرفية ٢- إطلاق حرية المطبوعات والاجتماعات ٣- سحب المستشارين البريطانيين من الأولوية الى بغداد ٤- إعادة المنفيين السياسيين ٥- السماح بتأليف الجمعيات السياسية (٩٦) وبالمطبع فإن الحكومة البريطانية وإدارة الانتداب في العراق لم تستجب لهذه المطالب ، فأصدر المرجع السيد ابو الحسن الأصفهاني فتوى أخرى بشكل نداء حازم : "الى إخواننا المسلمين ... ان هذا الانتخاب يميئ الأمة الإسلامية ، فمن انتخب بعد علم بحرمة الانتداب . حرمت عليه زوجته وزيارته ، ولا يجوز رد السلام عليه ، ولا يدخل حمام المسلمين" (٩٧) .

ان تلك الفتوى دفعت إدارة الانتداب والحكومة العراقية الى اتخاذ تدابيرها الدعائية في تقليل أهميتها او إلغاؤها . فأشاعت ان العلماء لا يعارضون الانتخابات ، ولذا وجهت الأسئلة الى العلماء عن صحة ذلك ؛ فأجاب المرجع الأصفهاني والشيخ النائيني والخالصي بالفتوى الموقعة الموحدة بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٣٤١ هـ ٥ تشرين الثاني ١٩٢٢م : " بسم الله الرحمن الرحيم : نعم قد صدر منا تحريم الانتخاب في الوقت

الحاضر لما هو غير خفي على كل باد وحاضر؛ فمن دخل فيه او ساعد عليه ، فهو كمن حارب الله ورسوله وأوليائه" (٩٨) .

اما الموقف العلمائي في الكاظمية؛ فقد سحب الشيخ مهدي الخالصي بيعته للملك فيصل ، ويبدو ان لذلك سببين : أولهما : إعطاء المعارضة الإسلامية شرعية اكبر وتأثيرا أكثر للفتاوى . ثانيهما : اليأس من المراهنة على الملك في العمل من اجل الاستقلال . وفي اجتماع حاشد عقده الشيخ الخالصي في مدرسته (جامعة العلم) في الكاظمية أعلن نقض بيعته بالقول : "لقد بايعنا فيصلا ليكون ملكا على العراق بشروط ؛ وقد اخل بتلك الشروط ، فلم يعد له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي أية بيعة" (٩٩) . وعلى اثر فتاوى العلماء كانت الاستجابة ذات اثر حاسم في المناطق الشاملة للانتخابات ، وبسبب هذه المقاطعة الناجحة استقالت اللجان الانتخابية ، وأعلن الموظفون فشلهم في تأليف لجان الانتخابات . مما اضطر السلطة الى وقف الانتخابات في المراكز الشيعية . غير ان اتساع نطاق المقاطعة شمل تجميد عملية الانتخابات في كافة المناطق . ومن ذلك يتضح ان موقف العلماء الفعال قد شكل أقوى مانع أمام تنفيذ مخطط الحكومة . وبديل ذلك استقالة الوزارة النقيببة . الثالثة، فتشكلت وزارة برئاسة عبد المحسن السعدون (١٠٠) ، التي بادرت من جانبها الى اتخاذ ثلاثة اجراءات لكسب ود المعارضة:

- ١- اقرار الحكومة بأعادة المبعدين السياسيين الى العراق . بعد موافقتهم على شرط يتعهدون به خطيا "بتحاشي كل حركة تخل بالامن العام وتعارض الحكومة" (١٠١)
- ٢- اصدر الملك أمرا الى رئيس الوزراء لإجراء تعديلات جديدة على نظام التفتيش

الإداري

٢- توقيع الحكومة على ملحق بالمعاهدة البريطانية . العراقية تقضي بنوده بتقليص مدة المعاهدة من ٢٠ سنة الى أربع سنوات من تاريخ إبرام الصلح مع تركيا. اما ردة فعل العلماء والمعارضة الإسلامية على هذه الإجراءات الثلاثة : فكان الموقف بالنسبة للإجراء الأول هو التقليل من أهمية الخطوة وجديتها ؛ لكونها أرغمت المنفيين على التعهد الخطي بالتخلي عن السياسة ؛ في حين لم يكن أي رد فعل للعامل الثاني ؛ لانهم يعارضون أصلا كل النظام الإداري في ظل الانتداب . اما رد فعلهم إزاء توقيع ملحق المعاهدة فكان قويا حيث عملوا على توظيفه لتوسيع نطاق معارضتهم للمعاهدة والانتخابات في آن واحد (١٠٢).

أرسل علماء النجف الى علماء الكاظمية رسائل عدة عن مضمون ملحق المعاهدة ، وأشاروا فيها الى ان هدف الملك والحكومة من توقيع ملحق هو التعجيل في إجراء الانتخابات واقترحوا عليهم إصدار فتاوى جديدة لمقاطعة الانتخابات . وقد أصدر علماء الكاظمية كل من الشيخ مهدي الخالصي والسيد حسن الصدر ونجلاه السيد محمد فتاوى عدة تدين الحكومة على توقيعها ملحق المعاهدة (١٠٣) . وفي هذه الفترة صعدت الحكومة العراقية قضية الموصل ومطالبة الأتراك بها . فظنت انها الفرصة المناسبة في إرباك وتشتيت المعارضة ، بعد ان تجددت إثارتها ؛ فبعد ان أنهى مؤتمر (لوزان) أعماله في ٢ شباط ١٩٢٢م دون حل حاسم لمسألة الموصل اقترح المندوب البريطاني عرضها على عصبة الامم في باريس ، فحشدت القوات البريطانية وحدات عسكرية كبيرة على الحدود التركية ، وكذلك القوات العراقية أعدت قطعات من الجيش العراقي للتحرك نحو زاخو وعقرة شمال العراق (١٠٤) .

كان رئيس الوزراء السعدون يرى في هذه الأحداث فرصة مناسبة لتحقيق قدر من عطف الجماهير على الحكومة ، ومن ثم تبرير ارتباط العراق بالانجليز . فأخذ يطلق

التصريحات بأن العراق محاصر من كل جانب:ابن سعود، والأتراك ، والإيرانيين، والفرنسيين. بيد ان علماء الدين في النجف والكاظمية ادركوا أبعاد ونوايا الحكومة من هذه الأحداث فقد اصدر المرجع الأعلى السيد ابو الحسن الأصفهاني والشيخان النائيني والخالصي في ١٢ نيسان ١٩٢٣م فتوى شرعية تقضي بعدم جواز محاربة المسلم للأتراك اذا ما هاجموا العراق(١٠٥) . وبسبب التأثير الذي أحدثته هذه الفتوى والمواقف المتكررة للعلماء حاولت الحكومة وسلطات الانتداب إبعاد العلماء الثلاثة خارج العراق .فقد نفى الى خارج العراق اولاً الشيخ مهدي الخالصي ٢٥ - ٢٦ حزيران ١٩٢٣م بقطار الى البصرة ، ومن ثم إلى الحجاز ومن ثم الى قم في إيران والحق بهم في ٢٩ حزيران من نفس العام، بقطار خاص الى إيران كل من الأصفهاني والنائيني ؛ بعد ان حاولا ان يقوموا بعمل احتجاجي من مدينة النجف الى كربلاء يتقدمهم العلماء كافة . وقد حالت الحكومة بنفي الأصفهاني والنائيني دون القيام بمحاولتهم تلك ، ثم ان الحكومة قبل قرار نفيهم حاولت ان تمهد لذلك فأصدرت قراراً توجب به تسفير الأجانب في حالة إخلالهم بالأمن (١٠٦) فالحكومة منذ زمن الوزارة النقيببة الأولى ؛ كانت تمهد لنفي العلماء الشيعة ؛ لأنهم العقبة الوحيدة التي تقف بوجه السياسة البريطانية .

وبنفي العلماء ، كان الدور الذي تقوم به المرجعية الدينية في التصدي لكل محاولات النيل من الوحدة الوطنية ومصالح البلاد والمسلمين عامة وكل الاقليات الاخرى ، مستمرا في كل المجالات وبشتى الوسائل والاساليب ، بمقاومة مخططات المحتل، واثارة الشعور الوطني والديني في سبيل الحفاظ على راية الاسلام ووحدة الوطن لطرد الغاصب.

وقفنا فيما نقدم على دور المرجعية الدينية في العراق وموقفها من الاحداث الوطنية المتمثلة بحركة الجهاد ضد الانكليز عام ١٩١٤ بعد تقدمهم لاحتلال العراق عن طريق الفاو في البصرة ، ومن ثم قيادة المرجعية للمعارك التي دارت بين المجاهدين ومعهم الجيش العثماني وبين القوات البريطانية الغازية ومنها معارك الروطة والغدير والشعبية ، كما بينا دور العلماء في قيادة ثورة النجف عام ١٩١٨ ، والتي كانت الممهدة الاساس لثورة العشرين التحررية. عام ١٩٢٠ التي اجبرت البريطانيين على تغيير نمط الحكم ، وتشكيل حكومة لادارة البلاد ، وتنصيب ملك عربي ، رغم ان كل ذلك لم يكن يخفي مرامي البريطانيين الاستعمارية ، اذ كان ذلك مجرد تغيير في الشكل لا المضمون ، وكان تصدي العلماء ومعهم الشعب العراقي بمختلف اطيافه لانتخابات المجلس التأسيسي ومعاهدة ١٩٢٢م التي قاومتها المرجعية ومن ورائها كل الوطنيين الاحرار ، الامر الذي اجبر الحكومة وبايعاز من الانكليز انفسهم الى استخدام اساليب وحشية وصارمة كان اخرها نفي علماء الدين في حزيران ١٩٢٣ ، اتبدأ بعدها صفحات اخرى مشرقة من دور المرجعية الدينية في العراق من خلال مواقفها من الاحداث الوطنية.

الخاتمة:

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ، نجحت بريطانيا العظمى في بسط نفوذها وسيطرتها على العديد من الدول ، وبالأخص الإسلاميين منها ، ففي العراق ، تقدم الجيش البريطاني واحتل البصرة في ٥ تشرين الأول ١٩١٤ م . وكانت هذه الحملة البريطانية على العراق هي أولى عملياتها الحربية ضد الدول العثمانية . يوم كان العثمانيون حلفاء لألمانيا . وقد ضم الجيش العثماني الذي واجه الغزو البريطاني ، إضافة الى الجيش النظامي ، مجاميع كبيرة من المجاهدين العراقيين

بزعامته علماء الدين، الذين وجدوا أن مصلحة الإسلام والوطن الإسلامي وأبنائه توجب الوقوف مع الدولة العثمانية في مواجهة الغزو البريطاني، انطلاقاً من الرؤية الإسلامية الجامعة بينهما. إلا أن الأمور لم تجر حسب ما كان يطمح له الشعب العراقي، ومرجعياته الدينية المجاهدة، فكان أن انكسر العثمانيون، ودخلت القوات البريطانية بغداد العاصمة في آذار ١٩١٧م لتستكمل بعد ذلك احتلال العراق، وتهيمن على مقاليد الأمور في البلاد وتبدأ فصولاً من الاستبداد والظلم والقهر، الذي كان له الأثر الكبير في تصاعد روح الثورة والحماس الوطني والديني في صفوف أبناء الشعب العراقي بكافة فئاته وأطيافه.

اتخذت المرجعية الدينية في المدن المقدسة كالنجف الأشرف وكربلاء والكاظمية وسامراء . موقفا مشرفا ضد الاحتلال البريطاني وكان لتلك الفتوى التي صدرت في العشرين من شهر حزيران عام ١٩٢٠ م ، صدى واسع في أوساط الجماهير ، إذ سارعت في انطلاق الشرارة الأولى لثورة العشرين التي أطلقها شعلان أبو الجون. بيد أن استعراض أحداث الثورة العراقية الكبرى ، وبالأخص دور المرجعية وعلماء الدين ، يوضح لنا بشكل جلي الإخلاص والصدق في إعطاء المصاديق الفاعلة لمبادئ الشريعة السماوية ، إضافة إلى تبيان الدور الحقيقي لقيادة الثورة المتمثلة بالمرجعية ؛ التي أظهرت موقفها الصريح المستمر في متابعة قيادة الأحداث الجسيمة والجريئة في الحفاظ على وحدة تراب هذا الوطن ولحمة المجتمع . ، وإن كانت النتائج بعكس ما طمحت مسلمة لها ، ونتائج الثورة لم تعط ثمار التحرك الإسلامي ، فالدوائر البريطانية سلبت هوية الثورة ، وركزت عناصر قومية موالية لسياساتها . ومن مجمل حركة المرجعية والعلماء الفاعلين ، واتساع التحرك الإسلامي والنتائج التي ترتبت في ما بعد ، يتضح قلة الوعي السياسي في الأمة وهذا

ما نجده سببا رئيسيا في تغيير هوية الثورة وسرقة جهود قياداتها المخلصة مزاعم القائلين بعفوية الثورة. وحينما كانت الثورة العراقية في اوج ذروتها ؛ أعلنت قوات الاحتلال عن قدوم أول مندوب سامي للعراق هو (السير كوكس) حاملا مشروعا مهما يخدم المخطط البريطاني في ضوء الاتفاقية السرية (سايكس بيكو) مع الحكومة الفرنسية، وهو ذات المشروع الذي أذاعه نائب الحاكم الملكي العام في بغداد ١٧ حزيران ١٩٢٠ . فعند قدوم السير برسي كوكس بهذا المشروع، أيقنت القيادة الدينية بخطر احتواء الثورة بقيام حكم الانتداب، لذلك وقبل وصول كوكس الى بغداد قامت (الهيئة العلمية العليا) المسؤولة عن قيام الثورة بشن حملة إعلامية واسعة تحذر بها من السياسة الماكرة التي سوف يتبعها الانجليز؛ وطالبت الجميع من زعماء ورؤساء عشائر وعلماء الدين بالروية والتفكير الرصين

جاء تشكيل الحكومة المؤقتة بهيئتها المعروفة دليلا قاطعا على تخطي العلماء وزعماء الثورة الذين رفضوا منذ شهر آب ١٩٢٠ م التفاوض مع إدارة الاحتلال في التشاور بشأن الحكومة . وبذلك فقد جاءت الحكومة المؤقتة ليست حالة صحيحة في حسم الصراع بين العراقيين والانجليز . ولم تكن ممثلة او مستجيبة لبعض مطامح وأهداف العراقيين . وقد أبدى علماء النجف والكاظمية مشاعر الخوف والريبة والشك بصحة تمثيل هذه الحكومة للشعب ؛ وطالبوا بوجوب قيام حكومة منتخبة من قبل الشعب ، مما ساهم في دفع إدارة الانتداب الى توسيع القاعدة الاجتماعية في الحكم . والشروع بترشيح ملك لعرش العراق . وهكذا نصب فيصل ملكا على العراق ، ومن ثم شرعت ادارة الاحتلال بعقد المعاهدة البريطانية - العراقية عام ١٩٢٢ ، ومن ثم تشكيل المجلس التأسيسي ، الذي عارضته المرجعية وعلمائها واغلبية كبيرة من ابناء الشعب العراقي المجاهد ، الامر الذي اجبر

الحكومة وبإيعاز من الانكليز انفسهم الى استخدام اساليب وحشية وصارمة كان اخرها نفي علماء الدين في حزيران ١٩٢٣، اتبدأ بعدها صفحات اخرى مشرقة من دور المرجعية الدينية في العراق من خلال مواقفها من الاحداث الوطنية ...
الهوامش:

- ١- مالك، الدكتور محمد جواد، شيعة العراق وبناء الوطن. دراسة تاريخية منذ ثورة الدستور حتى الاستقلال ١٩٠٨-١٩٣٢، تقديم الاستاذ الدكتور محمد حسين الصغير، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٩٩٢/٥)، صص ٢٦٧-٢٨٧.
- ٢- الوردي، علي: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ستة اجزاء في سبعة كتب، (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٩-١٩٧٦م)، ج ٤، ص: ١٢٧.
- ٣- م. ن، ص ١٢٧.
- ٤- مالك، الدكتور محمد جواد، مصدر سابق، ص ٣٧٥.
- ٥- العلوي، حسن: التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق، (لندن: دار الزوراء، ١٩٨٨م)، ص ١٦٤.
- ٦- مالك، الدكتور محمد جواد، مصدر سابق، ص ٢٨٧.
- ٧- الحسيني، احمد: الامام الثائر، (النجف: مطبعة الاداب، بلا)، ص ٤٣.
- ٨- شبر، حسن، تاريخ العراق السياسي، التحرك الاسلامي في العراق، ١٩٠٠-١٩٥٧، ج، (بيروت: دار المنتدى للنشر، ١٩٩٠م)، ص ١٤٨.
- ٩- الحسيني، احمد: الامام الثائر، مصدر سابق، ص ٣٧.
- ١٠- شبر، حسن، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٥٣.
- ١١- الحسيني، احمد، مصدر سابق، ص ٣٨.
- ١٢- المصدر نفسه، ص ٣٨.
- ١٣- شبر، حسن، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٥٥.
- ١٤- الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ١٤١: ٤.
- ١٥- المصدر نفسه، ٣٢: ٤.
- ١٦- الروازق، صادق جعفر، الحوزة العلمية العراقية. المشروع السياسي بين المقاومة والمطالبة. عرض وتحليل ١٩١٤-١٩٨٠م، (بغداد: مركز العراق للدراسات، ١٤٢٧: ٢٠٠٦م)، ص ٢٥.
- ١٧- المصدر نفسه، ص ٢٥.
- ١٨- المصدر نفسه، ص ٢٦.

- ١٩- الوردي ، علي : لمحات اجتماعية..... ١٦٤ : ٤ .
- ٢٠ (الروازق، صادق جعفر، مصدر سابق، ص ٢٨ ،
- ٢١ (الحسيني ، السيد احمد : الامام الثائر مصدر سابق، صص ٤٩- ٥٠ .
- ٢٢ - سورة العنكبوت : الآية ٦ .
- ٢٣ (مالك ، الدكتور محمد جواد، مصدر سابق، ص ٢٨٧ ..
- ٢٤ (المصدر نفسه، ص ٢٨٧ .
- ٢٥ - الوردي ، علي : لمحات اجتماعية...، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٤٨ ..
- ٢٦ - الحسيني ، السيد عبد الرزاق : ثورة النجف على الانكليز بعد مقتل حاكمها الكابتن (مارشال)، ط ٥، (لبنان-صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٨٣ م): ٩ الهامش رقم ٢
- ٢٧ - المصدر نفسه : ص ٢٣ .
- ٢٨ - وهم ١- الحاج نجم البقال ، ٢- محسن ابو غنيم ، ٣- سعيد العامري ، ٤- شمران العامري ، ٥- عبد حميد النداف ، ٦- مجيد الحاج مهدي دعيبل ، ٧- حميد عيسى حبيبان ، ٨- عبد الحماسجي ، ٩- السيد جاسم طبار هوا ، ١٠- صادق الاديب ، ١١- حسن جوري، ١٢- خطار بن سلمان البصري ، ١٣- جودي ناجي ، ١٤- حبيب بن جاسم خضير ، ١٥- حميد ابو السبزي ، ١٦- السيد جعفر الصائغ ، ١٧- علوان ابو دليهم الفتلاوي ، ١٨- السيد مجيد طيار هوا .
- ٢٩ - الحسيني ، السيد عبد الرزاق : ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال :، مصدر سابق، ص ٣٠ .
- ٣٠ - المصدر نفسه : ص ٣٤ : نقلا عن العلامة محمد رضا الشبيبي في (مجلة الثقافة الجديد) ٢٩٤/٤ تموز/ ١٩٦٩
- ٣١ - المصدر نفسه : ص ٣٤ : نقلا عن العلامة محمد رضا الشبيبي في (مجلة الثقافة الجديد) ٢٩٤/٤ تموز/ ١٩٦٩
- ٣٢ - ينقل الحسيني في ثورة النجف، المصدر السابق : ٧٦ ، انه كان احد المحكومين بالاعدام ، وانه وجد اصحابه يثقبون جدارا في زنزانة للهرب بأنفسهم ، فلفت نظر المسؤولين الى عملهم هذا ، فكافأته الحكومة عليه بإبدال الاعدام الى النفي الى الهند .
- ٣٣ - وهم : ١- كريم الحاج سعد ، ٢- احمد الحاج سعد ، ٣- محسن الحاج سعد ، ٤- سعيد مملوك الحاج سعد ، ٥- كاظم صبي ، ٦- محسن ابو غنيم ، ٧- عباس علي الرماحي ، ٨- علوان علي الرماحي ، ٩- الحاج نجم البقال ، ١٠- جوري ناجي ، ١١- مجيد الحاج دعيبل .
- ٣٤ - ينظر : قائمة الاسماء في الملحق رقم (١) من : الروازق، صادق جعفر، مصدر سابق.
- ٣٥ - الاسدي ، حسن : ثورة النجف على الانكليز، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥ م)، صص ٣٤٢، ٣٤٧ .

- ٣٦ - الحسني ، السيد عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى ، (بغداد: مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢م) ص ٣٢، ط ٦ الموسعة .
- ٣٧ - المصدر نفسه: ص ٣٢ .
- ٣٨ - المصدر نفسه: ص ١٦١ .
- ٣٩ - المصدر نفسه: ص ١٦١ .
- ٤٠ (النفيسي، عبد الله فهد، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، بيروت: دار النهار، ١٩٧٣م) : ص ١٣٣-١٣٤ .
- ٤١ - الوردي علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ١٣٨: ٥ ، القسم الاول.
- ٤٢ - الوردي علي : المصدر نفسه، ١٢٩/ ٥ ، القسم الاول
- ٤٣ (المصدر نفسه، ص ١٢٩ .
- ٤٤ - الحسني السيد عبد الرزاق : الثورة العراقية الكبرى، مصدر سابق، ص : ١٦٥ .
- ٤٥ (المصدر نفسه، ص ١٤٥ .
- ٤٦ - الطعنة : سلمان هادي: تراث كربلاء، (بيروت: بلا، ١٩٨٣/٥١٤٠٣، ط ٣، ص، ٣٩٧
- ٤٧ - الحسني ، السيد عبد الرزاق : العراق في دوري الاحتلال والانتداب، جزئان، (لبنان: صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣٥م)، ص ٢٧٨ .
- ٤٨ - كمال الدين ، محمد علي : ثورة العشرين في ذكراها الخمسين - معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ م : (بغداد: دون دار نشر، ١٩٧٥م)، ص ١٧٨
- ٤٩ - الحسني ، عبد الرزاق ، الثورة العراقية الكبرى : ١٦٠
- ٥٠ - المصدر نفسه، صص : ٧٧- ٧٩ .
- ٥١ - المصدر نفسه، صص : ٧٨ .
- ٥٢ - الياسري ، عبد الشهيد ، البطولة في ثورة العشرين، (النجف: بلا، ١٩٧٥م)، ص ٢١٨ .
- ٥٣ - الحسني ، عبد الرزاق ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ٢٥٢
- ٥٤ - الفياض ، عبد الله : الثورة العراقية الكبرى ، سنة ١٩٢٠ م ، (بغداد : دون دار نشر، ١٩٦٣م)، ص ٢٧٦ .
- ٥٥ - النفيسي ، عبد الله فهد ، مصدر سابق ، : ١٣٨ .
- ٥٦ - محبوبية ، جعفر الشيخ باقر : ماضي النجف وحاضرها ، (النجف الاشرف: مطبعة الاداب، ١٩٥٨م)، ج ١، ص: ١٣٨
- انظر : احمد ، الدكتور كمال مظهر ، صفحات من تاريخ العراق المعاصر دراسات تحليلية ، (بغداد: مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م)، ص ١٧٩ .

٥٧ - محمد عبد الحسين : هو واحد المثقفين الاسلاميين العاملين في الكاظمية ، وقد انتقل الى النجف اثر عملية القمع التي شنتها سلطات الاحتلال ضد (الحكومة الوطنية) في بغداد بدء من ١٢ آب ١٩٢٠ م ، الرهيمي، عبد الحليم تاريخ الحركة الاسلامية في العراق ، / الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠ - ١٩٣٤ :، (بيروت: الدار العالمية، ١٩٨٥ م) : ما جاء في هامش ١٩٥ صفحة ٢٢٧

٥٨ - الحسني ، عبد الرزاق ، الثورة العراقية الكبرى ، ١٧٢ هامش ٧ .

٥٩ - المصدر نفسه، صص ، ١٧٣ - ١٧٤ .

٦٠ - المصدر . نفسه، ص : ١٧٥

٦١ - المصدر نفسه ، ص : ١٧٨ .

٦٢ - الحسني ، عبد الرزاق : الثورة العراقية الكبرى ، ١٧٩ .

٦٣ - المصدر نفسه، ص ٦٧ / ان رسول النجف الى الرميثة هو (رحمه الله) الظالمى .

٦٤ - الفرعون، فريق المزهري، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة (١٩٢٠) ونتائجها، ج ١، (بغداد: د. مط، ١٩٥٢)، صص ٤٥٧-٤٥٨ .

٦٥ - المس بيل (بيل غيرترودبيل) : فصول من تاريخ العراق القريب (ترجمة جعفر الخياط) ، (بيروت: د. مط، ١٩٤٦ م)، صص ٤٤٧-٤٤٨ .

٦٦ - النفيسي ، عبد الله ، ١٣٦ .

٦٧ - المصدر نفسه، ص : ١٣٧ .

٦٨ - هذا ما ذهب اليه الوردي في كتابه لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ٢٣٤ : القسم الاول .

٦٩ - الوردي ، ٢٣٥ / ٥ ، القسم الاول .

٧٠ - م . ن ، ٢٣٧ / ٥ ، القسم الاول

٧١ - الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ١٦٤ الطبعة السادسة .

٧٢ - انظر : الثورة العراقية التحررية ، كوتلوف .

٧٣ - نظمي ، وميض جمال عمر، ثورة ١٩٢٠م الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، ط ٢، (بغداد: مطبعة اشبيلية، ١٩٨٥ م)، ص ٤٢٢ .

٧٤ - ، النفيسي د، عبد الله ، مصدر سابق، ص ١٣٨

٧٥ - المصدر نفسه، ص ١٣٨ .

٧٦ - الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث : ٢٣٦ / ٥

٧٧ (الروازق، صادق جعفر، مصدر سابق، ص ٦٩ .

- ٧٨ (الفياض، عبد الله، مصدر سابق، ص ٣٦٣).
- ٧٩ (العمرى، خيرى، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، (القاهرة: دار الهلال، ١٩٦٦)، ص ٤٥.
- ٨٠ - الوردى، علي: لمحات من تاريخ العراق الحديث، ٦/٧٠،
- ٨١ - الرهيمي، عبد الحليم: ٢٤١، رقم ٢٦.
- ٨٢ - كبة، محمد مهدي، مذكراتي في صميم الاحداث، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥م)، ص ٢٤٣.
- ٨٣ - البصير، محمد مهدي: تاريخ القضية العراقية، (لندن: دار اللام، ١٩٩٠م)، ط ٢، ٣٦٥/٢.
- ٨٤ - كبة، محمد مهدي: مصدر سابق، ص: ٢٤.
- ٨٥ - البصير: محمد مهدي، مصدر سابق، ص، ٣٩٤/٢.
- ٨٦ - المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق: ١٧،
- ٨٧ - الحسني، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقية، عشرة اجزاء، (بيروت: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٤م)، ص ٨١/١؛ البصير، محمد مهدي: مصدر سابق، ص ٤٦٢/٢.
- ٨٨ - كان الزعيم جعفر ابو التمن، رغم اشتراكه في الحكومة التي يعارضها العلماء، يتبنى في مناقشات مجلس الوزراء المواقف العامة للعلماء عبر تاكيد على انهم اعمدة الاسلام، وهم ضد اية معاهدة إطلاقاً. ينظر، الدراجي، عبد الرزاق، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠م)، ط ٢، صص ١٧٦-١٨٠.
- ٨٩ - الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق م: ٢٥٥.
- ٩٠ - البصير، محمد مهدي: تاريخ القضية العراقية، ٣٩٨/٢.
- ٩١ - الخطاب، رجاء حسني: تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١-١٩٤١م، (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٧٩م)، صص، ٢٩٠-٢٩١.
- ٩٢ - القصاب، عبد العزيز، من ذكرياتي، (بيروت: بلا، ١٩٦٢م)، ص ٢٢٥ وما بعدها.
- ٩٣ - الحسني، عبد الرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب، مصدر سابق، ٨٥/١.
- ٩٤ - برسي كوكس، تكوين الحكم الوطني في العراق، ترجمة بشير فرجو، (الموصل: بلا، ١٩٥١م)، ص ٥٨.
- ٩٥ - البصير، محمد مهدي، تاريخ القضية العراقية، ٤٣٠/٢ - ٤٣٤.
- ٩٦ - المصدر نفسه، صص، ٤٣٠/٢ - ٤٣٤.
- ٩٧ - الكاتب، احمد: تجربة الثورة الاسلامية في العراق منذ عام ١٩٢٠م وحتى ١٩٨٠م، (طهران: دار القبس، ١٩٨١/٥١٤٠٢م)، ص: ٧٦.
- ٩٨ - الوردى، علي، المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٠٢. عن وثائق البلاط الملكي. رقم الاضبارة (٣). رقم الوثيقة (٧).

٩٩ كبة، محمد مهدي: مصدر سابق، ص : ٢٩ .؛ الوردي ،لمحات اجتماعية ،مصدر سابق، ج٦، صص: ٢٦١- ٢٦٢ .

١٠٠ - الحسني ، عبد الرزاق : تاريخ الوزارات العراقية، مصدر سابق، : ج١، ص٧٥.

١٠١ - الوردي، علي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٦١-٢٦٢ ..

١٠٢ الرهيمي ، عبد الحلیم : ، مصدر سابق، ٢٦٥ .

١٠٣ - الادهمي : د. محمد مظفر: : المجلس التأسيسي العراقي، دراسة وثائقية في التاريخ السياسي الحديث لاول مؤسسة تشريعية في العراق، ج٢، (بغداد: دائرة الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م)،، ج٢، ص٤٤ ،

١٠٤ - فرج، لطفي جعفر: عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠م)، ص٧٦ .

١٠٥ - الوردي، علي، المصدر السابق، ص٢٠٨ .

١٠٦ - الحسني ، عبد الرزاق : تاريخ الوزارات العراقية : ١ / ١٣ ، كان المقصود بالأجانب كبار المجتهدين الذين يحمل معظمهم الجنسية الإيرانية ، سواء كانوا عربا او من أصل إيراني ، وقد تم تفسير (٣٤) من كبار المجتهدين والعلماء ووضع (٥٠) آخرون تحت مراقبة الشرطة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

سورة العنكبوت : الآية ٦ .

المصادر العربية والمعربة

١- احمد، الدكتور كمال مظهر، صفحات من تاريخ العراق المعاصر دراسات تحليلية ،(بغداد: مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م)،

٢- الادهمي : د. محمد مظفر: : المجلس التأسيسي العراقي، دراسة وثائقية في التاريخ السياسي الحديث لاول مؤسسة تشريعية في العراق، ج٢، (بغداد: دائرة الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م)،، ج٢،

٣- الاسدي ، حسن : ثورة النجف على الانكليز، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥م)،

- ٤- البصير، محمد مهدي : تاريخ القضية العراقية، (لندن: داراللام، ١٩٩٠م)، ط٢،
- ٥- الحسني، السيد عبد الرزاق : العراق في دوري الاحتلال والانتداب، جزئان، (لبنان- صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣٥م).
- ٦- الحسني، عبد الرزاق : تاريخ الوزارات العراقية، عشرة اجزاء، (بيروت: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٤م)،
- ٧- الحسني، السيد عبد الرزاق : ثورة النجف على الانكليز بعد مقتل حاكمها الكابتن (مارشال)، ط٥، (لبنان- صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٨٣م):
- ٨- الحسيني، احمد : الامام الثائر، (النجف: مطبعة الاداب، بلا)
- ٩- الخطاب، رجاء حسني : تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١- ١٩٤١م، (بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٧٩م)،
- ١٠- الدراجي، عبد الرزاق، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠م)، ط٢
- ١١- الطعنة: سلمان هادي: تراث كربلاء، (بيروت: بلا، ١٩٨٣/٥١٤٠٣م)، ط٣.
- ١٢- الروازق، صادق جعفر، الحوزة العلمية العراقية. المشروع السياسي بين المقاومة والمطالبة. عرض وتحليل ١٩١٤-١٩٨٠م، (بغداد: مركز العراق للدراسات، ١٤٢٧هـ: ٢٠٠٦م).
- ١٣- القصاب، عبد العزيز، من ذكرياتي، (بيروت: بلا، ١٩٦٢م)،
- ١٤- الكاتب، احمد: تجربة الثورة الاسلامية في العراق منذ عام ١٩٢٠م وحتى ١٩٨٠م، (طهران: دارالقبس، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)،

- ١٥- العلوي ، حسن : التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق، (لندن: دار الزوراء، ١٩٨٨م)
- ١٦- العمري، خيري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، (القاهرة: دار الهلال، ١٩٦٦)،
- ١٧- الفياض ، عبد الله : الثورة العراقية الكبرى ، سنة ١٩٢٠ م ، (بغداد : دون دار نشر، ١٩٦٣م)،
- ١٨- الفرعون، فريق المزهري، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة (١٩٢٠) ونتائجها، ج ١، (بغداد: د. مط، ١٩٥٢)
- ١٩- الياسري ، عبد الشهيد ، البطولة في ثورة العشرين ، (النجف: بلا ، ١٩٧٥م)،
- ٢٠- الوردي، علي: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ستة اجزاء في سبعة كتب، (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٩-١٩٧٦م)،
- ٢١- المس بيل (بيل غيرترودييل) : فصول من تاريخ العراق القريب (ترجمة جعفر الخياط)، (بيروت: د. مط، ١٩٤٦م)
- ٢٢- برسي كوكس ، تكوين الحكم الوطني في العراق ، ترجمة بشير فرجو، (الموصل: بلا، ١٩٥١م)،
- ٢٣- شبر، حسن، تاريخ العراق السياسي، التحرك الاسلامي في العراق، ١٩٠٠-١٩٥٧، ج، (بيروت: دارالمنتدى للنشر، ١٩٩٠م)
- ٢٤- كبة ، محمد مهدي ، مذكراتي في صميم الاحداث ، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥م)،

- ٢٥- كمال الدين، محمد علي: ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م، (بغداد: دون دار نشر، ١٩٧٥م)،
- ٢٦- فرج، لطفي جعفر: عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠م)
- ٢٧- محبوبة، جعفر الشيخ باقر: ماضي النجف وحاضرها، (النجف الاشرف: مطبعة الاداب، ١٩٥٨م)، ج ١
- ٢٨- الرهيمي، عبد الحليم تاريخ الحركة الاسلامية في العراق. الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠- ١٩٣٤، (بيروت: الدار العالمية، ١٩٨٥م)
- ٢٩- مالك، الدكتور محمد جواد، شيعة العراق وبناء الوطن. دراسة تاريخية منذ ثورة الدستور حتى الاستقلال ١٩٠٨- ١٩٣٢، تقديم الاستاذ محمد حسين الصغير (الدكتور)، (بيروت: مؤسسة الاعلامي، ١٩١٢/٥١٤٣٣م)،
- ٣٠- انظمي، وميض جمال عمر، ثورة ١٩٢٠م الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق)، ط ٢، (بغداد: مطبعة اشبيلية، ١٩٨٥م).
- ٣١- النفيسي، عبد الله فهد: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، (بيروت: دار النهار، ١٩٧٣م).

(Summary of research in English)

When the First World War broke out in 1914, Great Britain succeeded in extending its influence and control over many countries, especially the Islamic ones. In Iraq, the British army advanced and occupied Basra on 5 October 1914. This British campaign against Iraq was the first of its military operations against The Ottoman Empire. The Ottomans were allies of Germany. The Ottoman army, which faced the British invasion, joined the regular army. Large groups of Iraqi Mujahideen led by religious scholars found that the interest of Islam, the Islamic homeland and its sons had to stand with the Ottoman Empire in the face of the British invasion, Islamic University between them. While many of the Sons of Iraq were fighting with the Ottoman forces, they did not like the Ottomans who tasted the Iraqis but at the call of Jihad, which was launched by clerics to preserve Islam. But the Ottoman administration in Iraq, especially after the break-up of the Ottoman army in the battle of Shuaiba. Even that the governors of Baghdad sent a military campaign to Najaf to discipline the population, but the campaign failed to defend civilians from their city and fled its troops fled since that date the Najafis led by the religious authority, the helm of governance, not only the Najafis, but they are working to undermine the Ottoman

Empire Iraq had a role in the most incidents that occurred in other cities of the Middle Euphrates.

The religious reference was taken in the holy cities of Najaf, Karbala, Kadhimiya and Samarra. This opinion issued on June 20, 1920, resonated widely among the masses, as it was quick to launch the first spark of the revolution of the twentieth launched by Shaalan Abu al-Jun. However, the review of the events of the Great Iraqi Revolution, especially the role of the reference and religious scholars, clearly shows us the sincerity and honesty in giving active actors the principles of the divine law, as well as the true role of the leadership of the revolution represented by reference; To preserve the unity of the soil of this homeland and the flesh of society. The results of the revolution did not give the fruits of the Islamic movement. The British circles robbed the identity of the revolution and focused on nationalist elements that were loyal to its policy. The movement of the reference movement and the active scientists, the broadness of the Islamic movement and the results that followed, Political awareness of the nation and this is what we find a major reason to change the identity of the revolution and steal the efforts of its leaders sincere allegations of spontaneous revolution. While the Iraqi revolution at the peak of the culmination; the occupation forces announced the arrival of the first representative of Iraq, Sir (Cox) In the light of the secret

agreement (Sykes-Picot) with the French government, the same project was launched by the Deputy Governor of the Royal General in Baghdad June 17, 1920. When the advent of Sir Percy Cox, the religious leadership realized the danger of containment of the revolution by the imposition of the mandate, so before the arrival of Cox to Baghdad, the Supreme Scientific Commission responsible for the revolution to launch a media campaign warning of the cunning policy that will follow the English; All of the leaders and clans and religious scholars are astute and thoughtful The formation of the interim government in its well-known form has been conclusive evidence that scientists and revolution leaders, who since August 1920 have refused to negotiate with the administration of the occupation, have consulted the government. Thus, the interim government is not a correct case in resolving the conflict between the Iraqis and the English. And was not representative or responsive to some of the aspirations and goals of Iraqis. The scholars of Najaf and Kadhimiya expressed fear and mistrust and doubts about the legitimacy of the representation of this government to the people; they demanded the establishment of a government elected by the people, which contributed to the administration of the mandate to expand the social base in power. And the start of the nomination of a king of the throne of Iraq. Thus established Faisal King of Iraq, and then began the

occupation of the occupation of the British-Iraqi treaty in 1922, and then the formation of the Constituent Assembly, which opposed the reference and scientists and a large majority of the Iraqi people Mujahid, which forced the government and by Of the English themselves to the use of brutal methods and the most recent was the denial of religious scholars in June 1923, then start other pages bright of the role of religious reference in Iraq through their positions of national events.

In order to identify the positions and role of religious references to British colonialism, the research identified (the religious authority in Iraq and its position on national events until 1923) highlights the bright positions of the religious authority in the leadership of the struggle and jihad against the British colonization of Iraq, which tried by various means to stop this The revolutionary ideological tide and the great national and religious enthusiasm in the

مباني الجهاد الدفاعي في الفقه الإسلامي فتوى الجهاد الكفائي للسيد

السيستاني إنموذجا

أ.م.د صلاح محمد حسن شمسه

جامعة الكوفة - كلية التربية الاساسية

مقدمة :

ولا يخفى ان حق الدفاع هو امر فطري وعقلاني لا يختلف فيه اثنان.. وما نرى من اختلاف في وجهات النظر احيانا ناشئ من عدم الاتفاق على تشخيص الصغريات والموضوعات الخارجية من قبيل: الاختلاف في اصل ثبوت حق ماوعدمه او الاختلاف في تشخيص نوع الحق ودائرته سعة وضيقا.. ونظير الاختلاف في كون العدوان الواقع هل كان مشروعاً او انه غير مشروع وغير ذلك من الامور الجزئية التي قد تتباين فيها التقديرات وزوايا النظر.

من هنا نرى ان شريعتنا العادلة والواقعية قد عالجت مسألة الدفاع بدقة.. ونحن نحاول في هذه الوقفة تركيز النظر على الدفاع العام من الزاوية الفقهية، حيث اولى فقهاؤنا هذه الزاوية اهمية كبيرة ونظروا لها من ناحية البحث في اصل المشروعية ونوعها وهل هي بمستوى الوجوب او الاباحة وما هي شروط الدفاع وكيفية وبيان احكامه والاثار المترتبة عليه..

ونتناول في البحث الجهاد ومكانته وأقسامه ، كما نتناول بالعرض والتحليل لفتوى السيد السيستاني بالجهاد الكفائي ومبانيها ... ومن الله العون .

المبحث الاول :

الجهاد ، الفتوى : المعنى والغاية

المطلب الأول : مكانة الجهاد وأنواعه

أولاً : معنى الجهاد :

لو رجعنا إلى قواميس اللغة العربية، نجد أن كلمة جهاد مشتقة من الجهد بضم الجيم وفتحها. وهو الطاقة. ويقال جهد الرجل في كذا: بمعنى جد فيه وبالع، وهو المشقة البالغة والطاقة، ومنه جهد البئر إذا بالغ في استخراج مائها. ويقال اجتهد في حمل الرحى، ولا يقال اجتهد في حمل خردلة كما ذهب الغزالي في كتابه المستصفى، ويقال اللبن المجهود، الذي استخرج زبد، ولا يكاد يكون ذلك إلا بمشقة ونصب، فعلى المستوى اللغوي نجد أن الجهاد كمفهوم ليس مرادفا للحرب والقتال، وقد استعمل الذكر الحكيم مفردة الجهاد بالمعنى اللغوي المتداول، إذ قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾^١

كما استخدمها بمعنى البذل والتضحية بالنفس والقتال في سبيل الله. قال تعالى ﴿ أن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ﴾^٢

وعليه فإن كلمة الجهاد استعملت بheitenها المتنوعة في النصوص الشرعية بالمعنى اللغوي الذي هو بذل الوسع وتحمل المشقة في سبيل شيء ما. وجاء على نحوين:

١. بذل الطاقة في الخير.

٢. بذل الطاقة في الحرام.

بالنسبة إلى النحو الأول، قال تعالى ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل

وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا

الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿٣﴾

أما النحو الثاني، قال تعالى ﴿ وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ ٤

والجهاد بمعناه العام، هو عبارة عن جهد يبذله المؤمنون لإصلاح أوضاع الأمة في مختلف المجالات. لذلك فإن التوجيهات الإسلامية تؤكد أن الجهاد وفق هذا المنظور هو الذي يحول دون فساد الأوضاع ووصول الأشرار والفاستدين إلى السلطة والحكم. فالجهاد حضور وشهود وكفاح، لتأكيد خيار الإصلاح في الأمة.. فقد جاء في وصية الامام علي (ع) لولديه (ع) (الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله..... لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم) ٥.

والجهاد في الإسلام من الواجبات الكفائية، بمعنى إذا قام به البعض يسقط عن الآخرين. وهذا لا يعني بطبيعة الحال انحصار هذا الواجب فقط في فئة أو شريحة من الناس، بل ينبغي أن يتهيأ ويستعد كل مكلف قادر، بحيث إذا تحققت الحاجة على المستوى البشري سقط هذا الواجب الكفائي عن الجميع. فالواجبات الكفائية تشمل الجميع، ولكنها على المستوى الفعلي مرهونة بالقدر الكافي لرفع الحاجة.

ثانيا : مكانة الجهاد :

إن الجهاد ذروة سنام الاسلام وسياس مبادئه، وطريق الحفاظ على بلاده، وأهم مبادئه العظيم وسبيل النيل الى العزة والكرامة والسيادة في الدنيا وموجب للسعادة والنجاة في العقبى، فلهذا الحكم البالغة، كان فريضة محكمة وأمر ماضيا الى

يوم القيامة، إذ ما تركه قوم إلا ذلوا وما تهاونوا به إلا غزوا في عقور دارهم وأصبحوا مخذلين منهزمين، قد سلط عليهم شرار الناس.

فنرى كثيرا من آيات القرآن الكريم تبين مكانة الجهاد والمقاومة، وقد توفرت أحاديث في بيان فضل الجهاد من جهات مختلفة، بأنه ميزان للتقييم ومنهج الأنبياء، ومن أحب الأشياء عند الله، وثمره الإيمان بالله، والمعاملة معه تعالى، وإنه مما اهتم به الإسلام اهتماما بالغا، بأن رفع منزلة المجاهدين، وجعل الجهاد من فرائضه التي يفضل على كثير من الأعمال، وأعلى منزلة الشهداء، وحث المسلمين على القتال في سبيل الله، وحذر من التخاذل والتقاعس أمام الأعداء وشرع الأحكام والآداب الخاصة بالقتال وأمر بالإعداد والتجهيز والخروج ومدافعة الأعداء.

فالقرآن الكريم امتلأ بالآيات الدالة على مكانة الجهاد وفضل المجاهدين، والسنة المطهرة أيضا زخرت بالأحاديث المرغبة به، والمبينة لفضائل المجاهدين، والذين يهتمون بأمر المجاهدين وأسرههم

يعد وجوب الدفاع عن البلاد الإسلامية من ضروريات الفقه الإسلامي، وهو موضوع لطالما درسه الفقهاء المسلمون في نتاجاتهم الفقهية، ونظرا لوضوح المسألة وبدايتها عندهم كانوا يملكون عليها عادة مروراً عابراً، إلا أن بعض الفقهاء - وانطلاقاً من الضرورات الزمانية والمكانية التي عاصروها نتيجة تعرض بعض البلاد الإسلامية في زمانهم لهجوم الأعداء وتهديد استقلال المسلمين تهديداً جدياً - أسهب في دراسة هذا المحور الفقهي الهام، مؤلفاً الرسائل، ومصدراً البيانات والفتاوى المناسبة، وإضافة إلى شرح الأحكام والمسائل الدفاعية لعامة الناس فقد تصدى الفقهاء لحثهم الجماهير على إبداء كل مظاهر الصمود والتصدي أمام أعداء الإسلام والمسلمين.

وعطفاً على ذلك، لم يمر وقت على البلاد الإسلامية لم تكن فيها أمام خطر هجوم الأعداء منذ أن سطع نجم الإسلام وعزته واقتدار المسلمين على سطح المعمورة، إلا أن

بعض الحقب الزمنية امتاز بدخول الاعداء دخولا مباشرا على الخط، واستهدافهم البلاد والاراضي الاسلامية بشكل جاد.

وقد تصدى علماء الاسلام لهذا الخطر المحدق، شاعرين اكثر فاكثر بالمسؤولية الكبيرة، فكانوا انفسهم في مقدمة صفوف المتطوعين المدافعين عن كيان الاسلام وبلاد المسلمين، كما كانوا ايضا في مقدمة من يحث الناس ويحرضهم على المقاومة والاستبسال.

ويبدو موضوع (الدفاع عن البلاد الاسلامية) متميزا وعلى درجة عالية من الاهمية، رغم ان مبدا وجوبه يعد من ضروريات الاسلام، ومما لا شبهة فيه ولا ترديد، الا ان معرفتنا بأهمية الدفاع وقيمته من جهة، واحكامه وقضاياه من جهة اخرى، والتاريخ الاسلامي العملي من جهة ثالثة تجعل من هذا الموضوع موضوعا فائق الاهمية في الفترة الراهنة ولعل من نافلة القول ، التأكيد على ان الدفاع عن النفس، والمال، والعرض، والوطن، والارض، والشرف، والامة، والاستقلال... مقولات مقدسة يتفق عليها البشر كافة، فلا يرضى احد ولا ترضى امة بالاستسلام للمعتدي، بل يرى الناس - على اية عقيدة او مذهب كانوا - ان الدفاع عن بلادهم امر مقدس وممدوح، ومن هنا لم يحتكر الاسلام امر الدفاع والمقاومة امام المعتدين، بل لقد شرعت ذلك عامة الامم وسائر الملل واعتبرته حقا مسلما.

لقد اعتبر القرآن الكريم الحياة البشرية، وديمومة العقائد الدينية والاماكن المقدسة رهنا لحس الدفاع الفطري عند بني البشر، فقد قال تعالى: ((اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير- الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) ٦.

ويمكن ان يستنتج من هذه الآيات امور:

أولا - ان اخراج الناس من بلادهم مصداق واضح للظلم.

ثانيا - ان محاربة العدو الغازي حق مشروع للمظلومين، (بانهم ظلموا)، ومن هنا فاذا وقع جماعة من غير المسلمين تحت نير الظلم والجور فاخرجوا من ديارهم وبلادهم بغير حق كان لهم ايضا حق الدفاع والجهاد لرفع الظلم والحيث عن انفسهم.

ويعالج القسم الثاني من الآيات فلسفة الدفاع في الاسلام، فبحسب المنطق القرآني، سيؤدي تراجع المؤمنين بالاديان التوحيدية مقابل هجمات الغازين والمعتدين الى تهدم مراكز العبادة وزوال اماكن الذكر والدعاء، ومن هنا يعلم ان الاديان الالهية شرعت حق الدفاع بغية الحفاظ على وجودها وكيانها، وحراسة معتقداتها الدينية ومراكزها العبادية.

اذا، فاحد اوجه مشروعية الدفاع حفظ المعابد والمراكز الدينية وحراستها، وهو ما لا يختص بالمسلمين فقط، ومن هنا نجد ان حق الدفاع هذا مما اعترفت به الشرائع السماوية كافة.

والاهم من ذلك كله، ان الدفاع في المنطق القرآني يشكل ضمانته صلاح المجتمعات، وبالمقابل يمثل الاستسلام عاملا نشطا من عوامل ظهور الفساد في الارض، (ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض)^٧.

ويرى بعض المفسرين ان الجهاد - فيما تفيد آياته القرآنية عامل من عوامل احياء المؤمنين انفسهم، بمعنى ان الجهاد والحرب - سواء في ذلك الدفاعي منه عن الاسلام او المسلمين، والابتدائي - كله يمثل دفاعا عن حق الانسانية في الحياة البشرية، ذلك ان في الشرك هلاك للإنسانية وموتا للفطرة، وهذا معناه ان الحرب في واقعها ليست سوى دفاع عن حق الانسانية وضخ حياة جديدة فيها، وهو بمثابة بعث الروح بعد موتها^٨.

ان حفظ الدين ومراكز العبادة لأمر سهل يسير على الله سبحانه ، الا ان السنة الالهية جرت على حفظ الاديان والشرائع الالهية بيد الناس انفسهم، بحيث يستشعر الناس المسؤولية ازاء عقائدهم ومراكزهم الدينية والعبادية وكذلك بلادهم وارضيتهم، لكي يهبوا مدافعين صامدين، ان وجود مثل هذا الاحساس بين الناس، وممارستهم الدفاع والتصدي لهجمات الاعداء لما يوجب المساندة الالهية والنصر الرباني.

وقد اشار الفقهاء ايضا في نتائجهم الى فلسفة الدفاع بما يناسب، فقد اعتبر ابو الصلاح الحلبي - بعد ذكره لوجوب الدفاع ان علتة هو «منع اضمحلال الحق» و «هزيمة دار الايمان» و «انتصار الشرك والكفر»^٩، فيما كتب الشيخ النجفي صاحب الجواهر في هذا المجال قائلاً: «لو اراد الكفار محو الاسلام، ودرس شعائره، وعدم ذكر محمد (ص) وشريعته، فلا اشكال في وجوب الجهاد حينئذ»^{١٠}.

ثالثاً : قسما الجهاد والموازنة بينهما :

لقد استنبط الفقهاء للجهاد اقساماً واحكاماً مختلفة انطلاقاً من الآيات والروايات ذكروها تفصيلاً في دراساتهم ومؤلفاتهم، وفي واحد من هذه التقسيمات ذات السعة، ينقسم الجهاد الى:

أ - ابتدائي :

وهو الجهاد المشروط بأسبقية الدعوة الى محاسن الاسلام ، وقد قيّد عند فقهاء الشيعة بوجود الامام العادل المبسوط اليد أو نائبه الخاص المنصوب للاجتihad^{١١} ، المتوافرة فيه صفات قيادة المؤمنين المجاهدين ، لان اصل مشروعية الجهاد عندهم منوطة بوجود الامام^{١٢} ، لذا لا يصح القيام بالجهاد الابتدائي واعلانه بالوقت الحاضر.

ب - ودفاعي :

ويذهب اغلب الفقهاء الى القول بان الدفاع عن كيان الاسلام والمسلمين وبلادهم الاسلامية، قسم من اقسام الجهاد، وهو مشمول للإطلاقات ادلتة وعموماتها، مجيبين عن التصور القائل: بان الآيات والروايات كافة تتعلق فقط بالجهاد الابتدائي دون ان تجري احكام الجهاد على الدفاع.

وبالرغم من الفوارق والامتيازات العديدة في الفروع والاحكام، والتي تفصل الجهاد الابتدائي عن الدفاعي، الا ان الكثير من الاحكام تعد عناصر مشتركة بينهما، ومن هنا لم يعتبر الفقهاء ان وجود امتيازات في الاحكام يوجب خروج الدفاع عن دائرة الجهاد.

فبعد ذكره لأقسام الجهاد، وحديثه عن الجهاد الابتدائي، يعتبر الشهيد الثاني الدفاع نوعا ثانيا من انواع الجهاد... يقول: «والثاني: ان يدهم المسلمين عدو من الكفار يريد الاستيلاء على بلادهم، او اسرهم، او اخذ ماله وما اشبه من الحريم والذرية»^{١٣}.

ويقسم الشيخ جعفر كاشف الغطاء الجهاد الى اقسام خمسة: احدها الابتدائي واربعة اخرى دفاعية، فقد يكون «الجهاد لحفظ بيضة الاسلام اذا اراد الكفار الهجوم على اراضي المسلمين وبلدانهم وقراهم»، فيكون الهدف محو الاسلام واقامة حكم الكفر وعلائمه، وقد يكون الجهاد لدفع عدوان المعتدي على دماء المسلمين واعراضهم، وربما يكون دفاعا عن جماعة من المسلمين وقعت بينهم وبين جماعة من الكفار حرب ومقاتلة بحيث خيف استيلاء الكفار عليهم، واخيرا ربما يكون الجهاد لاجراج الكافرين من بلاد المسلمين التي تسلطوا عليها، وخلص المسلمين الذين يرزحون تحت نير الكفر من سلطة المعتدين، فـ «الجهاد لدفعهم عن بلدان المسلمين، وقراهم، وارضيتهم، واخراجهم منها بعد التسلط عليها، واصلاح

بيضة الاسلام بعد كسرها، واصلاحها بعد ثلمها، والسعي في نجاة المسلمين من ايدي الكفرة».

ويواصل الشيخ كاشف الغطاء كلامه بشرح تكليف المسلمين ومسؤوليتهم ازاء تحرير البلاد الاسلامية، حتى لو استلزم ذلك بذل النفس والمال والسلاح و... مصنفا هذا النوع من الجهاد بانه افضل انواع الجهاد، قائلاً: «وهذا القسم افضل اقسام الجهاد، واعظم الوسائل الى رب العباد، وافضل من الجهاد الرد الكفار الى الاسلام كما كان في ايام النبي عليه وآله افضل الصلاة والسلام»^{١٤}.

ويعتقد سلال الديلمي - احد فقهاء القرن الخامس الهجري - ان الجهاد الدفاعي لا يحتاج الى اذن الامام او نائبه، ثم يقول: «واما الجهاد فالى السلطان او من يامره ويؤمره، الا ان يغشى المؤمنين العدو فيدفعوا عن نفوسهم واموالهم واهليهم، وهم في ذلك مثابون، قاتلهم ومقتولهم، جرحهم ومجروحهم»^{١٥}.

ويرى الشيخ محمد رضا الهمداني في رسالة «ترغيب المسلمين الى دفاع المشركين» ان الدفاع جهاد في سبيل الله، بل اهم القربات الالهية^{١٦}.

ان الدفاع الذي لا يعده الفقهاء عادة مصداقاً للجهاد، هو الدفاع الشخصي عن النفس والمال والعرض والاهل مقابل السراق وقطاع الطرق... مما يخرج عن بحثنا هنا، رغم وجود بعض الروايات ايضا على اعتبار المقتول في هذه الحال شهيداً، الا ان الدفاع عن الدين في مقابل هجوم الكافرين او المشركين او المسلمين الباغين الفاسقين مما يجعل الكيان الاسلامي ومجتمع المسلمين وبلادهم واموالهم في معرض الخطر والتهديد... هذا الدفاع هو بالقطع واليقين فرد من افراد الجهاد في سبيل الله. وننقل هنا كلامين لاثنيين من كبار فقهاء الشيعة المشهورين:

١ - السيد علي الطباطبائي صاحب كتاب «رياض المسائل» حيث يقول: «وقد يطلق (الجهاد) على جهاد من يدهم على المسلمين من الكفار بحيث يخافون استيلاهم على بلادهم، واخذ مالهم او ما اشبهه وان قل»^{١٧}.

٢ - الشيخ حسن النجفي صاحب كتاب «جواهر الكلام»، حيث يقول: «ظاهر غير واحد كون الدفاع عن بيضة الاسلام مع هجوم العدو في زمن الغيبة من الجهاد لإطلاق الأدلة»^{١٨}.

يظهر من موازنة احكام الجهاد الابتدائي والدفاعي ان الاخير ارجح من الاول واكثر اهمية، ووجه ذلك واضح الى حد معين، فالجهاد الابتدائي يهدف لدعوة الكفار الى الاسلام ونشر الدين، اما الدفاعي فيهدف الى الحيلولة دون محو الاسلام وزوال المجتمع الاسلامي، وحراسة استقلال المسلمين وانفسهم واموالهم واعراضهم.

لذا يعد من ضرورات الفقه، وهو ما يحكم به العقل والشرع معا^{١٩}.

لقد صرح الفقهاء بكون الجهاد الابتدائي مشروطا بشروط عديدة، من الرجولية، والسامة البدنية، والحرية، والبلوغ، وحضور الامام المعصوم (ع) واذنه وغيرها. بينما المقاومة غير مشروطة بأي من الشروط السالفة الذكر، إلا القدرة على الدفاع والمقاومة أمام العدو، المعتبرة في جميع التكاليف.

والمصرح بذلك من فقهاء الإمامية القدماء هو؛ الشيخ المفيد وابن حمزة وابن زهرة وابن البراج وابو الحسن الحلبي والكيدري والشيخ الطوسي (٢٠) ومن التأخرين: العلامة الحلي والشهيد الثاني وابن فهد الحلي والسيد علي الطباطبائي والشيخ النجفي والميرزا القمي وكاشف الغطاء حيث ذهبوا إلى اطلاق وجوب المقاومة (٢١).

وعن علماء أهل السنة أيضا من صرح بأنه إذا لم يكن النفير عاما فوجوب الجهاد بشروط خاصة آنفة الذكر، وأما إذا كان النفير عاما: كأن هجم العدو على البلاد

الإسلامية ، فالجهاد فرض عين على كل قادر من المسلمين فإذا عم النفي خرجت

المرأة بغير إذن زوجها ، وجاز للولد أن يخرج بدون إذن والديه ، وهكذا الباكون (٢٢)

فقد روي عن طريق الإمامية : أن عليا (ع) قال : (الجهاد فرض على جميع المسلمين ،

لقوله تعالى : ((كتب عليكم القتال)) (٢٣) ، فإن قامت بالجهاد طائفة من المسلمين

وسع سائرهم التخلف عنه ، ما لم يحتج الذين يلون الجهاد الى المدد ، فإن احتاجوا لزم

الجميع أن يمدوهم حتى يكتفوا ، قال الله تعالى : ((وما كان المؤمنون لينفروا

كافة)) (٢٤) ، فإن دهم أمر يحتاج فيه إلى جماعتهم نفروا كلهم ، قال الله عز

وجل : ((انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله)) (٢٥).

فوجوب دفع المعتدي في جميع الظروف والاحوال وعلى جميع المكلفين ، سواء كان

الامام حاضرا أم لا ، أذن أم لم يأذن ، دليل على أهمية المقاومة وفرقها عن الجهاد

الابتدائي الذ قيد وجوبه بالمقييدات الكثيرة ، وذلك ؛ لأن المقاومة يلتجأ إليها عندما

يتعرض الإسلام والمسلمون الى خطر المحو والدمار ، دون الجهاد الابتدائي لبذي يراد

به دعوى الناس الى الاسلام .

ومما يجدر ذكره هنا أن القدرة شرط عام ، أشار العلامة الشيخ جعفر كاشف

الغطاء إلى مسألة تقييد الواجب المطلق بقيد القدرة فيما نحن فيه أيضا ، بقوله : (

إنه يستثنى من المكلفين اصناف في وجوب الجهاد بالمعنى الأخير (يريد بالمعنى

الأخير الجهاد الابتدائي) ، كالمريض مرضا ضارا ، والفقير العاجز عن النفقة مع عدم

الباذل ، والراجل ، والعبد ، والانثى ، والخنثى ، والمسموح ، ومن عارضه الواجب من دين

حال يطالب به ، أو نفقه واجبة ، أو حج ، أو طاعة الوالدين ، ونحو ذلك .

ولا يشترط في الأربعة السابقة شيء من ذلك ، بل المدار فيها على القدرة وعدم العجز

، فيجب على كل قادر على النصر من قريب أو بعيد ، الحضور في عسكر

المسلمين وجوبا كفائيا ، لا يسقط إلا اذا قام به من به الكفاية (٢٦).

وقال الشهيد الثاني : (لاشك أن وجوب محاربتهم مع بدائتهم به إنما يجب أيضا مع المكنة) (٢٧) .

نعم ، لا إشكال في تقييد جميع التكاليف بالشروط العامة للتكليف ؛ كالقدرة والعقل والبلوغ ، وهذا لا ينافي الإطلاق ؛ لأنه أمر نسبي .
المطلب الثاني :

الفتوى بالجهد الكفائي :

أولا : الفتوى وفرقها عن الحكم :

الفتوى لغة : اسم مصدر بمعنى الافتاء ، والجمع الفتاوى والفتاوي ، يقال أفتيته فتوى فتيا إذا أجبته عن مسألته .

والفتيا : تبين المشكل من الاحكام ، وأفتاه في الامر : أبانه له . ٢٨

و الفتوى في اصطلاح الفقهاء :

هي الإخبار عن حكم الله ، بواسطة الفقيه المستنبط ، والمفتي هو الفقيه الذي يبدي رأيه في الأحكام الشرعية من خلال الأدلة الشرعية .

أما حكم الحاكم فهو الأمر بتنفيذ الأحكام الشرعية ، وكذلك الإلزام من قبل الحاكم الإسلامي بأداء أو ترك عمل معين حسبما تقتضيه المصلحة .
ومن هنا فإن الفتوى غير الحكم .

وعن الفرق بين الفتوى والحكم يقول صاحب الجواهر : (... الظاهر أن المراد بالاولى الإخبار عن الله تعالى بحكم شرعي متعلق بكلي ، كالقول بنجاسة ملاقي البول أو الخمر ... وأما الحكم فهو إنشاء إنفاذ من الحاكم لا منه تعالى لحكم شرعي أو وضعي أو موضوعهما في شيء مخصوص) .

وعلى هذا الأساس يكون هناك اختلافان بين الفتوى والحكم .

أ- من حيث الإخبار أو الإنشاء .

بد من حيث كلية الموضوع أو جزئيته.

فالفقهاء هم إخبار الفقيه عن الحكم الإلهي في الأمور المادية والمعنوية، بينما الحكم هو الأمر الذي يصدره الحاكم بشأن من الشؤون العامة للناس، ومخالفة الفتوى جائزة لذوي الخبرة، وليس لأحد أن يمنعهم منها، فعلى سبيل المثال، حين يفتي فقيه بنجاسة الدم الموجود في البيضة مثلاً يجوز لفقيه آخر أن يفتي بطهارته، بل يجوز للمقلد أن يخالف فتوى المجتهد ويرجع إلى المجتهد أعلم وأورع، ولكن لا يجوز نقض الحكم، لأنه يحدث اختلالاً في النظام.

فتاوى الفقهاء ودور المكلف

فالفقهاء عبارة عن الحكم الشرعي الذي يستنبطه الفقيه (المجتهد) من مصادره الأصلية، وقد يكون استنباطه مصيباً للحكم الواقعي، وقد لا يكون مصيباً، إلا أنه في هذه الحالة معذور إذا كان قد بذل جهده وأعمل وسعه في الوصول إلى الحكم الواقعي.

إذا ما يصدره الفقيه هو ما يسمى بالفتوى، وميزتها أنها تصدر من الفقيه من ناحية مراجعته للأدلة الشرعية، ولا تكون وظيفة الفقيه تحديد الموضوعات الموجودة في الخارج، ومن أي نوع هي.

إن الفقيه يبحث في الأدلة عن حكم المسائل التي يفترض أن يبتلى بها المكلف، ويعطي النتيجة التي يتوصل إليها للمكلف، ومن هنا يقع على المكلف تحديد ما يبتلى به وما الذي ينطبق عليه.

فما على الفقيه هو وضع الأحكام الكلية وعلى المكلف تشخيص الموضوعات الخارجية.

وثمة أحكام يمكن للفقيه إصدارها من موقع كونه ولياً للأمر، تسمى الأحكام الولائية، وهي ترتبط بالموضوعات والعناوين العامة التي تتعلق بالنظام وشؤون

المجتمع والأمة والدولة وأمثال ذلك، هذا النوع من الموضوعات والعناوين يرجع في تحديده والبت به إلى ولي الأمر، فهو الذي يحدد الضرورات والمصالح والمفاسد ذات الطابع العام، وهو الذي يحدد موضوعات الأحكام فيما يرتبط بالجهاد والمصالحة والمعاهدات والأصلح من الأنظمة.

فالحكم الولائي هو حكم ينشئه الولي من موقع كونه وليا للأمر، انطلاقا من تشخيصه للمصالح العامة والعناوين ذات الطابع العام على أساس حفظ النظام وتدير شؤون الدولة.

ومساحة فتوى المفتي تختص به وبمقلديه، وليس لمفتٍ آخر ولا لمقلديه، أن يعمل بها، بينما يمكن للفقهاء العمل بحكم الحاكم، بل هم ملزمون بذلك، ويجب عليهم وعلى جميع الناس إطاعته واتباعه، حتى لو خالف رأي أحدهم غيره حين التزاحم. وهنا يأتي السؤال : هل ما صدر عن المرجع الأعلى السيد السيستاني دام ظله حول الجهاد الكفائي هو :

١- فتوى وبالتالي هي خاصة بمقلدي السيد دام ظله

٢- حكم وبالتالي يشمل الجميع

٣- تشخيص لموضوع الجهاد الكفائي

وللجواب نقول : ينطبق على ما ذكره سماحة السيد السيستاني العنوان الاول والثالث

فهو لناحية الفتوى ينطبق على مقلدي سماحته.

ومن ناحية التشخيص الموضوعي فهو إرشادي لما يراه سماحته من أن مورد الدفاع في هذه الظروف هو من مصاديق الجهاد الكفائي .

ثانيا : الواجب الكفائي بالجهاد وآراء الفقهاء به :

المقصود من الواجب الكفاية هو ما إذا قام به من فيه الكفاية سقط الوجوب عن الباقيين^{٢٩} ، فإذا كان الكفار مستقرين في بلادهم لم يقصدوا بلاد المسلمين ، ولم يتعرضوا لها ، فجهادهم فرض كفاية .

ولا خلاف بين المسلمين في وجوبه على الكفاية عند عامة أهل العلم ؛ لقوله تعالى : ((لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى)) (٣٠)

فالله تعالى وعد الحسنى كلا من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد ، ولو كان فرض عين لما وعد القاعدين الحسنى ؛ لأن القعود يكون حراما .

لكن حكي عن سعيد بن المسيب بأن الجهاد واجب على الأعيان ؛ لقوله تعالى : ((انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل)) (٣١) و(٣٢).

وأما المقصود من فرض العين فهو ما يجب على كل أحد بعينه ، ولا يجزئ فيه أحد عن أحد ، كما إذا نزل الكفار فقصدوا بلدا مسلما ، وتعرضوا لإهله .

ورغم أن الواجب الكفائي واجب على الجميع ، فلو قام به جماعة فيهم الكفاية سقط عن الباقيين سقوطا مراعى باستمرار القائم به الى أن يحصل الغرض المطلوب شرعا ، إلا أنه لا تترتب ثمرة مهمة على كون وجوب الجهاد كفائيا أو عينيا ؛ فإنه إن قام جماعة بالجهاد ، وحصل الغرض وسقط الوجوب ، كفائيا كان أم عينيا ، وإن تركت هذه الفريضة عوقب الجميع ، كفائيا كان أم عينيا ، وإن لم يتمكن بعض الأفراد ، أو كان عليهم حرجا زيادة على ما في الجهاد ، توجه التكليف إلى المتمكن وسقط عن العاجزين من غير فرق القسمين .

والى هذا يشير المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين بقوله: (فالواجبات التي يسمونها كفائية، هي واجبات عينية، لكن ليس المكلف فيها هو شخص زيد

وعمرو، بل الأمة بما هي موجود حضاري ومعنوي، وبما هي مشخصة للشرع الشريف ، والفرد الذي ينصب عليه التكليف، يتوجه إليه الخطاب باعتبار كونه من الأمة لا باعتبار مشخصاته الذاتية، ومع ذلك، فالخطاب يتوجه إليه كما لو كان شخصا طبيعيا مشروطا بالشروط العامة للتكليف كالعلم والقدرة والعقل، ولا منافاة (٣٣).

وفي خبر عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : (الجهاد فرض على جميع المسلمين ، لقول الله : (كتب عليكم القتال) ٣٤ ، فإن قامت بالجهاد طائفة من المسلمين ، وسع سائرهم التخلف عنه ، مالم يحتج الذين يلون الجهاد إلى المدد ؛ فإن احتاجوا لزم الجميع أن يمدوا حتى يكتفوا ؛ قال الله عز وجل : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) ٣٥ ، وإن أدهم أمر يحتاج فيه إلى جماعتهم نفروا كلهم ، قال الله عز وجل : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) ٣٦ (٣٧) .

ففي صدر الرواية المبينة لحكم الجهاد الابتدائي قيد وجوبه بعدم الاحتياج إلى الجميع ، وإلا فيجب على الجميع من دون فرق بين القسمين. لكن لا يخفى ؛ عند الاحتياج إلى الجميع يخرج الفرض عن حالة الاختيار، والبحث الآن في تحديدهما عند الاختيار (٣٨).

نعم، قد يجب على بعض الأفراد عينا وإن قام به من به الكافية، وهو في موارد : الأول : تعيين الإمام ع النهوض عليه لمصلحة .

الثاني : تعيينه الجهاد على نفسه بنذر أو عهد أو يمين أو إجارة ونحوها .

الثالث: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان ، كما قال تعالى: ((إذا لقيتم فئة فاثبتوا)) (٣٩).

و ((إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار)) (٤٠) .

ثالثا : آراء الفقهاء في وجوب الدفاع عينا أم كفائيا :

أ. فقهاء الإمامية: وأما كلمات فقهاء الإمامية يمكن تقسيمها قسمين:

القسم الأول: من ذهب إلى وجوب المقاومة وجوبا عينيا، بمعنى لزوم الجميع إلى مقاومة العدو ودفع عدوانه:

• ابن حمزة: (وربما يصير الجهاد فرض عين بأحد شيئين: أحدهما: استنهاض الإمام إياه. والثاني: يكون في حضور الإمام وغيبته بمنزلة، وهو أن يدهم أمر يخشى بسببه على الإسلام وهن أو على مسلم في نفسه أو ماله إذا حصل ثلاثة شروط حضوره، وقدرته على دفع ذلك، ووجود معاون إن احتاج إليه) (٤١).

• ابن سعد الهذلي: ((وقد يتعين فرضه إذا دهم المسلمين عدو يخاف منه بوارهم، أو بوار بعض المسلمين، فيجب الجهاد فعلا له لا دعاء له الى الاسلام)) (٤٢).

• العلامة الحلي: ((وإذا وطأ الكفار دار الإسلام وجب على كل ذي قوة قتالهم، حتى العبد والمرأة، وانحل الحجر عن العبد مع الحاجة إليه)) (٤٣).

• السيد الخميني: (مسألة ١: لو غشي بلاد المسلمين أو ثغورها عدو يخشى منه على بيضة الإسلام ومجتمعهم، يجب عليهم الدفاع عنها بأية وسيلة ممكنة من بذل المال والنفوس).

مسألة ٢: لا يشترط ذلك بحضور الإمام ع وإذنه، ولا بإذن نائبه الخاص والعام، فيجب الدفاع على كل مكلف بأية وسيلة وبلا قيد وشرط)) (٤٤).

القسم الثاني: من ذهب إلى وجوب الجهاد بكلا قسميه وجوبا كفائيا، فكانهم كانوا ملتفتين إلى الملاحظة التي ذكرناها، كالموارد التالية:

• أبو الصلاح الحلي: (فإن خيف على بعض بلاد الإسلام من بعض الكفار أو المحاربين، وجب على أهل كل اقليم قتال من يليهم ودفعه عن دار الإيمان، وعلى قطان البلاد النائية عن مجاورة دار الكفر أو الحرب النفور إلى أقرب ثغورهم، بشرط

الحاجة إلى نصرتهم حتى يحصل بكل ثغر من أنصار المسلمين من يقوم بجهد العدو ودفعه عنه ، فيسقط فرض الثغور عن من عداهم (٤٥).

• الشيخ الطوسي : (جهاد الكفار فرض في شرع الإسلام ، وهو فرض على الكفاية إذا قام من في قيامه سقط الباقي ، ولوجوبه شروط ، ومتى اختل شرط من ذلك سقط فرضه ، إلا ما كان على وجه الدفع عن النفس أو الاسلام) (٤٦).

• القاضي ابن البراج : (والجهاد فرض على جميع المسلمين على الكفاية ، ومعنى قوله : فرض الكفاية ، أنه إذا قام به من يكتفي به فيه بعض المسلمين سقط فرضه عن الباقي ، والذين يمكن حصوله الكفاية بهم هم الذين يكونون في أطراف بلاد الإسلام ، فإنه إذا طرقتهم العدو وكان فيهم كفاية لهم وقيام بكفيتهم ودفعهم ، فالفرض ساقط عن غيرهم .

فإن لم يكن فيهم كفاية واحتاجوا إلى عدد ، كان الفرض لازماً لمن يليهم ، وعليهم أن يمدوهم ويعينوهم أولاً فأولاً ، فإن لم ينكفئ العدو بذلك فاحتيج إلى جميع المسلمين وجب ذلك على الجميع ، لوجوبه على كل رجل منهم) (٤٧).

• الشهيد الثاني : (اعلم أن الجهاد على أقسام : أحدها : أن يكون ابتداء من المسلمين للدعاء الى الاسلام ، وهذا هو المشروط بالبلوغ ، ... والثاني : أن يمدوهم المسلمين عدو من الكفار ، يريد الاستيلاء على بلادهم ، أو أسرهم ، أو أخذ مالهم وما أشبهه من الحریم والذرية .

وجهاد هذا القسم ودفعه واجب على الحر والعبد ، والذكر والأنثى إن احتيج إليها . ولا يتوقف على إذن الإمام ولا حضوره ، ولا يختص بمن قصوده من المسلمين ؛ بل يجب على من علم بالحال النهوض ، إذا لم يعلم قدرة المقصودين على المقاومة .

ويتأكد الوجوب على الأقربين فالأقربين، ويجب على من قصدوه بخصوص المدافعة بحسب المكنة؛ سواء في ذلك الذكر والانثى، والسليم والأعمى، والمريض والأعرض، والعبد وغيرهم) (٤٨).

• العلامة الشيخ جعفر كاشف الغطاء: (الجهاد ينقسم من جهة اختلاف متعلقاته إلى أقسام خمسة: أحدها: الجهاد لحفظ بيضة الإسلام إذا أراد الكفار المستحقون لغضب الجبار الهجوم على أراضي المسلمين، وبلدانهم وقراهم، وقد استعدوا لذلك وجمعوا الجموع لأجله؛ لتعلوا كلمة الكفر و... والواجب هنا: أنه إن حصل من يقوم بذلك، سقط عن المكلفين، وإلا وجب على جميع أهل الإسلام ممن له قدرة على الهجرة ومدخلية في إذلال العدو، وكل من له قابلية لجمع الجنود والعساكر أن يقوم بهذا الأمر مع غيبة الإمام وحضوره ع... رابعا: الجهاد لدفعهم عن بلدان المسلمين وقراهم وأراضيهم وإخراجهم منها بعد التسلط عليها، وإصلاح بيضة الإسلام بعد كسرها... ويجب على المسلمين الحاضرين والغائبين إن لم يكن في الثغور من يقوم بدفعهم عن أرضهم) (٤٩).

• الشيخ محمد حسن النجفي: (وكيف كان فقد تلخص مما ذكرنا أن الجهاد على أقسام: أحدها: أن يكون ابتداء من المسلمين للدعاء إلى الإسلام وهذا هو المشروط بالشروط المزبورة، والذي وجوبه كفائي. والثاني: أن يدهم المسلمين عدو من الكفار يخشى منه على البيضة، أو يريد الاستيلاء على بلادهم وأسرهم وسبيهم وأخذ أموالهم، وهذا واجب على الحر والعبد، والذكر والانثى، والسليم والمريض، وغيرهم إن احتيج إليهم؛ ولا يتوقف على حضور الإمام ع ولا إذنه... (٥٠)

• السيد عبد الأعلى الموسوس السبزواري : (الرابع : لا يشترط هذا من المدافعة بشرط خاص ، والمناطق كله القدرة العقلية عليها ، فيجب على الكل ، ويتأكد الوجوب على الأقربين فالأقربين) (٥١).

فعندما نقول ان الجهاد من الواجبات الكفائية ، فمعنى ذلك انه إذا قام به البعض يسقط عن الآخرين.

وهذا لا يعني بطبيعة الحال انحصار هذا الواجب فقط في فئة أو شريحة من الناس، بل ينبغي أن يتهياً ويستعد كل مكلف قادر، بحيث إذا تحققت الحاجة على المستوى البشري سقط هذا الواجب الكفائي عن الجميع. فالواجبات الكفائية تشمل الجميع، ولكنها على المستوى الفعلي مرهونة بالقدر الكافي لرفع الحاجة.

المبحث الثاني:

مباني فتوى السيد السيستاني بالجهاد الكفائي

لم يكتفِ الفقهاء بدراسة احكام الجهاد والدفاع ومسائله في كتبهم الفقهية الاستدلالية، بل دخلوا بانفسهم - حاملين حس المسؤولية - معترك الاحداث في مواقع الضرورة عندما كانت البلاد الاسلامية او عزة واستقلال المسلمين في معرض خطر التعدي الاجنبي، وقد سعى الفقهاء - ببيانهم احكام الله للناس الى حثهم على الدفاع والمقاومة والصمود في مقابل الاعداء، بل ارتدوا بانفسهم لباس الحرب وحضروا ميادين القتال، رغم العلاقة غير الحسنة التي كانت تربطهم بالحكام وسلطين الجور، حيث كانوا يعتبرونهم غاصبين لمنصب الولاية.

وقد أصدر الفقهاء تجويزا بالتعاون والتنسيق مع سلاطين الجور انطلاقا من قاعدة دفع الافسد بالافسد عندما كانت البلاد الاسلامية تتعرض لهجمات المعتدين،

كما منحوهم (اي الحكام) اذنا بالتصدي لأمر الدفاع حتى تكون الحرب امرا ونهيا بيدهم مشروعة، مرغبين الناس بالتعاون معهم ومساعدتهم.

الا ان القرنين الماضيين اللذين يمثلان قمة الهجوم الاجنبي على الاسلام وبلاد المسلمين، والسعي الاستعماري لكسر شوكة المسلمين واقتدارهم ونهب ثرواتهم واموالهم... شكلا حضورا ثوريا بارزا لفقهاء الشيعة والسنة على السواء، رغم ان الحضور السياسي واحساس الفقهاء بالمسؤولية ازاء مصير المسلمين كان اكبر من مجرد حضورهم على جبهات القتال للدفاع عن البلاد الاسلامية او مواجهتهم للتسلط الاجنبي على شؤون المسلمين بفرض اتفاقيات اقتصادية او سياسية، ولم تكن هجمات الاعداء لتتحصروا في الحملات العسكرية او انزال القوات المسلحة، بل شملت استخدام اساليب وطرق لجر الامم بصورة مخفية وغير محسوسة للعيان اليها عبر النفوذ في الهياكل السياسية والاقتصادية والثقافية، ودونما حاجة الى حضور مسلح يتمكن العدو من التسلط على المسلمين وبلادهم عن طريق سياسي او اقتصادي او ثقافي.

وقد كان للفقهاء على هذا الصعيد تأثير بالغ، فهبوا لمواجهة المستعمرين، والدفاع عن عزة المسلمين واقتدارهم، واذا اردنا ان نأتي على ذكر نماذج محدودة وبسيطة من هذا النشاط الفقهاءي لأمكننا ذكر الشيخ جعفر كاشف الغطاء الفقيه البارز والمعروف في عهد فتح علي شاه القاجاري... حيث شن حملة تعبئة عامة في الوسط العلمائي استهدفت الدفاع عن المدن المقدسة في النجف وكربلاء زمان الحملات الوهابية عليها عام ١٢١٧ هـ، وقد ادت هذه المقاومة الى هزيمة المهاجمين وفرارهم، وقد وقعت هذه الاحداث في ظروف كان اكثر الناس فيها خارج المدينة، الا

ان همة هذا الفقيه الشجاع مع حوالي مائتين من العلماء والمجاهدين في سبيل الله حالت دون وقوع الهزيمة ٥٢.

كما اعطى الشيخ كاشف الغطاء لفتح علي شاه القاجاري اجازة بالتصدي للدفاع عن البلاد الاسلامية عندما شن الروس هجماتهم ضد ايران، وبعد ذكره اختصاص هذا التصدي في زمان الغيبة بالفقهاء والمجتهدين ووجوب متابعتهم فيه، اجاز الشيخ كاشف الغطاء لأصحاب البصيرة والتدبير والوعي السياسي ومعرفة دقائق السياسة والحرب التصدي بعد ان ابان عذر الفقيه في هذه المرحلة في التصدي المباشر، ورأى كاشف الغطاء ان هذه الصفات اذا ما اجتمعت في شخص واحد وفقدت في غيره تعين عليه عينا التصدي لإثارة الناس وتنظيم امورها في مواجهة العدو، ثم يقول: «ولما كان الاستئذان من المجتهدين اوفق بالاحتياط، واقرب الى رضا رب العالمين، واقرب الى الرقية، والخضوع لرب البرية، فقد اذنت - ان كنت من اهل الاجتهاد، ومن القابلين للنيابة عن سادات الزمان - للسلطان ابن السلطان، والخابان ابن الخاقان، المحروس بعين عناية الملك المنان، فتحلي شاه ادام الله ظلاله على رؤوس الانام، في اخذ ما يتوقف عليه تدبير العساكر والجنود، ورد اهل الكفر والطغيان والجحود، من خراج ارض مفتوحة بغلبة الاسلام، وما يجري مجراها... وزكاة متعلقة بالنقدين، او الشعير او الحنطة من الطعام، او التمر والزبيب او الانواع الثلاثة من الانعام» ٥٣.

وقد اصدر السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض (١٢٣١ هـ) فتوى تشبه سابقتها، داعيا الجميع للدفاع عن ارواح المسلمين واموالهم.

وقد كان فقهاء آخرون قد اصدروا فتاوى بمحاربة المعتدين واعتبروها فريضة هامة على المسلمين، وان اي تعاون مع الغزاة يوجب الكفر والارتداد، وفاعله بمنزلة المحارب للمسلمين، كان من بينهم السيد مصطفى الكاشاني، والشيخ محمد آل

الشيخ صاحب الجواهر، والسيد محمد سعيد الحبوبى، ومحمد حسين الحائري المازندراني، والسيد علي التبريزي^{٥٤}.

المتتبع للفقه الشيعي وطبيعة الآراء التي يخرج بها فقهاؤه - لا سيما من سبق ذكرهم - يعلم بان هذه الآراء لا تعبر عن استحسانات شخصية ، بل تبثني على قواعد واسس مستقلة من صميم الادلة الشرعية التي ترجع اولا واخيرا الى الكتاب والسنة وان اختلف الفقهاء في كيفية الاستلال او في مصداقية المورد التي يجري تطبيق القواعد عليه.

ولهذا السبب فالراي الذي يبديه الفقيه يكمن وراءه دائما دليل شرعي يعبر عن العمق التنظيري لذلك الفقيه، وعلى الباحث في مجال الفقه الا يكتفي بأخذ الراي من الفقيه فحسب، بل يبحث في عمقه عن الدليل الشرعي الذي استند اليه الفقيه للتوصل الى هذا الراي.

وهكذا نجد انفسنا مع المسألة ، لكن بعمقها التنظيري، لنحاول البحث عن الادلة الكامنة وراء الفتوى المقدسة للسيد السيستاني بالجهاد الكفائي ضد عصابات داعش التكفيرية الارهابية ، مبتدئين بالأدلة القرآنية العامة على وجوب الجهاد الدفاعي، ثم من خلال أدلة الدفاع عزة الاسلام ، ومن ثم استعراض أدلة وجوب الدفاع عن الوطن الاسلامي .

أولا : أدلة وجوب الجهاد الدفاعي من القرآن الكريم:

يعد وجوب الجهاد الدفاعي من ضروريات الفقه الاسلامي، وهو ما يحكم به العقل والشرع معا.

يعتقد صاحب الجواهر ان هناك اجماعا منقولا ومحصلا على وجوب الجهاد الدفاعي، كما يرى بان الروايات الخاصة والآيات العامة تدل على ذلك ايضا، ولذا تشمله الآيات والروايات رغم عدم اعتبار الشرائط الخاصة بالجهاد الابتدائي فيه^{٥٥}.

ولاستكمال الصورة التي تطلعنا على الموضوع، من المناسب استعراض مجموعة من الآيات والروايات، وهي:

الآية الاولى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين - واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين)^{٥٦}.

تدل الآية - بظهور جلي - على وجوب الجهاد الدفاعي، وتجويز المقاتلة للكفار المحاربين، ويعود شأن نزول الآية الى المرحلة التي تلت صلح الحديبية، فقد تعهد المشركون - على اساس هذا الصلح - بتسليم مكة للمسلمين ثلاثة ايام في العام القادم لكي يتسنى لهم السفر اليها للحج، الا ان الرسول(ص) لم يكن مطمئنا من وعود الكافرين، فكان يحتمل خلفهم للوعد، واقفالهم سبيل مكة امامهم، وقد تاذى الرسول(ص) من ان يغدو الشهر الحرام الفترة الزمنية التي قد يواجه فيها الكافرين نتيجة اخلافهم الوعد، وهو ما ادى الى نزول هذه الآية عليه، واعلامه بقرار الحرب مع من يقاتل المسلمين، محذرة من التعدي عما حدد لهم (المسلمين) من حدود الجهاد الدفاعي.

وتعتبر الآية التالية فتنة المشركين اشد من القتال في الاشهر الحرم، وهي بذلك تمسح القلق من قلب النبي(ص).

ويحتمل المحقق الأردبيلي شمول الآية للدفاع الشخصي عن النفس والمال مقابل المحارب، فهو يرى بان الآية ظاهرة في الجهاد الدفاعي، وان المكان الحرام والزمان الحرام لا يحولان دون الدفاع الشرعي والجائز^{٥٧}.

اما العلامة الطباطبائي^{٥٨}، فيرى الآية اعم من الجهاد الابتدائي والدفاعي، مستدلا على ذلك بان ظاهرها الامر بالحرب لمن يكون بينه وبين المسلمين خصومة ولو لم

يقدم على محاربتهم، تماما كمشركي مكة الذين كانوا اعداء للمسلمين، وعليه فتكون هذه الآية في سياقها شبيهة - عنده - بقوله تعالى: (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا...) ٥٩.

وبهذا البيان يظهر ان ظهور الآية في الشمول للجهاد الدفاعي امر مسلم، وان بعض المفسرين انما كان بصدد محاولة تعميم هذا الظهور للجهاد الابتدائي ايضا. الآية الثانية: (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة...) ٦٠.

يرى الطبرسي بان هذه الآية دالة على وجوب دفاع اهل كل منطقة ضد العدو الذي يخشى منه على اساس الاسلام واصله، حتى لو لم يكن هناك امام عادل بينهم ٦١. ويذهب العلامة الطباطبائي الى ان الآية تامر بالجهاد العام الذي يستتبع انتشار الاسلام في العالم ، فكل جماعة من المؤمنين ملزمة بالحرب للجماعة الكافرة القريبة منها بغية نشر الاسلام، وقرار حكومته على العالم ، ومد ظله على رؤوس الانام كافة ٦٢.

والذي يبدو، ان الآية الشريفة ناظرة الى امر عقلائي يعود لكيفية مقاتلة العدو، ففي الحرب مع الكافرين ثمة فريق من المسلمين يقع على مقربة من جماعة الكفار ويكون اكثر من غيره عرضة لخطرهم، هذا الفريق له الاولوية سيما عندما تكون الحرب قائمة بين المسلمين والكافرين بحيث تكون مقاتلة القريب والبعيد امرا عصبيا، بل من الاساس يجب ان يكون سلوك المسلمين بحيث يقلع الكافرون حتى عن التفكير بالمؤامرة والنفوذ، وهذا هو ما يفسر الدعوة القرآنية للجهوزية العسكرية والدفاعية الدائمة للمسلمين.

وعلى أية حال ، فقد استدل بعض الفقهاء بهذه الآية على شرعية - بل وجوب - الجهاد الدفاعي ٦٣.

الآية الثالثة: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم...) ٦٤.

تصدر الآية الكريمة امرا للمسلمين بان يكونوا على جهوزية واستعداد عسكريين دائمين، لكي يظل الاعداء في حال من الخوف والهلع من قدرتهم وقوتهم، وعادة ما يصدر مثل هذا المرسوم للاستعداد العسكري للدفاع ضد اي اعتداء قد يحدث، ومن ثم تكون له سمة الوقائية لكي تصبح القدرة العسكرية سدا يحول دون حصول اعتداء او تعدي.

ورغم ان مفاد الآية شامل لصورة وجود دولة وجيش عازمين على شن هجوم الا انها اكثر انسجاما مع الاستعداد الدفاعي، فعندما يكون الاستعداد باي وسيلة امرا واجبا على المسلمين فمن المقطوع به ان الدفاع امام الاعتداء الذي هو الهدف من وراء الاستعداد العسكري هذا واجب ايضا، والا فان الاستسلام للعدو ليس بذاك الامر الذي يحتاج لتجهيز عسكري، ومن ثم يصبح هذا الامر لغوا وعبثا، ان على المسلمين ان يبقوا على اهبة الاستعداد لكي يخلقوا في نفوس الاعداء خوفا وقلقا يحولان دون ارتكاب اي اعتداء او تعدي، ومن هنا كان وجوب الدفاع امام الاعتداء الاجنبي امرا مفروغا منه ومسلما بحسب دلالة الآية المباركة، ولذلك اصدرت امرا بالاستعداد والجهوزية.

الآية الرابعة: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) ٦٥.

تنفي الآية الكريمة اي تسلط للكافرين على المسلمين، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، وقد اعتبر المفسرون والفقهاء الآية في مقام الانشاء ٦٦، بمعنى ان الله سبحانه لم يجعل قانونا يكون للكافر على المسلم فيه سلطة وولاية، وهذا معناه ان على المسلمين العمل بالقوانين الالهية، وعن طريق ذلك، الحيلولة دون قبولهم لأي تسلط عليهم من قبل الاعداء.

وقد استنبط الفقهاء من هذه الآية - وغيرها - قاعدة «نفي السبيل» ونفوا بها في مباحثهم الفقهية مختلف انواع الولاية والسلطنة للكافر على المسلم، من قبيل زواج المرأة المسلمة من الرجل الكافر، وملكية الكافر للعبد المسلم، وعقد اي اتفاقية تفضي الى تسلط الكافرين على المسلمين، وممانعة الكفر للإرث... وعشرات الموارد الاخرى^{٦٧}.

ان على المسلم وظائف ومسؤوليات، من اهمها الدفاع عن الدين، والمجتمع والبلاد الاسلامية، وكذلك عن نفوس المسلمين واموالهم واعراضهم، رغم ان الدفاع عن البلد، والشرف، والاستقلال، والنفوس، والمال، والاهل، والاعراض امر نابع من الفطرة الانسانية، وضرورة يراها كل مذهب وكل عقيدة.

علاوة على الآيات المشار اليها، ثمة آيات اخرى تشمل بإطلاقها الجهاد الدفاعي، وقد استند اليها الفقهاء ايضا، منها:

أ - (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم...) ^{٦٨}.

ب - (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم...) ^{٦٩}.

ج - (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) ^{٧٠}.

د - (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) ^{٧١}.

وبالإضافة الى آيات الجهاد الدالة على ضرورة الدفاع عن استقلال المسلمين وبلادهم بوصفه نوعا من انواع الجهاد، ثمة روايات تدل هي الاخرى على ضرورة الجهاد الدفاعي، نصرف النظر عنها فعلا تجنبنا للإطالة.

ثانيا - ادلة وجوب الدفاع عن عزة الاسلام:

توجد عدة أدلة قد يستدل بها على وجوب الدفاع عن عزة الاسلام والمسلمين، نذكر فيما يلي اهمها:

الدليل الاول- الروايات الدالة على ان الجهاد عز الاسلام:
وهي كثيرة، منها:

رواية زرارة بن اعين، عن ابي جعفر(ع)، عن آبائه(ع) قال: (قال رسول الله(ص): بني الاسلام على عشرة اسهم: على شهادة ان لا اله الا الله وهي الملة، والصلاة وهي الفريضة، والصوم وهو الجنة، والزكاة وهي المطهرة، والحج وهو الشريعة، والجهاد وهو العز...) ٧٢.

ورواية انس قال: قال رسول الله(ص): (جاءني جبرئيل فقال لي: يا احمد، الاسلام عشرة اسهم، وقد خاب من لا سهم له فيها... والسادسة: الجهاد وهو العز) ٧٣.
وعن زينب بنت علي(ع) قالت: قالت فاطمة(قدس سره) في خطبتها: «فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك... والجهاد عزا للإسلام» ٧٤. وغيرها.

وذلك بتقريب ان تحقيق العزة للإسلام ان كان امرا يجب القتال لأجله فالقتال بدافع المحافظة على عزة الاسلام اولى واحرى بالوجوب ، لان حفظ ما هو كائن اوجب واهم من الحصول على ما لم يكن ، بل قد يقال بان تحقيق العزة للإسلام مطلوب في كل آن فلذلك يجب تهيئة جميع ما يتوقف على تحققها كذلك ومن جملة ذلك الدفاع.

الدليل الثاني:

القواعد الفقهية ، نظير قاعدة (نفي تسلط الكافر على المسلم) و(نفي السبيل له عليه) و(الاسلام يعلو ولا يعلى عليه) وغيرها.

فان هذه القواعد نفت تسلط الكافر وعلوه على المسلم بنفي السبب والسبيل الى ذلك. وحيث ان بعض التشريعات - كتشريع حرمة قتال الكفار بدون اذن الامام،

وحرمة تعريض النفس للهلكة - قد تشكل سببا وسبيلا لهيمنة الكفار وتسلطهم على المسلمين، فهي منفية بالقواعد المذكورة التي ينتفي بسبب اطلاقها كل انواع التسلط والهيمنة، من غير فرق بين الهيمنة العسكرية او السياسية او الاقتصادية او الادارية.

الدليل الثالث:

الادلة اللفظية للقواعد المتقدمة، مثل قوله تعالى: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) ٧٥، بدعوى ان الله سبحانه نفى جعله السبيل للكافر على المؤمن، وجاء بالسبيل نكرة، والنكرة الواقعة في سياق النفي تفيد العموم، فيثبت نفيه جعل كل ما يكون سبيلا لتسلط الكافر على المسلم. ومنه جعل الحكم بحرمة مقاومة الكفار في حال تسلطهم على المسلمين في النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، اذ جعل الحكم بحرمة قتالهم يفسح المجال امام تسلط الكفار على المسلمين، بخلاف ما اذا لم تجعل الحرمة المذكورة، وينطبق الكلام على من اظهر الاسلام لكن يكد للمؤمنين ومقدساتهم ويهربهم لفرض رؤيته الخاطئة بالقسر.

ثالثا - ادلة وجوب الدفاع عن الوطن الاسلامي:

يمكن ان يستدل لوجوب الدفاع عن الوطن الاسلامي وبلاد المسلمين ببعض الادلة، نذكر فيما يلي اهمها:

الدليل الاول :-

ارتكاز المتشريعة: كثيرا ما يتفق ان نجد في دفائن اذهان المتدينين من الناس تصورات عن احكام في الشريعة لم يرد فيها نص، ولم يدل عليها دليل.

وحين نتعمق في مكنونات هذه الازهان وندرس خلفيات هذه الظاهرة، نجدها لم تنشأ من عبث او من لا شيء، بل هي اختزانات لا شعورية نشأت عن اثارات متفرقة اوحى بها النسيج الديني المؤلف من عوامل متعددة منها:

النصوص الدينية، والاحكام الشرعية، والاستنتاجات الفقهية، واساليب الاجتهاد، بل قد تدخل المفاهيم والانتزاعات الفكرية والاتجاهات التحليلية العقلية في ضمن هذه المجموعة ايضا.

ولدى العودة الى مسألة الدفاع الشرعي ووجوبه على المسلمين نلاحظ في اذهان المتشرعة والمتدينين من الناس تصورا عاما عن وجوب الدفاع على جميع المسلمين اذا هجم على بلادهم عدو كافر.

وان وجوب الدفاع هذا يرتبط بتعرض بلاد المسلمين لخطر الغزو، لا بعزتهم ومكانتهم ولا بأصل الاسلام وارواح المسلمين واموالهم واعراضهم فقط. واذا كان هذا الارتكاز ناشئا من صميم الدين والشرعية فيكون كاشفا عن رأي المعصوم (ع)، ويكون حجة.

الدليل الثاني:- الروايات الخاصة:

لا يوجد على حكم الدفاع عند مهاجمة الكفار لبلاد المسلمين حال تسلط الحاكم الجائر عليها ما يصلح للاستدلال الا روايتان فقط يحتمل رجوعهما الى رواية واحدة.

الاولى: الرواية التي رواها محمد بن عيسى عن يونس بطرق مختلفة، قال: قال ابا الحسن (ع) رجل وانا حاضر، فقلت له: جعلت فداك! ان رجلا من مواليك بلغه ان رجلا يعطي سيفاً وقوساً في سبيل الله، فاتاه فأخذهما منه، ثم لقيه اصحابه فاخبروه ان السبيل مع هؤلاء لا يجوز، وامروه بردهما؟ قال: «فليفعل».

قال: قد طلب الرجل فلم يجده، وقيل له: قد قضى الرجل؟ قال: «فليربط ولا يقاتل». قلت: مثل قزوين وعسقلان والديلم وما اشبه هذه الثغور؟ فقال: «نعم». قال: فان جاء العدو الى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟ قال: «يقاتل عن بيضة الاسلام». قال: يجاهد؟ قال: (لا، الا ان يخاف على دار المسلمين، رأيته لو أن الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم ان يمنعوهم؟! - قال: يربط ولا يقاتل، وان خاف على بيضة الاسلام والمسلمين قاتل، فيكون قتاله لنفسه لا للسلطان، لان في دروس الاسلام دروس ذكر محمد (ص) ٧٦.

والثانية: ما رواه عبد الله بن جعفر الحميري في قرب الاسناد، عن محمد ابن عيسى، عن الرضا (ع)، قال: ان يونس سألوه وهو حاضر عن رجل من هؤلاء مات واوصى ان يدفع من ماله فرس والفرس درهم وسيف لمن يربط عنه ويقاتل في بعض هذه الثغور، فعمد الوصي فدفع ذلك كله الى رجل من اصحابنا، فأخذه منه وهو لا يعلم انه لم يأت لذلك وقت بعد، فما تقول، يحل له ان يربط عن الرجل في بعض هذه الثغور ام لا؟ فقال: «يرد الى الوصي ما اخذ منه، ولا يربط، فانه لم يأت لذلك وقت بعد - فقال: - يرده عليه». فقال يونس: فانه لا يعرف الوصي! قال: «يسال عنه». فقال له يونس بن عبد الرحمان: فقد سال عنه فلم يقع عليه، كيف يصنع؟ فقال: «ان كان هذا فليربط، ولا يقاتل». قال: فانه مرابط فجاءه العدو حتى كاد ان يدخل عليه، كيف يصنع يقاتل ام لا؟ فقال له الرضا (ع): (اذا كان كذلك فلا يقاتل عن هؤلاء ولكن يقاتل عن بيضة الاسلام، فان في ذهاب بيضة الاسلام دروس ذكر محمد (ص) ... ٧٧.

والظاهر ان الروايتين واحدة وان اختلفتا متنا بحسب النقلين بقرينة وحدة المضمون والراوي والمروي عنه.

وكون السائل يونس بن عبد الرحمان او رجلا بحضوره، وراوي الرواية محمد بن عيسى او يونس، لا يضر بذلك، لاحتمال اشتباه ذلك على بعض الرواة الواقعيين في سند الرواية الى محمد بن عيسى، او اشتباه محمد بن عيسى نفسه.

ووجه الاستدلال بها: ان الراوي سال الامام(ع) عما يجب على المكلف فعله اذا وجبت عليه المrabطة، فرباط، فغزاه العدو واراد احتلال ارض المسلمين التي هو مرابط عليها، فأمره الامام(ع) بالقتال دفاعا عن ارض المسلمين لا عن الجائر.

وامر الامام(ع) ظاهر في وجوب الدفاع عن بلد المسلمين مع مdahمة العدو له ان كان تحت سلطان الحاكم الجائر

لقد اعتاد الباحثون في مجال الفقه على ان يركزوا عند البحث في الدليل على المراد الاستعمالي للمتكلم والالفاظ المستعملة وما يمكن ان تدل عليه من المعاني، واسرع هذه المعاني تبادرا الى ذهن العرف عند سماع اللفظ، والنحو الذي يجمع فيه بينها وبين القرائن الواردة في سياق الدليل او الخارجية عنه بحيث يرتفع التنافي ان كان، ويتوصل الى النتيجة الفقهية، او على اتصال سند ذلك الدليل بالمعصوم(ع) بسلسلة من الرواة لا يتخللهم ضعيف او مجهول او غير ذلك.

ويغفل عادة عن المراد الجدي للمتكلم وان ما ورد في لسان الدليل هل قصد به بيان الحكم الشرعي الكلي ام ابراز حكم حكومي؟ وانه بصدد الكشف عن الحكم المولوي ام ارشاد لما يجب عليه ان يكون التطبيق في المورد المسؤول عنه الامام(ع) او لما عليه الواقع في عصره؟

ومن هنا فقد يقال فيما يخص الرواية المتقدمة، انها لم تؤسس حكما فقهيا جديدا، بل قد اعمل الامام الرضا(ع) تطبيقا للقواعد الجارية في المورد، اذ انه منع من القتال اعانة للجائر، وجوزه دفاعا عن بيضة الاسلام، فلم تتضمن الرواية اي حكم جديد،

ولذلك فلا المنع من القتال في غير تعرض بيضة الاسلام وحرمة المسلمين للخطر منع

مولوي يدل على الحرمة، ولا الامر به في مورد التعرض يدل على الوجوب.

ويتعين حينئذ النظر الى المسألة من زاوية اخرى وتصحيح مسار الاستدلال، فان تشخيص وجوب الدفاع: هل هو من الشؤون ذات الطابع الحكومي الذي ترك فيه الاختيار للحاكم الشرعي ليرى فيه رايه وما يرجح في نظره من المصالح والمفاسد، فنظره هو المعيار اولا واخيرا في حسم المسألة لصالح وجوب الدفاع عن ارض المسلمين او الامتناع عن ذلك؟ او هو من الشؤون ذات الطابع الشرعي الذي لا مجال معه لنظر الحاكم ورأيه الا بنحو العنوان الثانوي الذي يشترط فيه وجود مصلحة ضرورية التحصيل تقتضي تعطيل الحكم الشرعي لأجلها؟

او هو من المسائل الشرعية ذات العنوانين او العناوين المتكثرة المتزاحمة فيما بينها في مقام الامتثال مع وضوح الحكم بالنسبة الى كل عنوان من هذه العناوين؟ فهذه وجوه ثلاثة:

الوجه الاول- وجوب الدفاع حكم حكومي:

ان الفارق الذي يميز الاحكام الشرعية عن الاحكام الحكومية هو ان متعلقات الاحكام الشرعية تنطوي على مصلحة ثابتة يتولى الشارع احرازها بنفسه وتبيين الطريق لتحقيقها خارجا، فيجعل الحكم عليها بهذا اللحاظ، وهذا بخلاف الاحكام الحكومية فانها لا تنطوي على مصلحة ثابتة، بل المصلحة التي تنطوي عليها متغيرة بتغير الظروف والاحوال، فقد تثبت في زمان معين وتنتفي في آخر. ولهذا السبب لم يتول الشارع امر جعل حكم شرعي في موردها، لأنه لو جعل ذلك لكان الحكم ثابتا حتى بالنسبة الى الزمان الذي تكون المصلحة فيه منتفية، فإحالة على الحاكم الشرعي ليقدر المصلحة وفقا للظروف الموضوعية المحيطة به.

وبعبارة اخرى: ان الشارع قد صنف الوقائع المتعلقة بالتشريع صنفين:

صنف ثابت في محتواه وقيمه الملحوظة في عالم التشريع، فجعل في موره احكاما معينة تمثل عنصر الثبات في الشريعة الاسلامية واحكامها، وصنف متغير في محتواه وقيمه من وقت لآخر ولظرف وعدمه، فأوكل امره الى الحاكم الشرعي ليبت فيه طبقا لما يرتئيه من المصلحة والمفسدة، وهو يمثل عنصر التغير في الشريعة الاسلامية.

ووجوب الدفاع عن بلاد المسلمين في ظل حكومة الحاكم الجائر واحد من الامور التي تتغير قيمها المعنوية وفقا لظروف المجتمع الاسلامي، وظرف كل واحد من الحاكم الشرعي، والحاكم الجائر، والغازي الكافر او التكفيري، ومقدار ما يتصف به كل واحد من سجايا واخلاق، وما يتمتع به من امكانات وقدرات. فلذلك ناسب الا يحدد الشارع صيغة معينة ويبرز حكما محددا لمفروض المسألة، ويترك تحديد ذلك فيها للحاكم الشرعي ليتخذ الموقف الذي يتلاءم وظروف الحدث، وما تمليه طبيعة الاوضاع الحاكمة فيه، فيكون من الاحكام الحكومية لا الشرعية، ويجب حينئذ حمل اي كلام يصدر عن اي امام على انه بصدد بيان ما يقتضيه ظرفه في ذلك الزمان.

الوجه الثاني - وجوب الدفاع حكم شرعي:

ليست العناوين والمناصب التي يتصف بها الشخص او الشيء مجرد اعتبارات خاوية، وانما هي - مع اعتباريتها - تكسب صاحب المنصب والعنوان - سواء في القوانين الوضعية او الاحكام الشرعية صفة وضعية تكون منشأ لترتب بعض الاحكام والاثار، والا كان منحها امرا لغوا وعديما للفائدة الامر الذي لا يتناسب والحكمة المفروضة في المشرع الوضعي او الشرعي، وهذا ما اكد عليه علماؤنا في مباحثهم الاصولية.

ونبيننا محمد (ص) والائمة المعصومون (ع) وان تجسد فيهم الطابع الشخصي كما في كل كائن، الا انهم حملوا صفات ومناصب اخرى، منها عرفية ككونهم بشرا، ومنها شرعية ككونهم ائمة هدى الى الله معصومين، وولادة على البشر منصوبين من قبله سبحانه.

ولذلك فهم تارة يعبرون عن لسان اهل العرف، واخرى عن لسان الشرع المقدس، وثالثة عن لسان منصب الحكومة والولاية.

وتتميز الكلام الصادر منهم وارجاعه الى احد هذه المناشئ يعتمد على الظهور الحالي او المقالي لهم، لا على شيء آخر، فكل رواية او كلام ينقل عنهم بحاجة الى الفحص عن القرائن الحالية او اللفظية المشكلة لذلك الظهور.

ورواية محمد بن عيسى او يونس المتقدمة من جملة كلماتهم، فلا بد من الرجوع فيها الى ما يظهر منها ان كان يعبر عن حكم شرعي ام لا؟

والظاهر من طبيعة سؤال السائل فيها وطريقة جواب الامام (ع) عنه ان كلامهما كان يدور عن الحكم الشرعي، لا عن موقف الامام (ع) بعنوانه حاكما ووليا، ولا عن موقف اهل العرف وعامة الناس .

- ١ العنكبوت / ٦٩
- ٢ الانفال / ١٨٦
- ٣ الحج / ٧٨
- ٤ لقمان / ١٥
- ٥ نهج البلاغة ، الوصية ٤٧
- ٦ الحج: ٣٩ - ٤٠.
- ٧ البقرة / ٢٥١
- ٨ الطباطبائي، الميزان ٢: ٦٦.
- ٩ على اصغر مرواريد، الينابيع الفقهية ٩: ٣٢.
- ١٠ النجفي، جواهر الكلام ٢١: ٤٧.
- ١١ العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء ١٩/١
- ١٢ النجفي، جواهر الكلام ٢١ / ٤٦
- ١٣ الشهيد الثاني، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ٢: ٣٧٢.
- ١٤ كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء ٤: ٢٨٧ - ٢٨٩.
- ١٥ المراسم العلوية، نقلا عن الينابيع الفقهية ٩: ٦٨.
- ١٦ محمد حسن رجي، الرسائل والفتاوى الجهادية: ٢٠٨
- ١٧ علي الطباطبائي، رياض المسائل ٧: ٤٤١.
- ١٨ النجفي، جواهر الكلام ٢١: ١٩١٨.
- ١٩ موسى نصار، الجهاد الدفاعي وظاهرة الارهاب المسلح / ٣٠
- ٢٠ الوسيلة (سلسلة الينابيع الفقهية ٩: ١٥٩)، المقنعة: ٨١٠، غنية النزوع ١: ١٩٩، والمهذب: ٢٩٥، وإشارة السبق: ١٩٥، وإشارة السبق: ١٩٥، وإصباح الشيعة: ١٨٨، والاقتصاد: ٣، والمبسوط: ٧٦ ضمن ج ٣١ من سلسلة الينابيع الفقهية.
- ٢١ تذكرة الفقهاء ٩: ١٦ و ٣٧، مسالك الأفهام ٣: ٨، المهذب البارع ٤: ٢٩١، صراط النجاة للشيخ جواد التبريزي ١: ٥١٠
- ٢٢ الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته: ٤١٦، بدائع الصنائع ٩: ٣٧٩، الهداية شرح بداية المبتدي ٢: ١٣٥، الكافي في فقه أهل المدينة: ٢٠٥
- ٢٣ البقرة: ٢١٦.
- ٢٤ التوبة: ١٢٢
- ٢٥ دعائم الإسلام ١: ٣٤١
- ٢٦ الشيخ جعفر، كشف الغطاء ٤: ٢٩٠، ٢٩١.
- ٢٧ الشهيد الثاني، مسالك الأفهام ٣: ٢١

- ٢٨ ابن منظور، لسان العرب ١٤٥/١٥
- ٢٩ ظ: المظفر، اصول الفقه ٩٢/١
- ٣٠ النساء: ٩٥
- ٣١ التوبة: ٤١
- ٣٢ ابن قدامة، المغني ١٠: ٣٥٩، القرطبي، تفسير القرطبي ٣: ٣٨
- ٣٣ محمد مهدي شمس الدين، جهاد الأمة / ٤٧-٤٨
- ٣٤ البقرة/ ٢١٦
- ٣٥ التوبة/ ١٢٢
- ٣٦ التوبة/ ٤١
- ٣٧ مستدرک الوسائل ١١: ١٤ باب ١ من جهاد العدوح ٢٣
- ٣٨ ظ: محمد صادق الحسيني الروحاني، فقه الصادق (ع) ١٣/ ٢١-٢٢.
- ٣٩ الأنفال: ٤٥.
- ٤٠ الأنفال: ١٥.
- ٤١ الوسيلة إلى نيل الفضيلة: ٢٠٠.
- ٤٢ الجامع للشرائع ضمن سلسلة الينابيع الفقهية ٩: ٢٣٣.
- ٤٣ قواعد الأحكام: ١: ٤٧٨.
- ٤٤ تحرير الوسيلة ١: ٤٦١.
- ٤٥ الكافي في الفقه، ضمن سلسلة الينابيع الفقهية ٩: ٣١
- ٤٦ الاقتصاد الهادي الى الرشاد، ضمن سلسلة الينابيع الفقهية ٣١: ٣.
- ٤٧ المذهب: ٢٩٥.
- ٤٨ مسالك الأفهام ٣: ٨٧.
- ٤٩ الشيخ جعفر الكبير، كشف الغطاء ٤: ٢٧٧، ٢٧٨
- ٥٠ النجفي، جواهر الكلام ٢١: ١٨ و ١٩
- ٥١ السبزواري، مذهب الأحكام في بيان الحلال والحرام ١٥: ١٠٢
- ٥٢ جعفر محبوبه، ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣٢٦
- ٥٣ كشف الغطاء ٤: ٣٣٣-٣٣٤.
- ٥٤ ظ: البغدادي، وجوب النهضة رؤية تأسيسية استباقية حول الجهاد الكفائي، ص ٣٨
- ٥٥ جواهر الكلام ٢١: ١٨-١٩.
- ٥٦ البقرة/ ٣٠
- ٥٧ الارديلي، زبدة البيان ١: ٣٩٥
- ٥٨ الطباطبائي، الميزان ٢/ ٦٠
- ٥٩ الحج/ ٣٩
- ٦٠ التوبة/ ١٢٣
- ٦١ الطبرسي، مجمع البيان ٣: ٨٤.

- ٦٢ الطباطبائي، الميزان ٩: ٤٠٤
 ٦٣ الميرزا ابو القاسم القمي، جامع الشتات ١: ٣٥٨
 ٦٤ الانفال / ٦٠
 ٦٥ النساء / ١٤١
 ٦٦ الشيخ الطوسي، الخلاف ٥: ١٤٦،
 ٦٧ ميرفتاح المراغي، العناوين ٣٥٠/٢
 ٦٨ البقرة / ٢١٦
 ٦٩ الحج / ٧٨
 ٧٠ النساء / ٧٣
 ٧١ المائدة / ٣٥
 ٧٢ الحر العاملي، وسائل الشيعة ١: ١٧، ب ١ من ابواب مقدمة العبادات، ح ٣٢.
 ٧٣ ن. م. ١٤، ح ٢٣
 ٧٤ ن. م.
 ٧٥ النساء / ١٤١
 ٧٦ السيد الخوئي، مصباح الفقاهة ١/ ٤٩١
 ٧٧ وسائل الشيعة، الحر العاملي، كتاب الجهاد ١٥: ٣٠، باب ٦ من جهاد العدو، ح ٢.
 المصادر:

القرآن الكريم

الارديلي (أحمد) مجمع الفوائد والبرهان في شرح إرشاد الأذهان ، تحقيق : أغا مجتبی العراقي وعلي بناه الاشتهادي وأغا حين اليزدي ، منشورات جامعة المدرسين ، قم _ إيران ١٤٠٣ هـ .

ابن البراج ، المذهب ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم/١٤٠٦ هـ
 البغدادي محمد ، وجوب النهضة ، رؤية تأسيسية استباقية حول الجهاد الكفائي ، تحقيق ، احمد البغدادي ، ط ١ سنة ٢٠١٢ .

الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٩٨٧ م.

الحلي، أبو الصلاح، الكافي في الفقه ، تحقيق: رضا استادي، (ب ت)

العالمي، الحر ، محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة أهل البيت □ لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم، إيران، ط ٢، ١٤١٤ هـ. الحلي العالمي، محمد بن مكّي (الشهيد الأول)، اللمعة الدمشقية، دار الفكر، قم _ إيران ١٤١٤ هـ.

الحلي، (العلامة) ، إرشاد الأذهان ، تحقيق : فارس حسون ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ط ١/ ١٠١٤ هـ الحلي ، جمال الدين ابن العباس احمد بن محمد بن فهد ، المذهب البارع في شرح المختصر النافع، تحقيق: اغا مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجمعة المدرسين، قم _ إيران ١٤١١ هـ.

الحلي (العلامة) تذكرة الفقهاء _ تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث مطبعة مهر، قم _ إيران، ط ١/ ١٤١٤ هـ

الخوئي ، مصباح الفقهية ، تقرير أبحاث السيد الخوئي بقلم محمد علي التوحيدي التبريزي نشر مكتبة الداوري ، المطبعة العلمية، قم- إيران .

الروحاني محمد صادق ، فقه الصادق (ع) ، مؤسسة دار الكتب ، المطبعة العلمية، قم ط ٣/ ١٤١٣ هـ

الرملي، محمد بن أبي العباس ، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، المكتبة الإسلامية ، القاهرة، مصر

الزحيلي وهبة ، الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر، دمشق، ط ٣/ ١٩٨٩ .

الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي، تبين الحقائق في شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط ٢، (بالاوفسيت عن طبعة حجرية).

السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام في مسائل الحلال والحرام، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٨٢

الطباطبائي، علي رياض المسائل، تحقيق: مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين قم، ط ١/١٢٤١ هـ.

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

الطوسي، محمد بن الحسن بن علي، الخلاف، تحقيق، جماعة من المحققين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم- إيران، ١٤٠٧ هـ

الطوسي، محمد بن الحسن بن علي، المبسوط في فقه الامامية، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء التراث الجعفري المطبعة الحيدرية، طهران.

الطوسي، محمد بن الحسن بن علي، النهاية في مجرد الفتاوى، انتشارات قدس محمدي، قم- إيران.

الطوسي، محمد بن الحسن بن علي، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، نشر جامع جهلستون / مطبعة الخيام، قم / ١٤٠٠ هـ.

العالمي، الشهيد الثاني، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، نشر جامعة النجف الدينية، ط ٣ /

العالمي، محمد بن مكي (الشهيد الاول)، اللمعة الدمشقية، دار الفكر، مطبعة قدس قم- إيران، ط ١/١١٤١ هـ

ابن قدامة، المغني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٢ م.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط ٢ / ١٩٨٥

الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي، بيروت ط ٢ .
المظفر محمد رضا ، اصول الفقه ، نشر جمعية منتدى النشر، النجف الاشرف ، ط ٣
سنة ١٩٧١ م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة ، قم
النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق وتعليق:
الشيخ باسل قوجاني، مطبعة خورشيد، طهران، إيران، ط ٢، ١٣٦٥ ش.

الجهاد ضد الاستعمار والطغاة عند السيد محمد كاظم اليزدي

م.د. محمد فرحان عبيد النائلي

جامعة الكوفة / كلية الفقه

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد (ﷺ) وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين.

وبعد :

يعد السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي من أشهر فقهاء الامامية الذين انتهت اليهم المرجعية الدينية في الثلث الاول من القرن الرابع عشر الهجري ، باعتبار ان ولادته في مدينة يزد سنة (١٢٢٥ هـ) على ارجح الاقوال ، كما ورد في كتب الرجال ومن دون تلك المرحلة الزمنية ، وحيث ان مراكز العلم متعددة فتوجه اليها ابتغاء لطلب الريادة العلمية مما دعاه الهجرة الى النجف للاستفادة مما امله الشيخ الاعظم، من نظريات فقهية وأصولية طورت البحث الفقهي وعمقت الاستدلال فيه فلذلك عد مرحلة جديدة تختلف عن سابقتها وخصوصا في البحث الاصولي حيث ذكر السيد الاميني انه ادرك شطراً من حياة الشيخ الانصاري ، حيث اتفق العلماء الذين ترجموا لعصره انه وفد الى النجف الاشرف سنة (١٢٨١ هـ) وهي سنة وفاة الشيخ الاعظم فلذلك يقوى في النفس انه ادرك الايام الاخيرة من حياة الشيخ الاعظم بل انه حضر حلقة بحثه لانه الشيخ لم ينقطع عن درسه مطلقاً .

عموما ان السيد اليزدي كان جاداً في طلب العلم لتعويض الفترة الزمنية التي فاتته في صباه حيث انه اشتغل في العلوم الشرعية في نهاية العقد الثاني من عمره فلذلك

كان يواصل الليل مع النهار لتحصيل العمق المعرفي في التخصص الشرعي ، وهذا ما لوحظ عليه عندما حل في النجف الاشرف وانخرط مباشرة في ابحاث الخارج .

فتنبه له اساطين المعرفة آنذاك وتوسموا فيه الفضيلة والريادة العلمية في قابل الايام بعد فترة قليلة خصوصا مع وجود السبل المادية والروحانية بقرب من اضرحة الائمة الاطهار عزز عنده البقاء في تلك الحاضرة العلمية حتى وفاته في رجب (١٣٣٧هـ) وفيها شكل اكبر حلقة بحثية في المنهج والتطبيق الفقهي وكان يلقي دروسه العليا في الحظرة المطهرة لأمير المؤمنين (ع) وعلى مستوى الفقه والاصول وقد ضم في طيات بحثه علوم القرآن والرجال وكل ما له علاقة للوصول الى الحكم الشرعي وفق منهجية رائدة ومتفردة بحيث اسس مرحلة انتهت الى حد ما بالاعتماد على كتاب شرائع الاسلام للمحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ) وبداية مرحلة جديدة يعتمد فيها كأساس كلي على متن العروة الوثقى ، حتى ان الشروح لكتاب العروة اكثر من (٦٠) شرحا استدلاليا هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ان الاحاطة بكل ما تركه السيد اليزدي على مستوى المنهج والتطبيق يحتاج الى مصنفات ، فلذلك حتم على الباحث ان يختار احد ابرز ابداعات المحقق اليزدي في الجهاد ضد الاستعمار والطفافة حيث انه كان يعالج الواقع بمنظور شرعي ، بل يستغرق في هموم الامة ، وهمه الاكبر ان لا يجعل هناك هيمنة للمستبدين على المؤمنين وقد ترجم ذلك فعليا سواء في مواقفه الخاصة عندما تتعرض الطائفة المحقة الى الاضطهاد من قبل حكام الظلم والجور فأسس نظريته في الحكم حيث يرى (ان مصلحة الدولة يجب أن تكون بيد شخص واحد مسؤول عنها ، لا يشاركه فيها مشارك . ويحتج لرأيه هذا بما يصل إليه اجتهاده الديني مبرهنا عليه بالبراهين والأدلة المختلفة)

واما في دفاعه عن بيضة الاسلام عندما تتعرض الى هجوم شرس من قبل الغرب فكانت اراء صريحة في مساندة ومعاوضة مسلمو ليبيا ضد الهجوم الايطالي وغيرهم .

وان الجهاد ضد الاستعمار والطغاة يظهر جلياً عند المحقق اليزدي في اصوله الكلية وتفصيله الجزئية من خلال امعان النظر في مبانيه التي اسسها في نظام الحكم وقيود وشروط الحاكم والمحكوم وهذا ما سوف نفضله عندما نتناول مبانياته في المستبدة ومناقشة في الادلة والبراهين وابطال فكرة المشروطة ، وهذا ما تكفل به البحث في مطلبه الاول بشكل استدلالى بحيث يثبت للباحث الموضوعي ان الذي يناسب الفهم العرفي لروايات الائمة الاطهار هو تنصيب من يتمتع بشروط الفقاهة والعدالة لتسلم منصب الحكم بصلاحيات مطلقة وهذا ما اثبتته في محاور ثلاث :

الاول : تعلق بالفتاوى التي صدرت من مراجع الدين للأحداث في ايران وكيفية موازنة الموقف بما يحقق نصرة الشعب المظلوم اعتمادا على القواعد الكلية التي اسسها الائمة الاطهار لنظام الحكم في الاسلام.

الثاني : تعلق بإعلان الدستوري الصادر من الدولة العثمانية في (٢٣ تموز ١٩٠٨م) حيث كان متأثرا بالفكر الغربي حيث كان فيه مخالفة صريحة للنصوص القطعية الصادرة من المشرع الاسلامي حيث رد ذلك وقال قولته المشهورة (إن الشعارات التي ترفعونها هي شعارات غربية ، وهؤلاء الذين ينادون بالحرية إنما يريدون إنهاء الإسلام في البلاد من خلال المظاهر الغربية في الحياة) .

الثالث : تعلق بالفوضى في ايران حيث شاع وانتشر في الاوساط العلمية والنوادي الفكرية ان المشروطة افضل علاج لمشاكل الامة ، فرد ذلك وقال قول الفصل ان

حسن الاختيار من اعيان الامة لشخص يتمتع بمؤهلات القيادة ومنحه كامل الصلاحيات هو خير ضمانة لإشاعة العدل في المجتمع الاسلامي .

اما المطلب الثاني يتعلق بالغزو الايطالي على طرابلس الغرب (ليبيا) وما رافق ذلك من احداث تستوجب موقف منه يعبر عن رأي الشارع بشكله الناضج يحفظ فيه وحدة الامة ويعبر فيه على ان العدو المشترك هو الغرب الكافر وقد اثبت ذلك بفتاوى ورسائل صدرت منه ابرزها خطبته الشهيرة التي اوضح فيها ما تمر به الامة الاسلامية من مؤامرات وكيفية ردعها مقرونة بضرورة التوجه والدعاء بان يحفظ الله بلاد الاسلام من كل شر.

اما المطلب الثالث تعلق بموقفه من الهجوم الروسي على ايران ونصحه وارشاداته لمسلميها في كيفية المحافظة على بلادهم ، وانه على اتم الاستعداد بأن يهيئ لهم كل الوسائل المادية والمعنوية لتحقيق الانتصار وكانت له خطب بليغة تعبر عن حقيقة موقفه الاصلاحى .

اما المطلب الرابع فقد تعلق بالغزو البريطاني للعراق وكيفية اصداره فتوى الجهاد ضد الغزو البريطاني .

اما المطلب الخامس تعلق بأحداث النجف (١٩١٥-١٩١٨ م) حيث كان موقفه دقيقا بما يحفظ دماء الامة ويحقق عزتهم في العيش الكريم في بلادهم بلا تبعية لاحد. ثم انتهى البحث الى مجموعة من النتائج تعبر عن اسسه النظرية في اعطاء تصور واضح للأسس والمباني الكلية والتفصيلية لمعالم الفكر السياسي عند السيد اليزدي .

المطلب الاول : الحركة الدستورية الايرانية (المشروطة) وتداعياتها .

المشروطة هي حركة المطالبة بالدستور التي ظهرت في تركيا وايران ، وظهرها في تركيا قبل ظهورها في ايران بما يزيد على ثلاثين سنة ، لعب فيها رجال الدين دورا خطيرا ، وكانت النجف تضم أعلاما عظاما منهم الحاج ميرزا حسين الخليلي (ت ١٣٢٦هـ) وكان ركن النهضة الإيرانية وزعيمها الكبير عقدت في مدرسته الكبيرة محافل الإيرانيين أيام الاستبداد ، الشيخ محمد كاظم الخراساني (١٣٢٩هـ) والشيخ عبد الله المازندراني (١٣٣٠هـ) ، والميرزا محمد حسين النائيني (١٣٥٥هـ) ، وعالم كربلاء السيد إسماعيل صدر الدين (١٣٣٨هـ) ، والشيخ محمد تقي الشيرازي (١٣٣٨هـ) عالم سامراء ، والسيد محمد كاظم اليزدي ، فكانت الغالبية العظمى من الطبقة تؤيد حكم البلاد بدستور ومجلس نيابي وسموا بر (المشروطة) وعلى رأسهم : الخليلي والخراساني وأتباعهما ، وتكونت جبهة معاكسة لهم يتزعمها : السيد محمد كاظم اليزدي وأنصاره ، فهو يرى إن مصلحة الدولة يجب أن تكون بيد شخص واحد مسؤول عنها ، لا يشاركه فيها مشارك . ويحتج لرأيه هذا بما يصل إليه اجتهاده الديني مبرهنا عليه بالبراهين والأدلة المختلفة ، ومعه أتباعه من مختلف الطبقات وفي مقدمتهم شاه ايران المستبد حينذاك ، وقد رأى السيد اليزدي أن هذا الأمر يعقبه فساد عظيم ؛ فأبدى نظره واجتهاده بحرمة المشروطة - ولذا وقع الخلاف والنزاع ما بين الأهلين والحكومة وأدى الأمر إلى إراقة الدماء ، وبما أن قادة الرأي العام الإيراني هم علماء النجف ، زحفت الحركة إلى النجف وتسعرت مشبوبة بين المتنورين وأكثرهم من المعممين الدارسين الذين يؤلفون حزب المشروطة ، وكانت زعامتهم معقودة للخراساني ، والعلامة الخليلي ، والشيخ عبد الله ، وبقية الأعلام .

أما حزب الاستبداد فيتكون من عامة الناس ، وزعامتهم معقودة للسيد اليزدي ، ولذا اشتدت الحملة ضد اليزدي من قبل الأحرار الإيرانيين والدستوريين وفي مقدمتهم رجال الدين والعلماء ، وكما أصدر الشيخ فضل الله النوري الفتوى التي جاء فيها بأن تأسيس برلمان وسنّ دستور للبلاد يغيّر الشرع الإسلامي واعتمد محمد علي شاه على هذه الفتوى وحل البرلمان وأوقف الدستور ، وكان الشيخ محمد تقّي نجل الميرزا الخليلي ، والميرزا مهدي نجل الشيخ الخراساني ، على اتصال وثيق ودائم بالأحرار الدستوريين الإيرانيين في إيران ، ولهما التأثير الكبير في الوسط العلمي في النجف في دفع الحركة الدستورية واشتدت المطالبة بالدستور من قبل النجف بزعمائها الروحيين وما لهم من تأثير على الشاه ، فقد ذهب فريق من التجار (البازار) والعلماء وغيرهم ، إلى السفارة البريطانية ينشدون معونتها ، وحين وجدوا منها تشجيعاً التجأوا إليها فخيّموا في حديقته ، وهناك أخذ عددهم يتزايد يوماً بعد يوم حتى قدر عددهم بنحو من عشرين ألف شخص ، ومما يلفت النظر أن السفارة كانت قد استعدت لإقامة مثل هذه الأعداد الغفيرة ، وإن الروس كانوا يعتقدون بأن حركة المشروطية من تدبير بريطانية ، ويعتبرونها مهددة لسلطوتهم ونفوذهم في إيران ، فاستغلوا تقربهم من بريطانيا في عام ١٩٠٧ ، وشجّعوا الشاه محمد علي على تعطيل الدستور ، وكان الشعار الذي رفعه في ذلك هو أن الدستور بدعة مخالفة للشريعة الإسلامية ، وعليه صدرت الفتاوى من النجف ، تنصّ على جواز محاربة الشاه ؛ لهتكه حرمة الشرع الشريف ، وكانت لأربعة من الأعلام وهم : الشيخ الخراساني ، والسيد إسماعيل الصدر والشيخ محمد تقّي ، والشيخ المازندراني ، بوجوب الجهاد في سبيل الدستور والاستعداد للجهاد والدفاع ، وأبرقت البرقيات بتوسط العلماء إلى بلاط الشاه ، وقد أيد الشاه في موقفه هذا لقيف من رجال الدين

الكبا، منهم الشيخ النوري، وكان هذا الرجل من أنصار المشروعية في أول الأمر، ثم انفصل عنهم وأخذ يحاربهم حرباً لا هوادة فيها، ويتهمهم بأنهم بابيون وزنادقة، وبهذا انقسم الشعب الإيراني إلى حزبين متطاحنين، وصار كل حزب منهم يكفر الحزب الآخر ويدعو إلى محاربته، هذه كلها تثبت دسائس الشاه ضد المجلس ولهذه الحركة تداعيات كثيرة منها :

الشقاق في العراق : إن هذه الأحداث في إيران ، لا يمكن أن تمر دون أن يكون لها صداها في المجتمع العراقي ، وأن الرسائل والاستفتاءات أخذت تنهال من إيران على كبار المجتهدين في النجف ؛ تسألهم عن المشروعية هل هي حلال أم حرام؟ وكان جوابهم في أول الأمر أن المشروعية موافقة للشريعة الإسلامية ، غير أنهم انقسموا بعدئذ على منوال ما انقسم علماء إيران ، فأدى ذلك إلى ظهور الجدل والتنازع في أوساط العامة ، مما كان له أثره البالغ في المجتمع العراقي ، وتطور وعيه السياسي ومن أوائل الرسائل التي وردت إلى علماء النجف تستفتيهم في أمر المشروعية كانت هذه الرسالة، نقلها بعد ترجمتها إلى العربية :

(إلى حضرات المجتهدين وحفظة الحكمة الإلهية ، لا بد وأنكم سمعتم بمجلس الشورى الشعبي، وأنتم تعرفون جيداً أن هذا المجلس، الذي يعمل على حفظ القوانين المستمدة من الطريقة الاثني عشرية المقدسة ، لمحو الظالمين والخائنين ، ونشر العدل على جميع البلاد وإعلاء شأن الراية الإيرانية ويؤسفنا أن عدداً من الأنانيين المفسدين أخذوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب من أجل محو المجلس فنحن ننتظر فتواكم في بيان تكليف المسلمين في هذا الشأن) ، وعلى أثر وصول هذا الاستفتاء إلى النجف اجتمع كبار علمائها للجواب عليه ، وكانت فتواهم التي اتفقوا عليها هي كما يلي :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، ولعنة الله على القوم الظالمين إلى يوم القيامة ، أما بعد: فبالتأييدات الإلهية ، والمراحم السماوية، وتحت توجيهات الهادي العالي الشأن حضرة صاحب الزمان روحنا فداء : إن قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه ، هي قوانين مقدسة ومحترمة ، وهي فرض على جميع المسلمين أن يقبلوا هذه القوانين وينفذوها . وعليه نكرر قولنا : إن الإقدام على مقاومة المجلس العالي، بمنزلة الإقدام على مقاومة أحكام الدين الحنيف، فواجب المسلمين أن يقفوا دون أي حركة ضد المجلس) وقد وقع على هذه الفتوى الشيخ الخراساني بالنيابة عن زملائه المجتهدين ، ولم يتخلف عنهم في ذلك سوى السيد كاظم اليزدي إذ امتنع عن التوقيع ، وكان امتناع هذا المجتهد بداية الانقسام بين المجتهدين ، ثم أخذ الانقسام يشتد ويستفحل بمرور الأيام ، انقسم أهل النجف إلى فريقين متعادين: أحدهما يدعو إلى المشروعية بزعامة الخراساني ، والآخر يدعو إلى الاستبداد بزعامة اليزدي^١

ويعود السيد محمد مهدي الموسوي إلى ذم المشروعية ، في كتابه عند ترجمته للسيد اليزدي ، فهو يصفها على (إنها هي التي أنزلت الملوك عن عروشها والسلاطين عن تخوتها، وقتل فيها العلماء الورعون والوزراء العادلون ، وأحدثت في الإسلام ثلثة عظيمة لا يسدها إلا ظهور المهدي (عج) ، وقد ذهب أفراد المشروطة إلى حجة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي ليدخلوه في حزبهم العاطل ، كما أغفلوا جماعة من معاصريه ، ولكن سيدنا المعظم استلم سراً عن أحوال الحزب المشروطي من أهالي بعض المدن الإيرانية ، ممن يثق بقولهم ، فلما كتبوا له حقيقة الأمر لم يدخل في الحزب ، وقعد في داره خائفاً يترقب ، وقد أرادوا قتله لكن رؤساء أعراب النجف، وهم أهل الغيرة والحمية والديانة والفتوة ، حقوا به وطافوا حول داره ، فلم ير العدو

الفرصة في قتله، وظنّي أنّ رؤساء النجف هؤلاء لو كانوا في طهران لمنعوا من قتل الشهيد السيد عبد الله البهبهاني... (اللهم أرنا الفجر الصادق والنور البارق، الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة، مولانا إمام العصر والزمن، الحجة بن الحسن(ع)، ليأخذ من أعداء الدين ثأر المسلمين...) ^٢.

ومما زاد في الطين بلة أنّ الروس أسسوا في النجف قنصلية، وعينوا لها رجلا واسع الحيلة، شديد الدأب في مقاومة المشروطية هو أبو القاسم الشيرواني، الذي وقف إلى جانب جماعة السيد اليزدي، ممّا وضع السيد في دائرة الاتهام، وأطلقت عليه تهمة كونه من أنصار الاستبداد ^٣.

فكان اليزدي إذا خرج إلى الصلاة حفّ به المسلحون من أعوانه، وهم يهتفون بالصلاة على محمد وآل محمد وصارت الإشاعات تروج في أوساط العامة حول المشروطية، بأنّ المقصود منها هو هدم الدين وإفساد الأخلاق، وفي أحد الأيام ظهر على بعض الجدران في النجف إعلان، فيه صورة يد تمسك مسدّسا وفيه تهديد لليزدي بأنّه سيقتل إذا لم ينزل على إرادة أنصار المشروطية، فهاج الناس لذلك وصار أنصار المشروطية عرضة للاعتداء والضرب في الأسواق والطرقات، بحجة أنّهم زنادقة مارقين عن الدين، والواقع أنّ الجدل حول المشروطية لم يقتصر على النجف وحدها، بل سرى إلى كربلاء والكاظمية وبعض مناطق العراق الأخرى، حتى وصل الحد إلى أنّ بعض طلبة العلوم الدينية في النجف لم يستطيعوا ولمدة سنة كاملة من زيارة كربلاء، أو الكوفة، أو مسجد السهلة؛ خوفا على أرواحهم ^٤.

ويروي الشيخ محمد حرز الدين أنّه كان في مسجد السهلة بالكوفة في ^٧ شوال ١٣٢٦ هـ / ٢ تشرين الثاني ١٩٠٨ م، فقدم جماعة من إيران يستفتون الميرزا حسين

الميرزا خليلي حول جزاء المحارب لله ولرسوله ، ممن يسعى في الأرض فسادا ، هل يجوز قتله ؟

وقد كتب الميرزا حسين، والآخوند الخراساني، والشيخ عبد الله المازندراني الجواب بالإيجاب، فأدرك الشيخ حرز الدين أن هؤلاء يستهدفون العلماء الذين يعارضون المشروطة، فأسر للميرزا حسين بحقيقة الأمر، فطلب أصحاب الاستفتاء فلم يعثروا عليهم، مما اضطر الميرزا إلى كتابه ورقة فيها عدول عما أفتى به، وتوفي بعد هذه الحادثة بثلاثة أيام^٥.

إعلان الدستور العثماني: أعلن الدستور في البلاد العثمانية في ٢٣ تموز من عام ١٩٠٨ م، وانتشرت مظاهر الزينة والابتهاج في العراق بتلك المناسبة، فكان هذا التحول الفجائي في موقف الحكومة العثمانية من المشروطية، عاملا مهما في تدعيم موقف الخراساني وأعوانه، وانخزال أعوان السيد اليزدي، وكانت جماعة السيد اليزدي هي الأقوى، إذ كان يصلي وراءه الآلاف، في حين لم يكن يصلي وراء الآخوند الخراساني سوى عدد قليل لا يزيد على ثلاثين شخصا، وكان أنصار المشروطة يتعرضون لمضايقات العشائر العراقية؛ لأنهم يرونهم خصوما للسيد اليزدي^٦، كما تعرض السيد اليزدي إلى مضايقات حكومة الاتحاد والترقي، وهددوه بالنفي خارج العراق، وكما حاول أحد القادة الأتراك التأثير على موقف السيد اليزدي، فزاره في النجف الأشرف، وطلب منه أن يصدر رأيا في الحركة الدستورية، فأجابه السيد اليزدي: إن الشعارات التي ترفعونها هي شعارات غربية، وهؤلاء الذين ينادون بالحرية إنما يريدون إنهاء الإسلام في البلاد من خلال المظاهر الغربية في الحياة^٧.

ثم زار النجف (ثريا بك) من زعماء الاتحاديين ، فاجتمع بالخراساني في إحدى المدارس الدينية ، فكان يوما حافلا في النجف ابتهج له الأنصار وابتأس الخصوم ، ويمكن القول إن بعض الذين كانوا من أنصار اليزدي تحولوا عنه ، وأخذوا يتملقون للحكومة ويهتفون بأعلى أصواتهم (يعيش الدستور !) - وليس هذا بالأمر الغريب !

الفوضى في إيران : كان الإيرانيون يعتقدون أن المشروطية ستكون علاجا ناجعا لجميع مشاكلهم ولكتهم وجدوا بعد انتصار حركة المشروطية ، وعزل الشاه محمد علي أنهم وقعوا في حالة هي أسوأ مما كانوا فيها ، وأصبح كل من ساهم في الحركة طامحا أن ينال أعظم المناصب ، مكافأة له على جهاده في سبيل (الملة) ، وظهرت عصابات اللصوص في كثير من الأنحاء ، يعبثون بالأمن ويقطعون الطرق وامتنع حكام الأقاليم عن إرسال ما عليهم من مبالغ للخزينة المركزية ، وانقسم الناس شيعة وأحزابا ، كل حزب يعتقد أن رأيه هو الذي يجب أن يتبع في إصلاح البلاد ، إن قبائل البختيارية حصلت من تلك الفوضى على حصّة الأسد ، فقد احتلت مدينة أصفهان بحجة حماية الثورة ، واستحصلت من الخزينة المركزية مبلغا شهريا قدره عشرون ألف تومان بدعوى حراسة الطريق ، وذلك علاوة على ما كانت تجبي من الناس من ضرائب مباشرة ، ومن الأعمال التي تورط بها أنصار المشروطية عند انتصارهم أنهم شنقوا الشيخ فضل الله النوري، الذي كان يتزعم أنصار الاستبداد في عهد الشاه محمد علي، وقد قام بشنقه على ملا من الناس رجل أرمني اسمه بيريم كان مديرا للشرطة حينذاك ، فأدى ذلك إلى شيوع التذمر في أوساط الكثيرين من الناس، وانتهاز الخصوم الفرصة فجعلوا شنق الشيخ بمثابة الفرصة ، وأقاموا له مجالس الفاتحة وحفلات التأبين في كل مكان، وأخذوا يبالغون في تمجيد الشيخ بغية

التشهير بالمشروطة وأنصارها، ولم يقتصر ذلك على إيران بل سرت عدواه إلى العراق ، فأخذ خصوم المشروطة فيه يكثرون من إقامة مجالس الفاتحة على روح الشيخ^٨.
المطلب الثاني : الهجوم الإيطالي على طرابلس الغرب - ليبيا (١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) :
أسفرت نتائج مؤتمر برلين الذي اختتم أعماله في ٢٠ تموز ١٨٧٨ م / ٢٠ رجب ١٢٩٥ هـ ، عن توقيع الدول الأوروبية على اتفاقية تقرر فيها تمزيق الإمبراطورية العثمانية ، وتقسيمها على مبدأ القوميات

وفعلا باشرت الدول الاستعمارية في إنجاز مقررات المؤتمر ، فاستولت روسيا على مقاطعات هامة في شرق الأناضول وقفقاسيا ، وفرضت نفوذها على جزء من بلغاريا التي تجزأت إلى ثلاثة أقسام ، واحتلت البوسنة والهرسك ، واستولت بريطانيا على جزيرة قبرص ، وسيطرت فرنسا على تونس عام ١٨٨١ م . أما إيطاليا فقد اعترضت على المؤتمر ؛ لأنها لم تحصل على أية حصّة من تقسيم الإمبراطورية العثمانية^٩ ، وجرّت مفاوضات عديدة تمخضت عن عدة اتفاقيات ، كانت منها الاتفاقية السريّة بين إيطاليا وروسيا في تشرين الأول ١٩٠٩ م وقد ورد فيها :

(يعمل الطرفان على حلّ مسائل البلقان وفق القوميات ، وتتعهد روسيا أن تنظر بعين العطف إلى مصالح إيطاليا في طرابلس ، وتتعهد إيطاليا أن تنظر بعين العطف إلى مصالح روسيا في المضائق)^{١٠} عند ذلك أمر السيد اليزدي بعقد اجتماع عام ، وألقى خطبة (أوضح فيها ما تمزبه الأمة الإسلامية ، ومؤامرات المستعمرين ، ودعاء للمدافعين عن بلاد الإسلام) ثم أعقبه الشيخ جواد الجواهري ، فرقى المنبر وشرح بعض مقاطع الخطبة وما حوته من المغازي) وفيه يذكر السيد محمد علي كمال الدين : أن الخطبة لم تكن بالمستوى الذي كان يأمله القائم مقام وبعض

المتظاهرين ، ويؤس الجميع من إمكان توحيد رأي السيد مع آراء بقية العلماء يأساً تاماً ، وقد تمخضت هذه المظاهرة عن أمرين :

١- عدول بعض مقلدي السيد اليزدي عنه ؛ لشدة انفعالهم من الوضع الذي شاهدوه واستغربوا أمره

٢- تصلب بقية العلماء في آرائهم ، وإعلانهم الفتوى بوجوب الدفاع وجوباً عينياً على كل مسلم ومسلمة ، وطبعت صور الفتاوى بالة التصوير ، وبعثوا بها إلى عموم الأقطار الإسلامية ، وكان نص فتوى علماء النجف الأشرف :

بسم الله الرحمن الرحيم {من علماء النجف الأشرف إلى كافة المسلمين الموحدين ، ومن جمعتنا وإياهم جامعة الدين والإقرار بمحمد(ص) سيد المرسلين، السلام عليكم أيها المحامون عن التوحيد ، والمدافعون عن الدين ، والحافظون لبيضة الإسلام ، لا يخفى عليكم أن الجهاد لدفع الكفار عن بلاد الإسلام وثغوره مما قام إجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه . قال الله سبحانه: (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) هذه جنود إيطاليا ، قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من أعظم الممالك الإسلامية وأهمها ، وخربوا عامرها ، وأبادوا أبنيتها ، وقتلوا رجالها ونسائها وأطفالها ، ما لكم تببلغكم دعوة الإسلام فلا تجيبون ؟ وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون ، أنتظرون أن يزحف العدو إلى بيت الله الحرام وحرم النبي والأئمة (ع) ، ويمحو الديانة الإسلامية والدولة العثمانية عن شرق الأرض وغربها ، وتكونوا معشر المسلمين أذل من قوم سبأ ، فالله الله في التوحيد ، الله الله في الرسالة الله الله في أحكام الدين وقواعد الشرع المبين ، فبادروا إلى ما افترضه الله عليكم من الجهاد في سبيله واتفقوا ولا تفرقوا ، وأجمعوا كلمتكم ، وابدلوا أموالكم ، وخذوا حذركم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تزهبون

به عذو الله وعدوكم) لتلايفوت وقت الدفاع وأنتم غافلون ، وينقضي زمن الجهاد وأنتم متثاقلون ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) . خادم الشريعة المطهرة (محمد كاظم الخراساني). الجاني (عبد الله المازندراني) . الجاني شيخ الشريعة الأصفهاني الأقل علي رفيش . الجاني مصطفى الحسيني الكاشاني. خادم الشريعة محمد حسين القميشي أقل خدام الشريعة حسن ابن المرحوم صاحب جواهر الكلام، الراجي عفو ربه الغفور محمد جواد الشيخ مشكور الراجي عفو ربه محمد نجل المرحوم صاحب الجواهر الجاني علي التبريزي . محمد سعيد الحنوبي . الأحقر جعفر نجل المرحوم الشيخ عبد الحسن . وقد نشرت هذه الفتوى في مجلة العلم النجفية: ع ٦/ ١٢٤٧، ٢٣ تشرين الثاني ١٩١١ م. وفي العدد نفسه ص ٢٨٤ نشرت المجلة خبرا بعنوان: بشارة عظمى موافقة حضرة السيد كاظم اليزدي (مد ظله) مع العلماء في الحكم وجوب السعي وبذل النفس والنفيس في سبيل الدفاع عن طرابلس ، واستخلاص إيران من مخالب الروس والإنكليز وهذه صورة فتواه مترجمة عن الفارسية قال (دام ظله) العالي :

بسم الله الرحمن الرحيم) في مثل هذا اليوم الذي حملت الدول الأوروبية على الممالك الإسلامية كإيطاليا على طرابلس الغرب من جهة ، والروس من جهة أخرى أشغل شمال إيران بعساكره والإنكليز، أنزل عساكره في جنوب إيران وأحدث بالإسلام خطرا ضحلاله . فلهذا يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم ، أن يستعدوا لدفاع الكفار عن ممالك الإسلام ، ولا يتقاعدوا بكل صورة عن بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل إخراج عساكر إيطاليا من طرابلس الغرب ، وإخراج عساكر الروس والإنكليز من إيران فإن ذلك أهم الفرائض الإسلامية ؛ لكي يحفظ بعون

اللّه المملكتان الإسلاميتان العثمانية والإيرانية من مهاجمة الصليبيين . حرّره
الأحقّر، محمد كاظم الطباطبائي^{١١}

وفي كربلاء عقد الأهالي اجتماعا عند ضريح الإمام الحسين (ع) أقيمت فيه الخطب
الحماسية، ثم جرى جمع التبرعات، وفي ١٢/١ ت ١٩١١ م / ١٨ / شوال ١٣٢٩ هـ،
شهدت مدينتا النجف الأشرف وسامراء تظاهرات جماهيرية، أقيمت فيها الخطب
الحماسية، ودعا الخطباء إلى نبذ الخلافات الطائفية وتوحيد الجهود، كما أرسل
الشيخ محمد كاظم الخراساني، والسيد إسماعيل الصدر، والشيخ عبد الله
المازندراني والشيخ محمد حسين المازندراني، وشيخ الشريعة الأصفهاني، برقية إلى
الصحف التركية في اسطنبول يحتجون فيها على انتهاكات المستعمرين للبلاد
الإسلامية^{١٢} وفي صفر ١٣٣٠ هـ / شباط ١٩١٢ م أصدر الشيخ محمد تقي الشيرازي،
والشيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد إسماعيل الصدر، والشيخ عبد الله المازندراني،
والشيخ محمد حسين المازندراني، بيانا حول الموضوع نفسه، يستنكرون فيه هذا
الاعتداء ويحذرون من الحملات المسعورة التي يقوم بها الاستعمار ضد البلاد
الإسلامية نصّه: (نلفت أنظار جميع أهل التوحيد، وكافة المسلمين، بأن الإسلام
والمسلمين لم يصلوا في أية فترة من الفترات، مثلما وصلوا إليه في هذه الفترة من
الزمن، إن المصائب التي يمر بها الإسلام اليوم تعتبر من أشد المصائب وإن الضربات التي
يتلقاها العالم الإسلامي اليوم هي من أشد الضربات وإن أساس الدين المبين في خطر،
وأثار شريعة الرسول (ص) مهددة بالزوال، ولم تبق في هذه الفترة سوى دولتين
إسلاميتين مستقلتين، هما الدولتين العليّتين العثمانية والإيرانية، اللتين تحملان
اللواء المحمدي، وتحميان حوزة الإسلام والحرمين الشريفين والمشاهد المقدسة. إن
بقاء حرمة القرآن الكريم، وإعلاء كلمتي الشهادة وإقامة دعائم الدين المبين،

يتوقف على بقاء هاتين الدولتين الإسلاميتين وإذا ما اضمحلت هاتان الدولتان - لا
 سمح الله - فلن يبق هناك للإسلام جامعة أو حوزة ، وستلحق بالإسلام والمسلمين
 وصمة عار أبدية وخذلان دائم ، لا أرانا الله ذلك اليوم أبدا ، واليوم يقوم بعض الأجانب
 بحملات مسعورة ضد هاتين الدولتين ، اللتين باتتا تعانيان كافة أشكال
 المضايقات والابتلاءات ، فمن جهة امتدت يد الظلم الإيطالية نحو مسلمي طرابلس
 الغرب ، حيث تسلب أموال الأهالي ويتعرض النساء والأطفال إلى القتل ومن جهة أخرى
 تقوم القوات الروسية بتصويب نيران مدفعيتها ضد الضعفاء والعجزة في تبريز ،
 وتقوم بإعدام كبار الشخصيات هناك ، وفي قزوين ورشت تدخل أجني ظالم
 واستنادا إلى ذلك وبالنظر إلى هجوم الكفار ، فقد قررنا نحن خدمة الشرع المنير مع
 جميع العلماء الأعلام من كربلاء والنجف وسامراء وحسب مسؤوليتنا الشرعية
 التجمع في الكاظمية ، عسى أن نجد حلا لإنقاذ المسلمين من ظلم الأجانب
 وعدوانهم ، وإذا لم يتمكن المسلمون في أقطار العالم ، الذين يعيشون في ظل
 حكم الأجانب بذل النفس لمساعدة إخوانهم ، فبإمكانهم تقديم المساعدة عن طريق
 إبداء التضامن معه)^{١٣} ، مما اضطر بالحكومة العثمانية إلى عقد صلح مع إيطاليا
 ، تنازلت فيه عن طرابلس وبنغازي لإيطاليا ، على أن يحتفظ السلطان العثماني
 بحق تعيين الموظفين الدينيين ، وبعض الصلاحيات الدينية البسيطة الأخرى ، لكن
 هذا الإجراء لم ينفع الدولة العثمانية ، شرعت جيوش بلغاريا واليونان وصربيا والجبل
 الأسود بالهجوم على العثمانيين ، وبدا بدأت حرب ضروس تعد من أشنع الحروب في
 ضراوتها ، وفي المآسي التي نتجت عنها^{١٤} .

المطلب الثالث : الهجوم الروسي على إيران ، ١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ / ١٩١٢ م :

بعد أن خلع محمد علي شاه في تموز ١٩٠٩ ، وعادت الحياة الدستورية إلى إيران ، وجدت روسيا أن نفوذها لم يعد كما كان أيام الشاه ، ولم ترفي الحكم الجديد أي مصلحة لها ، ولذلك قررت أن تقلق الوضع في إيران بأي وسيلة كانت ، ولجأت إلى تقديم دعمها في مساعدة الشاه المخلوع إلى عرشه - بعد أن فشل وهرب وقتل كبير أعوانه - عن طريق استغلال الأوضاع الداخلية الإيرانية ، ففي عام ١٩١١ زحفت القوات الروسية نحو مدينة تبريز فاحتلتها ، ثم عمدت إلى شنق بعض رجال الدين فيها من أجل إرهاب غيرهم ، فأدى ذلك إلى الهياج العام في إيران ، فأعلن رجال الدين الجهاد ، وأخذوا يتدربون على السلاح تحت إشراف رجال الدين ، وكان قد وصل إلى النجف الأشرف خبرا مفاده : أن الروس قد اتفقوا مع الإنكليز سزا مرة أخرى ، مما جعل علمائها يتأثرون من مواقف العداء السافر للبلد المسلم إيران وأوشك الفساد أن يعم البلاد ، لولا أن الحكومة الحاضرة أرادت بحكم القانون أن تستولي على مثيري الفتنة ، وتصادر أموالهم وأموالهم ، فقد كان هذا مقدمة لدخول جيوش روسية كثيرة أخرى دخلت إلى قزوین لاحتلالها ، وفي ١٣ ذي الحجة ١٣٢٩ أبرق رئيس مجلس النواب خبر دخول جيوش الروس وهجومه على قزوین إلى كربلاء ، إلى السيد إسماعيل صدر الدين ، وإلى النجف الأشرف ، وإلى جميع المسلمين هناك ، وفي ١٧ ذي الحجة ١٣٢٩ عقد مجلس حافل بالعلماء والأكابر من رجال الدين في دار الشيخ الخراساني ، ثم خطب الخطباء على الجمع المحتفلين والمتظاهرين معهم خطبا بليغة أبكت الجميع ، ثم وعدوا الناس بالعمل لإصلاح الحالة ، ثم قرّر القرار بالاجتماع مرة أخرى في دار السيد الصدر عصرا ، ولما اجتمعوا هناك أجمع رأيهم على السفر إلى الكاظمية ، والغرض من ذلك أمور :

أولا : لتكذيب اختلاف العلماء فيما بينهم ، وسفر أكثر العلماء معا متفقين متحدين .

ثانيا : صدور الأمر الواحد من الجميع إلى عشائر إيران ، وأهل المدن بالاتحاد مع الحكومة في رد عادية الروس ، بواسطة البرقيات والرسائل والرسائل إليهم .

ثالثا : إبلاغ جميع الأقطار الإسلامية كالهند والقوقاز ، وأمرهم بالهيجان وإظهار الاستياء ، وغلق الحوانيت والمحلات ، وتعطيل الأعمال ؛ احتجاجا في يوم معين على الروس ودخولها إلى إيران ، كما أنهم يأمرهم جميع عشائر إيران بالنهضة والدفاع عن بيضة الإسلام ، موافقة لحكوماتهم في مقابل الظلم والعدوان .

رابعا : اطلاع جميع دول الأجانب بواسطة قناصلهم وسفرائهم على التعدي الروسي ، بعد تصديق القنصل الإيراني في بغداد رسميا ، ومقدمة لهذا السفر أبرقوا برقية مناسبة بإمضاء جميع العلماء إلى السلطان العثماني محمد رشاد وهذا مضمونها :

إلى أعتاب السدة السلطانية وحامي الخلافة الإسلامية : (بسم الله الرحمن الرحيم ، بسبب الهجوم على الإسلام من كل جانب أصبح العالم الإسلامي في هيجان ، نحن بصفتنا رؤساء المذهب على ثمانين مليون من المسلمين الجعفرين القاطنين في إيران والهند وسائر النقط الإسلامية ، متفقا حكمنا بوجوب الجهاد والدفاع عن الدين والنفوس ، وعلى جميع المسلمين فرض عين أن يضربوا على أيدي المسببين لإراقة دماء المسلمين صيانة لدين محمد ﷺ) لذلك فإننا نعرض أعتاب حامل الأمانة المقدسة وخادم الحرمين الشريفين ، وخليفة الإسلام ، ونعلمه مترحمين أن لا يحرموا المسلمين إعطاء لواء محمد النبوي إلى المسلمين المجتمعين من أقطار العالم للدفاع والجهاد ، زمان السياسة اللادينية قد زال ومضى . فالرجاء الأمر بذلك بمقتضى

الشريعة وشأن الخلافة الإسلامية) . محمد كاظم الخراساني ، محمد حسين الحائري .

وقد أصدر الشيخ الخراساني بعد ذلك فتوى بالجهاد . وبعد أن قضى الاجتماع نادى المنادي في البلد بأن العلماء أجمعهم سيسافرون يوم الثلاثاء ٢٠ ذي الحجة ١٣٢٩ هـ ، إلى كربلاء ، ومن هناك إلى الكاظمية فمن شاء الاشتراك فليبادر والله مع الجميع^{١٥} ، وقد أوعز الخراساني بنصب الخيام في ظاهر النجف ، وتعبئة المجاهدين فيها استعدادا على السفر إلى إيران ، لدفاع الروس عنها ، وقد نُصبت الخيام فعلا على جبل السلام ، خارج المدينة ، والمراسلات جارية على أشدها بين كبار العلماء في النجف والكاظمية لإعداد عدة السفر إلى إيران ، وكان المقرر أن السفر سيتم تحت رئاسة الشيخ الخراساني يصحبه من المجتهدين الشيخ عبد الله المازاندراني، وشيخ الشريعة ، والسيد مصطفى الكاشي والشيخ عبد الهادي شليلة البغدادي، والشيخ حسن علي القطيفي، وكان السيد صالح الحلي قد سبقهم بجماعته إلى الكاظمية ينتظر اجتماعي العلماء هناك^{١٦}

ثم تقدم عليهم بالسفر إلى كربلاء السيد الصدر ليهيئ لهم المحل وليستقبلهم هناك ، وفي يوم الاثنين قبل السفر بيوم وردت برقية من قنصل بغداد إلى الصدر أنه وردت برقية من طهران تشعر بعدم لزوم حركة العلماء ، ولكن الشيخ الخراساني قال : نحن لا عن عزم الحركة غير أننا نذهب إلى كربلاء وهناك نرى رأينا وننتظر الخبر الأخير ، ثم أمر الجماعة بأني سوف أصلي الصبح في الحرم العلوي وبعد زيارة الوداع أسافر إلى كربلاء صباحا قبل أن يكثُر الناس ، ومن شاء فليلتحق بي بعد ذلك ، ثم ودع الحاضرين ودخل إلى داخل الدار ليستريح ويستعد للحركة صباحا ، وبقي من خواصه والمقربين لديه علامتان الشيخ علي الشاهرودي ، والشيخ أحمد الدشتي في

غرفة الاستقبال ليناما هناك ، حتى إذا أصبح الصباح مشيا بخدمته إلى الحرم المطهر ، ثم إلى كربلاء ، وبينما كان الخراساني على أهبة السفر شعر بتوقع مفاجئ في صحته ، وقبل أن تشرق شمس الصباح التالي أدركته الوفاة ؛ وكانت وفاته صدمة عنيفة لحركة الجهاد ، مما جعل تحرك العلماء والمجاهدين يتأخر لبعض الوقت ، إلا أن الاهتمام بالتحدي الاستعماري ظل يستوعب نشاط الوسط الشيعي ، فخلال مراسيم التأبين والفاحة التي أقيمت للشيخ الخراساني ، كانت الخطب والقصائد الشعرية تتركز حول الأخطار التي يتعرض لها العالم الإسلامي من قبل الدوائر الاستعمارية ، وتؤكد على ضرورة التصدي للهجمة الاستعمارية على بلاد المسلمين (١٧) وفي محرم ١٣٣٠ هـ اجتمع لفيف من المجتهدين في الكاظمية كان فيهم : السيد مهدي الحيدري ، والشيخ مهدي الخالصي ، والسيد إسماعيل الصدر ، والشيخ عبد الله المازندراني ، والشيخ فتح الله الأصفهاني ، والشيخ محمد حسين القمي ، والسيد علي الداماد ، والسيد مصطفى الكاشاني وقرروا إعلان الجهاد على روسيا على منوال ما فعل الخراساني الراحل ، وامتنع مجتهدان كبيران عن الحضور إلى مؤتمر الكاظمية ، الميرزا محمد تقى الشيرازي في سامراء ، والسيد كاظم اليزدي في النجف .

فقرّر الشيخ مهدي الخالصي أن يسافر بنفسه إليهما بغية إقناعهما بالانضمام إلى الحركة ، ولم يجد الخالصي صعوبة في إقناع الشيرازي عندما ذهب إليه في سامراء ، غير أنه عند ذهابه إلى النجف لم يتمكن من الاجتماع باليزدي لمحدثته في الموضوع ، (وفي أحد الأيام بينما كان الخالصي في النجف يواصل مساعيه للاجتماع باليزدي ، وقع عليه اعتداء من قبل بعض العامة ، وقد أسرع الخالصي إلى مغادرة النجف والعودة إلى الكاظمية درءاً للفتنة ، وحين سمع أهل الكاظمية

بالحادث تحفزوا لأخذ الثأر إذ لم يهن عليهم أن يعتدي أهل النجف على عالمهم دون أن ينتقموا له وقد بذل الخالصي جهده لتهديتهم ، كان والي بغداد يومذاك جمال بك ، وكان على صلة وثيقة بالخالصي ، فلما سمع بحادث الاعتداء عليه أمر بالبقاء القبض على المعتدين وبسوقهم مكبلين إلى بغداد . وانبرى الخالصي يتشفع لهم عند والي حتى جعله يأمر بإطلاق سراحهم . وفي زحمة هذه الأحداث نسي الناس جهاد الروس وانشغلوا بجهد بعضهم بعضاً)^{١٨}

وقم تشكيل لجنة من ثلاثة عشر عالماً لإدارة التحرك ضد الاحتلال الروسي لإيران ، فبينما كانت لجنة العلماء تواصل اجتماعاتها في مدينة الكاظمية ، أقدمت القوات الروسية على اجتياح مدينة تبريز وقامت بمجازر بشعة كان من ضمنها إعدام مجموعة من العلماء ، وقد أثار هذا الحدث مشاعر علماء الدين في العراق ، فأعلن السيد محمد كاظم اليزدي أنه سيتوجه إلى الكاظمية للمشاركة في تجمع العلماء أثار عزم علماء الدين على التحرك إلى إيران على رأس كتائب المجاهدين ، اهتمام الحكومة الإيرانية فأرسلت برقية تطلب فيها من العلماء عدم التوجه إلى إيران^{١٩} .

وفي أواخر آذار ١٩١٢ م ، وصل إلى العراق خبر مفاده : أن الجيوش الروسية قصفت بالمدافع مشهد الإمام الرضا في خراسان ؛ فانهدم جزء من القبة والسقف وأدى ذلك إلى قتل وجرح عدد من الزوار الذين كانوا يتجهّدون فيه ، وحملت الأنباء انتهاب الروس لقسم من مكتبة الإمام الرضا(ع) وإرسالها إلى بطرسبوغ عاصمة الإمبراطورية حينذاك ، وزيد تجاوز الجيش على الحرم واستخدامه اصطبلًا إلى غير ذلك من الأعمال المنكرة ، ولم تؤخذ بعض هذه الأنباء بنظر عامة النجف موقع التصديق إلا في شهر محرّم ، حيث عودة الزوار من خراسان ، فكان لأنباء الزوار أكبر وقع على

النجفيين ، وأعظم حادث أهاج الأفكار ، فكان هذا الحادث أبْلغ سلاح استخدمه القائم مقام عبد العزيز في إثارة العامة أثناء العشرة الأولى من شهر محرم، موسم المآتم والاجتماعات والتظاهرات الدينية ، يلج المآتم الكبيرة ويطلب من القراء أن ترثي البلاد الإسلامية ، من طرابلس الغرب وخراسان ، وأن يوضحوا للناس صور الحروب الدموية في تلك البلاد ، وما آلت إليه حال أهلها وعلمائها ومساجدها إزاء اعتداء إيطاليا والروس فتتألم الناس وتصبغ ، وعندئذ قامت قيامة النجف ، فاختلطت التظاهرات في مصيبتين عظيمتين عثمانية - إيرانية^٢ وأخيرا سحبت الحكومة الروسية جيشها من إيران طبقا للسياسة الروسية البريطانية، التي بدأت تتوخد حذرا من السياسية الزاحفة ، وأيضا لقاء معاهدة عقدت بين إيران وروسيا ، وكانت في صالح الروس ، وعند هذا ساد الهياج في مختلف أنحاء إيران والعراق ، ووجد المجتهدون في العراق أن من الضروري استئناف حركة الجهاد من جديد .

المطلب الرابع / حركة الجهاد ومقاومة الغزو البريطاني للعراق عام ١٣٣٢ - ١٩١٤ :
في أواخر (ت ١ - ١٩١٤) أعلنت كل من روسيا وفرنسا وبريطانيا الحرب على العثمانيين والسيطرة على البلاد الإسلامية وقبل إعلان الحرب كانت بريطانيا قد استكملت إجراءاتها في غزوها لمنطقة الخليج من خلال عقد عدة اتفاقيات مع ملوك الخليج لكن المشكلة التي واجهتها هي موقف علماء الشيعة من احتلال العراق، حيث كانت بريطانيا تدرك أن علماء الشيعة لا يمكن أن يتقبلوا الاحتلال البريطاني وذلك من خلال المواقف التي تبناها إزاء الاحتلال الاستعماري للأقاليم الإسلامية ، وتصديهم لأي محاولة استعمارية تستهدف كيان المسلمين السياسي ، فقد أسرع علماء الدين الشيعة إلى إعلان الجهاد فور تعرض العراق لهجوم القوات البريطانية ، وبعد إعلان الحرب تقدمت القوات البريطانية نحو العراق في (١٤ - ت ٢ -

١٩١٤م) ، فاحتلت الفاو^{٢١} فبدأت حركة الجهاد في العراق في (١٩- ت٢- ١٩١٤) لمداهمة الجيوش الإنكليزية الغازية من جهة البصرة ، فاستغاثوا برجال الدين قبل أن تعلن بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية ، فأبرق وجهاء مدينة البصرة إلى علماء الدين في العتبات المقدسة (النجف كربلاء، الكاظمية) ومختلف البلدان العراقية، ببرقيات يطلبون فيها منهم أن ينهضوا بالأمر، ويعلنوا الجهاد المقدس والنفير العام ، ويؤكدون فيها أن الإنكليز إذا احتلوا العراق فسيهدمون مساجده وعتباته المقدسة ، ويحرقون القرآن ، وينتهكون حرمت النساء ، ويذبحون الأطفال والشيوخ، فهاجوا وماجوا وأغلقوا أسواقهم ، وعطلوا أعمالهم واجتمعوا في الساحات والميادين والعتبات ينتظرون أوامر علمائهم فأصدر العلماء بوجوب الدفاع عن كل مسلم ، وأبرقوا إلى العشائر المحيطة بالبصرة ، ففي الكاظمية رقى المنبر السيد مهدي الحيدري ، فوعظ وحرّض ، وأعلن خروجه بنفسه إلى ميدان الحرب .

أما النجف فقد وصلها وفد من بغداد مؤلف من محمد باشا الداغستاني ، وشوكت باشا ، والشيخ حميد الكلدار، وغيرهم ؛ لمحادثة المجتهدين الكبار في هذا الأمر، ولدى وصولهم استقبلوا بحفاوة بالغة ، تمّ عقد اجتماع حافل في جامع الهندي حضره الكثير من العلماء ورؤساء العشائر ، وخطب فيه السيد محمد سعدي الحنبلي ، والشيخ عبد الكريم الجزائري ، والشيخ محمد جواد الجواهري ، حيث ذكروا وجوب مشاركة الحكومة المسلمة في دفع الكفار عن بلاد الإسلام ، وبعد ذلك ذهب الشيخ حميد الكلدار إلى الكوفة لمقابلة المرجع السيد اليزدي ، وعرض أمر الجهاد عليه ، فوافق السيد اليزدي على إرسال ولده السيد محمد لينوب عنه في استنهاض

العشائر للجهاد^{٢٢}.

وفي (١٢ / ٢ ت ١٩١٤ م) اجتمع مشايخ الهندية والشامية والمشخاب في مدينة الكوفة للمذاكرة في أمر الجهاد ، وقد حضر معهم فاضل باشا الداغستاني من بغداد ممثلاً عن الحكومة العثمانية ، وعزم على التوجه إلى الجعارة - ناحية الحيرة - ثم إلى الديوانية ، وفي (ك ١ ١٩١٤ م) صعد السيد اليزدي المنبر في الصحن الحيدري وخطب في الناس خطبة حثهم فيها على الدفاع عن البلاد الإسلامية ، لاسيما عرب العراق واليمن وطرابلس الغرب ، وتوجه من النجف إلى ساحة الحرب، عن طريق الفرات، عدد من المجتهدين مع أتباعهم ، وصاروا ينزلون في المدن والعشائر الواقعة في طريقهم بغية تحريضهم على الجهاد ؛ فكانت أول مجموعة من المجاهدين برئاسة السيد محمد سعيد الحنوبلي ، وكان أشد المجاهدين حماسا للجهاد .

أما في بغداد فقد كان الشيخ مهدي الخالصي أشد حماسا للجهاد في الكاظمية حيث دعا علماء الكاظمية للاجتماع في غرفة الكليدار بالصحن الكاظمي ، للمداولة في أمر الجهاد وإصدار الحكم فيه وكان على رأسهم السيد حسن الصدر ، والشيخ عبد الحسين الأسدي ، السيد مهدي الحيدري الذي كان يعد في ذلك الحين كبير علماء الكاظمية ، كما نصبت الخيام في ظاهر الكاظمية استعدادا للسفر ، ثم أطلقت المدافع ، وارتفعت الهتافات بحياة السلطان رشاد وسقوط الإنكليز وأبرق السيد مهدي الحيدري إلى علماء النجف وكربلاء وسامراء ، يخبرهم بأنه عازم على محاربة العدو الكافر مهما كلف الأمر ، ثم أوعز بعقد اجتماع عام في الصحن الكاظمي ، ولما اجتمع الناس صعد السيد مهدي على منبر أعد له وأخذ يخطب فيهم ، يحثهم على الخروج للجهاد .

وفي ٢٦ / ٢ ت ١٩١٤ م ، توجه الوفد النجفي من النجف إلى بغداد ومنها إلى جبهة الحرب عن طريق دجلة يضم كل من الشيخ فتح الله شيخ الشريعة، والسيد علي

الداماد التبريزي، والسيد مصطفى الكاشاني وموفد السيد اليزدي ، ولده السيد محمد ، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، والسيد إسماعيل اليزدي ، وبعض طلبة العلوم الدينية . وقد وصل بغداد يوم (٢٩ ت ٢ ١٩١٤ م) ^{٢٣}

فقد قام السيد اليزدي بالتأكد على حرصه على مشاركة العراقيين جميعا في الدفاع عن بلادهم ضد الغزاة البريطانيين، من خلال عشرات الرسائل والبرقيات التي بعث بها إلى الشيوخ والتجار والوجهاء ، وإلى وكلائه في المدن العراقية ، وفي ذلك كله كان السيد اليزدي على اتصال بالإدارة العثمانية في بغداد يعلمها بتحركاته ، وينسق معها بشأن تفعيل التصدي للمحتل البريطاني .

وفي (٣٠ ت ٢ ١٩١٤ م)، خرج من الكاظمية السيد مهدي الحيدري يتقدم موكبا كبيرا ومعه الشيخ مهدي الخالصي ، وثلة من العلماء ، وعشرة من أسرته وهم أولاده السيد أسد الله ، والسيد أحمد ، والسيد راضي ، وأبناء أخيه السيد عبد الكريم ، والسيد محسن ، والسيد صادق ، وابني عمه السيد عبد الحسين الذي استشهد في الحرب ، والسيد جعفر ، وابن ابن أخيه السيد عبد الأمير ، والشيخ عبد الحميد الكلدار ، وجموع غفيرة من أبناء بغداد والكاظمية وقد شيعته الكاظمية وضواحيها بأسرها^{٢٤} وفي (٩ ك ١ ١٩١٤ م) كانت ضفاف دجلة على الجانبين قد امتلأت بال جماهير ، وكانت هناك باخرة اسمها (الموصل) راسية في جانب الرصافة ، فركبها المجاهدون الحاج داود أبو التمن ، والسيد صادق العطار الحسيني البغدادي ، والسيد عبد الكريم الحيدري ، وفي مقدمتهم العلماء الأعلام : السيد علي الداماد التبريزي ، وشيخ الشريعة ، والسيد مصطفى الكاشاني ، والميرزا مهدي الخراساني ، والميرزا محمد رضا الشيرازي ، والشيخ حسن علي القطيفي ، ثم سارت نحو القرنة بين تكبير الجماهير وتهليلهم^{٢٥}

المطلب الخامس : أحداث النجف بين عامي ١٩١٥-١٩١٨ م .

عندما أفتى العلماء بوجوب الجهاد ضد الاستعمار البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى ؛ استجاب رؤساء النجف لدعوة الجهاد وتحمسوا لأداء واجبهم الإسلامي (٢٢) .
مايس ١٩١٥ م) ، اندلعت في النجف ثورة ضد الإدارة التركية ، ودارت معارك عنيفة بين الثوار وبين القوات العثمانية دامت إلى (٢٤ مايس ١٩١٥ م) ، حيث اضطرت الحامية إلى الاستسلام ، وجردت من السلاح بعد فقدانها جماعة منها فيهم بعض الضباط ، وطلب القائد والقائم مقام (بهيج بك) والمستخدمون الأمان ، وجرت مفاوضات توسط بها خازن المشهد وبعض رؤساء النجف ، تمخضت عن انسحاب القوة وبعض موظفي الحكومة ، وبقاء وجود رمزي لها . وتسلم النجفيون منذ ذلك اليوم أزمة الحكم في البلدة ، واستمروا سنتين كاملتين ، انتهت بتمكّن حكومة الاحتلال من محاولة بسط نفوذها على النجف واحتلالها سنة ١٩١٨ .

وأن موقف السيد اليزدي كان يمكن أن يفهمه رؤساء النجف على أنه في صالح الثورة ، فخلال المعارك أصيبت مآذن الصحن العلوي الشريف بقذائف الأتراك ، مما جعل السيد اليزدي يشجب هذا الاعتداء ببرقية أرسلها إلى اسطنبول^{٢٦} .

وكان موقف السيد اليزدي دقيقا في حركة الأحداث آنذاك ، فالأتراك يخوضون حربا دفاعية ضد الاستعمار البريطاني ، ورغم مؤازرة علماء الشيعة وأبناء العشائر والمدن الشيعية لهم ، إلا أنهم لم يثمنوا هذه المواقف الكبيرة للشيعة ، الذين تناسوا الخزين التاريخي ، ووقفوا إلى جانب الأتراك بدافع إسلامي واع ، فالسيد اليزدي ومعه علماء الشيعة كانوا يقفون إزاء معادلة سياسية حساسة وخطيرة ، وقد تعاملوا مع الظرف بطريقة واعية دقيقة ؛ وذلك باعتماد منهجين أساسيين في صياغة الموقف :

الأول : الإبقاء على موقفهم السابق في مواجهة الاحتلال البريطاني ، كخط شرعي ثابت .

والثاني : الحفاظ على المكسب الاستقلالي الذي حققه رؤساء النجف ، وإنهاء حالة المواجهة والثورة المسلحة ضد الأتراك ، مع تنظيم صيغة رمزية للعلاقة مع الحكومة المركزية ، تحفظ هيبتها وصورتها الرسمية أمام الرأي العام ، ورغم دقة هذه المنهجية السياسية على المستوى التطبيقي ، إلا أنه أمكن تنفيذها بنجاح ، بحيث إن العلاقة مع الدولة العثمانية لم تشهد تصعيدا جديدا ، كما أن علاقة السيد اليزدي الوثيقة برؤساء النجف ساهمت في إدارة الشؤون العامة للمدينة بشكل جيد ، فكانت توصياته تنفذ من قبل الرؤساء ، وكان ختم السيد اليزدي يعتمد في الشؤون الإدارية كالأملأك والعقارات ، وغير ذلك من المعاملات التي تتصل بحياة الناس وشؤونهم العامة^{٢٧} وقد شهدت النجف فترة ازدهار اقتصادي لم تشهدها تحت الإدارة العثمانية ، والوضع العام كان جديدا عليها ؛ لذلك كانت تحدث مظاهر خلل نتيجة التحول الإداري في المدينة ، ويضاف إلى ذلك أن الفراغ الأمني الذي خلفه الأتراك ، لم يكن من السهولة أن تملأه الإدارة الجديدة ، فكانت تقع اشتباكات مسلحة بين النجف وبعض العشائر المحيطة بها ، وكان للسيد اليزدي دور في أطفاء هذه الاشتباكات وإجراء صلح بين الطرفين ، وقد بعث الإنكليز بجواسيسهم إلى النجف يرغبون رؤسائها بالاتصال بالإنكليز ، لكن النزعة الاستقلالية كانت قوية عند بعض الرؤساء ، فبعثو رسالة إلى الإنكليز يحذروهم فيها من التدخل بشؤون النجف ، وحامل الرسالة يفيد أن السيد اليزدي يؤيد هم في هذا الأمر (لذلك جاء ردهم حذرا يحاول تهدئة الطرف الآخر ، وإن التأكيدات البريطانية ، ومحاولات التهدئة التي جاءت في الجواب الرسمي جاء في الجواب : (إن البريطانيين يكون أخلص المشاعر نحو

رجال الدين ، وأهالي الأماكن المقدسة ، وقد انتهزوا كل فرصة للتعبير عنها وإثنا سوف نواصل ذلك ، ونحن على ثقة بأن السيد محمد كاظم اليزدي والشيخ عطية سيكنان لنا نفس المشاعر، ونرجو أن يتأكد أنه ليس في نيتنا التدخل بأي شكل من الأشكال في الشؤون الدينية للعتبات (^{٢٨}) ، لم تؤثر على موقف السيد اليزدي ورؤساء النجف ، إذ أعلن السيد اليزدي وبقية علماء الدين دعوتهم الثانية للجهاد ، دفاعاً عن الدولة الإسلامية ضد الاحتلال البريطاني ، وذلك في (ت ٢ - ١٩١٥ م) وخلال فترة الدعوة الثانية للجهاد ، كانت الأزمة النفسية لا تزال موجودة بين الحكومة العثمانية ورؤساء النجف ؛ لذلك لم يتحمس الرؤساء في البداية لدعوة الجهاد ، لكنهم استجابوا نزولاً عند طلب علماء الدين ، وتفاعلاً مع مراسيم إخراج العلم الحيدري من المرقد العلوي الشريف يوم ١١ محرم ١٣٣٤ هـ ، وأقيم احتفال كبير في الصحن الشريف حضره علماء الشيعة ، وجاء حملة السلاح من محلات النجف يهتفون بالنصر للدين والدولة ، ووصل المجاهدون إلى الكاظمية ، وقد أعقب ذلك عودة التوتر بين رؤساء النجف والموظفين الأتراك في المدينة. ففي (١٦ ك ٢ - ١٩١٦ م) ، شاع خبر في النجف مفاده أن حكومة بغداد أرسلت قوة كبيرة للانتقام من النجف ، واثراً لذلك وقع اشتباك بين حملة السلاح ورجال الشرطة الأتراك ، وفي (٥ آذار ١٩١٦ م) ، استدعى السيد اليزدي رؤساء النجف إلى مدرسته للاجتماع بهم ، وعرض عليهم برقية القائد العثماني العام في العراق ، التي وصلته قبل يومين من الاجتماع ، وفيها يشكر علماء الشيعة على مواقفهم . ثم طلب منهم السيد اليزدي أن ينهوا الأزمة ويعودوا إلى طاعتها ووعدهم باستحصال العفو عنهم ^{٢٩} . واستطاع السيد اليزدي أن ينهي الأزمة بين الطرفين ، وقد ظلت سلطتهم الإدارية قائمة على المدينة إلى جانب الوجود الرمزي للحكومة ، إن هذه المواقف الكبيرة لعلماء الشيعة ، والتي تنطلق من

إخلاصهم ، وفهمهم لمتطلبات الظرف ، وضرورة مساندة الدولة ضد الغزو الاستعماري ، لم يقابلها الأتراك بما تستحق من تقدير حقيقي ، إنما ظلت سياستهم المعادية للشيعة تسير على نمطها القديم ، فقد أراد الأتراك الانتقام من مدينة الحلة على ثورتها التي اندلعت عام ١٩١٥ م ، ضمن ثورات مناطق الفرات الأوسط في تلك الفترة ، فلا تفكر في الخروج على الحكومة العثمانية كما حدث في النجف ، وفي (ت ٢ ١٩١٦ م) ، أرسلت الحكومة قوة عسكرية بقيادة (عاكف بك) فدخل الحلة وأخذت قواته بحرق وهدم البيوت وقتل الأهالي ، ثم نفذ حكم الإعدام شنقا بحق مئة وستة وعشرين رجلا وبلغ عدد القتلى (١٥٠٠) وتم نفي أعداد من الأهالي بينهم نساء وأطفال ، مات قسم منهم خلال الطريق إلى الأناضول^٣ وكان لهذه الفاجعة صداها المؤثر على المناطق الشيعية ، وفي مدينة النجف الأشرف ، فعقد رؤساء العشائر القريبة من النجف اجتماعا في المدينة دعا فيه الحاضرين إلى عدم طاعة العثمانيين لظلمهم ، ووجد علماء الدين الشيعة أن حركة النجف ضد الأتراك لا تخدم الموقف العسكري في التصدي للزحف البريطاني ، وأن الظرف يستدعي تجاوز إساءات الأتراك والتمتع بالوعي السياسي المطلوب ؛ لذلك مارسوا دورهم في حل الأزمة سلميا مع السلطات العثمانية وهذا ما توضحه الوثيقة التاريخية التالية ، وهي رسالة بعثها الميرزا محمد تقى الشيرازي في ١٦ كانون الأول ١٩١٦ م إلى السيد كاظم اليزدي ، ننقلها بنصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم) السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلى ضجيعيك وجاريك ورحمة الله وبركاته حضرة ملاذ الأنام وحنة الإسلام السيد الأجل دام ظله ، أما بعد : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أدام الله ظلكم على المسلمين وتوفيقهم لرشدكم في طاعتك ، وهداهم في امتثال أوامركم ونواهيكم ونفعهم ببركات

موعظتكم وأجركم ، وحباهم ببركة ذلك خير الدارين وسلامة الدين والدنيا .
 فغير خفي عليكم سوء أثر التشاويش في النجف من بعض الجهال ، وقبح نتيجتها
 ووخامة عاقبتها ، ومنافاتها لمراعاة حرمة المشهد المعظم ، واقتضائها لسوء الجوار لأمر
 المؤمنين (ع) وأنتم أبصري ذلك وأعرف له ، وإني مطمئن بدوام اهتمامكم بهذا الأمر
 من كل وجه ، ومواظبتكم على النصح والوعظ والزجر ، ولكني أحببت
 مذاكرتكم بذلك ؛ لأشارككم في الأجر، والفوز في إصلاح أمور المسلمين . وقد
 كاتبنا حضرة القائد العام ومعاون الولاية بطلب العفو والمراعاة ، سائلين من الله
 صلاح أمر الإسلام ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . في ٢٠ شهر صفر الخير
 ١٣٣٥ الأحرر محمد تقي الشيرازي (الختم)^{٣١}

استطاع علماء الشيعة السيطرة على الأزمة ، وهم في ذلك قدموا الدليل الكبير
 على حرصهم وإخلاصهم لبلاد المسلمين ضد الغزو الاستعماري البريطاني ، وأثبتوا
 تفهمهم لظروف الدولة الحرجة أكثر من الأتراك أنفسهم ، رغم سوء معاملة هؤلاء
 للشيعة واستخدام القوة ، وسياسة الانتقام بحقهم .

الهوامش :

- ^١ ظ: محمد علي كمال الدين ، التطور الفكري في العراق : ٢٣ ، بغداد ١٩٦٠ .
- ^٢ ظ: السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي ، أحسن الوديعات في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي
 الشيعة : ١٥٣ ، ط النجف ١٩٦٨ .
- ^٣ ظ: حسن شبر ، تأريخ العراق السياسي المعاصر ، ٢ : ٨٢ ، ط ١ / دار المنتدى للنشر - بيروت ، ١٩٩٠
- ^٤ ظ: محمد حسن القوجاني النجفي ، سياحة في الشرق : ٣٠٣ ، ترجمة يوسف الهادي ، ط دار البلاغة
 - بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- ^٥ ظ: الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥ هـ) معارف الرجال ، ١ : ٢٧٨ ، تحقيق : محمد حسين حرز الدين
 ، ط النجف ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- ^٦ ظ: د . علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث : ج ٣ ، ج ٥ / ق ٢ : ١١٨ ، بغداد
 ١٩٧٢ ، ١٩٧٨ م ٣ .

- ^٧ ظ : السيد سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٩٠٠ - ١٩٢٠، ٢٦، ط بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ^٨ ظ : لمحات اجتماعية، ٣ : ١٢٣.
- ^٩ ظ : ، لويس دوللو : ٢٩ ، التاريخ الدبلوسي
- ^{١٠} ظ : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ١٧٥
- ^{١١} ظ : النجف في ربع قرن ١٤٨ - ١٤٩ .
- ^{١٢} تاريخ العراق السياسي المعاصر، ١١١/٢ .
- ^{١٣} ظ : هجوم روس ايران واقدام رؤساء دين درحفظ ايران : نظام الدين زاده ، ط بغداد ١٣٣١هـ / ١٩٢١م : ٢٢١.
- ^{١٤} ففي يوم ١٧ تشرين الأول ١٩١٢م / ٦ ذي القعدة ١٣٣٠هـ- أي قبل يوم واحد من توقيع معاهدة الصلح مع ايطالي البلاد العربية والدولة العثمانية، ١٩٢ .
- ^{١٥} ظ : المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني : عبد الرحيم محمد علي، ط النجف ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م : ١٠٠ . وينقل الشيخ محمد شريف آل كاشف الغطاء عن والده الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، عند نية سفر الأخوند الخراساني ، اقترحنا على السيد اليزدي الذهاب لتوديعه ، وقلنا له عند عدم ذهابك سوف يتأذى طلابك ومقلديك ، وكزنا عليه القول ، وضع يده على الأرض وقال : أنا عندي الله ، وفي الصباح علمنا بوفاة الشيخ الخراساني.
- ^{١٦} النجف في ربع قرن : محمد علي كمال الدين ، تحقيق وتعليق : كامل سلمان الجبوري ، ط بيروت ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م . ١٤٩ - ١٥٠ .
- ^{١٧} دور علماء الشيعة ٦٧
- ^{١٨} ظ : د . الورد في لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١٢٧/٤ .
- ^{١٩} هجوم روس بايران وإقدمات رؤساء دين ايران، ص ٣٦ - ١٣٧١ ، ظ . دور علماء الشيعة ٦٨
- ^{٢٠} النجف في ربع قرن : ١٤٧
- ^{٢١} تاريخ العراق بين احتلالين ٢٥٤/٨
- ^{٢٢} لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١٢٧/٤
- ^{٢٣} مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي ، ملحق كتابي (النجف الأشرف وحركة الجهاد) و(النجف الأشرف ومقتل الكابتن مارشال) ، لكامل سلمان الجبوري، ط بيروت ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م . ص ١٧٩
- ^{٢٤} الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري ، للسيد أحمد الحسيني، ط النجف ١٩٦٧م ص ٣٣ .
- ظ . مقابر قريش أو الكاظمية ، السيد كاظم العوادي ص ٧٠ - ٧١ .
- ^{٢٥} لمحات اجتماعية ١٣٣/٤ - ١٣٤
- ^{٢٦} موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف جعفر الخليلي، ط بيروت ١٩٦٥م . ٢٥١/١

- ^{٢٧} دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٩٠٠ - ١٩٢٠ ، السيد سليم الحسني ، ط بيروت ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، السيد عبد العزيز الطباطبائي : ٤٥
- ^{٢٨} ظ : العراق ، دراسة في تطوره السياسي: جعفر خياط، بيروت ١٩٤٩ م. نشأة الدولة ، ص ١١٨ -
- ^{٢٩} لمحات اجتماعية ٢٦٣ / ٤
- ^{٣٠} ظ : تاريخ الحلة ١ / ١٦٩ ، ظ : الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ، فريق المزهرة الفرعون (ت ١٣٨٥ هـ) ، ط بغداد ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م. ٤٥ / ١
- ^{٣١} ظ : دور علماء الشيعة ص ١٣٥
- المصادر:

- ١- محمد علي كمال الدين ، التطور الفكري في العراق ، بغداد ١٩٦٠ ، .
- ٢- السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي ، أحسن الوديعات في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة ، ط النجف ١٩٦٨ .
- ٣- حسن شبر ، تأريخ العراق السياسي المعاصر ، ط ١ / دار المنتدى للنشر- بيروت ، ١٩٩٠ .
- ٤- السيد محمد حسن القوجاني النجفي ، سياحة في الشرق ، ترجمة يوسف الهادي ، ط دار البلاغة- بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٥- الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥ هـ) معارف الرجال ، تحقيق : محمد حسين حرز الدين ، ط النجف ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- ٦- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ١٩٧٢ ، ١٩٧٨ م.
- ٧- السيد سليم الحسني ، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٩٠٠ - ١٩٢٠ ، ط بيروت ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٨- لويس دوللو ، التاريخ الدبلوماسي
- ٩- هجوم روس ايران وإقدام رؤساء دين در حفظ ايران : نظام الدين زاده ، ط بغداد ١٣٣١ هـ / ١٩٢١ م.

١٠- المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني : عبدالرحيم محمد علي ، ط
النجف ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

١١- النجف في ربع قرن : محمد علي كمال الدين ، تحقيق وتعليق : كامل سلمان
الجبوري ، ط بيروت ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

١٢- مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي ، ط بيروت ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

١٣- الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري ، للسيد أحمد الحسيني ، ط النجف ١٩٦٧م

١٤- مقابر قريش أو الكاظمية ، السيد كاظم العوادي .

١٥- موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف جعفر الخليلي ، ط بيروت ١٩٦٥م .

١٦- دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٩٠٠ - ١٩٢٠ ، السيد سليم الحسني ،
ط بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

١٧- العراق دراسة في تطوره السياسي : جعفر خياط ، بيروت ١٩٤٩م

١٨- الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ، فريق المزهرة الفرعون (ت ١٣٨٥هـ) ، ط
بغداد ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .